عام الجراد

الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين

سليم تماري

يوميات جندي مقدسي عثماني

١٩١٥ - ١٩١٦



مؤسسة الدراسات الفلسطينية
مؤسسة الدراسات المقدسية

تم نشر هذا الكتاب بفضل
دعم كريم من

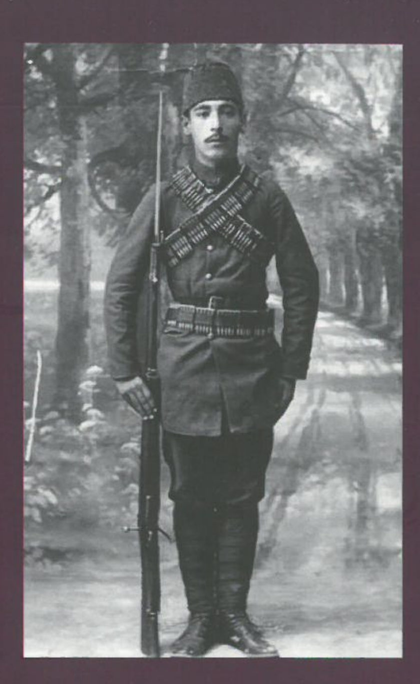
مؤسسة التعاون



LIBR

Lebanese

P.O.Box 1
Tel: (0



من أهم سمات الحرب العظمى المنسية دورها في تقويض القيم الاجتماعية السائدة واستحداث أنماط سلوكية جديدة. ففي غياب أعداد كبيرة من الرجال والشباب عن عائلاتهم بسبب التجنيد الاجباري والموت في جبهات القتال تعرضت مئات الآلاف من العائلات إلى الفقر المدقع والجوع والمرض، ودفع سكان المدن الكبيرة الى أنماط سلوكية لم تشهدها من قبل بهذا الزخم. التسول والسرقة والدعارة واصبحت معالم يومية في شوارع القدس كما. ساهمت الحرب في النهاية في إعادة صياغة علاقات عدائية بين الدولة ورعاياها. وفي حالة فلسطين شكلت الحرب مفصلاً تاريخياً في فصم البلاد عن امتدادها الشامي الذي كانت جزءاً اقتصادياً وسياسياً وثقافياً منه – وتقوقعت خلال الحكم البريطاني الكولونيالي في حدود جديدة ومواطنة مستحدثة وأشكال جديدة من الوعي القومي.

عام الجراد

الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين

سليم تماري



مع

أيام مثيرة في حياة العسكري إحسان القصيرة

يوميات جندي عثماني

١٩١٥ - ١٩١٦

مؤسسة الدراسات الفلسطينية  مؤسسة الدراسات المقدسية

عام الجراد: الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني في فلسطين

تاليف: سليم تماري

تشمل: «أيام قصيرة في حياة العسكري إحسان القصيرة: مذكرات إحسان حسن الترجمان. القدس ١٩١٥-١٩١٦»
التحقيق والتدقيق اللغوي: سمير الديك
المراجعة: زكريا محمد
التنضيد: روان أبو نمرة وفيكي حبش
التصميم: لينا صبح

Year of the Locust: The Great War and the Erasure of Palestine's Ottoman Past
Including: Diary of an Ottoman Soldier: Jerusalem 1915-1916

Author: Salim Tamari

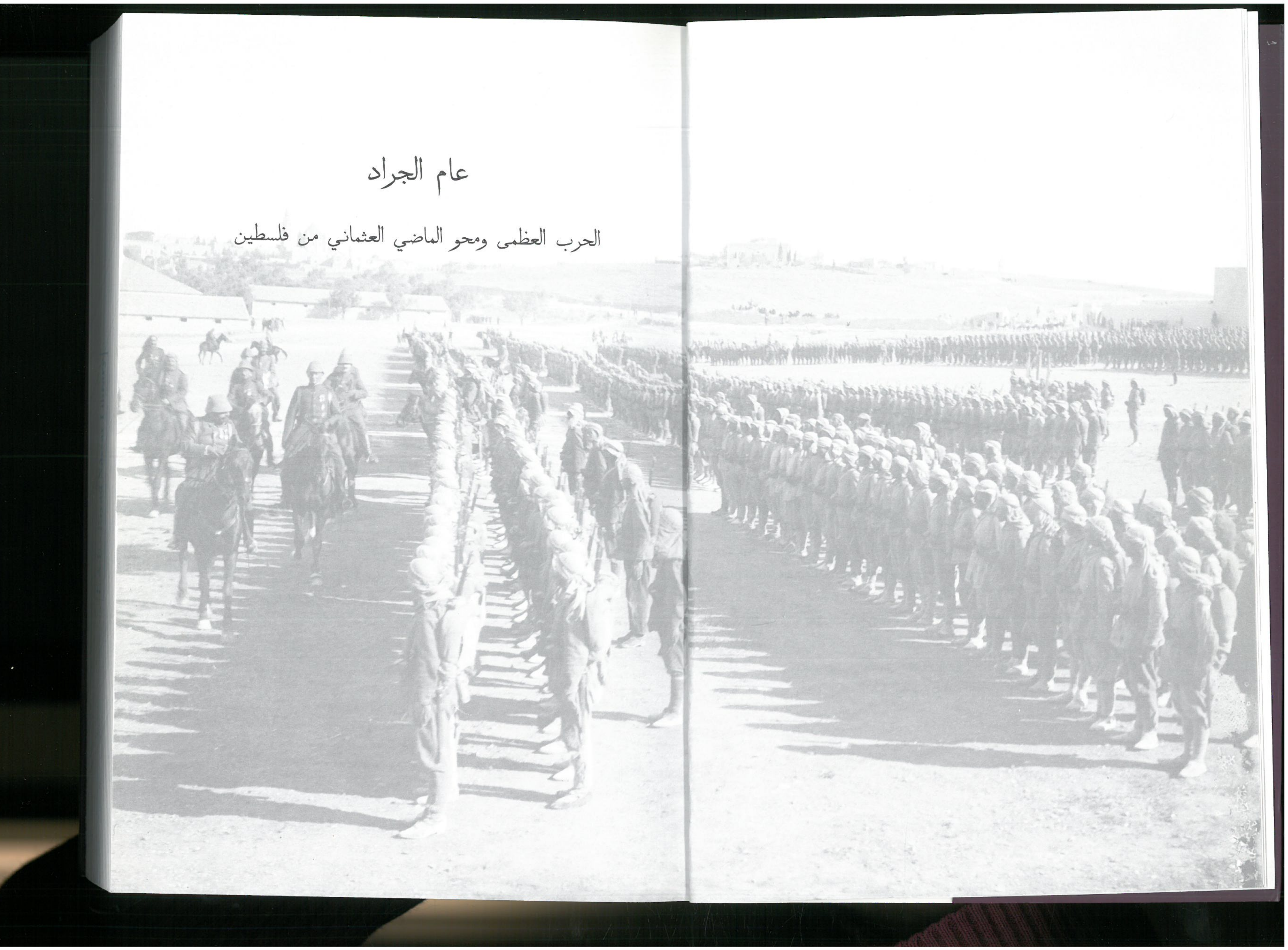
ISBN 978-0-88728-310-9

المحتويات

شكر وتقدير

يعود الفضل الكبير في مراجعة هذه المخطوطة الى الزميل العزيز زكريا محمد الذي استطاع بمعايشته الدقيقة للمخطوطة أن يفك أسرار الشيفرة التي استعملها إحسان الترجمان في تدوين بعض أفكاره المكتومة وبذلك أعاد احياءها بعد أن استعصى ذلك على العديد من الخبراء. كما زودني زكريا بالعديد من الاقتراحات السديدة في تحسين الصياغة النهائية للمخطوطة، فله الشكر والمحبة والامتنان والشكر أيضاً الى الزميل سمير الديك في بيروت للجهد العظيم الذي ساهم به في تنقيح المخطوطة النهائية.

كذلك أشكر الزملاء الذين راجعوا المخطوطة وزودوني بتعليقاتهم عليها قبل النشر: ريما حمامي وبشارة دوماني وعصام نصار وسعاد العامري. كما اشكر عائشة كاقدار (استنبول) وسيبيل الصائغ (اسكندورن) ونظمي الجعبة لتزويدي بالترجمات من التركية العثمانية. واخص بالشكر عائشة كاقدار ايضاً لمساعدتي بالحصول على الخرائط والصور العثمانية. كما اعبر عن امتناني العميق للزملاء: خضر سلامة (تصوير المخطوطة الاصلية من اليوميات) روان ابو نمرة وفيكي حبش (التنضيد)، عادل مناع وابيغال جاكوبسون (ملاحظاتهم القيمة) محمد غوشة (سجلات المحاكم الشرعية التي تتعلق بآل الترجمان). الشكر الخالص لابيغال جاكوبسون التي لفتت نظري الى وجود مخطوطة مذكرات الترجمان في أرشيف الجامعة العبرية. أعبّر عن امتناني أيضاً للزميلة منى نصولي التي وفرت لي مصادر أرشيف المؤسسة في بيروت الغني بالصور العثمانية. يوميات العسكري إحسان مستمدة من المخطوطة الاصلية المودعة في قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية (الجامعة العبرية) في القدس. كما أنني مدين بشكل خاص للسيد صالح الترجمان ونبيلة الترجمان احفاد حسن بيك الترجمان، والى السيد محمد الخالدي (عمان) والسيدة هدى عبد الشافي (غزة) والسيدة سلمى الخالدي (رام الله) لتزويدي بالمعلومات والوثائق عن عائلة الترجمان والى السيد بهاء الجعبة لتصوير بيت الترجمان في الحرم المقدسي. أما الزميل خالد فراج - في مؤسسة الدراسات المقدسية - فقد رافق رحلة الكتاب من البداية وأغنى الدراسة بالمساعدة المستمرة والتعليقات النقدية. أخيراً أشكر الاستاذ المؤرخ وليد الخالدي الذي وفر لي المعلومات الخلفية عن حسن شكري الخالدي وعائلة الحاج راغب، وأعطاني وقته الثمين لمناقشة ظروف القدس خلال الحرب العظمى، فله امتناني.

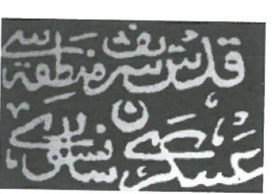


عام الجراد

الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين

قاتلت في جبهة الدردنيل ضد جيوش الإنكليز من أجل وطن عثماني لم يعد له وجود - ومع ذلك بقيت أحيا على نفس الأرض.

(الأومباشي محمد علي عوض، ضابط فلسطيني
في الجيش العثماني من قرية عنبتا،
قاتل في معارك السويس وغاليبولي).[1]



ختم الرقابة العسكرية على المراسلات الصادرة عن متصرفية القدس الشريف.

تشكل يوميات الجنود ومذكراتهم، وخصوصاً تلك التي وصلتنا من المقاتلين في الحرب العالمية الأولى، معالم عن أهوال الحرب. وقد تراكم لدى الباحثين اليوم كمّ كبير من هذه المذكرات الآتي معظمها من جنود الحلفاء وضباطهم، وأغلبهم من الإنكليز والفرنسيين والأميركيين وجنود «الإنزاك» (أستراليا ونيوزيلندا)، ومن مقاتلين في جيوش المحور (ألمانيا والنمسا).[2] إلاّ إن عدد هذه المذكرات المتوفرة من الجانب العثماني، وخصوصاً من جنود عرب، أقل جداً. من هنا تأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تلقي أضواء على أوضاع الحرب ونتائجها كما عايشها العساكر العرب. وهي تهدف إلى معاينة تأثير الحرب العظمى في مسألتين: الأولى تتعلق بالطريقة التي أدت الحرب من خلالها إلى فصم الرابطة العثمانية وأنماط الهوية بين بلاد الشام والدولة العثمانية المتعددة الإثنيات. والثانية تتعلق بعلاقة الحرب العظمى بتجربة الحداثة: هل كانت الحرب مفصلاً بين حداثة كولونيالية وحداثة عثمانية؟ أم هل أحدثت الحرب تحولات جذرية في أنماط الحياة اليومية والسلوكيات، بحيث لم نعد نتعرف على هذا الماضي العثماني كجزء من تاريخنا عندما نجابهه؟

---

(١) **المصدر**: مراسلة مع سمير عوض، حفيد الأومباشي محمد (رام الله، ١٦/٧/٢٠٠٦).

(٢) يستطيع القارئ مراجعة مجموعة من مذكرات الجنود المقاتلين في الحرب العظمى على موقع إدوارد لانغل، «تجربة الجنود في الحرب العالمية الأولى»، والعنوان
http://wsrv.clas.virginia.edu/~egle2r/wwi.html

أمّا بالنسبة إلى المصادر العثمانية لهذه المذكرات فيمكن مراجعتها على موقع المؤرخ ألتاي أتلي، «تركيا في الحرب العالمية الأولى»: http://www.turkeyswar.com
ويوجد قسم كبير في هذا الموقع عن المجهود الحربي العثماني في فلسطين.



طوابير الشغيلة (العملة): سخرت السلطات العثمانية العديد من سكان القدس في حفر الترع والخنادق للمجهود العسكري العثماني.

المصدر: المجموعة الجوهرية، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

وبينما تعالج هذه الدراسة التحولات التي أصابت مدينة القدس خلال الحرب، فإنه يجب الإشارة إلى أن القدس كانت مركزاً لمتصرفية كبيرة شكلت نصف مساحة فلسطين الانتدابية. وكان أشرافها ووجهاؤها نخبة متنفذة لها نفوذ وتأثير في مجريات الأمور في المدن المحيطة (يافا والخليل تحديداً)، وفي الآستانة العاصمة السلطانية. ولعل من المفيد أن نتذكر أن الأعوام الحاسمة في هذه التحولات كانت في الحقبة القصيرة جداً - ستة أعوام في مجملها - الفارقة بين وعود الثورة الدستورية سنة ١٩٠٨ وبين انهيار هذه الإمكانات في خضم النظام الاستبدادي الذي أقامه جمال باشا في بداية الحرب سنة ١٩١٤. بطل (أو بالأحرى «لا بطل») قصتنا هو العسكري إحسان حسن الترجمان (١٨٩٣ - ١٩١٧)، مجند نفر في القيادة العثمانية في القدس. في حياته القصيرة والرتيبة خدم إحسان في دائرة الجيش اللوجستية (المنزل العسكري)[١] بعد فترة وجيزة من العمل في الجيش النظامي في نابلس والخليل. إلاّ إن ملاحظاته عن تأثير الحرب في مدينته وأمته كانت فريدة في نوعها. تكمن أهمية هذه اليوميات في إضاءة نسيج الحياة اليومية التي اختفت في طيات الخطاب السياسي القومي، وفي استعادة عالم انطمس واختفى عن الوجود نتيجة المحو المنظم لماضينا العثماني - عالم أزقة المدينة وأحيائها القديمة، وعالم الجدل الحاد الذي ساد في تلك الفترة بشأن مستقبل سورية/وفلسطين، وعالم أصوات الشارع العادي من جنود وتجار وباعة متجولين، التي ضاعت عنا في ثنايا كتابات النخبة. وفي العام الثالث للحرب نلمس بحثاً دؤوباً ومتعطشاً إلى استعادة نمط الحياة الطبيعية - وهو نمط عاشه الناس في زمن ما قبل الحرب، وضاعت آثاره في الأعوام المئة التي تلتها.

فالحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) كانت حقبة مفصلية في مسار انقطاع التواصل بين الحاضر العثماني للمجتمع الشامي وبين مستقبله الانتدابي. كما تجلّت فيها آثار الهزات العنيفة التي أحدثتها الحرب وتعبئة الدولة لعشرات الآلاف من أبناء المدن والأرياف في المشرق العربي للقتال على جبهات الأناضول والعراق والسويس.

(١) المنزل العسكري لمنطقة متصرفية القدس. وهو المقر الإداري للجيش العثماني الرابع، المسؤول عن التعبئة والإنشاءات ومتابعة ملفات وإضبارات الجنود، بما فيها سجلات النقل والإعفاءات. وهو يقع في مبنى النوتردام قبالة باب الجديد، الذي كان يعرف في تلك الفترة بباب السلطان عبد الحميد، خارج أسوار المدينة.

سميته عام الجراد لأن هجمة الجراد الكارثية على أراضي فلسطين وسورية سنة ١٩١٥ اختزلت في الذاكرة الجماعية ارتباط قسوة الطبيعة بالمجاعة والأوبئة وهمجية الحرب والتهجير في لحظة واحدة من الزمن. وفي هذه الأعوام الأربعة الجسام نجحت الحرب أيضاً في محو ذاكرة أربعة قرون من الحكم العثماني اللامركزي، واختصرتها في أذهان الأجيال اللاحقة برموز الطغيان الثلاثة: جمال باشا والسفر برلك وأعواد المشانق في ساحة البرج (بيروت)، وفي باب العمود (القدس). فجأة تحول القمع العثماني إلى الطغيان الطوراني، وتحولت الدولة في نظر رعاياها من دولة عثمانية واعدة متعددة القوميات إلى دولة الأتراك.

من أهم سمات الحرب العظمى المنسية دورها في تقويض القيم الاجتماعية السائدة واستحداث أنماط سلوكية جديدة. ففي غياب أعداد كبيرة من الرجال والشباب عن عائلاتهم، بسبب التجنيد الإجباري والموت على جبهات القتال، تعرضت مئات الآلاف من العائلات لضربات الفقر المدقع والجوع والمرض، ودُفع سكان المدن الكبيرة إلى أنماط سلوكية لم تشهدها هذه المدن بهذا الزخم من قبل: التسول والسرقة والدعارة التي أصبحت معالم يومية في شوارع القدس. كما ساهمت الحرب في النهاية في إعادة صوغ علاقات عدائية بين الدولة ورعاياها. وفي حالة فلسطين شكلت الحرب مفصلاً تاريخياً في فصم البلاد عن امتدادها الشامي الذي كانت جزءاً اقتصادياً وسياسياً وثقافياً منه، إذ تقوقعت خلال الحكم البريطاني الكولونيالي في حدود جديدة، ومواطنة مستحدثة، وأشكال جديدة من الوعي القومي.

الجانب الآخر لشمولية الحرب اتخذ شكل التأثير الانعتاقي الإيجابي في المجتمع، وهو مظهر غاب عنا في خضم الذكرى المدمرة للحرب التي نشرت الخراب والقمع وتعطيل حياة الناس الطبيعية. والمفارقة هنا تقع في أن آليات التدمير والفظاعة نفسها - وتحديداً آليات تعطيل الحياة الرتيبة اليومية - هي المسؤولة عن فتح آفاق جديدة للحداثة الاجتماعية. في هذا المضمار كتب المؤرخ أنطون بانيكوك عن الدور الذي أدته الحرب الأولى في إزالة الأوهام عن طبيعة العصبيات القومية وفتح آفاق التضامن الطبقي بين المجتمعات المتحاربة.[1] وفي معالجة شبيهة كتب أنغلز عند انتهاء الحرب البروسية - الفرنسية عن مفهوم «الحرب الشاملة» المستقبلية التي

(١) John Gerber, «Anton Pannekoek and the Quest for an Emanciaptory Socialism,» *New Politics*, no. 5 (Summer 1988).

توقع - عند انتهائها - أن تفسح البربرية المجال لبروز حضارة جديدة.[1] كلاهما كان يشير إلى حراك عدد هائل من شبان الأرياف الأوروبية إلى معسكرات الجيوش المتحاربة حيث استحوذ هؤلاء الفلاحون على مهارات مهنية بالإضافة إلى القراءة والكتابة، الأمر الذي شكل القاعدة الثقافية لحركات جماهيرية إصلاحية وثورية.

في فلسطين والولايات الشامية للدولة العثمانية نجحت الحرب في إحداث تأثير معاكس في الوعي القومي وترسيم الحدود القومية. فقد أضعفت بشكل حاسم التطور الدستوري الحثيث (الذي مثلته الحركات اللامركزية وحزب الاتحاد والترقي) نحو دولة تمثيلية متعددة القوميات، وعززت بروز أيديولوجيات قومية ذات امتداد إقليمي ضيق. ومع ذلك أحدثت الحرب هنا - كما هو الوضع في أوروبا ودول البلقان - احتكاكاً واسع النطاق وحراكاً سكانياً كبيراً داخل المجتمعات القومية، وهو ما أضعف الانتماءات المحلية، وأدخل التعليم الرسمي في مستوى أوسع مجالاً. كما طور البنية التحتية لهذا الحراك الجماهيري - من طرق وآليات نقل وكهرباء للتجمعات الحضرية - وهي كلها تحديثات بدأتها الإصلاحات العثمانية أواسط القرن التاسع عشر، إلاّ إن وتيرتها تسارعت في أعوام الحرب.

لا شك في أن وجود معسكرات الجيش في أطراف المدن الرئيسية أدى دوراً كبيراً في دفع هذه التغييرات. وقد عالج المؤرخ خالد فهمي طبيعة هذه الحداثة المتناقضة التي أدخلتها تنظيمات جيوش الخديوي محمد علي على المجتمع المصري

(١) يقول أنغلز في هذا المجال: «... الحرب الوحيدة التي بقيت أمام الدولة الألمانية - البروسية لخوضها هي حرب عظمى. وهي حرب ستكون على درجة من الاتساع والعنف بحيث لم يكن في الإمكان تصورها حتى الآن. وسيشترك فيها من ثمانية إلى عشرة ملايين جندي سيعيثون في أوروبا خراباً أشد هولاً من هجوم الجراد. يمكن تصورها إذا اختزلنا التدمير الذي نجم عن حرب الثلاثين عاماً إلى ثلاثة أو أربعة أعوام، وإذا نشرنا تبعاته على جميع أنحاء القارة الأوروبية: الجوع والوباء والانحدار العام نحو الهمجية من جانب العسكر والمدنيين وفي أعتابها البؤس الشديد. وسنشهد في خضم هذه الحرب تفسخ نظام التجارة والصناعة والاعتماد المصرفي إلى انتهاء بالإفلاس العام. كما سنشهد تقويض العديد من الدول القديمة ونظمها التقليدية بحيث تنهار العروش بالدزينة، ولن تجد من يأتي لنجدتها. ولا يمكننا الآن [نهاية القرن التاسع عشر] أن نتنبأ بنهاية هذه المرحلة ومن سيخرج منتصراً من هذا المعمعان. هنالك نتيجة واحدة ممكن أن نتوقعها بالتأكيد: الإنهاك العام للجماهير وظهور الشروط الضرورية لانتصار الطبقة العاملة. هذه هي النتيجة المتوقعة للتسابق المحموم في التسلح والمزايدات...». أنظر: Gilbert Achcar, «Engels: Theorist of War, Theorist of Revolution,» *International Socialism Journal*, no. 97 (2002).

في القرن التاسع عشر.[١] وصلت عملية التنشئة العسكرية هذه إلى فلسطين بعد عدة عقود، وبلغت ذروتها في إعلان النفير العام سنة ١٩١٤. وكان أول من استوعبت من فئات السكان المجندين من الفلاحين وأبناء المدن الصغيرة. في المشرق العربي، كما كان الحال في مصر أواسط القرن، أحدث التجنيد تغييرات ملحوظة في التركيب السكاني للريف وعلاقته بالمدن العواصم. يشير صلاح عيسى، في دراسته الرائدة عن العالم السفلي في الإسكندرية خلال الحرب العالمية الأولى «رجال ريا وسكينة»، إلى كتائب الشغيلة التي نظمها الجيش البريطاني المحتل - وهي الرديف العثماني لـ «طوابير العملة» التي وصفها إحسان الترجمان في يومياته عن أعوام الحرب في فلسطين.[٢]

تشكلت «طوابير العملة» من تجمعات سخرها الجيش لبناء الطرق وسكك الحديد ومعسكرات الجيش في مواقع الجبهات الحربية كافة. وعلى الرغم من وضع هذه الطوابير البائس والمزري، إذ قضي على عشرات الأفراد من مجنديها في أصقاع الأناضول وفي الدردنيل وصحراء سيناء، فقد وفرت تعويضاً نسبياً لعساكرها في فترة سادها الجوع: الطعام المجاني والإقامة بمعسكراتها وأحياناً، لمن صادفهم الحظ، الانتقال للإقامة بأطراف المدن الكبرى للإمبراطورية. وما كان لهؤلاء العساكر «المتطوعين» خيار في الانضمام إلى صفوف الجيش؛ فالبديل، غالباً، كان الموت البطيء من الجوع. ويلاحظ صلاح عيسى أن هؤلاء «المتطوعين» تبنوا خلال عزلتهم المتدرجة في معسكرات الجيش أخلاقيات الحثالة - وخصوصاً عندما انتقلوا، أو هربوا، للعيش في هوامش مدن مثل القاهرة أو الإسكندرية.

> ... كان إخلاء الميدان من القتلى والجرحى [من واجباتهم] فتعودوا على رؤية الدماء والأشلاء. وأصابهم ما يصيب كثيرين ممن يشاركون في الحروب وخاصة المدنيين منهم: تبلدت أحاسيسهم تجاه الموت. ولم يعد مشهد الدماء يخيفهم، أو قتل الآخرين يرعبهم، ولم يعد لقوانين المجتمع المدني الذي جاؤوا منه التأثير الذي كان لها في نفوسهم، قبل أن يعيشوا في مجتمع الحرب حيث قتل الآخرين هدف في حد ذاته.[٣]

تعودت عساكر طوابير الشغيلة أنماط السلوك والاستهلاك الجديدة المنفصمة عن حياتهم التقليدية في القرى التي نشأوا فيها. وعلى الرغم من مبالغة صلاح عيسى في

(١) خالد فهمي، «جميع رجال الباشا» (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠).
(٢) صلاح عيسى، «رجال ريا وسكينة» (القاهرة: دار الأحمدي، ٢٠٠٢).
(٣) المصدر نفسه، ص ١١١ - ١١٢.

الإشارة إلى «مكتسبات» الحياة الجديدة عند الشغيلة، فإنه يسلط ضوءاً مهماً على التحولات النوعية في نمط معيشتهم:

> تعودوا على حياة يمكن اعتبارها مرفهة بالقياس إلى حياتهم [السابقة] وعرفوا معنى أن يعمل الإنسان عملاً منتظماً بلا توقف، وجربوا رفاهية أن يأكلوا ثلاث وجبات في اليوم، وحازوا فخر أن يكون اللحم والبسقماط [القرشلة] والمربى من بين الأطعمة التي يتناولونها كل يوم، وتعودوا على استبدال ملابسهم بأُخرى نظيفة قبل أن تتراكم عليها القذارة... وأتاحت لهم الحرب فرصاً للاختلاط بآخرين، وللتجول في أسواق المدن المفتوحة، وللاستمتاع برؤية ما لم يسبق لهم رؤيته من مشاهدها.[١]

وقد جعلت تجربة الحياة العسكرية عودة المجندين في كتائب الشغيلة إلى قراهم صعبة وغير مستساغة، وتخلوا عن «فضيلة القناعة» التي اشتهر بها فلاحو الأناضول والمشرق العربي. ونجد في هذا التخلي عن القناعة التفسير الاجتماعي لظاهرة الإجرام التي تفشت في أوساط العساكر المسرحين أو الهاربين من كتائب الشغيلة في العالم السفلي للإسكندرية ومدن المرافئ في شرق المتوسط بعيد انتهاء الحرب العالمية.[٢]

حولت الحرب فلسطين إلى ورشة بناء عملاقة للمنشآت العسكرية. فقد جندت فيالق الهندسة في الجيش العثماني طوابير العملة في جميع أنحاء سورية وفلسطين لتحديث شبكة النقل والاتصالات. وفي الإمكان نسبة العديد من سمات الحداثة التقنية، التي نسبت إلى فترة الانتداب البريطاني في فلسطين (والفرنسي في سورية ولبنان)، إلى مبادرات عثمانية بدأت في أعوام الحرب.[٣] ويستطيع القارئ أن يراجع هذ المشاهدات في أول دراسة حديثة عن تاريخ فلسطين نشرها عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح سنة ١٩٢٠، عند عرضهما التغيرات التي أحدثتها الإدارة العثمانية في البنية التحتية للبلاد نتيجة استعداداتها الحربية: تم حفر الآبار الأرتوازية في أنحاء البلاد، وبدأ ربط التجمعات الحضرية الرئيسية بشبكة من الأنابيب، وامتدت سكة الحديد من شمال البلاد إلى الجبهات الجنوبية (الحفير وبئر السبع)، كما ربطت شبكة الهاتف والتلغراف فلسطين وسورية بالعالم الخارجي.

(١) عيسى، مصدر سبق ذكره، ص ١١١ - ١١٢.
(٢) راجع تاريخ طوابير الشغيلة في: إريك يان زورخير، «طوابير الشغيلة العثمانية في الحرب العالمية الأولى»، جامعة لايدن، أرشيف الأبحاث، دائرة الدراسات التركية، آذار/مارس ٢٠٠٢.
(٣) عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح، «تاريخ فلسطين» (القدس، ١٩٢٠)، ص ٢٤٨ - ٢٥٢.

أمّا مكاتب البريد التي أنشأتها المصالح القنصلية الأوروبية أواسط القرن، فتم توحيدها واستبدالها بالخدمات البريدية العثمانية المركزية. وتم توسيع شبكة الطرق البدائية لخدمة المواصلات العسكرية والسيارات وحافلات الركاب الممكننة.[١]

وفي مجال الخدمات الصحية قامت الدول بفتح المستشفيات والعيادات والصيدليات العامة لمكافحة أوبئة الملاريا والكوليرا والتيفوس، التي انتشرت خلال الحرب وحصدت ضحايا لا يقل عددها عن ضحايا المعارك.[٢]

في جميع هذه المنشآت العسكرية والمدنية أدت «طوابير الشغيلة» دوراً أساسياً. وتم تجنيد أفرادها من شرائح السجناء المسرحين، ومن سكان القرى بواسطة القرعة، ومن فقراء المدن.[٣] في هذا المجال يجب أن نميز بين تنظيم ووظائف المجندين «المتطوعين» (وهم نواة طوابير الشغيلة) وبين أفراد الجيش الرسمي، المعروف بالنظامية، والذي تحمل العبء الرئيسي في القتال على جبهات المعارك، واستُمدت منه مادة اليوميات التي سأعرضها في هذه الدراسة.

على الرغم من هذا التباين بين شرائح الجيش من مجموعات النظامية والرديف (قوات الاحتياط) وبين «المتطوعين» (وهم ينتمون في الغالب إلى الأقليات الدينية التي اعتبرها الجيش العثماني غير ملائمة للقتال على الجبهة)، فقد كان للحرب أثر انعتاقي فيهم كافة. فجميع جنود هذه الفئات خاضوا تجربة الانضباط العسكري في معسكرات الجيش، ومعظمهم اقتُلع من مناطق سكناه التقليدية وانتقل للعيش في أقاليم ومدن وجبهات بعيدة في أنحاء الدول، وفيها تم احتكاك المجندين بعساكر الجيش الشاهنشاهي من قوميات أُخرى، من أتراك وأكراد وسوريين وعراقيين وألبان وبلغار - بالإضافة إلى اختلاطهم بالضباط والمجندين الألمان والنمساويين الحلفاء.

ظهرت خلال الحرب تحولات مهمة في أنماط العمل والحياة اليومية. فقد بدأ سكان المدن اقتناء ساعات الجيب لتحديد بداية ساعات العمل ونهايتها. واحتلت

(١) البرغوثي وطوطح، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٩؛ خليل السكاكيني، «يوميات خليل السكاكيني، الكتاب الثاني: النهضة الأرثوذكسية، الحرب العظمى، النفي إلى دمشق، ١٩١٤ - ١٩١٨»، تحرير: أكرم مسلّم (رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي، ومؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٤)؛ «يوميات الترجمان» (أنظر أدناه صفحة ١٣، حاشية ٢).

(٢) كامل جميل العسلي، «مقدمة في تاريخ الطب في مدينة القدس» (عمّان: الجامعة الأردنية، ١٩٩٤).

(٣) زورخير، مصدر سبق ذكره.

المقاهي مقام المنازل كأماكن تجمع وزيارة للرجال. وخرج عدد محدود من نساء الطبقات الوسطى للعمل، ونزع بعضهن الحجاب في المدن الكبرى. وفي القدس ويافا - كما هي الحال في بيروت وحلب ودمشق - شجعت الدولة إنشاء الملاهي الليلية والمواخير للترفيه عن الجنود.[١] ويشير البرغوثي وطوطح في كتابهما إلى منافع هذا الاحتكاك بين العساكر والمدنيين من السكان، وإلى التأثير التربوي لسفر سكان القرى والبلدات الصغيرة إلى حواضر بيروت ودمشق وحلب حيث تعرفوا على عاداتها وتقاليدها. لكنهما انتبها وحذرا من تأثير الحياة العسكرية الأخلاقي السلبي في السكان:

> في خلال هذه الحرب رأينا من فساد أخلاق بعض الشرقيين ما زهّدنا في الحياة. . . . فلمّا أتت جنود الألمان والنمساوية وجدناهم أحط منا وأجرأ على ارتكاب الموبقات فحوقلنا ومقتنا أعمالهم وأخلاقهم المنحطة وسلوكهم الحيواني، وتوهمنا أن المرض التركي تفشى في مفاصلهم وتسرب إلى أدائهم. فلمّا قدمت الجيوش الإنكليزية المزيجة من عناصر الأرض وجدناها أدنى وأحط، فلا عيب تتوقاه ولا حرام تأباه فعلمنا أن الحرب مفسدة الأخلاق وأي حرب أعظم من هذه سيما أن سكان المدن ومن جاوروا معسكرات الجنود كانوا أكثر فساداً من سكان القرى البعيدة عنهم.[٢]

وعلى الرغم من لهجة هذين المؤلفين الأخلاقية الأبوية فإننا نرى التباساً في حكمهما بالنسبة إلى أثر الحرب في مستقبل فلسطين. فمن جهة أُخرى اعتقد المؤرخان أن الحرب كانت فاتحة تقدم حضاري وبداية نظام حكم وطني في المشرق العربي. أمّا مخاوفهما فكان مبعثها عدم اليقين المرافق لوصول الحداثة العلمانية إلى فلسطين من ناحية، والقلق على البلاد من غياب السيطرة العثمانية من ناحية أُخرى.

في الأعوام الأخيرة طرأ تغيير مهم في تفسير طبيعة الحرب العظمى. ففي الأدبيات عن أحداث الحرب نشهد اليوم جدلاً وإعادة نظر في الرؤية السائدة فيما يتعلق بتبلور العلاقة بين القومية العربية والحركة الطورانية. كذلك نجد تغيراً ملحوظاً في أوساط المؤرخين العرب على صعيد المسلمات الأيديولوجية التي تبناها خلدون

(١) عمر الصالح البرغوثي، «المراحل» (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١)، ص ١٩٢؛ Jens Hansen, «Public Morality and Marginality in fin-de-ciecle Beirut,» in *Outside In: On the Margins of the Modern Middle East,* edited by Eugene Rogan (London: I.B. Tauris, 2002), pp. 186-189.

(٢) البرغوثي وطوطح، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

ساطع الحصري.[1] كما نجد في التأريخ التركي تخلياً عن أطروحة «الخيانة العربية» للعثمانيين من خلال انطلاقة الثورة العربية الأولى (١٩١٦ - ١٩١٧). ويذكّرنا المؤرخ التركي جورسيل جونشو بأن المجندين العرب في الجيش العثماني بلغ عددهم نحو ٣٠٠,٠٠٠، أو ثلث إجمالي القوات العثمانية في بداية الحرب سنة ١٩١٤. وهو رقم يفوق بمرات مضاعفة عدد المقاتلين العرب الذين انضموا إلى الثورة العربية.[2] ومن المفارقة أن الاحتفال الضخم الذي رعته تركيا بمناسبة الذكرى الـ ٨٨ للانتصارات العثمانية في معارك الدردنيل في غاليبولي قد استقبل جنوداً من جميع البلاد المشاركة في هذه المعارك، من حلفاء وأعداء، بمن فيهم ممثلون من أستراليا ونيوزيلندا ودول المحور الألماني - النمساوي، لكن لم يُدعَ ممثل واحد عن عشرات الآلاف من الجنود العرب الذين قاتلوا تحت الراية العثمانية.

هذا على الرغم من أن قيادة مصطفى كمال (أتاتورك) نجحت في صد وهزيمة جيوش الحلفاء نتيجة المشاركة المتفانية والصلبة للمجندين العرب على جبهة جناق قلعة. يذكر المؤرخ العسكري الأسترالي بيل سيلز أن «ثلثي العساكر المؤلفة للفيلق التاسع عشر والتي واجهت الهجوم الرئيسي للحلفاء في الدردنيل كانا مؤلفين من المجندين السوريين (أي جنود من لبنان والأردن وسورية وفلسطين)، وأن جميع جنود الكتيبتين ٧٢ و٧٧ كانوا من العرب.»[3] وشكل العرب قسماً كبيراً من الضحايا الذين بلغ عددهم ٨٧,٠٠٠ قتيل في معارك غاليبولي والدردنيل.

وعلى الرغم من هذا فإن هذه الانتصارات تُصوَّر اليوم أنها انتصارات تركية لا عثمانية. وينطبق هذا التشخيص إلى حد كبير على معارك العريش والسويس وغزة ومجدّو وكوت العمارة (في جنوب العراق)، حيث كان المجندون العرب، من عراقيين وحجازيين وفلسطينيين وسوريين، يشكلون كتائب عديدة مختلطة ومنفصلة في أركان الجيش العثماني. تظهر هذه المشاركة بوضوح في يوميات الجنديين محمد الفصيح المرسيني وإحسان الترجمان المقدسي، كما تظهر بدايات الانشقاق في ولاءات العسكر المنقسم إثنياً وقومياً بفعل وطأة الحرب القاسية.

---

(١) من هؤلاء، المؤرخون الجدد مثل: عبد العزيز الدوري وفيليب خوري وخالد زيادة وبشارة دوماني وعادل منّاع وعبد الكريم رافق ودينا رزق. راجع أيضاً: محمد عفيفي، «عرب وعثمانيون» (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٦).

(٢) Jonathan Gorvett, «The Forgotten Arabs of Gallipoli,» *Al-Jazira Net*, January 14, 2004.

(٣) Ibid., pp. 3-4.

يوميات الحرب: القدس والإسكندرون

جنديان في الجيش العثماني النظامي أتيا من الأطراف العربية لأقاليم الدولة: الملازم ثان محمد الفصيح، الذي ولد ونشأ في مرسين (سنجق الإسكندرون)، والعسكري إحسان الترجمان، الذي ولد ومات في البلدة القديمة من القدس، تتجلى في حياتهما مظاهر التحول الكبير الذي أحدثته الحرب العظمى في مصير رعاياها وهويتهم: الانغماس في سياسات الجمهورية التركية الأتاتوركية عند الأول، والانحياز إلى القومية العربية عند الثاني. المصير الذي جمع بين الفصيح والترجمان هو أن كليهما دوّن، بأمانة ودقة، يوميات الحرب كما شاهدها، وبذلك نقل كلاهما إلى الأجيال اللاحقة سجلاً غنياً لتحول الخطاب القومي الذي فصم عرى هذه الإمبراطورية المتعددة الإثنيات والقوميات.

ولد الفصيح والترجمان في السنة نفسها (١٨٩٣)،[1] وتجندا في تموز/يوليو ١٩١٤ عند إعلان النفير العام وانضمام تركيا إلى دول المحور المركزي (ألمانيا والنمسا) ضد الحلفاء الروس والإنكليز. تحدر الاثنان من الشريحتين الوسطى والتجارية. فقد كان والد الفصيح موظفاً رفيع المستوى في الجمارك، بينما كان حسن الترجمان، والد إحسان، تاجراً في البلدة القديمة وصاحب أطيان داخل البلدة وخارجها.[2]

لا شك في أن من الظواهر الفريدة أن يدون جنديان عاديان من الجيش النظامي مفكرة يومية لتجربتهما العسكرية في بلاد كانت تسود فيها الأمية. ولا شك في أن بقاء هاتين المفكرتين، ونجاتهما من التلف والتدمير، ووصولهما إلينا بعد مئة عام من تدوينهما، تعتبر شبه معجزة، لما تحتويانه من الأسرار الدفينة والآراء الحميمة. وتقع أهمية هاتين المفكرتين في أنهما سجل لتأثير الحرب العظمى في مجتمعنا، وفي

---

(١) احتسبتُ تاريخ ولادة إحسان الترجمان من وثائق العائلة التي زودني بها السيد صالح الترجمان. راجع شهادة المولد أدناه، ص ٣٣١.

(٢) استُمدت المعلومات كلها عن حياة محمد الفصيح من الترجمة الإنكليزية ليومياته: *Diary of Lt. Mehmed Fasih, 5th Imperial Ottoman Army, 1915*. Translated and edited by Hasan Basri Danisman (Istanbul: Denizler Kitabevi, 2003). (Original version transliterated from Ottoman Turkish by Murat Culcu, and published by Arba, Istanbul, 1997).

أمّا المعلومات عن عائلة الترجمان فتأتي من مخطوطة يوميات إحسان الترجمان ١٩١٥ - ١٩١٦، وسأشير إلى هاتين المجموعتين أدناه بـ «يوميات الفصيح» و«يوميات الترجمان».

التحول الذهني الذي أصابه، وفي الصدمة النفسية التي تعرض لها المدنيون والعسكريون لحظة حدوثها.

بعكس الترجمان، الذي أمضى أعوام الحرب «وأنا ألعب بشواربي»، بحسب قوله، ثم استعان بعلاقاته الاجتماعية ليتهرب من الخدمة على جبهة السويس، كان محمد الفصيح جندياً مثالياً ومقاتلاً عنيداً، تلقى أوسمة عديدة مكافأة على استبساله في معارك جناق قلعة في بداية الحرب، ثم على جبهتي القتال في غزة وبئر السبع عند نهاية الحرب. ولم يتردد الفصيح في التعبير عن استعداده للتضحية بحياته في سبيل السلطان والأمة العثمانية. وتظهر مذكرات الجنديين أن القيادة العثمانية نجحت، على الأقل في أعوام الحرب الأولى، في استقطاب ولاء مواطنيها العرب والأتراك معاً لمصلحة مستقبل مشترك في دولة متعددة القوميات.

ومن المفارقة أن خلفية هذين الجنديين تعكس تعقيد التركيب الإثني للإمبراطورية بشكل يصعب تصوره اليوم. فعائلة الترجمان - بحسب بعض الروايات - كانت عائلة معربة من أصل تركي، جاءت فلسطين من منطقة حلب، بينما كانت عائلة الفصيح من أصول عربية مختلطة. وعلى الرغم من أن الفصيح كتب مذكراته بالتركية العثمانية، فإن نصوصه مملوءة بالاستعمال العربي السائد في تلك الفترة.[١] فعندما أراد أن يرفه عن رفاقه القابعين في خنادق جناق قلعة طوال أيام وأشهر عصيبة، غنى لهم أغاني شعبية دمشقية بمصاحبة رفيقه المرسيني المدعو أجاتي.[٢] وكانت مرسين في تلك الفترة مدينة مختلطة من عرب وأتراك في سنجق الإسكندرون. ويبدو أن والد الفصيح كان عربياً بينما كانت والدته تركية، ذلك بأنه انتقل إلى السكن معها في إستنبول عندما توفي والده. وفي سنة ١٩٣٤ اضطر الفصيح إلى تغيير اسمه إلى محمت قيابالي تمشياً مع تعليمات تتريك الأسماء التي أصدرتها الجمهورية التركية حينذاك.[٣] وفي كل الأحوال فإن الغموض الذي يحيط بخلفية الفصيح الإثنية، والالتباس الذي يظهره الترجمان في هويته المقدسية، يشكلان علامتين فارقتين في طبيعة الانتماءات العثمانية في الأطراف العربية للدولة.

(١) «يوميات الفصيح»، المقدمة، ص ٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٦ - ١٣٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.



زفاف محمد الفصيح على زهرة خانم، إستنبول ١٩٢٢.
المصدر: «يوميات الفصيح».

على الرغم من أن الجنديين كانا في بدايات العشرين من عمرهما، فإنهما كانا على طرفي نقيض في شخصيتهما. الفصيح كان جندياً صارماً متفانياً في قيامه بواجباته العسكرية. ونلمس في يومياته استيعاباً لنظام المراتبية في الجيش ورغبة في ارتقاء مدارجه. وقد رُقي الفصيح إلى أن وصل - قبل تقاعده - إلى رتبة مشير. وكثيراً ما كان يردد رغبته في الاستشهاد دفاعاً عن الوطن مما نلمسه في تأبينه لرفيقه الجندي نوري:

[الجمعة، ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٥]

> اليوم دفنت نوري. لقد شاءت إرادة الله أن أقوم أنا بدفن أشلائه، والله يعلم دور من سيكون بعد نوري. عندما هيل التراب فوقه بدأت بقراءة الفاتحة وأنا لا أكاد أتمالك أعصابي. وجدت الدموع تنهال على وجنتيّ. لكل إنسان نهاية. لكن صوتاً آخر كان يقول لي إن نوري ورفاقي الآخرين لم يموتوا حقاً. فهم سيبعثون أحياء قريباً. هناك حيث يرقد الآن - في كرم الزيتون - شكيب وعزت ورشاد ومنيب ورفاقي الآخرون.(١)

بعد أربعة أيام، في ٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٥، أخبر محمد الفصيح قائد كتيبته بأنه سيتطوع للقيام بعملية فدائية ضد الإنكليز،(٢) فحاول القائد ثنيه عن قراره.

لم تكن الشهادة في سبيل الوطن مبتغى الترجمان؛ فالوطن العثماني لم يعد وطنه، والنجاة بجلده من ويلات الحرب أصبحت هاجسه اليومي. أمّا هدفه فكان الزواج من محبوبته ثريا. نتعرف في يومياته على شاب ساذج محب للحياة وهازئ بادعاءات القيادة العسكرية. ثم نراه يصبح أكثر جرأة ويرحب بهزيمة الجيوش العثمانية وحلفائها الألمان.

على الرغم من التباين بين شخصيتي الفصيح والترجمان فقد وجدا الراحة النفسية والرفقة والسلوان في محيطهما العسكري. وكان يعتريهما الحزن والأسى عندما يصاب أحد رفاقهما في المعارك أو يستشهد. وفي كلا الحالتين تمحورت حياتهما الاجتماعية حول علاقتهما اليومية بزملائهما من الضباط والجنود.

ولم يقف تدين محمد الفصيح، ولا قبوله المطلق بالانضباط العسكري، حائلاً أمام توجيهه النقد والتوبيخ بسبب معاملة الضباط الفظة للجنود. ونرى هنا نموذجاً لسخطه الشديد جراء مشاهدة أحد الضباط في غاليبولي يجلد عسكرياً مرهقاً ليحثه على التقدم في الميدان:

(١) «يوميات الفصيح»، ص ٦١ - ٦٢. يستعمل الفصيح التهجئة التركية لهذه الأسماء العربية.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٣.

> يدل هذا الحادث، وكثير مثله، على أنه نادراً ما تجد في أوساط الضباط، من أعلاهم شأناً إلى أدناهم، من يقدر أهمية العسكري العادي. فهو العمود الفقري للجيش. وهو الذي يقوم بكل الأعمال المضنية. ولا يمكن لأي جهاز عسكري أن يقوم من دونه. وبغض النظر عمن يرئسه - سواء كان ألمانياً أو عثمانياً، أو كان لباسه العسكري مصنوعاً من الخاكي أو الرمادي، فإنه يجب التعامل مع روحه لا مع جسده فقط.(١)

لكن هذه التأملات الفلسفية تشكل الاستثناء في «يوميات الفصيح». إذ كان يرى مهمته قائمة في المحافظة على تدوين سجل العمليات العسكرية ودوره فيها. ويتسم أسلوبه بالطابع التوثيقي الدقيق والتلغرافي. أمّا أسلوب الترجمان، في المقابل، فهو سردي ومحاور للقارئ. ويبدو أن هدفه من تدوين الوقائع كان إيجاد متنفس حميمي لأفكاره المكبوتة - سياسية كانت أو شخصية. وبما أن «يوميات الفصيح» نُشرت بالتركية الحديثة (بعد تحويرها من الأصل العثماني) وترجمت إلى الإنكليزية، وبالتالي أصبحت متوفرة لجمهور أوسع، فسأقتصر في هذا العرض على تحليل نص «يوميات الترجمان»، التي كتبها بخط يده، وسأشير إلى «يوميات الفصيح» فقط لغرض توضيح خلفية الحرب على الجانب الآخر من الجبهة العسكرية.

قصة اختفاء

أصبحت «يوميات الترجمان» من جملة ضحايا الحرب. إذ اختفت من الوجود فجأة بعد مقتله المأساوي قبيل نهاية الحرب، ولم تظهر إلى الوجود إلاّ بعد قرن من الزمن في مكان غير متوقع. ويبدو أن عائلته، بمن فيها والداه وإخوته، لم تعلم بوجود اليوميات، وبالتالي لم تشعر بغيابها. وفي الأغلب أن إحسان كان خبأ المفكرة عند أحد معارفه، وقد يكون حسن شكري الخالدي - ابن خالته وأقرب الأصدقاء إليه. وفي العشرينيات انتقلت عائلة الترجمان، كالعديد من سكان البلدة القديمة من ذوي الأحوال المتوسطة، للسكن خارج سور المدينة في بيت حديث في حي المصرارة قرب شارع الأنبياء. وعُرفت هذه المنطقة في فترة الانتداب بحي الترجمان، حيث امتلكت العائلة قطعة أرض محاذية للشيخ جراح. (يشير إحسان إلى هذه القطعة

(١) «يوميات الفصيح»، ص ٦٣، الإشارة هنا إلى الضباط الألمان الذين تم إلحاقهم بالجيش الخامس العثماني مستشارين.

في يومياته عدة مرات، في حديثه عن مصادرة البلدية العثمانية قطعة من الأرض لبناء طريق اعتراضية). لاحقاً باعت العائلة دونماً من هذه الأرض إلى المعماري المقدسي أنضوني برامكي، الذي بنى عليها بيتاً من طبقتين وأصبح جاراً لآل الترجمان. وفي حرب ١٩٤٨ تعرضت هذه المنطقة لقصف شديد في الاشتباكات التي جرت على خط التماس بين قوات الهاغاناه اليهودية وكتائب الجيش العربي. ثم هُجرت المنطقة وأصبحت تعرف بعد توقيع الهدنة سنة ١٩٤٩ بالمنطقة الحرام. ولمدة عشرين عاماً بقي حي الترجمان وبوابة مندلبوم المحاذية له نقطة العبور الوحيدة التي تربط القدس العربية في شرق المدينة بالقسم اليهودي بإشراف قوات الأمم المتحدة.

عندما احتلت إسرائيل شرق المدينة في حزيران/يونيو ١٩٦٧ ضمت ما تبقى من القدس العربية وأنشأت سنة ١٩٦٩ ما سُمّي «متحف خط التماس» داخل بيت برامكي المدمر. ثم أُطلق على المبنى اسم «بيت الترجمان» في إشارة إلى أصحاب العقار الأصليين. حاول أحفاد عائلتي الترجمان وبرامكي لعدة أعوام المطالبة بأملاكهم المصادرة في المحاكم الإسرائيلية على أساس أن العقار يقع في المنطقة الحرام لا داخل المنطقة الإسرائيلية، لكن من دون جدوى.[(١)] أمّا اليوميات المفقودة منذ سنة ١٩١٧ فقد ظهرت فجأة في أرشيفات الجامعة العبرية في قسم «الأملاك العربية المتروكة».[(٢)] ويعود تاريخ هذا القسم إلى تموز/يوليو ١٩٤٨، بعد شهرين من قيام الهاغاناه باحتلال القدس الغربية، حين أرسل الملازم كاتزين سوفر، رئيس شرطة القدس الجديد، مذكرة إلى الدكتور كورت وورمن، رئيس مكتبة الجامعة العبرية (والمعروفة بالجامعة الوطنية)، يشير فيها إلى مصير ١٢,٠٠٠ من المجلدات والمخطوطات التي كان تم الاستيلاء عليها من البيوت العربية المنهوبة في مناطق الطالبية والبقعة والكولونية الألمانية والمصرارة، وإيداعها أرشيف الجامعة العبرية. وكان في ملحق هذه المذكرة لائحة بأسماء بعض البيوت المنهوبة، وضمنها «منزل عادل بيك الترجمان في شارع القديس - المصرارة.»[(٣)]

---

(١) راجع تاريخ عائلة الترجمان في: Thomas Abowd, «The Politics and Poetics of Place: The Baramki House,» *Jerusalem Quarterly File*, 21 (August 2004), pp. 49-58.

(٢) الجامعة العبرية، المكتبة الوطنية، قسم المخطوطات، تم إدراجها تحت عنوان «يوميات محمد عادل الصالح من أهالي القدس ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤ - ١٩١٥م»، مخطوطة رقم AP. Ar. 846.

(٣) غيش عميت: «المخطوطات العربية المنهوبة من القدس الغربية في حرب ١٩٤٨»، دراسة من المتوقع أن تنشر في «حوليات القدس»، العدد ٦، ٢٠٠٨.

إلاّ إن صاحب هذه اليوميات بقي مطوياً في الأرشيف مجهول الهوية، لسبب ما، إذ إن الاسم المدون على غلاف المخطوطة كان «محمد عادل الصالح». والإشارة الوحيدة المنشورة عن هذه المخطوطة ظهرت في أحد كتب عادل مناع،[(١)] الذي ذكر في معالجته الإجراءات التي نفذها الجيش الرابع ضد الجنود الهاربين من الخدمة العسكرية خلال الحرب العالمية الأولى، أن محمد عادل الصالح كان «جندياً يعمل في أحد مكاتب الجيش في المدينة»، واصفاً معاناة الجنود خلال الحرب. وفي دراسة أُخرى غير منشورة لجاكوبسون تُعرِّف الباحثة الجندي باسم محمد الصالح.[(٢)]

من غير الواضح لماذا صنفت اليوميات باسم «محمد عادل الصالح». فالصالح هو الاسم القانوني لعائلة الترجمان، لكن عادل كان ابن حسن بيك الترجمان والأخ الأصغر لإحسان، وعليه فمن الجائز أن الأوراق وجدت في بيت الترجمان في المصرارة سنة ١٩٤٨.

عندما حصلتُ على نسخة عن مخطوطة اليوميات من أرشيف الجامعة العبرية لم تكن عائلة الترجمان على علم بوجود هذه المذكرات. ولم يكن هناك ما يوحي باسم صاحب المفكرة على غلاف المخطوطة سوى كلمات مكتوبة بخط باهت «محمد عادل الصالح من أهالي القدس ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤ - ١٩١٥م». الإشارة المباشرة الوحيدة إلى هوية الكاتب وجدتها في حوارات داخل المفكرة حيث يخاطبه أصدقاؤه وأهله باسم «إحسان» في خمسة أماكن. ومن حسن الطالع أن تتوفر لنا مذكرات أُخرى معاصرة لهذه اليوميات، هي يوميات خليل السكاكيني، معلم إحسان الترجمان وصديقه، وفيها تغطية للفترة نفسها التي دوّن الجندي المجهول فيها يومياته.

وقد وجدت أربعة إدخالات متطابقة بين مذكرات الجندي ويوميات السكاكيني للفترة ١٩١٥ - ١٩١٦. لكنها تحتوي على يوم واحد يتيم صدف أن زار فيه الجندي بيت المعلم خليل السكاكيني، وهو يوم الأحد الواقع فيه ٢٨ آذار/مارس ١٩١٥. في

---

(١) أنظر: عادل مناع، «تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، ١٧٠٠ - ١٩١٨ (قراءة جديدة)» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٩)، ص ٣٤٠، حاشية ٧١.

(٢) Abigail Jacobson, *Negotiating Ottomanism in Times of War: Jerusalem During World War I through the Eyes of a Local Muslim Resident*. Paper presented at the conference «The Roots of Liberal Thought in the Eastern Mediterranean,» Erlangen, Germany, July 30-August 3, 2005.

أعبر عن شكري للدكتورة جاكوبسون على تزويدي بالصفحات الناقصة من مخطوطة الترجمان من نسخة الجامعة العبرية.

مجموعة من المقاتلين العثمانيين في جناق قلعة (غاليبولي)، وفي مقدم الصورة الملازم محمد الفصيح.

المصدر: «يوميات الفصيح».

هذا اليوم يتحدث الكاتب عن حوار بينه وبين المعلم بشأن دفع البدل من الخدمة العسكرية في الجيش العثماني. ويقترح الكاتب على السكاكيني أن يتوسط مع رئيس البلدية كي يساعده في دفع البدل وقيمته ٥٠ ليرة عثمانية.[١]

لحسن حظنا يدون السكاكيني الملاحظة التالية عن اليوم نفسه:

> لا يسعني هنا إلاّ أن أجهر بالثناء على أريحية صديقي حسن أفندي سليم الحسيني رئيس المجلس البلدي، فقد قدم لي ٢٢ ليرة عثمانية لأدفع نصف بدلي، وقد بلغني أن ابنة أخته كريمة زكي داوودي قد عرضت على أختي ميليا أن تدبر لي البدل، وقال لي إحسان الترجمان إن أهل بيته قلقوا جداً عليّ كأني أحد أولادهم وحزنوا جداً حين سمعوا أني مطلوب [للخدمة العسكرية] لبيسان، مما أسطره هنا بالثناء على عواطفهم الرقيقة.[٢]

وهكذا انجلى الغموض عن اسم الجندي المجهول في هذه الملاحظة العابرة.

من الظواهر المحيرة في «يوميات الترجمان» استعمال الشيفرة المؤلفة من أرقام أو حروف. وقد تم فك طلاسم هذه الشيفرة بفضل جهود زميلي الأستاذ زكريا محمد. تظهر هذه الشيفرة في اليوميات بنوعين من الاستعمال. يتناول الأول علاقته المخفية بصديقته ثريا (وهو اسمها المستعار)، والهدف هنا - في الغالب - هو حماية هويتها من الانكشاف وتوفير الحيز الملائم للتعبير عن أشواقه بحرية.

أمّا الاستعمال الثاني للفقرات المشفرة فهو أقل وضوحاً. قد يستنتج القارئ أول وهلة أن الكاتب أراد أن يخفي علاقته ببعض التيارات المعارضة للسلطة داخل الجيش - وهي الفترة نفسها التي نشط فيها حزب العهد بين أفراد الضباط العرب في فلسطين ولبنان وسورية. لكن هذا التفسير لا يتلاءم مع اللهجة المباشرة والعنيفة التي يستعملها الكاتب بلا مواربة ضد جمال باشا وأنور باشا وقادة آخرين في الجيش. وبعد فك الشيفرة نكتشف أن معظم الجمل والكلمات المشفرة يأتي في سياق التعبير عن خلافات بين الكاتب ووالده حسن الترجمان. ويزداد استعمال هذه الصيغة السرية

---

(١) «يوميات الترجمان»، ٣١ آذار ١٩١٥، حيث يقول: «ووقفنا في باب الخليل ننتظر قدوم خليل أفندي السكاكيني لأنه ذهب إلى رئيس البلدية يسأله بأن يساعده في دفع بدله النقدي [بدل الخدمة في الجيش]. ثم حضر وبشرنا بأنه سيدفع بدله في هذا اليوم فسرّ الجميع، ثم سرنا ونحن نتجاذب أطراف الحديث.» (أنظر أدناه، ص ٨٥).

(٢) السكاكيني، الكتاب الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٨.



منزل حسن بيك الترجمان داخل الحرم الشريف، القدس.
تصوير: بهاء الجعبة.

عندما تقع حادثة سطو على بيت الترجمان في الحرم تسرق فيها مجوهرات العائلة ونقودها في خريف سنة ١٩١٦ عندما انتقلت العائلة للسكن موقتاً خارج سور المدينة. وقد اعتقل السارقون عندما حاولوا بيع المجوهرات، وتبين أنهم أفراد من أقارب الترجمان، من عائلة أبو السعود المقدسية. وقد كان للحادثة أثر درامي في نفسية إحسان بعد اضطراره إلى أن يعطي إفادة لمحقق الشرطة، ثم، مرة أُخرى، عندما ظهر كشاهد لمصلحة النيابة ضد أبناء عمومته في المحكمة. وقد حاول مراراً أن يقنع والده بسحب الدعوى ضد أقاربه، لكن الوالد أصر على موقفه. على هذه الخلفية عاد إحسان إلى استعمال الشيفرة الرقمية السرية لتسجيل خلافه مع والده. واستعمال الشيفرة الخاصة هنا مستغرب لأنه كان في إمكان الكاتب، وهو شاب متعلم ومتمكن من اللغة العربية وآدابها، أن يستعمل حساب الجُمَّل الذي كان دارجاً في أوساط الشعراء إذا أرادوا اللجوء إلى لغة سرية، لكن خوفه من الفضيحة والانكشاف جعله يستنبط شيفرة خاصة به، أودع مفتاحها ابن خالته حسن الخالدي للحفاظ عليها.

في خدمة القائد علي روشن بيك

ولد إحسان حسن الصالح الترجمان ونشأ في باحة الحرم المقدسي الشريف سنة ١٨٩٣، وتجند في الجيش النظامي العثماني في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٤. وعند إعلان النفير العام كان عمره ٢١ عاماً. كانت بداية خدمته العسكرية في الظاهرية في قضاء الخليل، ثم في نابلس، إلى أن استفاد من اتصالات أبيه وأقربائه آل الخالدي لنقله إلى أركان القيادة العسكرية في القدس. وهناك استطاع أن يلتزم الدوام الوظيفي اليومي في القيادة، وأن ينام بعد ساعات العمل في بيت العائلة قرب باب السلسلة داخل ساحة الحرم.

في بداية سنة ١٩١٥ بدأ إحسان تدوين أفكاره ونشاطاته اليومية للتنفيس عن ضجره من بؤس الحياة العسكرية.[١] وقد فعل ذلك تماثلاً مع أمثولة معلمه خليل أفندي السكاكيني، مدير المدرسة الدستورية (المعروفة لاحقاً بالكلية الوطنية)، الذي بدأ تدوين يومياته سنة ١٨٩٨، وكان اعتاد قراءة شذرات من هذه المفكرة على أصدقائه المقربين.

عُرفت عائلة الترجمان في سجلات المحاكم الشرعية باسم آل الصالح. وهي

(١) المعلومات عن حياة إحسان الترجمان مستمدة هنا كلها من «يوميات الترجمان».



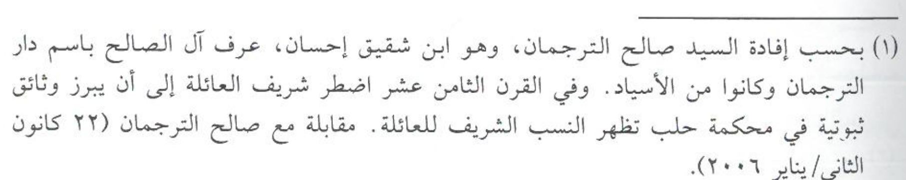
أميرلاي أركان حرب القائد علي روشن بيك، مفتش المقر الإداري (المنزل العسكري) للجيش العثماني الرابع في القدس الشريف.

المصدر: المجموعة الجوهرية، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

عائلة مقدسية معروفة، وفّرت عدة أجيال من المترجمين من التركية إلى العربية للمحاكم الشرعية وسلك موظفي الدولة. ونتيجة هذا التخصص عُرف آل الصالح بدار الترجمان.[١] ومن أجداد إحسان المعروفين قاسم بيك الترجمان، الذي أوقف سبيل الترجمان باسمه بالقرب من باب السلسلة سنة ١٧٠١. كما امتلك ساحة بالقرب من باب العمود، وملكيات عديدة أُخرى متناثرة في أنحاء البلدة القديمة.[٢] ومن أجداده أيضاً أحمد بيك الترجمان، الذي عاش في حارة الشرف، التي أصبحت تعرف لاحقاً بحارة اليهود، وهناك أوقف ساحة واسعة عرفت بساحة أحمد بيك.[٣] اشتهر قاسم وأحمد بيك كمترجمين في محاكم القدس مثل العديد من أبناء العائلة.

أمّا والد إحسان، حسن بيك الصالح، فقد ورث بعض هذه العقارات عن جده. وبما أنها في معظمها عقارات موقوفة، فقد وجد نفسه يعيل عائلة كبيرة من دون أن تتوفر له سيولة مادية. وهذا ما يفسر شكوى ابنه إحسان المستمرة في يومياته هذه من ضيق ذات اليد.

عاشت العائلة في إحدى سكنات الحرم الشريف الملاصقة لباب السلسلة في بيت من ثلاث طبقات، يطل مباشرة على قبة الصخرة من ناحية، وعلى ساحة الحرم من ناحية أُخرى. وإلى الجنوب من المسكن تقع حارة المغاربة وحائط البراق. أمضى حسن بيك عقدين من الزمن مع زوجته الأولى من دون أن ينجب أولاداً، إلى أن أقنعته (بحسب الرواية العائلية) باتخاذ زوجة ثانية هي نبيهة الخليلي من سلالة الشيخ علي الخليلي، وهو من وجهاء القدس المعروفين، وأول من انتقل للسكن خارج السور في حي البقعة الجنوبي في بداية القرن التاسع عشر. أنجبت السيدة نبيهة ستة أطفال (ثلاثة أبناء وثلاث بنات) كان إحسان أكبرهم.[٤] إلاّ إن حسن بيك بقي



---

(١) بحسب إفادة السيد صالح الترجمان، وهو ابن شقيق إحسان، عرف آل الصالح باسم دار الترجمان وكانوا من الأسياد. وفي القرن الثامن عشر اضطر شريف العائلة إلى أن يبرز وثائق ثبوتية في محكمة حلب تظهر النسب الشريف للعائلة. مقابلة مع صالح الترجمان (٢٢ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٦).

(٢) حجة وقف قاسم بيك الترجمان، محكمة القدس الشرعية، الملف رقم ٢٠١، ص ١٣٠. أشكر الدكتور محمد غوشة لتزويدي بهذه الوثائق من محكمة القدس.

(٣) حجة وقف أحمد بيك الترجمان ١٧٣٥، سجلات محكمة القدس الشرعية، رقم ٢٢٧، ص ٢٨٩.

(٤) من مقابلة مع السيدة هدى الخالدي عبد الشافي، والسيد صالح الترجمان حفيد حسن بيك (تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٤، وكانون الثاني/يناير ٢٠٠٦).

مخلصاً لزوجته الأولى، صفية، واستمر في العيش معها في شقة خاصة في الطبقة العلوية من منزل العائلة، إلى أن توفيت خلال الحرب.

نشأ إحسان في رعاية السيدة صفية، واعتبرها والدته الثانية. درس القرآن في كتّاب الحرم، ثم انتقل إلى المدرسة النظامية لمتابعة دراسته الابتدائية. وفي سنة ١٩٠٩ انضم إلى المدرسة الدستورية التي أنشأها خليل السكاكيني بعد إعلان الدستور العثماني. وظل إحسان، إلى نهاية حياته، يعتبر السكاكيني معلمه وصديقه ورفيق دربه.

وعندما أعلنت الحكومة النفير العام في تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٤ تجند إحسان، وعين في الخدمة العسكرية في الظاهرية ثم في نابلس. وكان على وشك أن يرسل للقتال على جبهة السويس عندما نقل إلى أركان القدس الشريف تحت قيادة الأومباشي علي روشن بيك.

كان روشن بيك ضابطاً ألبانياً ترقى داخل أركان الجيش العثماني بسرعة نتيجة ذكائه وقدراته التنظيمية والإدارية، إلى أن وصل إلى منصب قائمقام عسكري مسؤول عن الشؤون اللوجستية على الجبهة الجنوبية. وكان مقره في عمارة دير النوتردام دي فرانس قبالة باب الجديد، وهي عمارة فرنسية حديثة البناء تمت مصادرتها خلال الحرب.[١] وبحكم منصبه الإداري كان روشن بيك أعلى سلطة عسكرية في فلسطين العثمانية، ويتبع مباشرة رئاسة جمال باشا الكبير قائد الجيش الرابع في دمشق. وكان الأخير يزور القدس دورياً خلال الحرب، متخذاً من مبنى الأوغستا فيكتوريا النمساوي في جبل الطور مقراً له.

عرف علي روشن بلقب «مفتش المنزل»، وكانت مهماته تشمل: تعبئة الجنود في أنحاء فلسطين كافة، وتدريبهم على القتال على جبهة بئر السبع وصحراء سيناء، والإدارة العامة لشؤون الجيش اللوجستية، من إطعام العسكر ونقل الذخائر والمعدات وإنشاء المعسكرات في سورية الجنوبية.[٢] وينسب البرغوثي انتصارات الجيش العثماني الأولى في معارك الجبهة المصرية إلى قدرات روشن بيك التنظيمية.[٣] ومن المعلومات القليلة المتوفرة عنه أنه قاتل في القدس حتى النهاية، وشوهد وهو

(١) حتى اليوم لا تزال الطريق الموصلة بين باب الجديد وباب العمود تعرف عند العامة وكبار المقدسيين بـ «عقبة المنزل».

(٢) البرغوثي، «المراحل»، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٥.

يقود كتيبة في معركة النبي صموئيل الشهيرة. وبعد انتصار الجيش الإنكليزي بقيادة ألّنبي انسحب روشن بيك مع جنوده إلى قرية الجيب، ثم اختفت آثاره من فلسطين.[١] ولم أستطع أن أجد أي إشارات إلى مصيره في الأرشيف العسكري العثماني سوى أربع برقيات سرية (مشفرة) تشير إلى أنه قاد حملة ضد مجموعات مسلحة متمردة في منطقة سيواس (شمالي حلب) بالتنسيق مع القائد مصطفى كمال.[٢]

خدم إحسان الترجمان تحت قيادة روشن بيك بمنصب مساعد كاتب في قيادة المنزل العسكري. وكانت وظيفته مقصورة على مراجعة طلبات الإعفاء من الخدمة العسكرية، وتنظيم الملفات والإضبارات داخل بيروقراطية الجيش. وقد سمح عمله هذا بأن يطلع عن قرب، وأحياناً أن يشارك في النقاشات السياسية اليومية الدائرة بين الضباط الموجودين في فلسطين من أتراك وألبان وبلغار وسوريين، وفي أوساط الضباط الألمان والنمساوين لاحقاً. كما كان شاهد عيان على تردي المعنويات القتالية بين الجنود في إثر الهزائم المتراكمة بعد سنة ١٩١٥.

تنبع أهمية هذه اليوميات، التي دونها صاحبها في ضوء الشمعة ليلاً بعد انتهاء الدوام اليومي، في أنها تعكس عالم جندي عادي ومواطن مقدسي في إحدى أهم لحظات التحول التاريخي في فلسطين؛ وهي نهاية أربعة قرون من الحكم العثماني، وبداية حقبة جديدة مجهولة الهوية حينذاك - عندما أوشك الجيش البريطاني الزاحف من غزة وبئر السبع أن يصل إلى القدس، في الوقت الذي كان الأسطول الإنكليزي يقصف يافا وحيفا من البحر.

في الإمكان الجزم، من دون مبالغة، أن السير والمذكرات التي وصلتنا من هذه الفترة كانت جميعاً من تأليف زعماء سياسيين (من أمثال عوني عبد الهادي ومحمد عزة دروزة ورستم حيدر)، أو قادة عسكريين (فوزي القاوقجي)، أو رواد فكريين (خليل السكاكيني ونجاتي صدقي). بذا تنفرد «يوميات الترجمان» بأنها وحيدة زمانها. فهي مشاهدات عسكري بسيط ورؤيته الحميمية لمدينته المحاصرة، دوّنها بأمانة، ومتوخياً ألاّ يراها أحد. بهذا تصبح هذه اليوميات سجلاً نادراً للأصوات الشعبية المهمشة - أصوات التابع - التي وصلتنا من الحقبة العثمانية. وما يزيد في أهمية هذه

(١) مذكرات الضابط سركيس بوغوسيان، ضابط أرمني من القدس، مخطوطة، وقد زودني بهذا المصدر السيد جورج هنتليان (المصدر الأرمني).

(٢) نظارة الداخلية، مديرية المراسلات العمومية، برقية رقم ٤٥٦٢ - ٩٥٤، ٨ رمضان ١٣٣٥ (٢٨ حزيران/يونيو ١٩١٦)، الأرشيف العسكري العثماني.

مخلصاً لزوجته الأولى، صفية، واستمر في العيش معها في شقة خاصة في الطبقة العلوية من منزل العائلة، إلى أن توفيت خلال الحرب.

نشأ إحسان في رعاية السيدة صفية، واعتبرها والدته الثانية. درس القرآن في كتّاب الحرم، ثم انتقل إلى المدرسة النظامية لمتابعة دراسته الابتدائية. وفي سنة ١٩٠٩ انضم إلى المدرسة الدستورية التي أنشأها خليل السكاكيني بعد إعلان الدستور العثماني. وظل إحسان، إلى نهاية حياته، يعتبر السكاكيني معلمه وصديقه ورفيق دربه.

وعندما أعلنت الحكومة النفير العام في تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٤ تجند إحسان، وعين في الخدمة العسكرية في الظاهرية ثم في نابلس. وكان على وشك أن يرسل للقتال على جبهة السويس عندما نقل إلى أركان القدس الشريف تحت قيادة الأومباشي علي روشن بيك.

كان روشن بيك ضابطاً ألبانياً ترقى داخل أركان الجيش العثماني بسرعة نتيجة ذكائه وقدراته التنظيمية والإدارية، إلى أن وصل إلى منصب قائمقام عسكري مسؤول عن الشؤون اللوجستية على الجبهة الجنوبية. وكان مقره في عمارة دير النوتردام دي فرانس قبالة باب الجديد، وهي عمارة فرنسية حديثة البناء تمت مصادرتها خلال الحرب.[١] وبحكم منصبه الإداري كان روشن بيك أعلى سلطة عسكرية في فلسطين العثمانية، ويتبع مباشرة رئاسة جمال باشا الكبير قائد الجيش الرابع في دمشق. وكان الأخير يزور القدس دورياً خلال الحرب، متخذاً من مبنى الأوغستا فيكتوريا النمساوي في جبل الطور مقراً له.

عرف علي روشن بلقب «مفتش المنزل»، وكانت مهماته تشمل: تعبئة الجنود في أنحاء فلسطين كافة، وتدريبهم على القتال على جبهة بئر السبع وصحراء سيناء، والإدارة العامة لشؤون الجيش اللوجستية، من إطعام العسكر ونقل الذخائر والمعدات وإنشاء المعسكرات في سورية الجنوبية.[٢] وينسب البرغوثي انتصارات الجيش العثماني الأولى في معارك الجبهة المصرية إلى قدرات روشن بيك التنظيمية.[٣] ومن المعلومات القليلة المتوفرة عنه أنه قاتل في القدس حتى النهاية، وشوهد وهو

(١) حتى اليوم لا تزال الطريق الموصلة بين باب الجديد وباب العمود تعرف عند العامة وكبار المقدسيين بـ «عقبة المنزل».

(٢) البرغوثي، «المراحل»، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٥.

يقود كتيبة في معركة النبي صموئيل الشهيرة. وبعد انتصار الجيش الإنكليزي بقيادة أللنبي انسحب روشن بيك مع جنوده إلى قرية الجيب، ثم اختفت آثاره من فلسطين.[١] ولم أستطع أن أجد أي إشارات إلى مصيره في الأرشيف العسكري العثماني سوى أربع برقيات سرية (مشفرة) تشير إلى أنه قاد حملة ضد مجموعات مسلحة متمردة في منطقة سيواس (شمالي حلب) بالتنسيق مع القائد مصطفى كمال.[٢]

خدم إحسان الترجمان تحت قيادة روشن بيك بمنصب مساعد كاتب في قيادة المنزل العسكري. وكانت وظيفته مقصورة على مراجعة طلبات الإعفاء من الخدمة العسكرية، وتنظيم الملفات والإضبارات داخل بيروقراطية الجيش. وقد سمح عمله هذا بأن يطلع عن قرب، وأحياناً أن يشارك في النقاشات السياسية اليومية الدائرة بين الضباط الموجودين في فلسطين من أتراك وألبان وبلغار وسوريين، وفي أوساط الضباط الألمان والنمساوين لاحقاً. كما كان شاهد عيان على تردي المعنويات القتالية بين الجنود في إثر الهزائم المتراكمة بعد سنة ١٩١٥.

تنبع أهمية هذه اليوميات، التي دونها صاحبها في ضوء الشمعة ليلاً بعد انتهاء الدوام اليومي، في أنها تعكس عالم جندي عادي ومواطن مقدسي في إحدى أهم لحظات التحول التاريخي في فلسطين؛ وهي نهاية أربعة قرون من الحكم العثماني، وبداية حقبة جديدة مجهولة الهوية حينذاك - عندما أوشك الجيش البريطاني الزاحف من غزة وبئر السبع أن يصل إلى القدس، في الوقت الذي كان الأسطول الإنكليزي يقصف يافا وحيفا من البحر.

في الإمكان الجزم، من دون مبالغة، أن السير والمذكرات التي وصلتنا من هذه الفترة كانت جميعاً من تأليف زعماء سياسيين (من أمثال عوني عبد الهادي ومحمد عزة دروزة ورستم حيدر)، أو قادة عسكريين (فوزي القاوقجي)، أو رواد فكريين (خليل السكاكيني ونجاتي صدقي). بذا تنفرد «يوميات الترجمان» بأنها وحيدة زمانها. فهي مشاهدات عسكري بسيط ورؤيته الحميمية لمدينته المحاصرة، دوّنها بأمانة، ومتوخياً ألاّ يراها أحد. بهذا تصبح هذه اليوميات سجلاً نادراً للأصوات الشعبية المهمشة - أصوات التابع - التي وصلتنا من الحقبة العثمانية. وما يزيد في أهمية هذه

(١) مذكرات الضابط سركيس بوغوسيان، ضابط أرمني من القدس، مخطوطة، وقد زودني بهذا المصدر السيد جورج هنتليان (المصدر الأرمني).

(٢) نظارة الداخلية، مديرية المراسلات العمومية، برقية رقم ٤٥٦٢ - ٩٥٤، ٨ رمضان ١٣٣٥ (٢٨ حزيران/يونيو ١٩١٦)، الأرشيف العسكري العثماني.

الشهادة أنها تجمع بين عالمين انتقل بينهما الكاتب في حياته اليومية: عالم الدوائر العسكرية التي عمل فيها خلال دوامه الوظيفي، وعالم الشارع المقدسي الذي كان يعود إليه في نهاية كل يوم. وهي تحوي سجلاً غنياً من الملاحظات والمشاهدات التي عاشتها فلسطين في فترة ١٩١٥ - ١٩١٦: أوضاع العوز التي عاشها فقراء المدن خلال الحرب، والمصائب والمجاعات التي رافقت غزو الجراد، والحرمان الذي نجم عن مصادرة الجيش المحاصيل والدواب ووسائل النقل.

تحتوي المذكرات جانباً آخر مستتراً هو تفصيلات الحياة الخاصة التي تظهر نسيج الحياة الاجتماعية في تلك الفترة: حب الكاتب لبنت الجيران؛ زياراته اليومية لمعلمه وزملائه؛ اشمئزازه من نمط الحياة المترفة التي كان يعيشها الضابط بينما الأهلون يتضورون جوعاً؛ محاولاته المستمرة والفاشلة للهروب من الخدمة العسكرية؛ دور الشائعات في بث الذعر (وأحياناً الأمل) في أهالي المدينة؛ تحقيقاته للوصول إلى معرفة سارق بيت أهله، وشعوره بالعار عندما اكتشف هوية الفاعل، وخلافه مع والده وعائلته بشأن هذا الموضوع؛ أخيراً الانهيار والتفكك الاجتماعيين، اللذين صاحبا المجاعة والأوبئة والنفي الجماعي، لمدن فلسطين. استطاع العسكري إحسان أن يحافظ على عزته وانتمائه إلى مدينته وتفاؤله بمستقبل بلده من دون أن يعلم أن في انتظاره رصاصة ضابط ستودي بحياته لحظة انسحاب الجيش العثماني من القدس في نهاية سنة ١٩١٧، ولم يكن قد بلغ عامه الخامس والعشرين بعد.[١]

عالم إحسان مشبع برائحة الحرب وببشائر الكارثة المقبلة. نشعر بذلك في مشاهد الجوع في المدينة، وفي اختفاء المواد الغذائية (والتبغ) من الحوانيت، وفي تدني دخل عائلته، وفي فقدانه الأمل بالزواج من حبيبته. ومن خلال محنة إحسان نسمع صدى المقولة التي تصف الحرب العظمى: «إن الوظيفة الأخلاقية للحرب كانت في استعادة البشر للحقيقة المهيمنة على وجودهم. إن العنف الكامن في طبيعتنا يتفجر برؤية التاريخ كسلسلة من المآسي.»[٢]

(١) يظهر السجل الوحيد لموت الترجمان في يوميات خليل السكاكيني عندما كان يقبع في سجن العثماني في القدس. أنظر: السكاكيني، الكتاب الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٨.

(٢) William Pfaff, *The Bullet's Song: Romantic Violence and Utopia* (New York: Simon and Schuster, 2005), cited by Pankaj Mishra in *New York Review of Books*, May 26, 2005.

الخيار المصري:
جغرافية فلسطين تتجه جنوباً

يفتتح الترجمان يومياته بنقاش أجراه في ربيع سنة ١٩١٥ مع زملائه: «كان مدار حديثنا عن هذه الحرب المشؤومة وعن انتهاء مدتها وعن مصير هذه الدولة وقد كانت كل أفكارنا من هذه الجهة متفقة. حياة هذه الدولة قصيرة لا شك، وسيفضي أمرها إلى الانحلال إمّا عاجلاً أو آجلاً لأن تقسيمها أصبح ظاهراً كالشمس، ولكن ماذا سيكون نصيب فلسطين يا ترى؟» كان هذا السؤال الملح يتردد يومياً بين العساكر في أركان القيادة. وكان أيضاً محور نقاش الساعة في مقاهي باب الخليل وفي منتزه المنشية في بداية شارع يافا، وهو المكان المفضل لتجمع الجنود في بداية الحرب.

ولعل الإجابة فيما يتعلق بمصير الأمة كانت تعكس تصوراً سائداً بين عامة الناس في تلك الفترة، إلاّ إنه تصور يخالف الاعتقاد الشائع بشأن توجهات الشارع في فلسطين في بداية القرن. لم تكن الوحدة مع سورية وبلاد الشام هي مصير فلسطين بحسب هذا الحديث، وإنما الاتحاد مع مصر.

«الجواب هيّن على هذا السؤال، إمّا الاستقلال وإمّا الالتحاق بمصر. والأمر الأخير أقرب إلينا من الاستقلال لأسباب كونها أنه لا تُقدم دولة غير الإنكليز على أخذ هذه البلاد. وإنكلترا لا تُقدم على إعطاء فلسطين استقلالاً تاماً وجعلها حكومة مستقلة بل إن ما ستعمله هو ضمها إلى مصر وجعلها حكومة واحدة تحت حكم خديوي مصر لأن مصر جارة فلسطين وعدد سكان فلسطين أكثرهم من المسلمين العرب فضمها إليها وجعل خليفة مصر ملكاً عليها وعلى الحجاز أقرب للقصد.»[١]

اللافت للنظر في هذا الموقف ليس نفي إمكان استقلال فلسطين بعد انهيار الدولة العثمانية، وإنما غياب الإشارة - حتى من باب التكهن السياسي - إلى الخيار الأقرب إلى الإجماع السائد في تأريخ تلك الفترة، وهو اعتبار فلسطين الإقليم الجنوبي من دولة سورية الكبرى في المشرق العربي. هذا في وقت كانت القيادة الهاشمية في الحجاز على وشك أن تعلن الثورة في صيف سنة ١٩١٦ والتحالف مع القيادات العروبية المناوئة للآستانة في دمشق.

مما لا شك فيه أن الجناح المؤيد للوحدة مع سورية كان له وزنه في فلسطين. فقد كان ممثلاً بحزب اللامركزية العثمانية (والذي كان ينادي بالاستقلال الذاتي للأقاليم

(١) أنظر أدناه، ص ٧٥-٧٦.



طابع بريدي خاص لدعم حملة الجيش الإسلامي (العثماني) لتحرير مصر على جبهة السويس، ١٩١٦.

العربية في ظل الدولة العثمانية)، كما كان ممثلاً بالمجموعات الانفصالية مثل جمعية العربية الفتاة ومجموعة «العهد» داخل الجيش. وفي فلسطين الوسطى كان يمثل هذا التيار نشطاء من أمثال محمد عزة دروزة وعوني عبد الهادي - زعيمي حزب الاستقلال فيما بعد، وهو الحزب الذي اعتبر فلسطين إقليماً جنوبياً من سورية المستقلة.

يعكس هذا النقاش، إذاً، المناخ السياسي الذي ساد في البلاد خلال أعوام الحرب، والذي فتح آفاقاً خلافية متعددة في رؤية مستقبل سورية وفلسطين. وفي تفضيل الترجمان الاتحاد مع مصر لم يكن يعبر عن رأي هامشي، وإنما عن موقف متداول بين الجنود في قيادة القدس العسكرية وبين زمرته من المدنيين. لكن في الإمكان أيضاً أن نلمس في هذا الجدل تياراً سياسياً حافظ على وجوده خلال الحرب، هو تيار الانتماء العثماني - أي بقاء فلسطين داخل دولة دستورية تجمع بين العرب والأتراك. وقد تمثل هذا التيار بأوساط ملتزمة ولاءها للدولة، ومن الذين تحالفوا مع الخط السياسي لجمال باشا.

ومن الشخصيات السياسية المهمة التي عبرت عن هذا التيار الشيخ أسعد الشقيري من عكا، والمفتي طاهر أبو السعود وعلي الريماوي من القدس، والشيخ سليم اليعقوبي من يافا. ويذكر دروزة في مذكراته كيف نجح حزب الاتحاد والترقي في أن يجند هذه القيادات في أيلول/سبتمبر ١٩١٥ للقيام بجولة في إستنبول والدردنيل، بحجة دعم المجهود الحربي، حيث قاموا بشن هجوم علني ضد الوطنيين

العرب «الذين قوضوا سلطة الخلافة والأخوة العربية - التركية.»[١]

وقد شملت هذه المجموعة عدداً من الكتّاب والصحافيين من أنصار الدولة، ومنهم محمد كرد علي الكاتب المشهور وصاحب «المقتبس»، أكثر الصحف الدمشقية تداولاً، والذي مهد المناخ لشن حملة قمعية ضد الحركة العربية الانفصالية. وفي جناق قلعة (غاليبولي)، بحسب رواية محمد الفصيح، تم استقبال هذه المجموعة بحرارة وترحاب من جانب المقاتلين العرب والأتراك. ويقول الأخير في إحدى يومياته (٢١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٥): «الساعة ١٧:٣٠ - وصل وفد من المثقفين السوريين إلى القيادة الميدانية مع هدايا من البقلاوة الدمشقية، وتم توزيعها على الضابط والجنود.»[٢] أمّا دروزة فيقول إن جمال باشا استغل دعم هذه المجموعة كي يبرر قمع التيار العروبي، وشنق العديد من قياداته في بيروت.[٣] وعلى الرغم من هذا الموقف المتطرف فإن المتعاطفين أو المؤيدين للقيادة العثمانية لم يأخذوا في معظمهم موقفاً معادياً للتيارات العروبية، وإنما بالعكس كانوا متعاطفين معها. ويضم هؤلاء عدداً من الأتباع العرب أو المشاركين في جمعية الاتحاد والترقي وحزب اللامركزية العثماني، مثل عمر الصالح البرغوثي وإسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني - وكلهم من المقربين للترجمان. ولا نجد من معارفه وأصدقائه إلاّ عادل جبر أفندي وهو محام وصحافي بدأ نجمه يسطع في هذه الفترة، ومن الذين تماثلوا من دون تردد مع أهداف الحكومة العثمانية خلال الحرب.[٤]

كانت مساندة إحسان للاتحاد مع مصر بعد الحرب، كالعديد من زملائه المثقفين، مستندة إلى اعتبارين: أولاً، كون فلسطين بلداً صغيراً من حيث قابليته للاستقلال؛ ثانياً، لأن المصالح البريطانية لن تسمح لها بذلك، في نظره. ولا شك في أن هذا الموقف يعكس إلماماً بهدف العثمانيين العسكري على الجبهات الجنوبية، وهو إثارة تمرد شعبي في الأوساط المؤيدة لهم ضد الإدارة البريطانية في مصر. وفي هذا المجال كان أعوان جمال باشا، قائد الجيش الرابع وحاكم سورية، ينشطون سراً في القاهرة والإسكندرية،

(١) محمد عزة دروزة، «مذكرات»، المجلد الأول (بيروت: دار الغرب الإسلامي، لا تاريخ)، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) «يوميات الفصيح»، ص ٢٦.

(٣) دروزة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٠.

(٤) كان التيار المؤيد للعثمانيين منتشراً في شمال فلسطين (وخصوصاً في نابلس)، حتى بعد هزيمة الأتراك في القدس، وعبرت عنه شخصيات مثل محمد عزة دروزة وإحسان النمر.

وخصوصاً في منطقة السويس، لتعبئة الشارع المصري ضد الإنكليز.(١)

وكان الهدف العام من هذه الحملة التخريب على الملاحة البحرية عبر قناة السويس، وتحويل بعض طاقات الحلفاء الحربية من الدردنيل إلى السويس لحماية مداخل الآستانة.(٢) وقد نظم جمال باشا لهذا الهدف كتائب من المسلمين البلغار والعرب في جيش منفصل سماه «خلاصكار مصر أردو إسلاميسي» (جيش الخلاص الإسلامي لتحرير مصر). واشتمل أيضاً على وحدة من المقاتلين الدروز بقيادة شكيب أرسلان.(٣) ويوضح زعيم الاتحاد والترقي في مذكراته، التي نشرها مباشرة بعد انتهاء الحرب، هذه النوايا من دون مواربة:

> [خلال بداية الهجوم على السويس] كان الأداء العسكري للمقاتلين العرب – الذين شكلوا أغلبية الجنود في الكتيبة ٢٥ – يرفع الرأس. ولكن إنجازاتهم لم تنجح في إزالة امتعاضي من محاولات الشريف حسين زرع بذور الشقاق داخل هذه الجبهة العريضة من التلاحم بين العرب والأتراك. في كل مرة كنت أسمع فيها ألحان نشيد «سترفرف الراية الحمراء فوق سماء القاهرة» على صدى مسيرة جيوشنا المتجهة نحو مصر في ظلمة الصحراء، كانت دقات قلبي متأكدة من النصر. فقد أوليت جهداً وأملاً كبيراً في دعم الوطنيين المصريين لنا. وكنت أتوقع أن يثوروا كرجل واحد بعد وقوع الإسماعيلية في أيدي الجيوش العثمانية.(٤)

أدى فشل حملة السويس في النهاية – العائد بدرجة كبيرة إلى سوء الاستخبارات التركية ومبالغتها في قوة العناصر المؤيدة للعثمانيين في مصر، وإلى الاستعانة بقوة الجنود الهنود القتالية بإمرة القيادة البريطانية، بالإضافة إلى تدهور أداء الجنود العرب العسكري في سيناء – إلى تفجير موجة القمع الشرسة التي قادها جمال باشا ضد الحركة القومية العربية في ربيع سنة ١٩١٥.(٥)

---

(١) Anthony Bruce, *The Last Crusade: The Palestine Campaign in the First World War* (London: John Murray, 2003), pp. 23-25; See also Hasan Kayali, *Arabs and Turks* (Berkeley: University of California Press, no date), p. 46.

(٢) Bruce, ibid., pp. 19-20.

(٣) Kayali, op. cit., p. 189.

(٤) «مذكرات أحمد جمال باشا» (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٤)، ص ١٨٧ – ١٨٨.

(٥) Kayali, op. cit., p. 193؛ راجع أيضاً: دروزة، مصدر سبق ذكره.

ويعود تفضيل الترجمان وزملائه للتحالف مع مصر، كذلك، إلى طبيعة الجغرافية السياسية لعلاقة فلسطين بمصر في تلك الفترة. فقد كانت حدود فلسطين العثمانية مرسومة حينذاك بمعالم متصرفية القدس، وهي كيان حديث نسبياً يعود إنشاؤه إلى سنة ١٨٧٣، ومرتبط إدارياً مباشرة بالباب العالي في الآستانة. كانت تحد المتصرفية مدينة يافا وقرية سنجل شمالاً، وتمتد حدودها الجنوبية في أعماق صحراء سيناء (أو صحراء التيه، كما كانت تسمى) في الجنوب.(١) وعلى الرغم من أن حدود مصر مع فلسطين العثمانية كانت تقع شمالي العريش فإن الرؤية العثمانية – كما عبرت عنها خريطة عثمانية رسمية نشرت سنة ١٩١٧ (أنظر الخريطة المرفقة) – تبين بوضوح امتداد الديار العثمانية غرباً نحو بور سعيد، وجنوباً نحو صحراء التيه التي تشكل مركز الثقل في الخريطة الفلسطينية.(٢)

مما ساهم في هذه الرؤية المحوّرة لخريطة فلسطين الافتراض السائد في تلك الفترة أن قناة السويس كانت تفصل إفريقيا العثمانية عن آسيا العثمانية. وفي هذا السياق كان من الطبيعي أن تُظهر الخرائط العثمانية صحراء شبه جزيرة سيناء كأنها امتداد طبيعي لفلسطين، إن لم تكن امتداداً إدارياً لمتصرفية القدس الشريف.(٣)

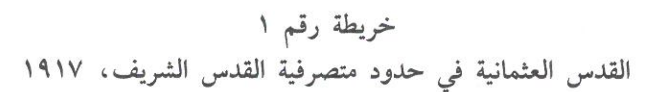
مع تحسين وسائل النقل والاتصال في مطلع القرن تحسنت أوضاع التجارة والتبادل الثقافي بين مصر وفلسطين، وأصبحت الصحافة والمطبوعات القاهرية مصدر تأثير أساسياً في حلقات القراء والمثقفين في القدس ويافا، ربما أكثر من تأثير المطبوعات الآتية من دور النشر في بيروت ودمشق. وكان إسعاف النشاشيبي من أبرز دعاة التواصل مع مصر في الأوساط الثقافية المقدسية. وكتب لاحقاً ضد المشككين في امتداد مصر العروبي مقالة عنوانها «إن لم يكن المصري هو العربي فليت شعري من يكون العربي؟» وفيها يمتزج الكلام عن اللغة بالهوية؛ فاللغة في نظره هي جوهر الهوية. يقول: «وما يجادل في عربية المصرية، ومصرية العربية إلا كافر بالشرعية الكونية، وإلاّ محترق محنقد على هذه الإسلامية، وإلاّ ناشئ أضلته على علم (وهو

---

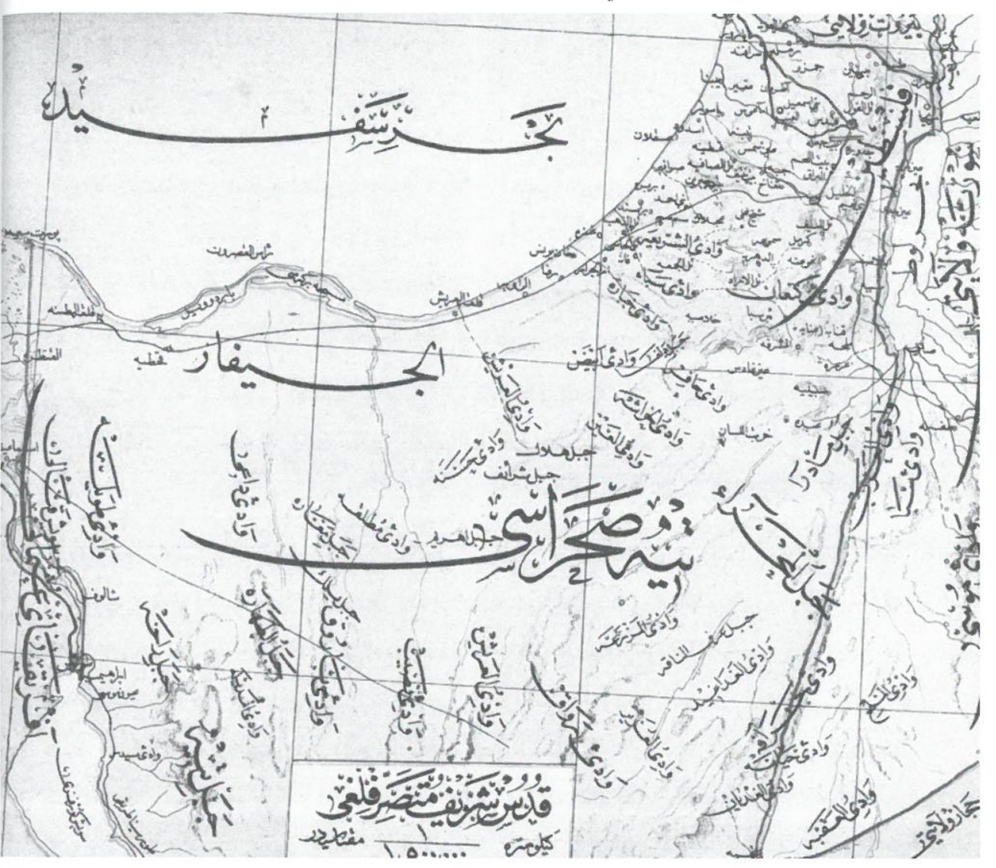
(١) لتوضيح الجدل فيما يتعلق بحدود فلسطين الجنوبية في الحرب العظمى راجع:
Gideon Biger, *An Empire in the Holy Land: Historical Geography of the British Administration in Palestine, 1917-1929* (New York: St Martin's Press, no date), pp. 39-44.

(٢) «عثمانلي أطلسي»، تحرير رحمي تيكين ويسار باس (إستنبول: أوشاپ، ٢٠٠٣)، ص ١١٢ – ١١٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٤ – ١٠٥، ١٢٠.



خريطة رقم ١
القدس العثمانية في حدود متصرفية القدس الشريف، ١٩١٧



المصدر: «عثمانلي أطلسي»، تحرير رحمي تيكين ويسار باس (إستنبول: أوشاب، ٢٠٠٣).

غافل) هذه المدرسة الغربية، وإلا سمسار باع الشرف الغالي رخيصاً في سوق العلوم والفرنج والحكومات الأجنبية، وإلاّ غبي جاهل.»[١]

والملاحظ هنا أن هذه المغالاة في الدفاع عن عروبة مصر تتضافر مع الدعوة الجمالية إلى إسلامية مصر، وتفسر إلى حد كبير التزام النشاشيبي برنامج المدرسة الصلاحية التربوي. أمّا السكاكيني، الرفيق الحميم لإسعاف، فقد التقى مع النشاشيبي في إبراز التواصل العروبي مع مصر، إلاّ إنه طبعاً لم يلتق معه في التشديد على الرابطة الإسلامية. ونعلم أنه كان يكتب في تلك الفترة، بالدرجة الأولى، لـ «المساء» و«المقطم»، الصادرتين في القاهرة. وتظهر «يوميات الترجمان» أنه اعتاد مطالعة «الهلال» و«المقتطف» عندما كانت تسمح الرقابة العسكرية بالوصول إليهما. وباستثناء «الحمارة القاهرة» (الجريدة الساخرة الصادرة في حيفا) و«فلسطين» (اليافية التي عطلتها الرقابة العثمانية معظم أعوام الحرب)، كانت المطبوعات الأدبية والسياسية التي اقتبس منها في يومياته تأتي كلها من القاهرة.

هذا الوضع تغير جذرياً بعد ثلاثة أعوام. إذ جعل الانسحاب العثماني من فلسطين وأوضاع الاحتلال البريطاني فكرة الاتحاد مع مصر أصعب منالاً. كما أن استقلال فلسطين خارج إطار الولايات الجنوبية للدولة العثمانية ولّد مخاوف داخل الحركة الوطنية في البلاد من استفراد الحركة الصهيونية بها. نتيجة ذلك برز من جديد التيار الداعي إلى وحدة فلسطين مع سورية الكبرى: «أخذت فكرة انضمام فلسطين إلى سورية تنتشر وتتمكن»، كتب خليل السكاكيني في مفكرته في ٢٠ كانون الثاني/يناير ١٩١٩،

> يقولون: إن فلسطين وسورية أختان اشتركتا في مصائب كثيرة قبل اليوم، وفي التطلع إلى الحرية والاستقلال معًا، فيجب أن تشتركا الآن في مصيرهما، ولا يجوز بوجه من الوجوه بتر إحداهما عن الأُخرى [....]. وأخذت فكرة فلسطين للفلسطينيين واستقلالها بنفسها تتقلص، بل اشتد الميل إلى معاكسة هذه الفكرة.[٢]

وهكذا عادت فكرة وحدة بلاد الشام إلى الوجدان العام.

---

(١) محمد إسعاف النشاشيبي، «العربية المصرية» في: «نُقْل الأديب» (بيروت: دار الريحاني، ١٩٤٧)، ص ١٦١. وقد ظهرت المقالة أصلاً في القدس سنة ١٣٥٢هـ.

(٢) خليل السكاكيني، «يوميات خليل السكاكيني، الكتاب الثالث: اختبار الانتداب وأسئلة الهوية، ١٩١٩ - ١٩٢٢»، تحرير: أكرم مسلّم (رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي، ومؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٤)، ص ٤٦.

عثماني – غربي – هجري:
الحياة في ثلاثة أزمنة

أوجدت حداثة فلسطين العثمانية عالماً متجزئاً ظهر جلياً في الانتقال اليومي للمواطن من حيز زمني إلى آخر – من الوحدة العائلية إلى الحيز العام. أدخلت التعليمات العسكرية مفاهيم جديدة لتحديد الوقت كان الهدف منها تنظيم وتيرة العمل في الجيش، والحفاظ على انضباط العسكر. ونجد انعكاساً لهذه الوتيرة الحديثة في ضبط الزمن، في طريقة تدوين تفصيلات الحياة اليومية. مثلاً: يدخل محمد الفصيح هذه الملاحظات عن أربع ساعات في ٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٥:

- الساعة ٢٢,٣٠ ذهبت إلى سريري. لم أستطع النوم. لم تنقطع الأوامر عن الوصول في الليل. على الكتائب ٢٧ و٥٧ و٢٥ أن تنفذ مهام استطلاعية.
- الساعة ١,٣٠ وصلت الأوامر الخطية. نهضت من سريري. تأمرنا القيادة أن نحضر لفرقة استطلاعية بقيادة الضابط...
- الساعة ٢,٠٠ حضرت تقريري. لا توجد أحداث تُذكر. بانتظار أوامر جديدة. عدت إلى سريري.
- الساعة ٣,٠٩ نهضت من النوم. لم تصل الأوامر بعد. رجالي في حالة تأهب. وصلت مجموعة من ضباط سلاح الهندسة... قررنا التخلي عن الخطط [الاستطلاعية].(١)

ولا نجد مثل هذه التفصيلات الدقيقة في «يوميات الترجمان»، لكنه، مثل الفصيح، اعتاد تدوين إدخالاته في أجزاء من الساعة (غداء ١٢,٢٠؛ لقاء مع طاهر أفندي ٤,٤٠؛ ذهبت إلى النوم ١١,٤٥). وهذا التدوين المستحدث لا نجده في الفترة السابقة للحرب. وهو يعتمد على استيعاب الجنود طريقة جديدة في ضبط إيقاعات العمل، ثم نقلها لاحقاً إلى وتيرة الحياة المدنية. ولا شك في أن ظهور ساعات الحائط في الساحات العامة وفوق المباني الرئيسية (من أهمها ساعة برج باب الخليل التي أنشأتها بلدية القدس احتفالاً بذكرى تنصيب السلطان عبد الحميد على العرش سنة ١٩٠١) كان دليلاً على اعتماد سلوك الانضباط العسكري في تنظيم مرافق الحياة اليومية في الدوائر الحكومية، ومن ثم في قطاعات العمل المدني. يصف المؤرخ غالفين تنصيب ساعة برج باب الخليل كمفصل تاريخي لإدخال «التناغم بين الزمن

(١) «يوميات الفصيح»، ص ١٣٣ – ١٣٤.

الحديث وانضباط العمل»، ويشكل بذلك شاهداً على محاولة «تنظيم القوى العاملة في القدس، وإخضاعها لرتابة نظام العمل اليومي المحصور في ساعات دوام رسمية.»(١)

دوّن العسكري إحسان يومياته بحسب ثلاثة أزمنة (رومي/عثماني؛ غربي/ميلادي؛ هجري)، وبحسب نظامين لتوقيت الساعات اليومية (غربي/زوالي وافرنجي). استُعمل التقويم العثماني/الرومي في تنظيم القضايا المالية والعسكرية، بما فيها دفع رواتب الجنود والتعليمات الضرائبية والأوامر العسكرية. أمّا التقويم الغربي/الغريغوري فقد كان يستعمل للإشارة إلى الأحداث السياسية، وتواريخ المعارك (التي كانت أخبارها تصل إلى القدس بعد أيام من حدوثها في تلغرافات وكالات الأنباء)، وفي تنظيم علاقة القدس بالعالم الخارجي. أمّا التقويم الهجري فكان هو السائد في تحديد المناسبات الدينية والاحتفالات الرسمية، كما استُعمل في تدوين شهادات الزواج والميلاد في المحاكم الشرعية.

وهنالك روزنامة رابعة يجب ألاّ تغيب عن البال. ففي الريف الفلسطيني، كما هو الوضع في جميع أنحاء بلاد الشام ومصر، استخدم الفلاحون التقويم الجولياني (الرومي) في تنظيم الدورة الزراعية ومواسمها: تمهيد الأرض للزراعة والبذار والحصاد، وتحضير مونة الشتاء. والاعتقاد الشائع بين المسيحيين والمسلمين سواء بسواء (وما زال مستمراً حتى اليوم في الأرياف إلى حد ما) هو أن التقويم الرومي هو الأقرب إلى دورات الطبيعة من التقويم الغربي أو الهجري أو العثماني. نلاحظ أيضاً في هذه الفترة أن كثيرين من المثقفين – ومنهم خليل السكاكيني وواصف جوهرية مثلاً – استخدموا التقويم الرومي (المعروف بالروزنامة الشرقية) في تزمين الأحداث المهمة – بما فيها رأس السنة والأعياد المهمة.

أما بالنسبة إلى ضبط ساعات اليوم فقد استخدم إحسان الترجمان نظامين للتوقيت: الافرنجي والغربي. ساد التوقيت الافرنجي في القيادة العسكرية، وفي ترتيب المواعيد الاجتماعية مع معارفه [إحسان] وأصدقائه. وقد استخدم إحسان، إسوة بزملائه، ساعة الجيب التي كانت مكلفة لكنها في متناول يد المواطنين من الطبقات الوسطى. ونعلم عن حيازة الترجمان ساعة جيب لأنه يصف في إحدى يومياته كيف حاول أن يفكك عقارب الساعة حتى انتهى «عقلي الصغير بتخريب زمبركها.»

أمّا التوقيت العربي – المعروف بالزوالي – فقد قسم اليوم خمسة أجزاء مرتبطة

(١) James Gelvin, *The Modern Middle East: A History* (London: Oxford University Press, 2005), p. 101.

بمواعيد الصلاة. ويشير توقيت الزوال إلى تنظيم ساعات النهار في ١٢ ساعة تبدأ عند الشروق وتنتهي عصراً عند المغيب.(١) وكان يضبط هذه الأوقات الساعات الشمسية، وأشهرها ساعة باحة الحرم الشريف الموجودة والتي كان يراها الترجمان من شباك بيته في باب السلسلة. وكثيراً ما نلاحظ في توقيت الساعات في تلك الفترة استخداماً مزدوجاً لتفادي الإرباك (يقول الترجمان، مثلاً، «اتفقت على مقابلة حسن أفندي الساعة ٤ بعد الظهر افرنجي، العاشرة بحسب التوقيت العربي»)، كما أصر على استخدام التقاويم الثلاثة معاً في إدخالاته اليومية.

وكما كانت الحال في جيوش محمد علي باشا في مطلع القرن السابق، نجح الانضباط العسكري في القيادة المقدسية (منزل النوتردام) في أقلمة المجندين المحليين إزاء رتابة العمل اليومي الجديد، التي كانت تشمل دوام العمل العسكري وفرصتي الغداء والعشاء واستراحة المساء، إلخ. وكان المنزل العسكري أول بناية عامة في القدس تدخلها الكهرباء (سنة ١٩١٥) من خلال مولدات، وهو ما سمح بيوم عمل مكون من ٢٤ ساعة.

في وجدان الجندي إحسان استحضر المنزل العسكري مفهوم الحداثة الذي تجسد في البزة العسكرية وإضاءة الليل والسيارة من دون خيل، بينما مثّل بيت العائلة الملاصق للحرم العزوة إلى التقاليد، إذ كان يكتب يومياته ليلاً في ضوء الشمعة.

تربية العسكري إحسان

تميز عالم إحسان برؤية علمانية معادية للحرب ولكل ما تمثله. ومن المفارقة أن نشأته التقليدية في عائلة محافظة ومتدينة سمحت له - وربما حفزته - بأن يتبنى نمط تفكير منفتحاً وانعتاقياً. والغالب أن ذلك يعود، بدرجة كبيرة، إلى التعليم الذي تلقاه في صغره في مدارس القدس. نعلم من سجلات العائلة أن أباه، حسن بيك الصالح، أرسل أبناءه وبناته للتعلم في كتاتيب الحرم، قبل أن ينتقلوا للتعلم في مدارس علمانية.(٢) أمّا توجهه المسالم والمعادي للحرب فلا شك في أنه نتج من تعرضه

(١) الياس عنطر، «التوقيت العربي»، مجلة «أرامكو» (آذار/مارس ١٩٦٩)، ص ٢ - ٣.

(٢) زودني بهذه المعلومات السيد صالح الترجمان، مقابلة في ١١ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٦. وقد درس إحسان في المدرسة الدستورية بإدارة السكاكيني، أمّا أخواه عادل وعارف فقد درسا في كلية المطران، في حين تلقت أخواته الثلاث، أسمى وسيرت ويسرى، علومهن في مدرسة راهبات صهيون في القدس.

وعائلته لكوارث الحرب من بدايتها، بما فيها فتك الأمراض المعدية التي انتشرت خلال الحرب العظمى. وقد اعتاد إحسان أن يدون أسبوعياً خبر وفاة صديق أو جار أو قريب بسبب أوبئة الحرب.

أمّا تفكير الترجمان التحرري فقد تكوّن، في تقديري، من خلال تفاعله مع نخبة من المثقفين الرائدين في هذه الفترة: عمر الصالح البرغوثي، وعادل جبر، وموسى العلمي، وخليل السكاكيني، وإسعاف النشاشيبي، بالإضافة إلى ابن خالته حسن شكري الخالدي، الذي كان أنهى تدريبه الطبي في بيروت. في هذه المجموعة كان إحسان مستمعاً ومراقباً، لا يدلي بدلوه إلاّ نادراً، ربما بسبب صغر سنه قياساً بهذه النخبة. وإلى جانب هؤلاء المثقفين يجب إضافة رستم حيدر، من مديري المدرسة الصلاحية في دمشق، الذي زار القدس في أكثر من مناسبة، حيث التقاه الترجمان في بيت المعلم خليل، وأعجب به وبأفكاره الجريئة.

إلاّ إن الفضل الرئيسي في تربية الترجمان الفكرية يعود، من دون شك، إلى السكاكيني أستاذه في المدرسة الدستورية التي أنشئت سنة ١٩٠٩. كان إحسان يزور معلمه ورفيقه ثلاث أو أربع مرات في الأسبوع خلال أعوام الحرب. وعنه أخذ فكرة تدوين تجاربه في يوميات. والأهم من ذلك أنه استوعب من السكاكيني موقفه النقدي تجاه الفكر القومي الضيق، ورؤيته الانعتاقية فيما يتعلق بالتعليم المنفتح للأطفال، وضرورة تحرير المرأة من «أغلالها الشرقية».

تشكل الأفكار المتداولة في حلقة رفاق الترجمان تحدياً للرؤية المغلوط فيها عن نهاية الحقبة العثمانية، وللمقولة السائدة التي ترى أن الحداثة العلمانية في المجتمع العربي (والتركي) كانت مقصورة على مدارس الإرساليات التبشيرية (مثل السمنار الروسي في الناصرة وبيت جالا، ومدارس الفرير في القدس ويافا، ومدرسة المطران في القدس). فالسكاكيني، برفقة زملائه من أقطاب النهضة العربية، من أمثال المعلم نخلة زريق، استطاع أن يؤسس لنظام تعليمي وطني واجه نظام الإرساليات المذهبي، لكنه التزم الحداثة التربوية. أُنشئت المدرسة الدستورية سنة ١٩٠٩ (وعُرفت لاحقاً بالكلية الوطنية) تماثلاً مع رياح الحرية والتغيير الآتية مع الحركة الدستورية العثمانية، واحتجاجاً على ضيق أفق التعليم الأورثوذكسي الإكليركي، الذي نشأ السكاكيني في أحضانه. في هذه المدرسة تشبّع الترجمان بأفكاره، وبقي على اتصال بأساتذتها وطلابها بعد تخرجه منها.

أمّا التيار الثالث الذي أهملته الدراسات التربوية فهو التيار العثماني المحدث

الذي أُدخل في النظام التعليمي بعد ثورة ١٩٠٨. إذ بعد هذا التاريخ بدأت المدارس الحكومية بإدخال منهاج تربوي علماني قائم على أسس حديثة. وكان أهم المدارس الحكومية في القدس حينذاك الكلية الرشيدية، التي تخرج منها عدد من الإصلاحيين. كما برزت أسماء رواد تربويين من الذين تأثروا بأفكار محمد عبده والأفغاني، مثل الشيخ محمد الصالح الذي أسس مدرسة «الروضة الفيحاء» في الفترة نفسها، واشتهر بتحويله مناهج تدريس التاريخ والجغرافيا والأدب والدراسات الفقهية من التركية إلى العربية.[١]

بالنسبة إلى أهم المدارس العثمانية في فلسطين خلال الحرب الأولى نذكر المدرسة الصلاحية، المعروفة رسمياً بـ «كلية صلاح الدين الأيوبي الإسلامية». وقد أنشأها أحمد جمال باشا بمبادرة شخصية في مبنى القديسة آن – وهو صرح فرنسي قبالة الحرم الشريف تعود أصوله إلى الفترة الصليبية. أُسست المدرسة الصلاحية بهدف إنشاء نخبة عربية وإسلامية (من الهند وإيران) ذات توجهات عثمانية. وقد اشتملت المدرسة على قسم دراسات عليا مدته عامان بعد الدراسة الثانوية، واحتوى على منهج فقهي ومنهج علماني، وبذلك تكون الصلاحية أول مؤسسة للدراسة الجامعية في فلسطين في تلك الفترة.[٢]

تأسست الصلاحية سنة ١٩١٣، وأشرف على إدارتها ثلاث شخصيات موالية لسياسات جمال باشا شخصياً: الشيخ عبد العزيز الجاويش وشكيب أرسلان وعبد القادر المغربي. وكان ثلاثتهم من أنصار تركيا الفتاة، ومن دعاة حزب الاتحاد والترقي. أمّا أهم أساتذة الصلاحية فكان رستم حيدر (١٨٨٦ – ١٩٤٠) المذكور أعلاه، والذي أنشأ جمعية العربية الفتاة السرية سنة ١٩١١، بالتعاون مع عوني عبد الهادي وأحمد قدري.[٣] ويظهر حيدر بشكل بارز في «يوميات الترجمان» كداعية للاستقلال العروبي. كما يظهر أيضاً في «يوميات السكاكيني» عندما هرب الاثنان من الحكم العثماني في دمشق للالتحاق بركب الثورة.

ومن معلمي الصلاحية أيضاً إسعاف النشاشيبي وعادل جبر. وكلاهما من

(١) يعقوب العودات، «الشيخ محمد الصالح» في: «من أعلام الفكر والأدب في فلسطين» (القدس: دار الأسماء، ١٩٩٢)، ص ٣٤٢ – ٣٤٣.

(٢) Martin Strohmeier, «Al Kulliyya al-Salahiyya, 'A Late Ottoman University in Jerusalem',» in *Ottoman Jerusalem: The Living City 1517-1917*, edited by Sylvia Auld and Robert Hillenbrand (London: Altajir World of Islam Trust, 2001), pp. 57-62.

(٣) Ibid., p. 60.

الشخصيات الثقافية البارزة التي نلتقيها في «يوميات الترجمان». درّس الأول اللغة والأدب العربيين، بينما درّس الثاني اللغة الفرنسية والجغرافيا. وكان السكاكيني أيضاً من أساتذة المدرسة الصلاحية، عندما كان يسمح له برنامجه التعليمي المكتظ في المدرسة الدستورية.

يعبّر الترجمان في يومياته عن عداء مكتوم تجاه النشاشيبي وجبر بسبب سلوكهما «الاستعلائي والمتعجرف». إلاّ إن عداءه وصل إلى ذروته تجاه عادل جبر الذي كان الترجمان يراه من أعوان جمال باشا المخلصين، واتهمه مرتين بأنه عميل للدولة.[١] وفي إحدى الروايات، التي دوّنها في ١٥ أيار/مايو ١٩١٥، يذكر أن جبر سافر إلى يافا في مهمة لجمال باشا. ويبدو من السياق أن سفره كان له علاقة ببعض الترتيبات الإدارية للمدرسة الصلاحية. وفي نهاية هذا الإدخال ينسب الراوي حديثاً إلى ابن خالته حسن شكري الخالدي يدعي فيه أن عادل جبر «جاسوس عثماني».[٢] أمّا جبر نفسه فلم يكن يخفي تأييده العلني لجمعية الاتحاد والترقي، ودفاعه عن الحكومة العثمانية وسياستها، وذلك في نقاشات حامية مع النشاشيبي والسكاكيني وموسى العلمي. وبقي على موقفه هذا إلى نهاية الحرب.

وتعكس حدة هذه النقاشات المواجَهة الصاعدة في ذلك الحين بين أنصار الانفصال العربي عن الدولة وبين أنصار الفكرة العثمانية داخل النخبة الفلسطينية والسورية. ولا يوجد أي دليل مقنع على اتهامات الترجمان والخالدي لعادل جبر. ومن الجائز أيضاً أن هذا العداء كان مبعثه سبباً شخصياً، وهو منافسة الأخير لإحسان في حب ثريا، معشوقته.

من ناحية أُخرى، ساهم جمال باشا في تأجيج الصراع بين التجمعات السياسية العربية عن طريق تبنيه ما سماه «التيارات الوطنية المعتدلة» ضد «المجموعات العربية المتطرفة».[٣] وكان يرى في المدرسة الصلاحية التجسيد التربوي لإنشاء فئة من العرب الوطنيين الموالين للنظام العثماني الجديد.[٤] هدف آخر للصلاحية كان

(١) «يوميات الترجمان»، «عادل جبر يدافع عن الحكومة»، ٥ مايس ١٩١٥، و«هل عادل أفندي جاسوس عثماني؟»، ١٥ مايس ١٩١٥. (أنظر أدناه، ص ١٧٦، ١٩٩ على التوالي).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) استعمل محمد عزة دروزة هذا التعبير في مذكراته، وكذلك ستروماير (Strohmeier)، لكن من وجهة نظر مغايرة. غير أن الإثنين يتوافقان في تقويم أهداف جمال باشا.

(٤) Strohmeier, op. cit., p. 91.



أساتذة المدرسة الدستورية وطلابها، القدس ١٩١٠. لاحظ اللباس العثماني الرسمي للطلاب.

المصدر: المجموعة الجوهرية، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

تعزيز القاعدة الفكرية لحركة إسلامية مجددة تدين بالولاء للدولة العثمانية. ويرى المؤرخ الألماني مارتن ستروماير أن هدف جمال من إنشاء المدرسة كان تدريب فئة «من المثقفين دينياً والمشبعين بأفكار محمد عبده لمعالجة المفاهيم العلمية والعلمانية الحديثة.»(١) وكان معظم المساهمين في حلقة السكاكيني الفكرية - وهم نواة «حزب الصعاليك» الذي أنشأه سنة ١٩١٨ - من المعجبين بعبده والأفغاني، إلاّ إن العديد منهم تجاوز هذه الرؤية وفكرة الإصلاح الإسلامي في اتجاه ثقافة علمانية وطنية ناقدة للفكر الديني برمته.

عندما هدد الجيش البريطاني منطقة القدس من الجنوب أمر جمال باشا بنقل المدرسة، بمعلميها وإدارتها وطلابها، إلى دمشق. وفي النهاية فشلت الصلاحية في تحقيق أهدافها لسببين: فهي لم تنجح، أولاً، في اجتذاب طلاب من خارج المناطق السورية - الفلسطينية (وتحديداً من الهند وإندونيسيا)، مثلما ابتغى لها جمال باشا. كما لم يُكتب لها، ثانياً، أن تحافظ على وجودها لفترة كافية تسمح لها بالتطور كمدرسة رائدة ذات منهاج خاص بها. وعندما اقتربت القوات البريطانية من المدينة اضطر جمال باشا إلى أن ينتقل بالمدرسة وطاقمها إلى دمشق. إلاّ إن مدرسيها في معظمهم، بمن فيهم السكاكيني وحيدر، سرعان ما تركوا المدرسة والتحقوا بقيادة الثورة العربية في جبل الدروز.

نعود إلى تربية الترجمان. تابع إحسان قراءاته الفكرية في المنزل العسكري بعد تجنيده بشكل متقطع وعشوائي. واحتوى بيت العائلة على مجموعة قيمة من الكتب، بدليل أن إسعاف النشاشيبي وموسى العلمي كانا يستعيران المجلدات منها. كما أضاف إحسان بعض المقتنيات إليها خلال دراسته في المدرسة الدستورية. وفي الساعات الطويلة والمملة التي كان يمضيها في الدوام العسكري اعتاد إحسان أن يطالع في الزمخشري وفي كتب أُخرى عن التراث العربي يذكرها في يومياته، منها «تاريخ الحضارة العربية» لمحمد كرد علي الذي كان من أنصار تيار التجديد الإسلامي في الصلاحية. كما كان الترجمان معجباً بكتاب «تحرير المرأة» لقاسم أمين (القاهرة ١٨٩٩).

إلاّ إن شغف إحسان الأساسي كان بالروايات الغرامية التي بدأت تتوفر بطبعات رخيصة مستوردة من مصر في هذه الفترة. وكثيراً ما نجده يطالع الكتب الجنسية المتوفرة في عناوين متعددة، مثل «اختيار الزوجة» و«ليلة العرس» و«حياتنا التناسلية».

---

(١) Strohmeier, op cit., p. 91.



الشيخ محمد الصالح من أساتذة المدرسة الصلاحية في القدس، ١٩١٦.

المصدر: المجموعة الجوهرية، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

والغالب أن هذه السلسلة كانت من كتب مترجمة محلياً عن الفرنسية والإنكليزية، كان يطالعها بالسر خلال ساعات العمل خوفاً من رقابة أبيه. ويخبرنا إحسان كيف كان الضباط في قيادة الأركان، من عرب وأتراك وألبان (من أمثال فارس أفندي وإسماعيل الماني)، يوبخونه كلما باغتوه وهو يطالع خلال ساعات الدوام، لدوافع معادية للقراءة بشكل عام، أكثر من كونها دوافع الحرص على الانضباط العسكري. على الأقل هذا ما يدعيه صاحب اليوميات.

أخيراً كان الترجمان شغوفاً بمتابعة الصحافة السياسية الهزلية، وعلى رأسها جريدة «الحمارة القاهرة»، التي كانت تصدر في حيفا، والتي اعتادت أن تهزأ بقيادة حزب الاتحاد والترقي، الأمر الذي يدل على أن الرقابة العثمانية على المطبوعات لم تكن تطبق تعليمات الحكومة خلال أعوام الحرب بالصرامة التي أشيع عنها فيما بعد.

اندثار الهوية العثمانية

تتميز «يوميات الترجمان» بشراسة موقفها المعادي لجمال باشا وقيادة «الاتحاد والترقي». وفي هذا المجال يجب ألاّ تقارَن بخطاب التأريخ القومي لفترة ما بعد الحرب، وإنما بمثيلاتها من كتابات مؤلفين معاصرين، مثل محمد عزة دروزة ورستم حيدر. استهل المؤلفان الأخيران حياتهما السياسية بالتماثل مع أهداف اللامركزية العثمانية، ثم انتقلا إلى المعسكر القومي العربي. وفي دائرة إحسان كتب خليل السكاكيني (معلمه) وعمر الصالح البرغوثي (صديقه) مذكرات كانت تعكس موقفاً ملتبساً من اللامركزية العثمانية خلال الحرب. ومع تطور الأحداث الدموية ازداد الاستقطاب العربي – التركي، الأمر الذي دفع بالسكاكيني والبرغوثي إلى الانضواء تحت قيادة الأمير فيصل والثورة العربية. وفي النهاية انضم حيدر إلى الثوار في جبل الدروز، وأصبح السكرتير الخاص للأمير فيصل. وعندما أُخلي سبيل السكاكيني من سجنه العثماني في دمشق (سنة ١٩١٨) التحق هو أيضاً بالثوار، وساهم في صوغ عدة بيانات باسم الثورة، بما فيها تأليف نشيد الثورة العربية «أيها المولى المفدى». وكانت المرحلة الحاسمة في جميع هذه التحولات محاكمات «عاليه» العرفية والحكم بالإعدام على الثوار العرب في آب/أغسطس ١٩١٦.

مع هذا استمر العديد من المثقفين الفلسطينيين، والمقدسيين تحديداً، على ولائهم لبقاء فلسطين إقليماً ضمن الإمبراطورية العثمانية، حتى بعد نهاية الحرب

وهزيمة الأتراك. من هؤلاء «العثمانيين» نجد أسماء لامعة مثل عادل جبر، محرر «الحياة» في القدس ويافا، والشيخ محمد الصالح، صاحب «روضة المعارف»، وعبد العزيز الجاويش، مدير المدرسة الصلاحية. يصف البرغوثي في مذكراته لقاء أحمد جمال باشا بالقيادات العربية المحلية في القدس ودمشق في فترة ١٩١٦ - ١٩١٧ لتداول إنشاء كونفدرالية عربية - عثمانية على أنقاض الدولة العثمانية.[١] إلاّ إنني لم أجد معالجة لهذا الموضوع في مذكرات جمال باشا نفسه.[٢]

أمّا «يوميات الترجمان» فهي مملوءة بالهجوم على كل من جمال باشا وأنور باشا. يبدأ نقده على خلفية انتكاس الجيش الرابع على جبهتي السويس وسيناء، حيث كان يقاتل العديد من أقرباء الترجمان ومعارفه. وكان هاجس الكاتب الخوف من إرساله للقتال على الجبهة. نرى هنا صورة متناقضة لشخصية جمال باشا: من ناحية، يأخذ عليه الكاتب محاباته الجنود اليهود والمسيحيين، في محاولته استدرار مساندة الأقليات في الولايات الشامية، وذلك عن طريق إعفائهم من الخدمة العسكرية، أو توظيفهم في مناصب كتابية وإدارية. ومن ناحية أخرى، نرى إحسان يهاجم أنور وجمال للمذلة التي خضع لها يهود القدس ومسيحيوها بعد أن جندهم في «طوابير العملة»، إذ أُجبروا على القيام بأعمال شاقة ومضنية مثل بناء الطرق، وحفر أساسات سكة الحديد، وجمع القمامة من الشوارع العامة. ونعرف من تقارير وكتابات معاصرة أن كثيرين من مجندي الطوابير ماتوا خلال هذه الخدمة. وفي إحدى مفكرات السكاكيني، مثلاً، يشير إلى هذه الأيام الحالكة:

> أخذوا عدداً كبيراً من المسيحيين كزباليين إلى بيت لحم وبيت جالا، وأعطوا كلاً منهم مكنسة وقفّة ومجرفة ووزعوهم على الطرق والأزقة، فجعل أحدهم يصيح في بيت لحم «من عنده زبالة» فكانت نساء بيت لحم تطلّ من النوافذ وتبكي. لا شك أن هذه نهاية [ذروة] الذل. وما مثلهم إلاّ مثل الأسرى في عهد الأشوريين والمصريين والرومان.[٣]

وعندما عُيّن الترجمان كاتباً موقتاً في القيادة العسكرية في القدس، مسؤولاً عن الإعفاءات من الخدمة، حاول أن يخفف من معاناة هؤلاء الجنود المسخرين، لكن من

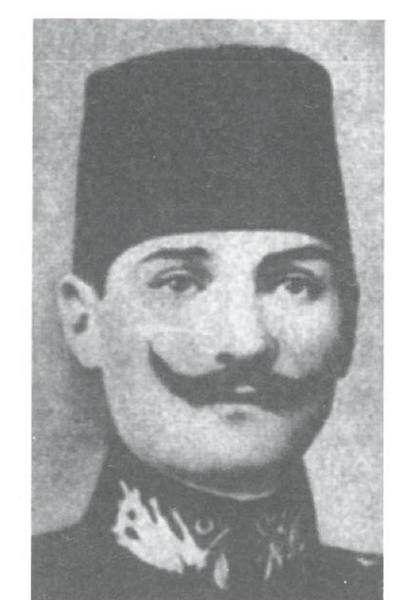
(١) البرغوثي، «المراحل»، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٧.
(٢) «مذكرات جمال باشا»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٩ - ٢٤٤.
(٣) السكاكيني، الكتاب الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٩.

دون جدوى.

يخبرنا إحسان في إحدى رواياته عن زواج جمال باشا من «مومس يهودية» من القدس، كدليل على محاباته اليهود. ويبدو أن الإشارة هنا هي إلى عشيقة جمال السيدة ليئا تاننباوم، وهي من عائلة يهودية مقدسية نشطت في جمعية الهلال الأحمر المساندة للمجهود الحربي العثماني. وفي حالات أُخرى يصف الكاتب جمال باشا كشخصية اعتباطية إذ كان، في رأي الكاتب، مهووساً بتمجيد ذاته على حساب الآخرين. فهو يمدد ساعات دوام الجنود، ويلغي إجازاتهم الأسبوعية يوم الجمعة بلا مبرر. كما يصفه بالمنافق حين يوزع الذبائح والحلوى على الجنود خلال الأعياد الرسمية والسلطانية، بينما هم جياع ومتدنو الأجور في بقية الأيام. ويظهر الترجمان عداءه واحتقاره لقيادة «الاتحاد والترقي» بسبب استغلال الحزب للدين من أجل تحقيق مكاسب رخيصة لمصلحة المجهود الحربي في الولايات العربية. وهناك وصف مضحك لحفلة أقامها روشن بيك ودعا إليها مجموعة من بغايا القدس على شرف كل من أحمد جمال باشا، وجمال باشا الصغير (المرسيني).

يصل غضب الكاتب على جمال باشا إلى ذروته بعد أن بدأ حملته ضد التجمعات العربية السرية. تبدأ الحملة بشنق جنديين في ساحة باب الخليل في ٣٠ آذار/مارس ١٩١٥ بتهمة التجسس لمصلحة الجيش البريطاني. ثم تمتد الحملة إلى قمع أعضاء «الجمعية العربية» ومجموعة «العهد» من الضباط العرب، ومحاكمة العديد منهم في المحاكم العسكرية التي أنشئت لهذا الغرض. لكن موقف الترجمان الناقد توازنه إشاراته المتعددة الإيجابية والمتعاطفة مع قادة ورفاق أتراك وألبان ساعدوه وتضامنوا معه خلال محنته. من هؤلاء القائد علي روشن بيك (الألباني الأصل) ونهاد بيك (قائد حامية القدس، وهو تركي الأصل)، والعديد من الضباط الأتراك الذين زاملهم. وعندما تعرض إحسان للضرب والملاحقة من ضابطه الأرناؤوطي (لا نعرف اسمه) نجده يلجأ إلى قائده الألباني للحماية، لا إلى معارفه من الضباط العرب.

تهيمن على «يوميات الترجمان» الإشارات إلى الخنوع العربي للقمع العثماني. فنجده يصف أهالي سورية وفلسطين بـ «الأمة الذليلة الخانعة». ويذكّر القارئ بأن أي شعب يحترم نفسه يجب أن يثور على أوضاع اضطهاده. إلاّ إنه، على الرغم من طبيعته اللاعنفية، يغتبط ويهلل للانتصارات العثمانية في الدردنيل وكوت العمارة (جنوب العراق) على الإنكليز. هذا الارتباك في الهوية ينعكس أيضاً في إشاراته إلى انتمائه القومي، فهو يتماثل مع «الأمة العثمانية» أحياناً، ومع «الأمة العربية» أحياناً



فالح رفقي أتاي، سكرتير جمال باشا في القدس ومؤلف «جبل الزيتون» (زيتون داغي).

أُخرى. لكنه، على الرغم من هذا التناقض، لا يرى نفسه جزءاً من الأمة الإسلامية على الرغم من محاولات جمال باشا الجاهدة في سورية لزرع هذا الانتماء، أملاً بتقوية التكاتف العربي والهندي والفارسي دعماً للمجهود الحربي العثماني. على العكس، نجد أن إحسان يركز هجومه على العلماء ورجال الدين الداعين إلى حملة جمال باشا. ويشير تحديداً إلى «نفاق» الشيخ أسعد الشقيري، مفتي الجيش الرابع، وحاشيته من الفقهاء والصحافيين عندما نظموا رحلة وفد فلسطيني – سوري لزيارة غاليبولي والدردنيل دعماً للقوات العثمانية المحاربة هناك.

ولم يستعد إحسان فخره بانتمائه العربي إلاّ عندما ثارت القبائل الحجازية بزعامة الشريف حسين ضد العثمانيين: «بارك الله بك أيها الشريف... أنتم أيها العربان برهنتم للعالم أجمع أنكم رجالاً [كذا] لا تأبون الذل والهوان... تدافعون عن أمتكم العربية وفاديتم بأرواحكم حتى تتخلص هذه الأمة من نير البربرية العثمانية.» لكنه يسميهم «العربان»، ويعي في الوقت نفسه أن «ثورة العربان» لها جذور غير قومية: «أما هياجهم [ثورتهم] فأسبابه كثيرة... فمن يقول بأن الشريف حسين باشا ترجى في العفو عن صدور الحكم [كذا] بإعدام أبناء العرب فأبوا [يقصد جمال باشا]. ومنهم من يقول بأن الحكومة كانت تدفع في كل عام دراهم... إلى العربان عوضاً عما لحقهم من الخسران في إنشاء السكة الحديدية الحجازية... وفي هذا العام امتنع جناب حضرت [حضرة] القائد الكبير قائد الجيش الهمايوني الرابع وناظر البحرية الجليلة دولة أحمد جمال باشا عن الدفع.»[1] لكن هذه الدوافع لم تمنع الكاتب من الاندفاع في الدفاع عن الثورة الحجازية بكل جوارحه.

في الإمكان أن نتابع تأثير هذا الانقطاع في الهوية العثمانية في العلاقات التركية – العربية على الجانب التركي من خلال مجموعة ثالثة من يوميات الحرب، هي مذكرات

(١) أنظر أدناه، ص ٣٢٣.

الضابط فالح رفقي، السكرتير الخاص لجمال باشا في دمشق والقدس، وهو معاصر لإحسان الترجمان ومحمد الفصيح، وهو بالمصادفة مولود في السنة نفسها التي ولد فيها كل من إحسان ومحمد (١٨٩٣).[1] تتميز مشاهدات رفقي بأهمية خاصة بسبب قربه من الأحداث وعملية صنع القرارات السياسية والعسكرية الحاسمة. كما أنه كان متابعاً دقيقاً للعلاقات العربية – التركية داخل الجيش. وكان، بسبب اهتماماته الفكرية، متابعاً أيضاً لتأثير الدين في صوغ الحياة اليومية لسكان فلسطين والجزيرة العربية. نراه في أحد فصول يومياته يقارن تأثير الحج في البنية الاجتماعية في كل من القدس والمدينة المنورة بلهجة ساخرة:

> لا شك في أن حجاج القدس ليسوا أحسن حالاً من حجاج المدينة المنورة. فإن أتباع المسيح يعانون الجوع نفسه الذي يعانيه أهل محمد، والفئتان محكوم عليهما أن تعانيا البؤس معاً. الفارق الوحيد هو أن متسولي القدس أعلى شأناً وأحسن منظراً من متسولي المدينة. أصبحت المدينة المنورة بازاراً آسيوياً نجح في تحويل الدين إلى بضاعة تجارية. أمّا القدس فقد تحولت إلى مسرح غربي نشاهد الدين فيه وكأنه مسرحية، إلى حد أنني تخيلت كهنة كنيسة القيامة كأنهم أصحاب لحى مزيفة. وعندما ينحنون إلى أسفل تستطيع أن تشاهد بوضوح مسدساتهم المخفية بإحكام تحت أثوابهم الطويلة.[2]

يبرر رفقي، بشكل عام، حملة القمع التي قادها جمال باشا ضد الحركة العروبية بحجة أنها كانت خطوة ضرورية للحفاظ على الانضباط العسكري والاستقرار للإدارة العثمانية في سورية. وهو يرى أن استعمال العنف مع القوى الوطنية كان ناجحاً في ضمان هذا الاستقرار. ونراه هنا يفسر سياسة جمال بلهجة قاطعة: «في فلسطين استخدمنا سياسة النفي، وفي سورية اعتمدنا الإرهاب، وفي الحجاز استعملنا الجيش. أمّا اليهود فكانوا حذرين كعادتهم ينتظرون إعلان وعد بلفور على سواحل يافا. وفي النهاية ثار أهل الحجاز، وبقيت سورية هادئة.»[3] ويعزو رفقي هذا «الهدوء» إلى سياسة ترحيل السكان القسرية التي مارستها السلطة ضد سكان الساحل الفلسطيني –

(١) Falih Rifki [Atai], *Zeytindagi* (Istanbul, 1932).

وقد اعتمدت على ترجمة جيفري لويس في مقالته عن رفقي. أنظر:

Geoffrey Lewis, «An Ottoman Officer in Palestine, 1914-1918,» in David Kushner, *Palestine in the Late Ottoman Period* (Jerusalem: Yad Izhak Ben Zvi, 1986).

(٢) Lewis, ibid., pp. 407-408.

(٣) Ibid., p. 405.

وخصوصاً في منطقتي غزة ويافا، حيث كان الأسطول البريطاني يحاصر هاتين المنطقتين متربصاً بالتحركات العثمانية والألمانية. وكان هذا الترحيل، في رأي صاحب المذكرات، موجهاً بالتحديد نحو السكان اليهود الذين كانت القيادة العثمانية تشكك في تواطئهم مع أجهزة استخبارات الحلفاء في رصد تحركات العساكر العثمانية.[1]

ويهتم رفقي بمعوقات اندماج التجمعات التركية والعربية كمكونات ضرورية لاستقرار المجتمع العثماني:

> يهيمن على السلطنة العثمانية جهاز بيروقراطي جامد. إلاّ إن نصف هذا الجهاز البيروقراطي هنا [في فلسطين] مكوّن من العرب. لم أر خلال إقامتي كلها عربياً واحداً تأترك، بينما لم أر إلاّ عدداً قليلاً من الأتراك تعرّب. ونحن لن ننجح في استعمار هذه المنطقة، ولا في جعلها جزءاً عضوياً من بلادنا. فالدولة العثمانية هنا هي حارس المزارع والمدن بلا أجر.[2]

وعندما ينتقل المؤلف إلى الوضع في مدينة القدس، يتحول إلى تشخيص قدرة المجتمع العربي على استيعاب الآخرين ومقاومته انصهار العرب داخل المجتمعات الأُخرى. ثم ينتقل إلى الاحتجاج على وضع الأتراك خارج الأناضول. يكتب رفقي بمرارة تذكرنا بشعور الروس تجاه تهميش وضعهم في مدينة موسكو خلال الحقبة السوفياتية نتيجة هجرة الأقليات إلى العاصمة:

> بما أنه كان لجميع الأقليات في الإمبراطورية العثمانية امتيازات، بينما حُرم الأتراك هذه الامتيازات، أصبح من المفضل لأي مواطن أن ينتمي إلى إحدى الأقليات المسلمة من أن يكون تركي الأصل.[3]

قد تبدو هذه الملاحظات مبالغاً فيها، إن لم تكن مستهجنة، من جانب أي مؤرخ عربي يسترجع نهاية الحقبة العثمانية، إلاّ إنها تعكس رؤية متكررة في أوساط النخبة التركية العثمانية. ويبدو أن هذا موقف تبناه جمال باشا نفسه في محاولته المستميتة للحفاظ على مبدأ وحدة الكيان العثماني ضد المحاولات الانفصالية. أمّا أهمية اندماج التجمعات العربية في هذا الكيان فكانت نابعة من اعتقاد هذه النخبة أن المجتمع العربي كان «خط الدفاع الأخير» للتحالف العثماني الداخلي القادر على الحفاظ على

(١) Lewis, ibid., p. 411.
(٢) Ibid., p. 412.
(٣) Ibid.

مستقبل الإمبراطورية ضد محاولات التجزئة الغربية.

هنا كان الشعور بالخيبة مضاعفاً نتيجة ما أصبح يعتبر في إستنبول «خيانة عربية». في هذا التصور كان العرب هم الذين تخلوا عن الأتراك، لا الأتراك هم الذين قوضوا الفكرة العثمانية عن طريق حملة التتريك، إضافة إلى أن عملية التتريك هذه كانت بدورها سبب هذا التخلي لا نتيجته. هذا التشخيص واضح المعالم في مذكرات رفقي:

> لا تظن أن هنالك «قضية عربية» في هذه الأراضي الواسعة الممتدة من حلب إلى عدن... كل ما هناك هو تيار معاد للأتراك. فإذا قضيت على هذا التيار انهار العرب في دوامة الفوضى.[1]

لا تفيدنا مذكرات رفقي في التعرف على مخطط جمال باشا في بناء تحالف فدرالي عربي - تركي لتعزيز الصرح العثماني المتهاوي، كما لمّح إلى ذلك المؤرخ عمر الصالح البرغوثي.[2] والواضح من مذكرات رفقي أن هزيمة جمال العسكرية كانت أيضاً هزيمة لأي كيان عربي - تركي محتمل. يخبرنا رفقي عن المرارة التي انتابت قائده عندما عزلته القيادة في إستنبول وأحلت محله الجنرال الألماني فون فولكينهاين:

> رفض جمال باشا أن يتخلى عن الحلم السوري، بل أراد أن يعود إلى إستنبول في نهاية الحرب وهو يحمل الحفاظ على سورية هدية للسلطنة. وربما استغلت القيادة ميله إلى التبجيل والاستعراض، فعينته قائداً عاماً لسورية والحجاز. وهي رتبة كانت بمثابة رئيس أركان من الدرجة الثانية. ولم يكن جمال باشا هو الذي انهار وإنما ولاية الشام. وبما أن سورية كانت مهووسة بالرتب العسكرية والميداليات فإنها لم تنهر كما كانت القرى الأناضولية تنهار بصمت وبوحدة قاتلة، وإنما انهارت بصخب، محاطة بالأبهة الاحتفالية وفي بزة الجنرالات.[3]

يشير فالح في مقدمة مذكراته، التي أعطاها عنوان «زيتون داغي» (جبل الزيتون)، إلى رمزية الهوية التركية في فلسطين. يقول:

> «أولبرج» هو التعبير الألماني للكلمة العربية جبل الزيتون. أمّا «زيتون داغي» فهو

(١) Lewis, ibid.
(٢) البرغوثي، «المراحل»، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٧.
(٣) Lewis, op. cit., p. 413.





جمال باشا، قائد الجيش الرابع، القدس ١٩١٥ (تصوير: خليل رعد).
المصدر: أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

تعبير من اختراعي، استنبطته كعنوان لكتابي، إذ لم يكن هناك قط «قدس تركية».(١)

لكن كان هناك طبعاً قدس عثمانية، وهي المدينة والهوية التي التبس تعريفها على فالح رفقي.

نهاية مرحلة البراءة

تشكل «يوميات الترجمان» صرخة مدوية ضد أخلاقيات الحرب. لكن صاحبها لم يبن موقفه هذا على فكر أيديولوجي يدعو إلى السلام، بقدر ما كان تمرداً ضد الأوضاع السياسية التي أدت إلى التشرذم الاجتماعي وفقدان الشعور بالاستقرار الذي ساد مدينته قبل الحرب. ونراه ينسب كل هذا التدهور إلى هوس القيادة العثمانية التي بالغت في قدراتها العسكرية على حساب الجندي والمواطن العادي. وكانت النتيجة، في تصوره، سياسة التطرف القومي والقمع الإثني ودمار الحرب الذي جاء في ركابها والذي أدى، بحسب تعبير بيرغر، إلى «قلب السياسة على رأسها» والدخول في عالم يسوده الضياع واللاعقلانية.

هذه الظاهرة اللاعقلانية انتقلت من الجبهة الأوروبية - في بلجيكا وفرنسا - إلى الدردنيل والمشرق العربي، حيث ولّدت أجواء كارثية أدت إلى شعور بفقدان سيطرة الفرد على حياته ومستقبله. في حالة فلسطين، نشهد تقويضاً للقناعات الراسخة نتيجة انهيار السلطة وتشرذم وحدتها الجغرافية. يقوم بيرغر في هذا المجال بالتعبير عن التبعات الوجدانية للحرب العظمى: «لم يتصور أحد الأبعاد الطويلة المدى لقلب السياسة على رأسها - بمعنى هيمنة الأيديولوجيا على السياسة. في الحالة الأوروبية نتج من الحرب نهاية ما سماه «حقبة البراءة»:

> سرعان ما دخلنا في شروط جعلت من الصعب تبرير البراءة. تراكمت الأدلة التي منعتنا من الحفاظ على هذه البراءة، وفي مقدمها كانت مسيرة الحرب الأولى والإذعان الجماهيري لأوضاعها. فالذي حدث هو أن الناس حافظوا، في معظمهم، على عذريتهم السياسية عن طريق إنكار ما يرونه بأم أعينهم من الفظائع. وهذه الظاهرة ساهمت في تعزيز قلب السياسة إلى أيديولوجيا.(٢)

(١) Lewis, ibid., p. 414.

(٢) John Berger, *About Looking* (New York: Vintage Book, 1991), p. 130.

في فلسطين ساهم الشعور باقتراب الكارثة، أيضاً، في الرضوخ الشعبي للوضع كما نلمسه من ملاحظات الترجمان عن أوضاع الحياة اليومية في القدس: المصادرة الواسعة النطاق للقمح من المزارعين من أجل إطعام الجنود أدت إلى رفع أسعار الحبوب وباقي الحاجات في المدن، ومن ثم اختفاء الخضروات واللحوم من السوق؛ المشاهدات اليومية لطوابير النساء والأطفال (أمّا الرجال فقد اختفوا من الشارع نتيجة التجنيد) أمام الأفران، واقتتالهم على رغيف الخبز، ثم انتشار المجاعة في مدن سورية وفلسطين وجبل لبنان. وكما لاحظ إحسان فإن المجاعة كانت مصطنعة، ونتجت من إجراءات الحكم العسكري التعسفية، لا من الأحوال الطبيعية. في لبنان (وبشكل أقل في فلسطين) تضاعفت آثار المجاعة بعد تضييق حصار الأسطول البريطاني على الساحل السوري، وكذلك إجراءات جمال باشا داخلياً عقاباً على ما رآه تآمراً للتيارات الوطنية مع السلطات الفرنسية العدوة.[1] وفي صيف سنة ١٩١٥ وصل الجراد إلى القدس، وتبعه انتشار وباء الكوليرا ووباء التيفوس، فقضيا على ما تبقى من الأمل عند الناس.

ظهر الشحاذون في جميع أطراف المدينة، وخصوصاً في الشوارع والأسواق. وقد يتراءى للمرء أن التسول ظاهرة أزلية من مشاهد المدينة المقدسة. على الأقل هذا هو الانطباع السائد في أدب الرحالة والحجاج إلى القدس. لكن لو كان هذا صحيحاً لما لفتت الظاهرة انتباه صاحب اليوميات، وهو الذي أمضى معظم حياته في المدينة. الواقع هو أن أوضاع الحرب هي التي أدت إلى تفكك العائلة المقدسية ومصادر قوتها، وخلقت جيوشاً من المتسولين في طرقاتها. وكما هي الحال في المدن الإقليمية للسلطة العثمانية، اعتمد الفقراء والمعوزون على سلسلة من التكايا التي كانت توفر الطعام والخبز اليومي المجاني لذوي الحاجة. بالإضافة إلى ذلك، حافظت المدينة على نظام التعاضد التقليدي الذي كان ينبري للدفاع عن أبناء طوائفه، وعن شبكات القرابة في محلات (جمع محلّة) البلدة القديمة. إلاّ إن اشتداد الأزمة الاقتصادية والمجاعة بعد سنة ١٩١٥ بدأ بتفكيك فعالية هذه العصبيات الاجتماعية. وكان على رأس عوامل التفكيك غياب عدد هائل من الذكور من أرباب هذه العائلات الذين تم تجنيدهم في الجيش. ولم يكن راتب الجندي العادي (٨٥ قرشاً عثمانياً) أو حتى راتب الضابط يكفي سد رمق العائلات مستورة الحال. ونرى الترجمان يشكو أن راتبه الشهري لم يكن يغطي حتى نفقات استهلاكه اليومي من السجائر.

(1) دروزة، «مذكرات»، مصدر سبق ذكره.

خلال أعوام الحرب، أصبح التبغ سلعة مطلوبة ونادرة يتهافت السكان عليها في السوق السوداء، ومادة مقايضة رئيسية بين العساكر. في مفكرة الحرب التي بين أيدينا يوجد ١٢ يومية عن غياب التبغ وتأثيره في معنويات الجنود والمدنيين. مثلاً في يوم الجمعة ٢٣ نيسان/أبريل ١٩١٥ يدخل إحسان هذه الملاحظات في مفكرته:

> نفذ [نفد] الدخان من القدس ولم يعد يجد أحد دخان مطلقاً وقد استاء الجميع من ذلك وضجوا لفقدانهم التوتون، فقد نفذت [نفدت] عدة أشياء من قبل مثل السكر والكاز والأرز وما شاكل، ولكنه لم يهمهم ذلك كاهتمامهم بالدخان. إنه والحق يقال لأمر عجيب.... حتى إن البعض صار يصخب على الحكومة ويلومها لإعلان هذه الحرب.[1]

كانت القيادة العسكرية عند وصول شحنات جديدة من السجائر تعطي الضباط أولويات التوزيع. وكان هؤلاء يستخدمون مخصصاتهم من الدخان لمضاعفة رواتبهم الشهرية المحدودة عن طريق بيعها للأنفار، وخصوصاً عندما تصل الأنواع الفاخرة من إستنبول، مثل سجائر «صامسون» و«مراد».

ومع انهيار الاقتصاد المحلي ظهرت في القدس، إسوة بالوضع السائد حينذاك في دمشق وبيروت، ظاهرة جديدة هي الدعارة العلنية. كان الجيش العثماني قد استحدث في المدينة المقدسة دُوراً مخصصة للبغاء لخدمة المجندين. ولدينا كتابات معاصرة تشير إلى انتشار ظاهرة العشيقات في أوساط الضباط وأعيان المدينة.[2] لكن في العام الثاني للحرب انتشرت ظاهرة البغاء لخدمة جميع مراتب العسكر، وخصوصاً أولئك الأنفار الذين اضطُروا إلى الابتعاد عن عائلاتهم وزوجاتهم بسبب الخدمة العسكرية. وبمناسبة ذكرى اعتلاء السلطان محمد رشاد الخامس العرش، في ٢٧ نيسان/أبريل ١٩١٥، أمر جمال باشا بإحياء هذه المناسبة في حفلة ضخمة أقامها في المنزل العسكري ودعا إليها كبار الضباط العثمانيين والنمساويين الحلفاء، ورهطاً من وجهاء القدس. وتم استدعاء خمسين من مومسات القدس العاملات في دُور البغاء المحلية للترفيه عن الضباط، بينما دُعي إلى الحفلة أيضاً زوجات الوجهاء المحليين.

(1) «يوميات الترجمان»، «الحكومة تفرض ضريبة الجراد على أهل القدس»، الجمعة ٢٣ نيسان ١٩١٥، ص ٣٣ - ٣٤. (أنظر أدناه، ص ١٢٨ - ١٣٠).

(2) واصف جوهرية، «القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية، الكتاب الأول من مذكرات الموسيقي واصف جوهرية ١٩٠٤ - ١٩١٧»، تحرير وتقديم: سليم تماري وعصام نصّار (القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٣)، ص ٢٠١.

ويعبر إحسان عن استهجانه هذا الخلط «الفاضح» بين السيدات المحصنات وبغايا القدس، وخصوصاً أن المناسبة ترافقت مع استشهاد الآلاف من المقاتلين العرب والأتراك في جناق قلعة (غاليبولي). وفي هذه الأثناء يشاهد الكاتب انتشار الدعارة في شوارع البلدة القديمة.[١]

وللتدليل على تدني المستوى الأخلاقي في المدينة في هذه الفترة يستشهد الكاتب أيضاً بحادث ثلاثة أساتذة من المدرسة الحكومية في البقعة، ضُبطوا برفقة مومسات دعوهن إلى المدرسة خلال ساعات الدوام المدرسي. حينذاك اضطر قائمقام القدس إلى طرد المعلمين الثلاثة من وظائفهم، وضمنهم أستاذ العلوم الدينية الشيخ يعقوب الأزبكي. وتدخل رئيس البلدية السابق فيضي العلمي أفندي، وكان حينذاك ممثل القدس في البرلمان العثماني في الآستانة، فأعيدوا إلى مناصبهم في التعليم لقاء دفع غرامة عينية قيمتها ١٥٠ قرشاً. في إثر هذه الحادثة كتب الترجمان محتجاً: «أنا أعجب كيف يصوغ [يُسَوِّغ] للمعلم أن يفعل مثل هذه الأشياء؟ يجب على المعلم أن يكون قبل كل شيء أديباً محمود السيرة وفي الدرجة الثانية أن يكون عالماً له إلمام بتعليم وتربية الأولاد الصغار. أمّا نحن والحمد لله فمعلمونا [شخصيتهم] خالية من جميع هذه الخصال، فلا علم ولا أدب. نعم إن المعلم رجل ويجب أن يتلذذ ويقضي شهواته الحيوانية. ولكن يجب أن يضبط نفسه عن مثل هذه [الرغبات] الدنيا. وإذا لم يتمكن كان من الواجب عليهم [كذا] بأن لا يدخل المومسات إلى المكاتب [قاعات الدراسة] أمام الأولاد الصغار ويعلمونهم الرذائل قبل الفضائل. ومعلوم أن الإنسان ميال للشر والسفالات قبل الخير والترفعات عن الأشياء الدنيئة، فكيف بالأولاد الصغار؟»[٢] في تلك الفترة شوهد العديد من أرامل الجيش القاطنات في الأحياء الملاصقة لبيت الترجمان، وفي باب العمود، وهن يبعن أجسادهن في الطرق لقاء قروش زهيدة. وكان إحسان يشاهد هؤلاء النسوة يومياً في طريقه إلى الدوام قبالة باب الجديد. وفي إحدى الأمسيات، عندما كان مدعواً إلى العشاء في بيت السكاكيني بصحبة ابن خالته حسن شكري الخالدي، التقى مومساً تتسكع بالقرب من الهوسبيس النمساوي:

(١) «يوميات الترجمان»، «بغايا القدس يحتفلن بذكرى اعتلاء السلطان محمد رشاد الخامس العرش»، ٢٧ نيسان ١٩١٥، ص ٤٦ – ٤٧. (أنظر أدناه، ص ١٥٠).

(٢) المصدر نفسه، «المعلمون يدعون البغايا إلى قاعات الدراسة»، ١٢ مايس ١٩١٥، ص ٧٢ – ٧٣. (أنظر أدناه، ص ١٨٩ – ١٩١).

> قلت لحسن: «مسكينة هذه المرأة، فإنها تنتظر شقاءها». فأجاب «ماذا تقدر أن تعمل؟ فهي تريد أن تعيش. ستأخذ ربع مجيدي أو أكثر تصرفه على نفسها». مسكينة حالة المومسات، يبعن أعراضهن لقاء بعض دريهمات يأخذوهن من الفسقة الفجرة ويقضون معهن ويلتذون الملذة الحيوانية. نعم إن هؤلاء المسكينات لهن من أتعس خلق الله وأشقاهن. إني أعتقد بأن أكثر المومسات إن لم يكن كلهن لم يدخلوا [المهنة] إلاّ عن احتياج أو أنهن فرّطن بأعراضهن لأحد الرجال [الذين] كانوا يوعدوهن بالزواج. فبعد أن يفعلوا بهم ما يريدون يتركوهن وشأنهن.... والله إن سبب شقاء النساء وتعاستهن ليس إلاّ من الرجال فقط، ولا عتب من هذه الجهة على النساء.[١]

ويبدو هنا أن عطف الترجمان على مومسات القدس يعكس تعاطفاً مع أوضاع المرأة المسلمة بشكل عام. وكان اطلع في الفترة نفسها على دعوة قاسم أمين إلى تحرير النساء («تحرير المرأة»، القاهرة، ١٨٩٩)، واعتقد أن تخلف المجتمع العربي بشكل عام متعلق بعزله النساء فيه. وكان يدعو إلى نزع الحجاب عنها، رابطاً الدعوة إلى حقوق المرأة بالنضال الوطني ضد الهيمنة التركية لحزب الاتحاد والترقي.

المناسبة التي جعلته ينتبه لهذا الوضع كان الحظر الذي فرضته إدارة المعارف في فلسطين على العروض المسرحية في المدارس الحكومية التي تحيي البطولات العربية في التاريخ – وفي هذه الحالة منع عرض رواية مسرحية تشخِّص دور طارق بن زياد في غزو الأندلس. «عجيب والله أمر هذه الحكومة». «نحن نعتقد أن وجودنا تحت هذا النير التركي يضر بصوالحنا [بمصالحنا] فهل تقدر [هذه الدولة] أن تغير ذلك؟ لا أظنها تقدر إلاّ إذا عدلت وأظهرت ميل نحونا أو صارت تعاملنا كما تعامل الأتراك... فهي الآن اتخذت بلادنا كمستعمرة من مستعمراتها ونحن لسنا كذلك، بل إنما نحن شركائها في الملك.»[٢] ثم يضيف:

> تكلمت مع حلمي أفندي [الحسيني] عن المرأة المسلمة وعن إصلاحها وقلت له يجب الآن تعليمها وتربيتها ثم تركها [لتعتني بنفسها]. وقد قلت أيضاً بأن الحجاب هو المانع لترقيتها، ولكن يجب أن لا ينزع الآن بالمرة [فجأة] لأن ذلك مما يضرها... ثم قلت له كيف نرتقي نحن إذا كان نصفنا جاهلاً؟ كيف

(١) «يوميات الترجمان»، «لقاء مع مومسة»، ٢٩ نيسان ١٩١٥، ص ٥٠. (أنظر أدناه، ص ١٥٨ – ١٥٩). وكان المجيدي يساوي ٢٠ قرشاً عثمانياً.

(٢) المصدر نفسه. (أنظر أدناه، ص ١٥٤، ١٥٦ على التوالي).

نحيى إذا كان نصف أعضاءنا قد شُلّت ولم تعد [تصلح] لشيء؟[1]

يلاحظ القارئ أن الترجمان لم يكن يدعو إلى الانفصال في هذه المداخلة، وإنما إلى العودة إلى وضع من المساواة بين الأتراك والعرب كان سائداً قبل إنشاء الحكم العرفي. وفي ربيع سنة ١٩١٥ ساد في القدس، وفي سائر أنحاء الأقاليم الشامية، شعور باقتراب الكارثة. فقد أفرز تزامن ضحايا المعارك مع نكبات الطبيعة شعوراً عاماً بالشلل في أوساط المدنيين. «حياتنا مهددة بالأخطار من كل صوب. فحرب أوروبية وحرب عثمانية وغلاء معيشة وأزمة مالية وجراد منتشر في البلاد. وزد على ذلك انتشار الأمراض السارية في البلاد العثمانية وقانا الله منها.» ومع تراكم المصائب تبلور بين الأهالي إحساس باللامبالاة وكأنه آلية دفاعية لما سيأتي: «من عادتي إذا نزلت عليّ أقل بليّة لا يهدأ لي بال. أمّا الآن وقد أصابني وأصاب الجميع ما أصابنا لم [أعد] أكترث بشيء. إن ذلك لم يكن إلاّ على ما أظن لتراكم المصائب علينا. فكلما أتذكر واحدة وأفت: كر بالأُخرى تنسيني الثانية الأولى لأنها أعظم منها. وهكذا إلى أن يمر على خاطري جميع هذه البلايا حتى لم أعد أهتم بشيء.»[2]

وبعد مضي عام كامل على هذه الملاحظات تتدهور الحالة إلى الأسوأ:

> انقطاع الأغلال [الغلال]. لم ترى القدس أياماً أمر علينا وأصعب من هذه الأيام من جهة الأكل والشرب. انقطع الخبز والقمح بالمرة في هذه المدة، حتى إن البلدية كانت توزع الخبز على الأهالي والفقراء بعد الساعة التاسعة والعاشرة. وإني أذكر مرة أنني فيما كنت نازلاً من المنزل [العسكري] إلى البيت في الساعة الحادية عشرة رأيت النساء أتين من الأفران ولا أعلم إذا كن أخذن خبزاً أم لا. وقد وزعت البلدية عدة أيام خبزاً أسمر لم أر قط طول حياتي مثله. وقد كانت الأهالي تتصارع على أخذ مثل هذا الخبز وينتظرون حتى منتصف الليل.[3]

وبينما استحوذت شراسة الحرب على حياة الناس اليومية تنامى الشعور المعادي للأتراك، وتحول إلى نقمة ضد إجراءات جمال باشا بحق الوطنيين. فقد أدى تكثيف

(١) «يوميات الترجمان»، «الحجاب وإصلاح حال المرأة المسلمة»، ٢٨ نيسان ١٩١٥، ص ٤٨. (أنظر أدناه، ص ١٥٦).

(٢) المصدر نفسه، «المصائب تغزونا مرة واحدة: حرب وغلاء وجراد وأمراض سارية»، ٩ مايس ١٩١٥، ص ٦٨. (أنظر أدناه، ص ١٨٤).

(٣) المصدر نفسه، «انقطاع الغلال في القدس»، ١٠ تموز ١٩١٦، ص ١٨١. (أنظر أدناه، ص ٣١٩).

القتال في سيناء وعلى جبهة السويس إلى تجنيد من تبقى من رجال القدس، وإرسالهم إلى الجبهة، أو إلى «كتائب العملة» لإنجاز الأشغال العامة في الخطوط الخلفية. في أيلول/سبتمبر ١٩١٥ صدرت الأوامر عن قيادة الجيش الرابع بمنع تعيينات العساكر في مناطق سكنهم. وهو إجراء كان سيؤدي عملياً إلى نقل إحسان من عمله المكتبي في القدس إلى جبهة القتال في السويس. عندما وصل الأمر إلى قيادة المنزل العسكري ازدادت قناعاته ضد النظام:

> أذهب إلى الجول [الصحراء] ولماذا أذهب؟ أذهب لأدافع عن وطني. أنا لست عثمانياً إلاّ بالاسم فقط لأن وطني العالم.... والله لو خيرت وقيل لي لو ذهبت يا إحسان إلى هناك لأخذنا مصر. لو قيل لي هذا وتأكدت [من] ذلك وعلمت بأنني لا أتعب مطلقاً لما ذهبت.[1]

أمّا التعبير «لست عثمانياً إلاّ بالاسم» فلا بد من أنه تسلل إلى لغة الترجمان من أستاذه خليل السكاكيني، الذي استعمله في يومياته أكثر من مرة، «لست أدري علامَ الحكومة العثمانية تريد إبعادي من القدس»؟ كتب السكاكيني قبل إبعاده عن القدس. «أينما كنت فإني لست إلاّ إنساناً محضاً [....] أعد نفسي وطنياً أينما كنت وأشتغل في ترقية الوسط الذي أنا فيه، سواء كان أميركياً أو إنكليزياً أو عثمانياً [....] لا أشتغل إلاّ في خدمة العلم، والعلم لا وطن له.»[2] وفي مكان آخر يقول: «لست عربياً ولا إنكليزياً ولا فرنسياً ولا ألمانياً ولا تركياً، بل أنا فرد من أفراد هذه الإنسانية.»[3] وإحسان كما نعلم كان على اتصال مستمر بأستاذه، وكان يردد شعاراته، ويدافع عن موقفه المعادي للحرب.

إن «عصر البراءة» السابق للحرب يهيمن على طيف الأفكار المثالية التي حملها الترجمان من مواقفه الناقدة للقومية، والمساندة للنساء، والمتضامنة مع الفقراء. ومجملها يشع بإنسانية هلامية مبتورة عن أي التزام أيديولوجي تجاه الأفكار الاشتراكية أو القومية أو الدينية المنتشرة في زمنه. فقد كان متحرراً من إطار فكري ضابط. ربما بسبب طبيعة تربيته الانتقائية، أو في الغالب نتيجة انتصار إيمانه بمفاهيم إنسانية مجردة

(١) «يوميات الترجمان»، «لست عثمانياً إلاّ بالاسم لأن وطني العالم»، ١٠ أيلول ١٩١٥، ص ١٣٠. (أنظر أدناه، ص ٢٦٢ – ٢٦٤).

(٢) السكاكيني، الكتاب الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٦.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب الأول، ص ١٦.

تشوبها البراءة الساذجة، كما كان الحال مع اثنين من مفكري جيله: خليل السكاكيني وميخائيل نعيمة، فيلسوف الفريكة، وهو تيار فكري لم يكتب له أن يعيش طويلاً.

بعكس الوضع الذي نجم عن الحرب العظمى في أوروبا الوسطى والغربية، إذ مهدت فظائع تلك الحرب لنمو أجهزة الدولة الحديثة القامعة، ولظهور حركة تضامن أممية ممتزجة بإمكانات التحرر الاجتماعي الواعد. فقد فجرت الحرب رؤى مخالفة للتوقعات في المشرق العربي. ففي مقابل الحركات الاشتراكية الأممية ولّدت الحرب هنا تشكيلات قومية وحركات متعطشة إلى نيل الاستقلال الوطني. وفي مقابل التيار الداعي إلى الانعتاق الاجتماعي في أوروبا نرى في الشرق احتضان النخبة المثقفة العربية لمختلف مفاهيم الحداثة، وهو احتضان ساهمت آلية الحرب في تسريعه عن طريق تقويض العصبيات المحلية وخلق المجتمع الجماهيري - مجتمع الحداثة - وما يرافقه من مؤسسات: الصحافة الشعبية، والتعليم العمومي، ومفهوم المواطنة الحديثة، وهي كلها مؤسسات كانت المجتمعات الأوروبية دخلت فيها - بدرجات متفاوتة - في القرن السابق. إلاّ إن هذين التيارين: تجربة الانعتاق الاجتماعي، وبروز هوية قومية مستحدثة (سواء كانت عربية، شامية أو فلسطينية)، امتزجا معاً على المستوى المفاهيمي المجرد فقط. ففي وجدان العسكري إحسان وجيله - كما سنرى - ظهرا كأنهما تجربتين منفصلتين.

اكتشاف الذات

تمثلت حداثة الحرب في دخول إيقاعات جديدة وغير مألوفة على الحياة اليومية. تحدثنا فيما سبق عن هذه الإيقاعات في مفهوم جديد للزمن (تقسيم اليوم إلى ساعات محددة) وللجغرافيا (إعادة ترسيم موقع فلسطين والقدس في الحيز السلطاني)، وفي الحراك (الذي نتج من استخدام وسائل النقل الجديدة مثل سكة الحديد والسيارة)، وفي إدخال نمط جديد من انضباط العمل سواء على المستوى العسكري، وهو أمر لم يعتده الجنود في السابق، أو على المستوى الجماهيري الواسع. وأخيراً، في احتلال حيز الليل من خلال الإنارة الكهربائية، وتأمين الحراسة في الشوارع خارج أسوار المدينة.[1] دلالة هذا الاستحداث الأخير هو أنه أصبح في إمكان سكان

(1) Ami Ayalon, *Reading Palestine: Printing and Literacy, 1900-1948* (Austin, Tex.: University of Texas Press, 2004).

المدن أن يمارسوا أنماطاً اجتماعية وترفيهية بعد ساعات النهار المعهودة وتغيير مفهوم الزمان والمكان.[1] ومن تبعات هذا الإحساس الجديد بالحراك أن أنماط العمل والاختلاط الاجتماعي بدأت تتجاوز الحدود الضيقة للضيعة والمدينة. نرى أن الترجمان، مثلاً، عندما كان يرتب خططه للزواج عند اقتراب نهاية الحرب فكر في البحث عن شريكة لحياته من خارج القدس - وهو إمكان كان نادراً وغير مستساغ للجيل الذي سبقه.

أدخلت الحرب أيضاً الجرائد والمنشورات والكتب ذات التوزيع الجماهيري الواسع النطاق. في بداية الحرب كانت الصحيفة اليومية تقرأ من منبر عمومي في المقاهي العامة للزبائن الأميين، وللرواد الذين لم يملكوا ثمن الجريدة. طبعاً، كانت الصحف اليومية منتشرة بشكل محدود في مصر وفلسطين وسورية وجبل لبنان. لكن توزيعها ازداد ازدياداً ملحوظاً نتيجة تعطش الجمهور إلى معرفة أخبار جبهات القتال في العراق والسويس والدردنيل، حيث أُرسل أفراد من أقربائهم ومعارفهم للقتال. من مطالعات إحسان نتعرف على القصص الشعبية (والعديد منها مترجم عن روايات غرامية ذات أصول أوروبية)، وعلى الكتب التربوية التي كانت متوفرة للشباب والشابات في ذلك الحين. وقد انتشرت في أوساط الجنود تحديداً كتب، مثل «دليل اختيار الزوجة»، تحتوي إرشادات عن الحياة الجنسية والعاطفية والزوجية المتوقع التحضير لها. كما رأينا انتشار الدعارة بسبب الفقر المتزايد من ناحية، ونتيجة ابتعاد الأزواج (أو اختفائهم في ساحات القتال) عن زوجاتهم وعائلاتهم من ناحية أُخرى. وساهمت القيادة العسكرية العثمانية في هذه الظاهرة عن طريق إنشاء دور البغاء لخدمة حاجات الجنود (وخصوصاً الضباط)، الذين انقطعوا لأشهر وأعوام عن الحياة الاجتماعية العادية.

تعكس «يوميات الترجمان» اهتماماً محموماً بالعناية الجسدية يكاد يقارب الهوس. ولا شك في أن الأعوام التي أمضاها إحسان في المدرسة الدستورية ساهمت في تعزيز هذا الشغف الذي نلمسه من خلال التركيز على الرياضة البدنية والتدريب «العسكري» في المنهاج الدراسي. وفي روضة المعارف، التي أنشأها الشيخ محمد الصالح في القدس، أُدخلت أيضاً التمارين البدنية والتدريبات العسكرية

(1) يستفيض يانس هانسن، في دراسة له، في تحليل تبعات اكتشاف حيز الليل على الحياة الاجتماعية - أنظر:
Hanssen, op. cit., pp. 189-195.

للطلاب من الصفوف الأولى.[١]

وكان معلمه خليل أفندي مشهوراً بنظامه الجسدي الصارم. فقد كان يبدأ نهاره بالاستحمام بالمياه الباردة – شتاءً وصيفاً – وبالتمارين السويدية، التي حاول إحسان التزامها. وكانت المصارعة الحرة من هوايات السكاكيني المعروفة، والتي كثيراً ما كان يفرضها على زملائه وطلابه ومدرسيه. وكان إحسان يعاني حالات متوسطة من الهوس المرضي – المعروفة بالهايبوكوندريا. وكثيراً ما نجده يفحص جسمه يومياً بحثاً عن دلائل المرض في أطرافه. وكان هاجسه المستمر الإصابة بأحد الأمراض المنتشرة في فلسطين خلال الحرب: الملاريا والكوليرا والتيفوس. ولا شك في أن هذا الهاجس كان مبرراً، فقد مات العديد من معارفه ورفاقه نتيجة الإصابة بأحد هذه الأوبئة.

تميزت القدس من جميع العواصم الإقليمية العثمانية بتوفر مرافق صحية متطورة، وذلك بسبب وجود مستوصفات ومستشفيات حكومية وإرسالية وفرت للفلسطينيين خيارات صحية متعددة.[٢] وكان إحسان على اتصال دائم بطبيبين من أقربائه هما: حسن شكري الخالدي وحسين فخري الخالدي – ابنا خالته – وكانا قد تخرجا حديثاً من الكلية الطبية في بيروت والتحقا بالطاقم الطبي للجيش العثماني في القدس. وكانت علاقته قوية بجاره الأغزخاني (الصيدلي) رستم أفندي أبو غزالة، الذي قام بدور في محنته الأخيرة التي أدت إلى مقتله سنة ١٩١٧، وفي زياراته العديدة لعيادة الدكتور توفيق كنعان – الباحث المعروف ومدير المستشفى العسكري في القدس – الذي كان طبيب العائلة. وقد اعتمد إحسان على كنعان في الحصول على إجازات صحية سمحت له بالهرب من الدوام العسكري بين الفينة والأُخرى. وعندما اكتشف إحسان التهاباً في خصيته في أحد الأيام انتابه الذعر، وخصوصاً بعد أن عاينه الدكتور حسن، وأخبره أنه يعاني «الداء الافرنجي»، نجده يحتج على هذا التشخيص للداء مستعملاً التعبير المنسوب إلى مريم العذراء عندما أخبرها ملاك الرب أنها حامل: «كيف أُصاب وأنا لم يمسسني بشر!!» وهنا يلمّح الدكتور حسن الخالدي إلى أنه ربما حصل عليه «من معاشرة الجنود»، الأمر الذي يدفع إحسان إلى التهديد بالانتحار. وكان هاجسه حينها أن يصاب بمرض يمنعه من الزواج من محبوبته ثريا. في النهاية

(١) العودات، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٢ – ٣٤٣.

(٢) كامل جميل العسلي، «مقدمة في تاريخ الطب في مدينة القدس» (عمّان: الجامعة الأردنية، ١٩٩٤).



إحسان (إلى اليمين) مع صديق غير معرف.
المصدر: مجموعة صالح الترجمان.

اختفى الالتهاب بعد العلاج وعاد إحسان إلى رشده.

يبدو من الملاحظات المعاصرة أن الممارسات المثلية كانت منتشرة في حامية القدس العسكرية، كما هو الوضع في تجمعات الجيوش بشكل عام. لكن عندما بدأ أحد الضباط الأرناؤوط (الألبان) بمغازلة إحسان، ثم ملاحقته بلا هوادة، وجد نفسه في مأزق عويص. كان الأرناؤوطي يكتب له رسائل غرامية يعبر فيها عن رغبته في اللعب بشعره «وتقبيله بين عينيه». وعندما صد إحسان الضابط بجفاء، تحول الأخير إلى أسلوب التهديد، وأخذ يضطهده في ساعات الدوام وبعد العمل في بيته. ثم اعتاد هذا الأخير أن يأتي إليه ليلاً ويهدده بالقتل. أخيراً عندما ضاقت الدنيا بإحسان لجأ إلى الشكوى لقائده الأعلى، علي روشن بيك – وكان ألبانياً أيضاً مثل الضابط – على الرغم من خوفه من انتقام خصمه هذا.

في هذا المنعطف الدرامي تتوقف اليوميات فجأة. ويلقي الحادث ظلاً قاتماً على ظروف اختفاء الترجمان، وخصوصاً في ضوء الرواية المتداولة في أوساط العائلة والتي تقول إن ضابطاً عثمانياً اغتال إحسان قبيل انسحاب الجيش ودخول قوات الجنرال أللنبي القدس في ٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧.

يحتل البحث عن الحب جزءاً كبيراً من «يوميات الترجمان». وتجربته هنا لا تختلف في جوهرها عن معاناة أي شاب عربي في مطلع القرن الماضي. وكما هو الحال في «يوميات الفصيح»، على الرغم من انشغال هذا الأخير بتدهور الوضع العسكري على جبهة القتال، نرى التعطش إلى بدء حياة طبيعية مع زوجة وأبناء يشاركونه حياته، وخصوصاً في ضوء ظهور النساء في حيز العمل والميادين العامة، ولو بشكل محدود. وسمح انتشار التعليم والكتابة لرجال ونساء الطبقات الوسطى في المدن بأن يتبادلوا الرسائل، ثم بالالتقاء علناً، بمباركة عائلاتهم. ونستشف من الرسائل الغرامية المتبادلة في العقدين الأولين من القرن العشرين أن تطلعات الشباب إلى الحب

قد تأثرت بقراءة الروايات الرومانسية الأوروبية المنتشرة حينذاك.[1] كما ساهم المصورون المحليون، من أمثال الصوابيني وخليل رعد وكارابديان، في توفير صور البورتريه النصفية، التي اعتاد الأصدقاء والعشاق أن يتبادلوها بمناسبة الأعياد وعند السفر. وهكذا أصبحت الصور الشمسية عربوناً للصداقة، ورمزاً لتذكُّر المحبوب في فترات الغياب الطويلة. وغالباً ما نرى الجندي وقد لبس أحسن ما عنده (وقد تكون البزة مستأجرة)، أو لبس اللباس العسكري الرسمي وتنكب البندقية من جهة، وسيفاً مرصعاً من جهة أُخرى.[2]

بعكس كتابات الحب التي وصلتنا في رسائل معاصرة بأقلام مثقفي الطبقة الوسطى في ذلك الحين، من أمثال السكاكيني والصيداوي وجبران، كانت تجربة الحب عند الترجمان مكتومة ومحاصرة، لأن معشوقته، ثريا، كانت بعيدة المنال. ولم تكن عائلتها على استعداد للتجاوب معه – على الرغم من شعورها نحوه – لأن مهنته كجندي عادي لم تؤذن بمستقبل واعد أو دخل محترم. ومما عقد الأمور أنها كانت متحجبة معظم الأوقات، ولم يكن في استطاعته أن يسترق النظر إليها إلاّ في لحظات نادرة عندما كانت تدخل حوش منزلها حيث كان يختبئ مترصداً قدومها. استطاع أخيراً أن يترك لها صورته مع أخيها، على أمل أن تبادله بصورتها. وما زاد في إحباطه كان ظهور أحد منافسيه في طلب ودها، وهو شاب أكبر منه وأوفر حظاً في الدخل والمقام – يشير إليه الكاتب بالأحرف الأولى من اسمه أ. ب. ويبدو من السياق أن حرفي أ. ب. قد يكونان إشارة مخفية إلى اسم عادل جبر الذي كان أستاذاً في المدرسة الصلاحية وصديقاً مقرباً من السكاكيني، وعضواً بارزاً في مجموعة «حزب الصعاليك». من حسن طالع الترجمان أن ثريا وأمها لم تتجاوبا مع مبادرة أ. ب. لكسب ودها. لكن الخطر بقي قائماً لأن الأب كان يتحدث عن إمكان زفافها إلى خُطّاب آخرين. وفي جميع الأحوال، يبدو أن هجوم الترجمان الشرس على توجهات عادل جبر المؤيدة للسياسات العثمانية كان غطاء لنفوره الشخصي منه، ولغيرته من تودده إلى ثريا.

(١) لم أجد إلاّ ثلاث مجموعات من الرسائل الغرامية المتبادلة بين معاصري هذه الفترة في فلسطين: رسائل خليل السكاكيني وسلطانة عبده (١٩٠٧ – ١٩٠٨)؛ رسائل موسى العلمي وخطيبته الحلبية ابنة الجابري؛ رسائل ألفونس ألونزو إلى خطيبته في القدس عفيفة الصيداوي (١٩١٠ – ١٩١٢).

(٢) راجع: عصام نصّار، «لقطات مغايرة: التصوير المحلي المبكر في فلسطين ١٨٥٠ – ١٩٤٨» (بيروت: مؤسسة عبد المحسن القطان، ٢٠٠٥).

أصبح حب إحسان لثريا، وفشله في الحصول عليها، رمزاً لبحثه الدؤوب عن حياة طبيعية. وقد حرمته الحرب وحياته في الجندية هذا المبتغى. ونرى في أحلام اليقظة التي كان يعيشها يومياً مادة خصبة للهروب من الخدمة العسكرية، وللانتقال إلى دعة الطبيعة الريفية، حيث كان يتخيل نفسه وقد أصبح مزارعاً، واستقر في بيت السعادة مع ثريا. نرى هذا المشهد مكرراً أيضاً في تخيلات محمد الفصيح على الرغم من انضباطه العسكري – أو ربما بسبب هذا الانضباط – إذ كان ينتابه غالباً رغبات دفينة في الانتقال المفاجئ من ميدان المعركة إلى هدوء الحياة الزوجية. وفي حالته كان الحلم بالوصول إلى حياة عائلية مستقرة أكثر إلحاحاً، في ضوء الحياة المزرية والموت المتوقع الذي كان يواجهه يومياً في خنادق جناق قلعة: «اليوم انتابتني أحلام اليقظة، وتخيلت نفسي سعيداً في وسط أسرتي محاطاً بالأطفال. يا ترى هل سأعيش لأرى هذا اليوم؟» (٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٥). «يا إلهي! هل سيأتي اليوم الذي أنجب فيه طفلاً، ويناديني يا أبي؟» (٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر). «هل سأحيا لأرى حبيبتي؟ يا رب خالق السموات والأرض وكل المخلوقات التي تسكنها، حقق لي هذا الرجاء. إن حياتي الطافحة بالأسى ستبقى مجرد حسرة وتمنيات» (٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٥).[1]

بالمقارنة، تظهر نهاية الحرب في مخيلة الترجمان، الذي أمضى كل أعوام شبابه في الحرب، كَبَرّ الأمان الذي لا يمكن أن يوجد إلاّ في بلاد أُخرى. وهي في الغالب تأخذ شكل بيت زوجي سعيد في الريف السويسري، على الرغم من أن الكاتب لم يغادر فلسطين في حياته قط. ولا شك في أنه كان يستعير هذا التصور – كما هو الحال في تعابيره في الحب – من قراءاته الرومانسية. نراه أيضاً في مناجاته ثريا، وهي المنعزلة عنه في بيتها، والمحرم عليه أن يراها، وهو يعمم وضعها على وضع المرأة العربية والمسلمة بشكل عام. وقد أصبحت حقبة ما بعد الحرب مرتبطة في ذهنه بقضية تحرير المرأة. والتحرير عنده كان يعني انعتاق المرأة من عزلتها المنزلية.

أصبح السعي إلى حياة طبيعية الهاجس الملح للأغلبية العظمى من الشباب – عساكر ومدنيين – ممن خاضوا أهوال الحرب العظمى. وارتبطت نهاية الحرب في أذهانهم بتحقيق سحري للحريات المفقودة الواعدة، ولعالم السكينة الذي افتقدوه في زمن الحرب. كما بدت نهاية الحقبة العثمانية الآن كأنها بداية نظام جديد عقلاني،

(١) «يوميات الفصيح»، ص ١١٠، ١٢٣، ١٦٢ – ١٦٣.

على الرغم من هلامية هذا النظام في الجدل السياسي السائد حينذاك: الوطن السوري، أم الاتحاد المصري - الفلسطيني، أم نهضة جديدة للأمة العربية؟ وبعكس العديد من معاصريه ورفاقه، فقد عبّر الترجمان عن آماله هذه برغبة سلبية: الهزيمة النكراء لجيشه، والانحلال السريع لـ «دولته» السلطانية.

خلاصة

عالجتُ في هذه الدراسة تأثير الحرب العظمى من خلال مستويين: مستوى بلورة الهوية الوطنية القومية، ومستوى استبطان تجربة الحداثة في أحاسيس الناس. يظهر هذان المستويان للوعي، بعد مضي قرن من الزمن، كأنهما خطاب واحد متكامل، على الرغم من كونهما تجربتين منفصلتين في وجدان الناس الذين عاشوا أهوال الحرب العظمى. فأحاسيس الحداثة التي شملت ظهور الفردانية، والحب الرومانسي، وزيادة فرص الحراك المهني، والحياة المستقلة عن العائلة (وإن كانت حياة تعتمد على حيز العائلة)، كلها تحولات خاضها الناس كتجارب لم ترتبط في أذهانهم، بالضرورة، بتبلور وعي قومي جديد في فلسطين، مع أن الظاهرتين تزامنتا. ذلك بأنه على الرغم من ارتباط هذين الحدثين معاً - بمعنى أن التغيير الأول أوجد الإطار الهيكلي لحدوث الثاني - فالواقع أنهما كانا منفصلين كتجربة حياتية. فقد كان ظهور الفردانية المستقلة عن إطار العائلة والقوم تجربة حادة وواضحة المعالم، اتخذت شكل التمرد الإبداعي والاستقلال الفردي، في حين كان التعبير عن الهوية الوطنية كانتماء متعد على الارتباطات المحلية - بعكس المتوقع - هلامياً ومجرداً.

تتميز أهمية «يوميات الترجمان» (كما هو الوضع مع «يوميات الفصيح» وغيرها من يوميات المقاتلين) ببعدين: أولاً أن مؤلفيهما كانا جنديين عاديين وغير مساءلين تجاه السلطة من خلال آرائهما أو أعمالهما، إلاّ بالمعنى الأخلاقي الضيق. وثانياً أن كتاباتهما دُوِّنت لحظة وقوع الحدث، وبذلك سمحت لنا بأن نستمع إلى خطاب ذلك الزمان بلغته، وأن نعيش التجربة كما تجلت للكتابة آنياً. فهي بالنهاية أفكار وأحاسيس لا تشوبها الرقابة الذاتية، ولا تخضع لعملية إعادة صوغ في ضوء التجربة الاسترجاعية.

تلقي يوميات الحرب أضواء جديدة على التغيرات التي اجتاحت الحياة اليومية في مدن المشرق العربي في نهاية الحقبة العثمانية. نرى ذلك في وصف محمد



جندي عثماني مجهول الهوية قتل في معركة الشيخ جرّاح، كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧.
المصدر: المجموعة الجوهرية، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

على الرغم من هلامية هذا النظام في الجدل السياسي السائد حينذاك: الوطن السوري، أم الاتحاد المصري - الفلسطيني، أم نهضة جديدة للأمة العربية؟ وبعكس العديد من معاصريه ورفاقه، فقد عبّر الترجمان عن آماله هذه برغبة سلبية: الهزيمة النكراء لجيشه، والانحلال السريع لـ «دولته» السلطانية.

خلاصة

عالجتُ في هذه الدراسة تأثير الحرب العظمى من خلال مستويين: مستوى بلورة الهوية الوطنية القومية، ومستوى استبطان تجربة الحداثة في أحاسيس الناس. يظهر هذان المستويان للوعي، بعد مضي قرن من الزمن، كأنهما خطاب واحد متكامل، على الرغم من كونهما تجربتين منفصلتين في وجدان الناس الذين عاشوا أهوال الحرب العظمى. فأحاسيس الحداثة التي شملت ظهور الفردانية، والحب الرومانسي، وزيادة فرص الحراك المهني، والحياة المستقلة عن العائلة (وإن كانت حياة تعتمد على حيز العائلة)، كلها تحولات خاضها الناس كتجارب لم ترتبط في أذهانهم، بالضرورة، بتبلور وعي قومي جديد في فلسطين، مع أن الظاهرتين تزامنتا. ذلك بأنه على الرغم من ارتباط هذين الحدثين معاً - بمعنى أن التغيير الأول أوجد الإطار الهيكلي لحدوث الثاني - فالواقع أنهما كانا منفصلين كتجربة حياتية. فقد كان ظهور الفردانية المستقلة عن إطار العائلة والقوم تجربة حادة وواضحة المعالم، اتخذت شكل التمرد الإبداعي والاستقلال الفردي، في حين كان التعبير عن الهوية الوطنية كانتماء متعد على الارتباطات المحلية - بعكس المتوقع - هلامياً ومجرداً.

تتميز أهمية «يوميات الترجمان» (كما هو الوضع مع «يوميات الفصيح» وغيرها من يوميات المقاتلين) ببعدين: أولاً أن مؤلفيهما كانا جنديين عاديين وغير مساءلين تجاه السلطة من خلال آرائهما أو أعمالهما، إلاّ بالمعنى الأخلاقي الضيق. وثانياً أن كتاباتهما دُوِّنت لحظة وقوع الحدث، وبذلك سمحت لنا بأن نستمع إلى خطاب ذلك الزمان بلغته، وأن نعيش التجربة كما تجلت للكتابة آنياً. فهي بالنهاية أفكار وأحاسيس لا تشوبها الرقابة الذاتية، ولا تخضع لعملية إعادة صوغ في ضوء التجربة الاسترجاعية.

تلقي يوميات الحرب أضواء جديدة على التغيرات التي اجتاحت الحياة اليومية في مدن المشرق العربي في نهاية الحقبة العثمانية. نرى ذلك في وصف محمد



جندي عثماني مجهول الهوية قتل في معركة الشيخ جراح، كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧.
المصدر: المجموعة الجوهرية، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

الفصيح لوقائع القتال اليومية على جبهة غاليبولي، وفي وقائع الحياة اليومية لإحسان الترجمان في القيادة العسكرية العثمانية في القدس، على الرغم من الاختلاف الجذري في رؤية الكاتبين، وتجربة كل منهما المتباينة عن الأُخرى في الحرب. فهذه اليوميات تعكس، تحديداً، تمايز التركيب الإثني، والتغيير في الوعي والانتماء الوطني، في أوساط جنود الجيش العثماني وضباطه.

قاتَلَتْ، وقُتِلَتْ، أعداد كبيرة من العرب في الجانب العثماني، تجاوزت بعدة مرات أعداد أولئك الذين قاتلوا في صفوف الثورة العربية المناهضة للأتراك، وذلك على الرغم من اختلاف درجات انتماء هؤلاء الجنود وتماثلهم مع أهداف الجيش السلطاني كما نرى بوضوح في «يوميات الفصيح» و«يوميات الترجمان».

إلاّ إن الحرب والدمار الذي خلفته المعارك أفرزا أوضاعاً جديدة أدت إلى إحداث انفصام في أشكال الانتماءات الإثنية والقومية. وخلافاً للإجماع الشائع فيما يتعلق بتأريخ تلك الفترة، فإن الجدل الذي نستشفه من هذه اليوميات بشأن مستقبل فلسطين وسورية يظهر تبايناً واضحاً بين التيارات الفكرية في المدن الرئيسية.

ويبدو أن محاولات جمال باشا لبلورة وتشجيع التيار الإسلامي العثماني في أوساط المثقفين الشاميين – من خلال منهاج المدرسة الصلاحية ومشاريع تربوية مماثلة – كان لها مريدون وأتباع. ومن الممكن القول إن انتصار التيار العروبي الانفصالي لم يكن، بالدرجة الأولى، ناتجاً من التحريض السياسي لمناصري هذا الاتجاه بقدر ما كان يشكل ردة فعل مناهضة لقمع المثقفين الوطنيين وجمعياتهم وأحزابهم، والامتعاض الشعبي الواسع من أساليب السلطة في ضرب هذه الجمعيات.

كذلك أدى فشل الحملة العسكرية العثمانية لاحتلال مصر في معارك السويس وبئر السبع دوراً مهماً في إيجاد مناخ لفكرة «الخيانة العربية» في أذهان القيادة العثمانية، الأمر الذي مهد الطريق للتحالف الحجازي – البريطاني ضد القوات العثمانية. وتلقي مذكرات فالح رفقي بيك – سكرتير جمال باشا الخاص – إضاءة مهمة على هذه الرؤية من الجانب التركي.

على الرغم من هذا التحول في العلاقات التركية – العربية، فإننا لا نرى إجماعاً معادياً للفكرة العثمانية في أوساط النخب السورية – الفلسطينية المثقفة. ومع أن الجماهير العربية كانت متعطشة إلى الخلاص من الحرب ومجيء حقبة سلام، لاستعادة حياتها الطبيعية، إلاّ إن التيار الداعي إلى الانفصال السوري كان واحداً من عدة تيارات سياسية، اشتملت على تلك التي كانت تدعو إلى الوحدة مع مصر، وطبعاً

على تلك التيارات التي رأت مستقبل فلسطين في حكومة عثمانية لامركزية تنال الأقاليم العربية فيها الحرية والإدارة الذاتية. واللافت للنظر أن أنصار هذا التيار العثماني بقوا على ولائهم خلال الحرب والأعوام التي تلتها.

فوق كل شيء، شكلت الحرب العظمى انفصالاً واضح المعالم عن الحقب السابقة. وعبّر عن هذا الانفصال ضابط عربي من قرية عنبتا بعد انتهاء الحرب بعدة عقود. فقد خدم الأومباشي محمد علي عوض على جبهتي السويس وجناق قلعة (غاليبولي) قبل أن يعود إلى مسقط رأسه في فلسطين: «قاتلت في جبهة الدردنيل ضد جيوش الإنكليز من أجل وطن عثماني لم يعد له وجود – ومع ذلك بقيت أحيا على نفس الأرض.»[1]

تقودنا يوميات الحرب التي ناقشناها هنا إلى «بلد آخر» لا نكاد نستطيع التعرف على ملامحه في حاضرنا بعد مرور قرن من الزمن وأربع حروب عليه. ففي هذه البلاد العثمانية لم يكن هناك وجود فعلي للمشروع الصهيوني، وكانت العلاقات الاجتماعية والتحالفات معرّفة بحدود البلدة أو المدينة أو الناحية التي ينتمي المرء إليها. أمّا الحدود الجديدة فقد انطبعت في ذهن المواطنين بمواقع القتال العسكرية في الدردنيل (غرباً)، وكوت العمارة (شرقاً)، والسويس وصحراء التيه (جنوباً).[2] إلاّ إن فظاعة الحرب جعلت المواطن يتساءل عن المسلمات الأساسية في استيعابه مفاهيم مثل العائلة والعمل والأمة. وقد اتخذ هذا الانفصام عدة سمات.

من جهة، حُسمت الخيارات السياسية المتعددة خلال الحرب بمجيء السلطات الانتدابية إلى سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن. كما حُسمت التوقعات الشعبية بشأن التحالفات المتوقعة بين سورية (أو فلسطين) ومصر بترسيم حدود جغرافية فاصلة بين المحميات الانتدابية. ولم تعد المدينة البوتقة الأساسية لتحديد مفهوم المواطنة، وإنما أصبحت قاعدة الانطلاق التي تربط شبكة من الأقاليم والمدن في إطار وطن جديد مبتور عن انتماءاته الشامية. وبدلاً من الحراك الذي أنتجته الحرب، من خلال التعبئة العسكرية والتهجير العنصري للمدنيين، نشأ حراك آخر طوعي، يرتكز على التجارة والمهنة والبحث عن فرص العمل المأجور. وفجأة أصبح حلم إحسان الخيالي في إيجاد شريكة لحياته خارج حدود مدينته إمكاناً وارداً، بل واقعاً جديداً.

(1) مراسلة مع سمير عوض، حفيد الأومباشي محمد (رام الله، ١٦/٧/٢٠٠٦).
(2) صحراء التيه: سيناء. (أنظر الخريطة أعلاه، ص ٣٤).

أمّا بالنسبة إلى التحولات في الوعي، فنستطيع الجزم أن ما من حرب خاضتها فلسطين كان لها هذا الأثر الجذري في حياة الأمة. حتى حرب النكبة، سنة ١٩٤٨، التي أدت إلى تدمير بنية المجتمع وتشريد أهالي الساحل من مدنهم وقراهم وولادة أجيال من أبناء المهجرين، لم تؤد إلى مثل هذا الانقطاع والانفصال عن الماضي القريب.

أيام مثيرة في حياة العسكري إحسان الترجمان القصيرة

يوميات جندي عثماني
١٩١٥ – ١٩١٦

تقديم

كتب إحسان الترجمان يومياته ابتداء بيوم الأحد الواقع فيه ٢٨ آذار/مارس ١٩١٥ وتوقف عن الكتابة فجأة - لأسباب سيأتي ذكرها - في آب/أغسطس ١٩١٦. دوّنها على ورق أبيض بريشة مغموسة في الحبر الأسود السائل. والخط يتراوح بين الأناقة والرداءة، وأحياناً يقارب الإبهام بسبب سرعة التدوين. أمّا اللغة فلغة حديثة متعلمة، متأثرة بأسلوب السكاكيني في المدرسة الدستورية حيث درس الكاتب، تنزع نحو الركاكة والبساطة في التعبير، ومملوءة بالمفردات التركية العثمانية والفرنسية والإنكليزية. ويتضح في ضوء الأخطاء اللغوية الموجودة، والتكرار الذي تحتويه المذكرات، أن الكاتب لم يعمد إلى تحريرها أو تبييضها، وإنما قام أحياناً بشطب بعض الجمل والأسماء التي أراد أن يخفيها عن القارئ. وقد حافظتُ على لغة الكاتب كما هي باستثناء إزالة الجمل المكررة، وتقطيع الفقرات، ووضع الفواصل والنقاط لتسهيل القراءة. كما لجأت - حيث تطلب الأمر - إلى التهميز والتنوين وتوحيد الأسماء ليأتي الكتاب متماسكاً، وأدخلت الحواشي لتفسير مضمون الإشارات المعاصرة للحدث والشخصيات الوارد ذكرها، ووضعت جميع عناوين الفقرات باستثناء تلك التي كانت موجودة في الأصل حيث تمت الإشارة إلى ذلك.

سليم تماري



إحسان الترجمان في اللباس العسكري العثماني، القدس ١٩١٥.

المصدر: مجموعة صالح الترجمان.

ماذا سيكون مصير فلسطين بعد الحرب؟

الأحد ٢٨ آذار ١٩١٥ [غربي]. ١٥ مارت(١) ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١١ جمادى الأولى ١٣٣٣ [هجري]

[١](٢) كنت قبل سنتين أكتب مذكراتي اليومية ولكنني ما لبثت أن أهملت وصرت أكتب يوماً وأترك أياماً وأسابيعاً وأشهراً إلى أن انقطعت عن كتابة يومياتي. وفي هذا المساء ذهبت إلى بيت خليل أفندي السكاكيني(٣) بصحبة حسن الخالدي(٤) وعمر الصالح [البرغوثي].(٥) وقرأ لنا خليل أفندي شيئاً من مفكراته ما سرّني وشوقني إلى كتابة مفكراتي اليومية. وأنا إن لم أكتب كل يوم فسأكتب أهم ما يخطر في مفكراتي ويجري لي من الأشياء. والتي إذا كتبت وعدت وقرأتها في المستقبل تكون خير مسل لي.

كان مدار حديثنا عن هذه الحرب المشؤومة وعن انتهاء مدتها وعن مصير هذه الدولة وقد كانت كل أفكارنا من هذه الجهة متفقة. حياة هذه الدولة قصيرة لا شك. وسيفضي أمرها إلى الانحلال إمّا عاجلاً أو آجلاً لأن تقسيمها أصبح ظاهراً كالشمس. ولكن ماذا سيكون نصيب فلسطين يا ترى؟ الجواب هيّن على هذا السؤال. إمّا الاستقلال وإمّا الالتحاق بمصر. والأمر الأخير أقرب إلينا من الاستقلال لأسباب كونها أنه لا تقدم دولة غير الإنكليز [إنكلترا] على أخذ هذه البلاد. وإنكلترا لا تقدم على إعطاء فلسطين استقلالاً تاماً وجعلها حكومة مستقلة بل إن ما ستعمله هو ضمها إلى

(١) مارت: آذار/مارس.

(٢) يشير الرقم داخل القوسين المركنين إلى رقم الصفحة في المخطوطة.

(٣) مدير المدرسة الدستورية وأستاذ الكاتب.

(٤) ابن خالة الكاتب وابن الحاج راغب الخالدي. ولد سنة ١٨٩٣ في القدس. درس في السان جورج في القدس، ثم في الجامعة الأميركية في بيروت حيث نال شهادة الطب سنة ١٩١٥. التحق طبيباً بالجيش العثماني سنة ١٩١٦، واشترك في معارك جناق قلعة (غاليبولي) حيث أصيب في رجله. في سنة ١٩٢٠ أصبح مسؤولاً عن المستشفى الوطني في نابلس ثم في مستشفى الحكومة في يافا - أنظر: أحمد خليل العقاد، «من هو؟ رجالات فلسطين، ١٩٤٥ - ١٩٤٦»، ص ٤٠ - ٤١.

(٥) من وجهاء دير غسانة ومحام. جند في الجيش العثماني وخدم في بئر السبع. تبوأ عدة مناصب سياسية.

مصر وجعلها حكومة واحدة تحت حكم خديوي مصر لأن مصر جارة فلسطين وعدد سكان فلسطين أكثرهم من المسلمين العرب فضمها إليها وجعل خليفة مصر ملكاً عليها وعلى الحجاز أقرب للقصد.

الإشاعات كثيرة اليوم، منها ضرب الأسطول الإنكليزي حيفا، واجتياز بعض قطع إنكليزية مضيق الدردنيل ووصولهم إلى مرمرة. وهذا الخبر الأخير إذا لم يصح اليوم فسيصح قريباً لأن ضرب الدردنيل أصبح متتالياً ولا يستطيع الوقوف [....][1] من ذلك أمام الأسطول. سقطت بلدة [....][2] في النمسا وهي لا شك ستغير خطة هذه الحرب وتأتينا بالفرج القريب.

(١) كلمة غير مقروءة.
(٢) كلمات غير مقروءة.

وظيفتي في قيادة الأركان مع علي روشن بيك[1]

الاثنين ٢٩ آذار ١٩١٥ [غربي]. ١٦ مارت ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٢ جمادى الأولى ١٣٣٣ [هجري]

القائد علي روش بيك، القدس ١٩١٦. لوحة زيتية من صورة فوتوغرافية.
المصدر: المجموعة الجوهرية، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

[٢] يسألني البعض أين أنت اليوم وماذا تشتغل؟ هذا سؤال يتكرر عليّ كل يوم عدة مرات. أجيبهم عن السؤال الأول في المنزل[2] [العسكري] عند روشن بيك. وعن الثاني أتحير ماذا أقول لأني أنا نفسي لا أعلم ما هو شغلي. إذا قلت كاتباً أكون قد كذبت لأني لا أكتب شيئاً. وإن قلت بوسطة وساعياً فأكون قد كذبت أيضاً. ولكني أعيد وأقول بأنني كاتب لأني أُخذت من المحل الذي كنت فيه سابقاً لأكتب. ولمّا رأى ضابطي بأن خطي لا يصلح لأن يُكتب بالدفاتر والأوراق الرسمية اختار لي القعود على الكرسي أمام الطاولة ويكلفني في بعض الأوقات الأخذ ببعض الأوراق وتختيمها وتدويرها[3] في الدوائر. وأحياناً يشغلني لأن أشتري بعض اللوازم من السوق، ويكلفني لأشتغل بعض الأشياء الخصوصية. [....][4] في الشهر مرة

(١) مدير منزل القيادة العثمانية، وصاحب أعلى رتبة عسكرية في منطقة القدس.
(٢) المنزل العسكري لمنطقة متصرفية القدس. وهو المقر الإداري للجيش العثماني الرابع، المسؤول عن التعبئة والإنشاءات ومتابعة ملفات وإضبارات الجنود، بما فيها سجلات النقل والإعفاءات. وهو يقع في مبنى النوتردام قبالة باب الجديد، الذي كان يعرف في تلك الفترة بباب السلطان عبد الحميد، خارج أسوار المدينة.
(٣) توزيعها.
(٤) كلمة ناقصة.

أكتب له أشياء قليلة وهذا ما ندر. هذا شغلي في الليل والنهار قاعد لا عمل لي إلاّ اللعب في شواربي وإيدي ووجهي. كم هم مثلي في هذه الدولة العثمانية. أناس لا شغل لهم إلاّ أن يشغلوا كرسياً وطاولة وفي آخر الشهر يتقاضون راتبهم الشهري. فدولة هذه حالتها بشِّرها بزوال قريب فقد تعلمتُ الكسل فوق كسلي.

كانت اليوم الإشاعات ضرب غزة من طرف الأسطول الإنكليزي، وضرب قرية أُخرى بين يافا وغزة.[1]

(١) منعت الرقابة العسكرية العثمانية نشر تفصيلات التحركات العسكرية، كما شُددت الرقابة على تلغرافات وكالات الأنباء، الأمر الذي أدى إلى انتشار الشائعات عن سير المعارك.

العساكر تسرق الحطب
من أرضنا في كرم الأعرج

لنا أرض تسمى «كرم الأعرج» ولا أعلم لماذا سميت هكذا. وأرض أُخرى أصغر. والاثنتين مغروس بها أشجار زيتون وفيها آبار للماء. يباع البئر الكبير منها في كل عام لا أقل من ٢٠ ليرة افرنسية وفي العام الماضي دُفع لوالدي ثمن لم يقبل به لأنه ظن بأنه سيبيعه بأكثر. ثم صارت الأهالي تتوارد عليه وتأخذ ماءه وتبيعه إلى أن نفذ[1] ولم نبعه ببارة.[2] وفي هذا العام نزلت إلى أرضنا العساكر وصارت تكسر أشجار الزيتون وتبيعها كأنها شيء من مخلفات السلطان أو الدولة. ولو كانت كذلك لما قدر أحد أن يأخذ شيئاً منها بل احتفظوا بها.[3]

[٣] ولم تكتف العساكر بأن تقطع أغصان الأشجار وتستعملها لتلبس عليها وتتقيّس [كذا] بها بل صارت تتاجر بها وتبيع الحطب إلى الفرّانة. إلى من تشتكي؟ فإذا قلنا للضباط يقولون لا نقدر أن نضبط العساكر. وإذا قلنا لمن هو أعلى منهم يظنون أن ذلك مال من مالهم ولهم الحق بذلك لأن كل شيء يفعله العسكري من الأعمال جائزاً. أنا أخجل عن الضباط أن أكتب من أنهم لا يقدرون أن يضبطون عساكرهم. كيف يكون الضابط ضابطاً وهو لا يقدر على انضباط عساكره؟ ولكن الجواب على ذلك هيّن. الضابط ترك عساكره ولا يسأل عنها. فيذهب إلى الأسواق والحانات ويملأ بطنه أكلاً ورأسه خمرة. ثم يذهب إلى المحلات العمومية[4] وهكذا يقضي جميع أيامه. فكيف يقدر الضابط أن يضبط عساكره على هذه الصورة؟ معنى «ضابط» أي حاكم يدبر ويدبر ويضبط أمور عسكره. هو المسؤول عنهم. كيف يرجى هذا من ضباطنا إذا كانت هذه حالتهم وزد على ذلك عدم معرفتهم إدارة جنودهم. فكيف يرجى من دولة هذه حالتها؟

المطر غزير في هذا اليوم ونحن باحتياج إليه. انتشر الجراد في جميع هذه

(١) يقصد نفد الماء وشح.
(٢) عملة عثمانية قليلة القيمة.
(٣) حافظوا عليها.
(٤) بيوت الدعارة.

البلاد. وقدم قبل ٧ أيام من جهة الشرق وغطى السماء. وقد أخذ في ذات اليوم من الوقت أكثر من ساعتين وهو يمر. لطف الله بنا: حرب وغلاء وجراد وأوبئة منتشرة بالبلاد. فمسكين أنت أيها الفقير! اللّهم ألطف بنا. يزورنا من وقت لآخر [....][١] ولكن ما الفائدة من ذلك؟

(١) ٣ سطور غير مقروءة.

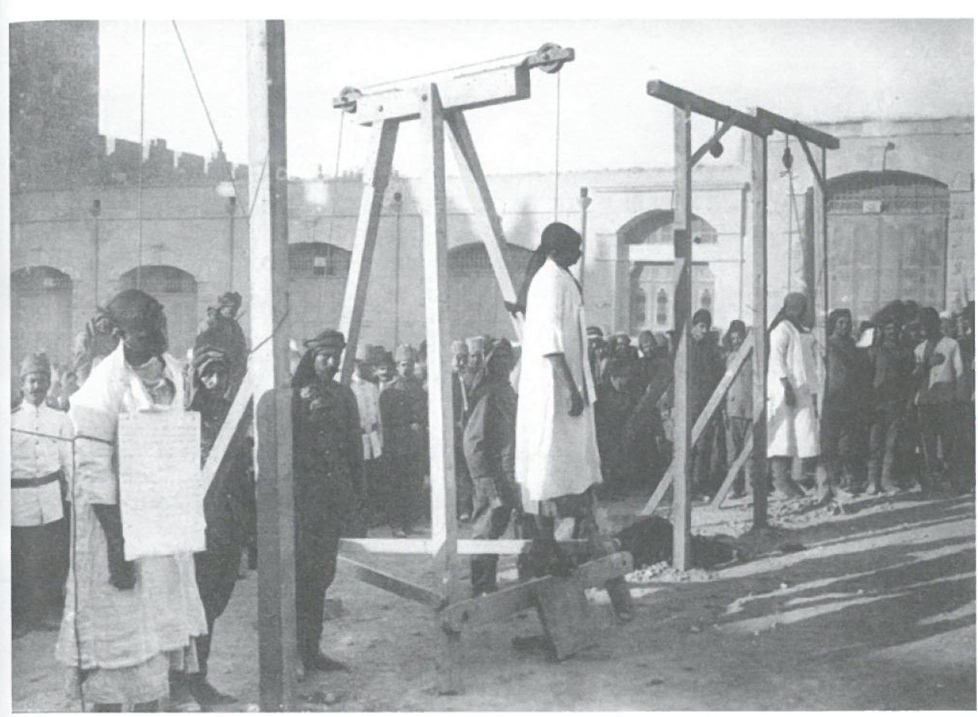
شنق الجنود في باب الخليل

الثلاثاء ٣٠ آذار ١٩١٥ [غربي]، ١٧ مارت ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٣ جمادى الأولى ١٣٣٣ [هجري]

[٤] بينما كنت ذاهبا صباحاً إلى المنزل [العسكري] اعترضني الخال سعد الدين أفندي الخليلي وسألني إذا كنت سمعت عن شنق اثنين في هذا الصباح في باب الخليل فاستعظمت هذا الخبر وذهبت وأنا بين الشك واليقين. وصرت أسأل إذا كان هذا الخبر صحيحاً. وكلما كنت أسأل رجلاً يؤكد لي ذلك. كم كان تأثري لسماع هذا الخبر المحزن جداً؟ ما أهون القتل والإعدام في هذه الأيام حتى أصبحنا إذا سمعنا بالحكم على أحد الناس لم نعد نتأثر له لأننا اعتدنا على سماع هذه الأخبار وصارت شيئاً بسيطاً عندنا لتكررها. رباه ما أقسى قلب الإنسان يحكم على الجندي لفراره بضعة أيام أو أسابيع بالإعدام ولكنهم لم ينصفوا بحكمهم لما فعلوا. لو يتروون في الحكم ويعلمون الأسباب التي أوجبته إلى الفرار لما حكموا عليه بشيء. إذا نفذت دراهم الجندي ماذا يفعل؟ هل يسرق والقانون لا يسمح له؟ أو هل يبيع ثيابه التي أعطته إياها الحكومة؟ كلا لا هذا ولا ذاك. لو كانت الحكومة تعطي راتباً شهرياً كافياً لسد حاجة جنودها لما فر أحداً. ولكنهم يعينون لكل جندي راتباً قدره خمسة غروش صاغ.[١] وليتهم يعطونها له. أنا أعلم بأن معظم الجنود إن لم يكن كلهم لم يأخذوا ولا متليكاً[٢] من حين إعلان هذا النفير العام.[٣] الجندي رجل ويحتاج إلى دراهم له ولعياله كما يحتاج الضباط. إذاً لماذا لا يقدرونهم؟ وفوق كل هذا وذاك معاملة الضباط السيئة لهم.

قيل إن سبب إعدام الشخصين المذكورين هو لأنهم يفشون بعض أسرار ويكاتبون الإنكليز بذلك ويحضونهم على احتلال هذه البلاد. أنا لا أتصور ذلك. إذا كانت الحكومة الإنكليزية أو أية حكومة تريد جواسيس في البلاد هل يمكن أن تأخذ أخبار[٤] من مثل هؤلاء؟ هذا غير ممكن لأن الذين أعدموا هم من العوام.

(١) يذكر الترجمان، في مكان آخر، أن الراتب يبلغ ٨٥ قرشاً. وربما يعود الفارق إلى الرتبة.
(٢) من أصغر العملات العثمانية المعدنية.
(٣) التجنيد الإجباري الذي أُعلن في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٤.
(٤) يقصد أسراراً عسكرية.

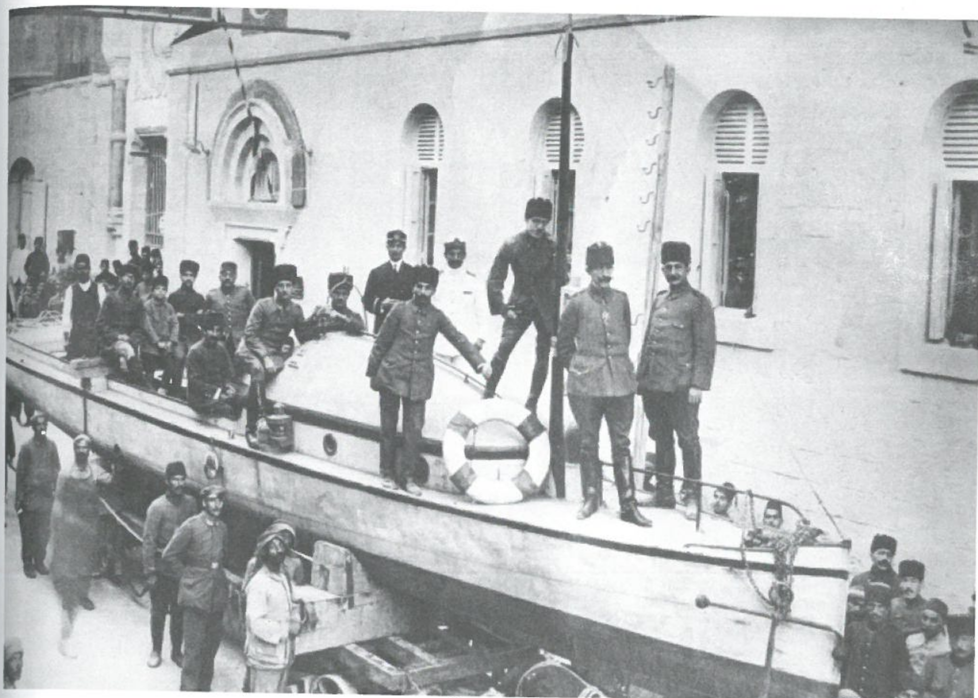


شنق جنود من حامية القدس العثمانية في باب العمود، القدس، آب/أغسطس ١٩١٥.

المصدر: مجموعة خليل طوطح.

وهل تُركِن[١] حكومة كإنكلترا على أقوال مثل هؤلاء؟ أولاً إذا كتبوا لا يعرفون ما يكتبون، أو تكلموا لا يعرفون ما يتكلمون، وإذا سمعوا شيئاً يحرّفونه. فكيف تصدق بأن إنكلترا استعملت هؤلاء لأن هذا غير ممكن حكماً. رحمهم الله.

(١) تعتمد.



علي روشن بيك ونائبه نهاد بيك فوق قارب حربي أُعد لتصوير فيلم سينمائي دعائي، مقر القيادة العسكرية، القدس ١٩١٦.

المصدر: المجموعة الجوهرية، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

دعاية سينماتوغرافية للجيش العثماني

الأربعاء ٣١ آذار ١٩١٥ [غربي]. ١٨ مارت ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١٣ جمادى الأولى ١٣٣٣ [هجري]

[٥] كنت سمعت البارحة أنه في نية العسكرية أخذ صور تابعي المنزل [العسكري] بالصور السينماتوغرافية.[١] ويحمّلون أوتومبيلات العفش وعربات النقل والخيل والبغال والجمال لكي يروا[٢] كيف كانت الحكومة العثمانية تستعد في حملتها على مصر. ذهب الجميع إلى شعفاط، قرية في شمال القدس. منهم من ركب أوتومبيلاً ومنهم من ركب عربة والآخر حصاناً والبعض هجيناً. فرحت فرحاً عظيماً لذهابهم لعلمي بأني سأذهب وأكون حراً. لم يكادوا يذهبوا حتى ذهبت إلى باب الخليل وكانت الساعة عشرة ونصف [صباحاً] فوجدت عمر الصالح [البرغوثي] وجورج بترو[٣] وأنطون مشبك[٤] ووقفنا في باب الخليل ننتظر قدوم خليل أفندي السكاكيني لأنه ذهب إلى رئيس البلدية يسأله بأن يساعده في دفع بدله النقدي.[٥] ثم حضر وبشرنا بأنه سيدفع بدله في هذا اليوم فسرّ الجميع. ثم سرنا ونحن نتجاذب أطراف الحديث.

بينما كنت ذاهباً إلى البيت بعد صلاة العشاء إذ رأيت ابن الخالة حسن الخالدي وعمر الصالح وهاشم يحيى، وهو بغداد[٦] من تلاميذ المكتب الطبي العسكري في الآستانة. وكان من ورائهم الحاج راغب أفندي الخالدي[٧] والخال محمد توفيق

(١) إخراج فيلم دعائي عن أوضاع العسكر.

(٢) يُظهروا.

(٣) صديق إحسان الترجمان ورفيقه اليومي.

(٤) من أساتذة المدرسة الدستورية.

(٥) البدل الذي يدفع إلى الحكومة لإعفاء من يُطلب إلى الجندية من الخدمة الإجبارية، وكان مقداره في الفترة المعنية ٥٠ ليرة عثمانية. راجع: خليل السكاكيني، «يوميات خليل السكاكيني، الكتاب الثاني: النهضة الأرثوذكسية، الحرب العظمى، النفي إلى دمشق»، تحرير: أكرم مسلّم (رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي، ومؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٤)، ص ١٥٨.

(٦) معنى هذه الكلمة غير مؤكد. لكنه، بحسب ما نقدّر، آمر، عريف، مراقب، مسؤول. وهي تذكرنا بالكلمة العامية الفلسطينية «تبغدد»، التي تعني تأمّر، تكبّر. ومعناها في القاموس قريب من هذا؛ فهي تعني: تكبّر، تفاخر عليه، فبغداد رتبة ما ليست رفيعة المستوى.

(٧) من عمداء آل الخالدي وزوج خالة إحسان. وهو والد حسن وحسين وأحمد سامح.

أفندي الخليلي[1] فذهبت مع الأفندية المذكورين أولاً وسرت معهم إلى أن وصلت إلى باب العمود. دعاني خالي إلى تناول العشاء معه ففعلت وذهبت إلى دار الخال مع حسن وعمي الحاج وعمر وهاشم فرجعنا ومن هناك ذهبنا إلى بيت الأستاذ خليل أفندي السكاكيني. وكان هناك عادل أفندي جبر[2] وعمر الصالح. وكان مدار الحديث في أول الأمر عن المحاكم في هذه البلاد. وقد كان الحاج راغب أفندي الخالدي يقول بوجود خلل عظيم في المحاكم وبأن التحسين لم يدخل إلا قليلاً أمّا عادل جبر فقد نفى كلامه بتاتاً وقال إن التحسين قد بلغ مبلغه ولا وجه لأحد أن ينتقد [الحكومة]. ثم أخذوا يتكلمون عن أحوال هذه الدولة الداخلية وعن الخلل الموجود بها. وتكلموا قليلاً عن الدول المتحاربة، وعن ألمانيا وفرنسا وإنكلترا. وقد قال الحاج راغب لو أضاع فرنسياً كندرة[3] لقدّى [لكفى] ألمانيا [؟] كلها حلواناً بها. وهنا أخذ الكل يضحك على هذه الكلمة. وفي الساعة العاشرة والنصف [مساء] حساباً افرنجياً انصرف كل منا إلى بيته.

(١) شقيق السيدة نبيهة الخليلي والدة إحسان.

(٢) من رواد النهضة الفلسطينية، ومن رفاق السكاكيني في حزب الصعاليك، وأستاذ بارز في المدرسة الصلاحية التي أنشأها جمال باشا في القدس. كان معروفاً بميوله العثمانية خلال الحرب.

(٣) حذاء.

رجوع بيارق مسيرة النبي موسى

الخميس ١ نيسان ١٩١٥ [غربي]. ١٩ مارت ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١٥ جمادى الأولى ١٣٣٣ [هجري]



تجمع مسيرة النبي موسى في الحرم الشريف، القدس ١٩١٦.

المصدر: مجموعة ماتسون/ لارسون (م ك).

[٦] كان اليوم موعد رجوع السنجق من النبي موسى،[1] ولكن الاحتفال لم يبلغ ربع ما كان يبلغه في السنين السابقة ولم أقدر أن أذهب وأرى هذا الاحتفال. ويصادف دائماً في هذا اليوم قبل مجيء السنجق غسل رجل ويد البطريرك الأرثوذكسي.[2] وفي مثل هذا اليوم يكون في القدس لحضور هذين العيدين أكثر من ٣٠ ألف أو ٤٠ ألف مسافر ما بين مسلمين ومسيحيين. أمّا في هذا العام فلم يحضره [أكثر من] ٣٠ أو ٤٠ شخصاً وذلك لاشتداد الأزمة. وإني سأواصل وصف هذه الأعياد في السنة أو السنتين المقبلة وصفاً مدققاً خصوصاً وتكون عربيتي[3] قد تحسّنت لأنني سأذهب في السنة المقبلة إلى الكلية الأميركانية وأكمل تحصيل دروسي. كان الطقس مختلفاً [سيئاً] جداً والرياح كثيرة مما أزعج الجميع.

(١) يقصد عودة بيارق (أعلام) مسيرة النبي موسى من مقام النبي موسى في مشارف أريحا إلى القدس، وذلك في نهاية الربيع من كل سنة.

(٢) طقوس تمارسها الكنيسة في عيد الفصح تيمناً بغسل المسيح أرجل تلامذته قبل صلبه.

(٣) يقصد لغته العربية.

الشرطة تهاجم النساء في الحرم الشريف

الجمعة ١ نيسان ١٩١٥ [غربي].(١) ٢٠ مارت ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٦ جمادى الأولى ١٣٣٣ [هجري]

[٧] النساء تنتظر قدوم هذه الأيام بفروغ الصبر ويكلفن أزواجهن في كل عام بمثل هذه الأيام أقل واحدة ٧ أو ٨ ليرات وهن يُصررن على شراء لوازمهن من صرات(٢) وثياب وكنادر(٣) وشمليات... إلخ قبل الموسم بشهر لهن ولأولادهن إذا كان لهن أولاد. وفي هذه السنة أيضاً اشترين جميع لوازمهن ولكن بالطبع لم تكن كالسنين الفائتة لاشتداد الأزمة المالية في هذه البلاد ولنفوذ الحوائج من التجار. ترضى نساؤنا بالقليل من مأكل ومشرب وترضى بالذل والإهانة وتصبر عليها حتى اعتادت على ذلك وحتى صارت تعتقد بأن معاملة الرجال لهن مثل هذه المعاملة واجبة لأنهن يعتقدن بأنهن ناقصات عقل والرجال أفضل منهن وأحسن منهن. كل ذلك وهي [الزوجة] تصبر على سوء معاملة زوجها لقاء شيء يفرحها به على الموسم لأجل أن تتزين به وتتفاخر به أمام أبناء جنسها من النساء. وفي هذا اليوم بينما كن النساء في الحرم يتفرجن إذ أتتهم الشرطة تطحيهن(٤) من الحرم وتسمعهن أشد الكلام وأقساه. وكانت النساء كلما أتاهن البوليس إلى جهة من الحرم تغير محلاتهن إلى [أن] نفذ صبرهن وذهبن إلى بيوتهن والبعض منهن جئن إلى درج دارنا ليتممن الفرجة.(٥)

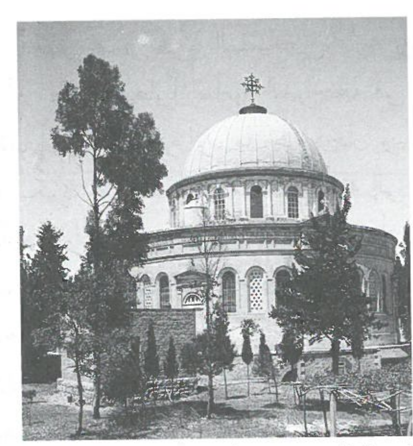
أنا كلما أتصور حالة المرأة المسلمة وما [هي] عليه من الاضطهاد أشعر بحنو زائد نحوهن وميل إليهن ولا أعلم السبب إلاّ احترامي لهن وإشفاقي عليهن فمسكينة حالة النساء، وخصوصاً المسلمات. أنا أشعر أن كل امرأة على وجه هذه البسيطة مظلومة ومحتقرة. حتى النساء الأوروبيات والأميركانيات. فأحمد الله الذي لم يخلقني امرأة ولا أعلم ماذا فعلت لو كنت امرأة فإني بلا شك تكون كل حياتي ونفسي منغصة.

---

(١) ثمة خطأ في حساب الكاتب إذ يكرر ١ نيسان في يومي الخميس والجمعة.
(٢) صرر، جمع صرّة، وهي كسوة العيد من قماش وملابس تربط في صرّة.
(٣) أحذية.
(٤) من طحى في العامية: يطرد.
(٥) من غير الواضح في هذا السرد لماذا قامت الشرطة بطرد النساء من الحرم، لكن الأغلب أن موسم النبي موسى وفر مناخاً تحريضياً ضد السلطة وصل إلى ذروته في سنتي ١٩١٩ و١٩٢٠. ومن الممكن أن الشرطة كانت تريد أن تجلي النساء عن باحة الحرم كي تستطيع السيطرة على تجمعات الرجال بسهولة.

عيد الحبش

السبت ٢ نيسان ١٩١٥ [غربي]. ٢١ مارت ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٧ جمادى الأولى ١٣٣٣ [هجري]



كنيسة الحبش في القدس.
المصدر: مجموعة ماتسون/ لارسون (م ك).

[٨] عيد الحبش.(١) أكتب مفكرة هذا اليوم في يوم الأربعاء في ٢٤ مارت فلذلك لا أذكر ما وقع لي في هذا النهار وهنا أختصر [أقتصر] على شيء رأيته في هذا المساء مع طاهر أفندي الخالدي.(٢) ذهبت إلى المنزل [العسكري] في الساعة الثامنة وبعد مضي ساعة تقريباً ذهبت وإياه إلى باب الكنيسة حيث دخلنا من باب صغير شرقي باب الكنيسة الكبير.(٣) وصرنا ندخل من دهليز ونخرج إلى الآخر إلى أن وصلنا على ما أظن إلى سطح كبير وفي وسطه قبة صغيرة وفي الجهة الغربية الجنوبية من السطح كانت خيمة داخلها بعض رهبان الحبش ومعهم [....].(٤)

---

(١) عيد الفصح عند الكنيسة الإثيوبية، ويقام عادةً في مبنى محاذ لكنيسة القيامة معروف بدير السلطان.
(٢) قد يكون هو طاهر بن علي صنع الله الخالدي، وهو رئيس المحكمة الشرعية في القدس، وكان أحد أركان عائلة الخالدي. تزوج في سن متقدمة الست نفيسة ابنة موسى أفندي الخالدي، قاضي عسكر الأناضول. توفي سنة ١٩٢٧ في القدس - أنظر: عادل مناع، «أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني» (القدس: جمعية الدراسات العربية، ١٩٨٦).
(٣) باب كنيسة القيامة.
(٤) فراغ في المخطوطة، ويبدو أن المؤلف كان ينوي أن يتابع وصفه لاحقاً.

يريدون تقبيل يدي ورجلي

الأحد ٣ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ٢٢ مارت ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١٨ جمادى الأولى ١٣٣٣ [هجري]

[٩] بمناسبة العيد الكبير عند إخواننا المسيحيين،(١) ولتغيبهم في هذا العيد،(٢) توكلت عن أحدهم(٣) وكان معاوناً لمأمور المراجعة في المنزل [العسكري]. وأنا توكلت عنه وصرت أتفقد أشغال العالم. أول ما جاء رجل وبيده استدعاء يطلب إرسال ابنه إلى المستشفى العسكري فأخذت استدعائه وأرسلته إلى [قسم] الأوراق وقصصت عليهم القصة فاهتم المأمور لأول الأمر ولكنه نسيه. قلت له بأن يحضر بعد الظهر فحضر ومعه ابنه وهكذا بقيت أعوقبه [أتابعه من مكان إلى مكان] إلى ما بعد المساء فلم تجد المعاملة نتيجة. فحولته إلى الغد. كانت الاستدعاءات تأتي أفواجاً أفواجاً إلى المنزل ذلك لأن اليهود والنصارى معيّدين في هذه الأيام(٤) وكلهم حضروا من طوابيرهم(٥) إلى القدس ليحضروا العيد. فصار كل واحد يقدم استدعائه للمعاينة أو لتحديد المدة أو لطلب استخدامه في القدس أو استخدامه في الأعمال الانتحالية(٦) كما يسمونها. وبسبب كثرة الأوراق والاستدعايات صارت تتراكم الأوراق ولا يقدرون على إتمامها. حتى إنهم صاروا يشتغلون أوراق أول البارحة في هذا اليوم وهلم جراً. يظن المسكين الفلاح أو اليهودي أو غيرهما بأن الشغل كله بيدي وتعويق وتسهيل الأوراق منوط بي حتى إنه صار البعض منهم يريد تقبيل يدي ورجلي لإنهاء المعاملة. وكنت كلما يرجونني بشيء أفهّمهم بأن ذلك ليس من شغلي وأنا لا أقدر أن أفعل شيئاً إلاّ معاقبة [متابعة] الأوراق ولكن مع من تتكلم؟ لا حياة لمن تنادي. فما صدّقت وأن تصير الساعة ٦ افرنجية حتى أغلقت الغرفة وذهبت ولم أكن أفتكر طول هذه المدة إلاّ بهؤلاء المساكين.

(١) عيد الفصح.

(٢) يقصد تغيب المجندين المسيحيين عن الدوام في المنزل العسكري.

(٣) يقصد أنه قام بالعمل نيابة عنه خلال غيابه.

(٤) عيد الفصح عند اليهود والمسيحيين.

(٥) كتائب الخدمة العسكرية.

(٦) كلمة صعب علينا تأكيد قراءتها، لكنها تعني، على ما نظن، الأعمال الملفقة الكاذبة للتهرب من الخدمة العسكرية.

الحكومة تستعدي اليهود والنصارى

الجمعة ٩ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ٢٧ مارت ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٢٤ جمادى الأولى ١٣٣٣ [هجري]

[١٠] لمّا جاء العلم النبوي ومر بالقدس زينت البلدة وكتبت الآيات القرآنية على أبواب البلدة وفي الشوارع وعملت أبواب [أقواس] النصر وقد كان معلقاً فوق باب العمود ما يأتي بخط كبير جميل «ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين». وقد بقيت هذه الآية القرآنية معلقة حتى هذا اليوم. ولكنهم رأوا في هذا النهار أن ينزعوا هذه الكتابة ويهدموا الأبواب التي كانوا قد عملوها وزينوا بها هذه البلدة. وكنت كلما أمرّ أنظر إلى هذه الآية وأقرأها إمّا جهاراً وإمّا في قلبي وإذا كان معي أحد أقرأها له. والكل كان يخطّئ الدولة لعدم نزع هذه الكتابة لأنهم ذهبوا إلى جبهة [؟] القتال ولم يعد بإمكانهم أن يحاربوا دولة الإنكليز.

قبل بضعة أيام كانت الإشاعة في البلدة بأن العسكرية ستجمع طابوراً جلّه من المسيحيين والموسويين(١) لتنظيف البلدة. وكنت كلما أسمع بهذا الخبر أكون بين الشك والضيق على إقدام العسكرية بعمل مثل هذه الأشياء. وفي الصباح بينما كنت ذاهباً إلى المنزل [العسكري] عثرت في الطريق على عدة يهود وكلهم فوق الأربعين حاملين مكانس ينظفون بها الأسواق.(٢) كم تأثرت لهذا المنظر الشنيع. كنت أرى اليهودي يكنس بضعة أقدام ثم يقف ويتكئ على مكنسته من التعب. آه ما أقسى قلوب هؤلاء الظالمين الكفرة الفجرة. ألم يكن أحسن لو ضموا إلى عدد منظفي البلدة بضعة أشخاص عوض هؤلاء؟ فيكونوا قد وفروا عليهم أشياء كثيرة لأن عدد الزباليين يزيد عن ٢٠٠ فعشرون من أصحاب هذه الصنعة يقومون مقامهم.

ملاحظة: عند المساء شعرت بتراخي في جسدي. وقد سخنت(٣) عند المغرب ولكن السخونة كانت خفيفة.

(١) اليهود.

(٢) راجع تعليق خليل السكاكيني على طوابير الزبالة في يومياته، «الكتاب الثاني...»، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٧.

(٣) ارتفعت درجة حرارة جسمه.

خبر تقشعر له الأبدان!

السبت ١٠ نيسان ١٩١٥ [غربي]. ٢٨ مارت ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٥ جمادى الأولى ١٣٣٣ [هجري]

[١١] ذهبت إلى المنزل [العسكري] وبعد أن أخذت إذناً لمرضي في هذا النهار ذهبت إلى باب الخليل وهناك اجتمعت بالأستاذ خليل أفندي السكاكيني وتحدثنا عن الأحوال الحاضرة ثم اشتريت جريدة «المقتبس» وقرأنا خبراً اقشعرت له أبداننا. وتفصيل الخبر هو أنه ذهبت نساء أخوين دمشقيين إحداهن إلى الخيّاطة والثانية إلى عند الطبيب وتركت كل منهن صبياً وبنتاً أعمارهم ولدين ٣ سنوات وولدين آخرين ٨ أو ٧ سنوات.

فبينما كان الأولاد الأربعة يلعبون في البيت كان فيه صندوق كبير فدخل الأولاد الأربعة داخله ثم أغلق الصندوق عليهم وكان فيه سقاطة ورزة فدخلت السقاطة بالرزة ولم يعد بإمكان الأولاد الأربعة الخروج منه لعدم وجود أحد في الخارج ليفتح فاختنقوا وماتوا أربعتهم. كلما أفتكر بهذه القصة يقف شعر بدني لهولها. وكلما أفتكر بحالة امرأتنا المسلمة أغيب عن الصواب. كيف يجوز للمرأة أن تترك أولادها الصغار حين لا يوجد أحد في البيت؟ كان في إمكان هاتين المرأتين أن تذهب واحدة منهن وعند رجوعها تذهب الأُخرى ولكن الجهل يعمي ويصم. أسفي على هؤلاء الأولاد.

مسكينة المرأة المسلمة فهي في جهل مدقع. أنا كلما أفتكر في حالة المرأة وخصوصاً المسلمة يكاد يغيب رشدي. دائماً يخطر على بالي من هي المرأة المسلمة التي تصلح لأن تكون امرأة لي أو بالحري أماً لأولادي وشريكة حياتي؟ آخذ كل عائلة بعائلتها لأختار لي واحدة منهن فلا أرى واحدة منهن تصلح أن تكون أماً لأولادي. لا أقول ذلك لأنني أعلى منهن قدراً أو مرتبة وأعلم منهن. ليس هذا [هو] المقصود. ثم أعود وأقول [لربما] في بناتنا الصغار من تصلح لأن تكون امرأة لي ولكن أعود لأنظر بأن ليس في المسلمين من يعتني بتعليم ابنته تعليماً حقيقياً.

لا أرى إلاّ سيدة واحدة أحب أن تكون امرأتي. فهي خيرة بنات الإسلام تعليماً وتربية وأدباً ألا وهي [....].[١] ولكن كلما أذهب إلى بيت أبيها عند صديقي [....][٢]

(١) الاسم مشطوب في المخطوطة، والأغلب أنه يشير إلى ثريا خانم كما سيأتي ذكره.
(٢) الاسم مشطوب من المخطوطة.

وأرى البيت خال من الترتيب والنظام أرجع آسفاً عن هذه الفكرة. وشيء آخر يحولني دون زواجي إياها هو جهلها بالأمور البيتية. فأنا لا أريد لي امرأة تعزف لي فقط على البيانو وتعرف عدة لغات ولا [١٢] تعرف عن الأصول البيتية[١] شيئاً. فإن ذلك لا يكفي. ومن يدير بيتي ويأخذ على عاتقه تربية الأطفال [إذا تزوجتها] فهل أركن على الخدم؟ فإذا لم تكن هذه السيدة [من نصيبي] فسآخذ واحدة أوروبية أو أميركية ودع الناس يقولون ما يشاؤون. أو آخذ واحدة من خارج القدس.[٢] المستقبل بيد الله فاللهم اختر لي امرأة أديبة عاقلة متعلمة لطيفة المعشر تعرف تمام المعرفة بالأصول البيتية وعندها إلمام بتعليم الأولاد الصغار وأن تكون جميلة الصورة أيضاً. ولكن ذلك لا يهمني قدر ما تهمني الأخلاق والتربية.

اقترح عليّ الأستاذ خليل اقتراحاً ارتحت إليه هو اشتراك أربعة أشخاص يدفع كل واحد ٤ متاليك يجمعونها كل يوم ويرسلونها إلى بيت فقير يحتاج فيه أطفال. ما أحسن هذا الاقتراح ولكن من يسمع لمثل هذا الكلام والناس قد أصبحت قلوبها أقسى من الحجر. فلا حول ولا...

(١) التدبير المنزلي.
(٢) لاحظ أن اختيار زوجة من خارج القدس كان أمراً مستبعداً، والتفكير في الزواج بامرأة أجنبية يأتي قبله.

مع إسعاف النشاشيبي
في بيت المعلم خليل السكاكيني

الأحد ١١ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ٢٨ مارت ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٢٧ جمادى الأولى ١٣٣٣ [هجري]



محمد إسعاف النشاشيبي، أديب العربية، في صورة تعود إلى سنة ١٩٢٠، القدس.
المصدر: المجموعة الجوهرية، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

[١٣] ذهبت صباحاً إلى المنزل [العسكري] ولم أعمل شيئاً يوجب الذكر كعادتي. وبعد العصر ذهبت من المنزل إلى باب الخليل ورأيت عمر أفندي البرغوثي قاعداً في لوكاندة[1] سليم مع ضابطين من السواريين[2] فسلّم عليّ ثم ودعهما وأتى إلى عندي وقد أخبرني بأن هذين الضابطين قد حضرا موقعة جرت بين الجنود الإنكليزية والجنود التركية قبل جمعة [أسبوع]. وتفصيل الخبر هو أنه كان طابورين[3] من الجنود العثمانية في صحراء التيه[4] التقيا ب ٣٠٠ من الجنود الإنكليزية فتصادم الجيشان وانكسرت الجنود الإنكليزية لتفوّق عدد جنودنا. ولكن الجنود العثمانية فوجئوا بلآتيين [بلوايين] من الإنكليز فدحرونا وغنموا منا بعض الأشياء. هذا ما علمته عن هذه الواقعة. ويقولون بأنه لا يمضي جمعة أو جمعتان إلاّ وتحدث مصادمات بين الفريقين ولا يكون النصر إلاّ حليف أعدائنا.

ثم ذهبت في المساء مع عمر إلى بيت الأستاذ خليل [السكاليني] وقد كان هناك إسعاف النشاشيبي و[....] أ. ب.[5] لا أعلم لماذا أكرهه؟ فإني كلما أراه ينقفط[6]

(١) فندق.
(٢) رتبة عسكرية عثمانية من الفترة المملوكية.
(٣) مثنى طابور وهو كتيبة عسكرية.
(٤) في شبه جزيرة سيناء (أنظر الخريطة أعلاه، ص ٣٤).
(٥) شطب الكاتب اسم الشخص واستبدله بحرفي أ. ب. ويوجد في النص إبهام؛ فهل كان يقصد التورية عن إسعاف النشاشيبي أم أنه شخص آخر؟
(٦) ينقبض.

صدري وأحس بضيق شديد حتى إنني كثيراً ما أكون مسروراً شرحاً مبسوطاً ولكني إذا رأيته تنعكس حالتي. وفي المحل الذي يتوجد فيه هذا الرجل أسكّر [أغلق] فمي ولا أعود أستطيع الكلام. فسبحان الله لماذا أكرهه كل هذا الكره؟ [فهو] رجل أديب عاقل متنور جميل الصورة لطيف. إذا تكلم لا يتكلم [إلاّ] بعد أن يفكّر. ولكنه متكبر وهذا ما جعلني أكرهه – [كما قال لي حسن ابن خالتي مرة].[1]

فارقنا الأستاذ خليل في الساعة العاشرة افرنجية. وقد كان مدار حديثنا في الطريق عن الأضرار التي ألمّت بالعرب من هذه الحرب.[2] لمّا خرجنا من بيت الأستاذ سألني كم تظن مقدار الخسائر من الجنيهات من هذه الحرب؟ فلم أجاوبه على سؤاله بل صرت أفتكر لأن في المسألة نظر. [١٤] فأجابني هو بأننا العرب خسرنا أكثر من مليار ليرة. ولا يخفى ما لهذا العدد والقول من المبالغة. فخالفته في ذلك وأخذنا نخمن أثمان كل شيء أخذته الحكومة على حدة. أخذت [الحكومة] لا أقل من مليون أو مليونين ألف ليرة على أقل تقدير من جنس الحيوانات. وأكثر من هذه مؤونة للعساكر. دع عنك ما ألم بالأهالي من الخسارة لوقوف حركة التجارة فإن معظم الأشياء ارتفعت أسعارها وكثير منها فقدت [اختفت] في البلاد أمثال السكر والرز والكاز وما شاكل هذا عدا عن تجارة البلاد التي لم تقدر أن تخرج [تصدرا] إلى الخارج وقد كان رأيي من هذه الجهة بأن الأهالي لم تخسر أكثر من ٤٠ أو ٥٠ مليون ليرة على أكثر تقدير هذا في البلاد العربية.

تكلمنا عن الأرزاق وعن مصروفاتها وقد قال إنه لمّا كان في بئر السبع آخر إحصاء كان عن صرفيات الشعير و٢٠٠ ألف [ليرة عثمانية] وأكثر من ذلك تبن وحنطة... إلخ. وقد قال إن المصروف اليومي لمّا كانت الأرزاق دائرة والأقوال[3] تروح وتجيء كانت بين ٣٠ و٥٠ ألف كيلو من الشعير وأكثر من ذلك من جنس التبن... إلخ. ثم أخبرني عن الكيفية التي كانوا يعلفون بها الإبل في [بئر] السبع. قال بأن الأقوال لمّا كانت تأخذ تبناً وشعيراً وطحين شعير [؟] إلى الجمال كانوا يضعون العلف على الرمل

(١) حسن الخالدي. الجملة بين الأقواس مشطوبة في المخطوطة، لكن من الممكن قراءتها تحت علامات الشطب.
(٢) من غير الواضح في السياق من هو رفيق الكاتب في هذا الحديث لأن الاسم غير مذكور، هل هو عمر الصالح البرغوثي (وهو الأغلب)، أم هو إسعاف النشاشيبي، أم هو أ. ب.؟
(٣) جمع قول، وهي كتائب النقل العسكرية، وغالباً ما تستعمل لكتائب المؤن المحملة على جمال.

فبالطبع تختلط بالرمال. وبعضها [بعدها] لمّا ينخر ويتنفس [؟] الجمل يصير شيئاً لا يستهان به ثم يقوم وهو جائع ليس لأن العلف كان قليلاً بل لأنهم لم يكونوا يعلموا كيف يعلفونه. أو أنهم لم يكونوا يهتمون بذلك. وبعد حركة القول كانت تأتي العربان [البدو] وتأخذ ما يصلح ولكن ذلك ما ندر لأنهم كانوا يخافون من أن تراهم الحكومة وتجازيهم.(١)

ولمّا كان قد اقترب إلى بيته ودّعته وذهب كل منا إلى بيته لينام.

---

(١) تغرّمهم.

حياة الكسل في العسكرية

الاثنين ١٢ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ٣٠ مارت ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٢٧ جمادى الأولى ١٣٣٣ [هجري]

[١٥] ذهبت إلى المنزل [العسكري] وقد كنت أقتل وقتي لعدم وجود شغل أشتغل به وقد تعلمت على الكسل فوق كسلي الأول حتى صرت لا أقدر أن أعمل شيئاً لأني تعودت على البطالة فإذا قرأت أتعب وأضجر وأؤجل القراءة من وقت إلى آخر. وإذا مشيت أحب أن أقعد وأنا في كل يوم أضيع وقتي باللعب بشواربي وبالخروج والدخول إلى الغرفة التي أنا فيها وهكذا أصرف كل وقتي. فإلى متى يا ربي ذلك؟ فقد سئمنا هذه الحياة العسكرية وسئمنا معها هذه الدولة ونريد أن نرى قانوناً غير هذا القانون، ودولة غير هذه الدولة، ووجوهاً غير هذه الوجوه الكالحة، وحكاماً غير هؤلاء الحكام ووو إلخ. فقد سئمناهم وتاقت أنفسنا إلى فراقهم. فاللهم عجّل بهم.

أشيع اليوم بعد الغروب بأن بعض الناس من رام الله والبيرة سمعوا إطلاق المدافع على يافا. والإشاعة كبيرة في هذا البلد. ولكن صارت الإشاعة عن غزة و[عن] إطلاق القنابل عليها. صرنا سامعين هذا الخبر أكثر من ٦ مرات فهل نعود ونصدق بعد؟ ما أكثر الإشاعات في هذه البلاد وما أكثر الكذب بها فلا تلغراف ولا جريدة ولا باخرة تصل ليافا ولا جريدة أجنبية تأتي إلى البلاد حتى تقول بأنهم سمعوا أو قرأوا به. حتى ولا مكتوب يصل إلينا إلاّ بعد أن يقرأ من طرف مأمورين السنسور.(١) ولا شك أن سبب كثرة الإشاعات في هذه البلدة [يعود] إلى البطالة. فلا شغل ولا شاغل للأهالي إلاّ القال والقيل. فلا حول ولا...

---

(١) الرقابة العسكرية.

أسنان والدي الاصطناعية

الثلاثاء ١٣ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ٣١ مارت ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٢٨ جمادى الأولى ١٣٣٣ [هجري]



حسن بيك الترجمان مع ابنه عارف (شقيق إحسان) على سطح بيت الترجمان، القدس ١٩١٩.

المصدر: مجموعة صالح الترجمان.

[١٥] لقد صار لي أكثر من شهر وأنا أطلب دراهم من والدي لأشتري لي حذاء آخذه للاحتياط قبل أن ينفذ الجلد والنعل وهو يوعدني من يوم [....][(١)] ما في يده واشتدت هذه الأزمة.[(٢)] الجلد كاد أن ينفذ من البلدة والحذاء صار يساوي أضعاف أضعافه. واليوم بعد أن أكلت طعام الغداء أخبرتني والدتي بأن والدي قال لها بأنه يريدني فعلمت بأنه يريد أن يعطيني دراهم. والذي أكد لي ذلك قولها لي إنه لمّا قال لها بأنه يريدني كانت علائم السرور بادية على محياه. ذهبت إلى بيته[(٣)] فمد يده وأخرج ليرة إنكليزية أعطاني إياها وقد أخبرني بأن أعطي ما يبقى من ثمن الكندرة[(٤)] لستي أم إبراهيم. فامتثلت لأمره وذهبت فرحاً مسروراً.

مهما كان الولد حنوناً ويحب والده ووالدته لا شك بأنهما يعزّانه أكثر من محبة ولدهما لهما وهما يُبدّيانه[(٥)] عن أنفسهما. وقد لاحظت ذلك مع جميع الآباء. لاحظت بأنهما يقطعان عن فمهما المأكولات ويرتضيان بالقليل. كم من مرة أكون قاعداً على السفرة [المائدة] مع والدي ويكون على السفرة عدة أشكال وأنا آكل أحسنها وهو يأكل أبخسها بكل ارتياح وسرور وعن طيبة خاطر. إذا ذهبت

(١) كلام غير مقروء.

(٢) الإشارة هنا إلى أزمة الجلود في فلسطين بعد أن صادرت الحكومة الدواب وأرسلتها إلى الجبهة العسكرية، كما يلمح الكاتب في الجملة التالية.

(٣) كان والد الكاتب يعيش في الطبقة العلوية من البيت مع زوجته الأولى.

(٤) الحذاء.

(٥) يفضّلانه.

إلى البيت ولم أرى طبيخاً أو أكلاً لذيذاً لا يهنأ لي عيش في ذلك النهار وأتشكى وأتذمر. بينما أرى والدي المسكين يأكل ما دون الأكل الذي لم أرضى أن آكله أنا. إذا أكل والدي يحسب حسابنا.[(١)] وإذا شرب وإذا لبس يختار لنا أحسن اللباس وهو يرضى بالقليل ليس ذلك عن بخل بل لأنه يحبنا أكثر من محبته لنفسه.

كان لوالدي أسنان اصطناعية وبسبب قلع أسنانه جلاطة لم تعد الدكة[(٢)] الأولى تصلح له ولا يعرف أن يأكل عليها. وكم من مرة نصحته على أن يعمل له أسنان جديدة وهو كل مرة يوعدني. وقبل بضعة أسابيع رآني أعزل أسناني وعلم بأن واحدة من طواحيني[(٣)] [١٧] خربة لا تصلح إلاّ إذا رقّعت.[(٤)] ففي الفور وعندما علم ذلك أمرني أن أذهب إلى حكيم الأسنان ومع أن هذه الطاحونة لا يهمني أمرها جداً. غاية ما هنالك أنها مقعورة [مثقوبة]. هذه حالة الآباء. فهم يفضلون الأبناء على أنفسهم فما أسعد الآباء وما أسعد الأبناء التي هذه حالة آبائهم. ولكن أغلب الآباء هكذا إن لم نقل كلهم. ولكن لا أصدق بأن أباً أو أماً يحبان أولادهما ويخافان على أولادهما كما يحبان أبواي.

عند الغروب ذهبت إلى باب الخليل وهنالك اجتمعت بعمر [الصالح البرغوثي] وقد كان قاعداً مع الخال سعد الدين أفندي الخليلي. فذهبت أنا وإياه [عمر] لنشتري لي كندرة [حذاء] صيفية. فصرنا ندخل مخزناً ونخرج منه إلى أن وصلنا إلى مخزن أحد الألمان وهناك وجدنا كندرة بيضاء لبستها وأعجبتني فاشتريتها ب ١٥ فرنكاً ثم ذهبت وإياه على طريق يافا ووجدنا في طريقنا الأستاذ خليل أفندي [السكاكيني] ومشينا سوية ثم رجعنا وذهب كل منا إلى بيته وقد كانت الساعة وقتئذ ٧ افرنجية ونيف. وبعد أن أكلت طعام العشاء ذهبت إلى المنزل [العسكري] ولم أرجع إلاّ بعد الساعة العاشرة ثم قعدت مع الوالدة نتجاذب أطراف الحديث حتى الساعة الحادية عشر. وذهبت إلى فرشتي ونمت بعد قليل فرحاً مسروراً بحذائي. وما كنت مصدقاً حتى يطلع النهار لألبسه وأذهب. وقد كانت عمتي محبوبة على العشاء فاقترحت عليّ بأن أخبئ الكندرة للعيد. كأني من الأولاد الصغار لأفرح عند العيد.

(١) يقصد أنه كان يفضّل أولاده على نفسه.

(٢) تركيبة الأسنان الصناعية. ويبدو أن كلمة جلاطة هنا تعني نزع الأسنان عند الحلاق، وليس عند الطبيب؛ أي على الطريقة القديمة.

(٣) مفردها طاحونة أي ضرس. أمّا كلمة أعزل فربما تعني أنظف.

(٤) عولجت.

لا يجوز للعساكر لبس الكنادر البيضاء

الأربعاء ١٤ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ١ نيسان ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٣٠ جمادى الأولى ١٣٣٣ [هجري]



صورة نادرة لعمر الصالح البرغوثي، صديق إحسان، القدس ١٩٢١.

المصدر: المجموعة الجوهرية، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

[١٨] لبست الحذاء صباحاً وذهبت إلى المنزل [العسكري] وقد كان الكل متفقاً على كلمة واحدة: «لا يجوز للجنود أن تلبس الأحذية البيضاء». وقد كنت في كل مرة أعتذر بعدم وجود جلد في البلدة. دخلت إلى الغرفة التي أشتغل فيها فقال لي كاتب أفندي «لا يجوز للعساكر أن تلبس كنادر بيضاء». فلم أعر لكلامه أذناً صاغية ولم أجاوبه على كلامه. ثم جاء معاونه [وهو] ضابط يشتغل عندنا واسمه لبيب أفندي ونظر إلى حذائي وقال «من قال لك أنك جندياً تنام في البيت وتأكل أيضاً هناك وتلبس ما تريد وتحضر أي وقت تريد؟ هذه وأيم الله ليست جندية»!! هذا تعريب ما قاله لي. وكان يقول ذلك من باب المزح.

ثم قبل الغداء جاء أغلو قوماندانى أي قوماندان الشغل واسمه محمد نحاس أفندي وقال: «كيف يجوز لك بأن تلبس هذا الحذاء؟ أنا والله لم أر جندياً لابساً حذاء أبيضاً غير أنت. فأنا أنصحك بأن تخلعه ولا تعد تلبسه وإلاّ إذا رآك روشن بيك أو نهاد بيك أو غيرهما من الضباط فيكدّرانك ويجازيانك». هذا ما قاله لي وأنا أعلم بأن لو بقيت لابساً [حذائي الأبيض] طول حياتي في الجندية لما قال لي أحدهم ذلك لأن الحال ثورة بثورة[١] وكل مفعول جائز. ولمّا ذهبت إلى الغداء غيرت الحذاء ولبست خلافه خوفاً من أن يراني أحد الضباط ويوبخني على هذه الجناية.

بعد الساعة السادسة ذهبت إلى باب الخليل ورأيت عمر [الصالح البرغوثي]

---

(١) إشارة إلى حالة الفوضى في صفوف الإدارة العثمانية في القدس. ويلمّح الكاتب هنا إلى أن الاعتراض على حذائه راجع إلى انشغال الضباط الصغار بأمور ثانوية لا علاقة لها بالنظام العسكري.

وذهبت وإياه فإذا بالأستاذ خليل [السكاكيني] وامرأته السيدة سلطانة [عبده] وابنه سري واقفان أمام مخزن يبغيان أن يشتريا لابنهما برنيطة.[١] فبعد أن اشتروا ذهبنا وأوصلنا السيدة إلى بيتهما الكائن بجانب كرم الأعرج ثم ذهبنا مع خليل أفندي لأنه يريد مقابلة أحد معارفه. وكان مدار الحديث عن المدرسة ومعلميها وما يجب على المعلم خليل أن يعمله لإصلاحها.[٢] وبينما نحن كذلك اعترضه أحد آباء الأولاد وتكلم عن المدرسة ثم فارقنا. اعتمدت وعمر على الذهاب إلى بيت الأستاذ خليل وأن يكون الملتقى في باب العمود خارج السور بين الأربع مفارق تحت اللوكس.[٣] وفي الميعاد المعين اجتمعنا وذهبنا إلى المحل المذكور وكان هناك عدوي [؟] فانصرفنا [....].[٤]

---

(١) قبعة.

(٢) الكلام هنا على المدرسة الدستورية الوطنية التي أنشأها السكاكيني سنة ١٩٠٩.

(٣) قد يعني ضوء الشارع.

(٤) السطر الأخير من هذه الصفحة غير مؤكد القراءة، وإن كانت قراءته صحيحة فربما كان يشير إلى عادل جبر.

فارس أفندي والسمن الضائع

الخميس ١٥ نيسان ١٩١٥ [غربي]. ٢ نيسان ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

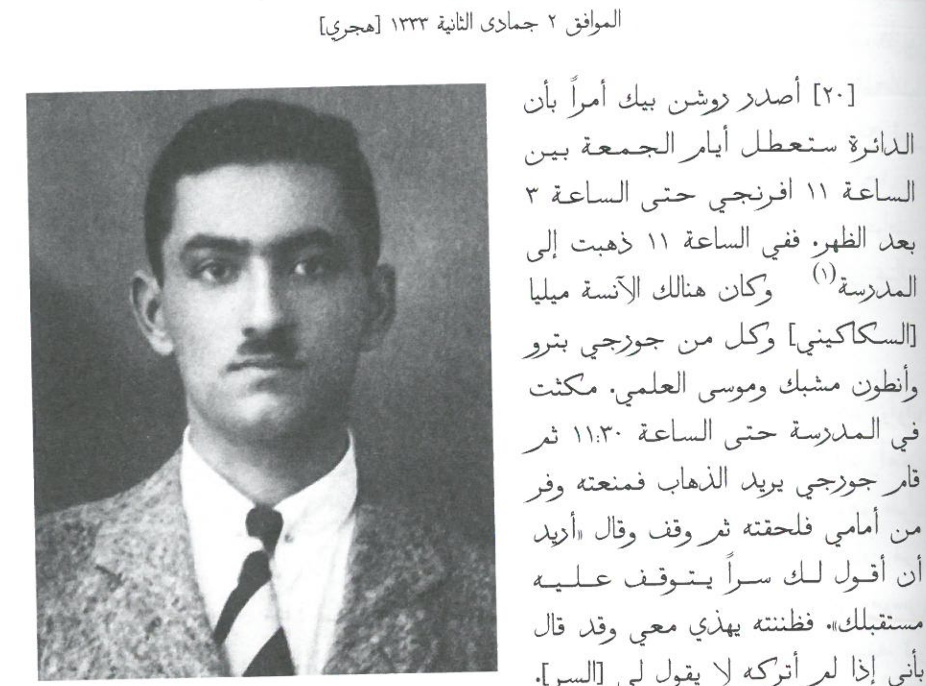
[١٩] بعد الغداء ذهبت إلى المنزل [العسكري] ورأيت ضابطي[1] فارس أفندي متلبكاً ويدور من محل إلى آخر. ويفتش عن شيء أضاعه ثم سألني أن أذهب إلى المطبخ وأرى إذا كان فيه تنكتين من السمن فذهبت ولكنني لم أجد شيئاً. صرت أفتش معه على تلك السمن فلم نجده ثم قلت له بأنني سأذهب إلى المصبنة وأسأل الجنود الذين أحضروا السمنة أين وضعوها. فذهبت وأخبرني عبد العزيز الباش باوش بأن الجندي سلم السمن إلى العشي[2] المدعو إسماعيل وأنه أرسل الجندي ليسلمها إلى فارس أفندي. فذهبت تواً إلى المنزل ورأيت جندياً عرفته من المنزل لوجود الخرقة الحمراء المكتوب عليها «منزل قرار طاهي» وسألته إذا كان هو نفسه الذي حمل السمن فأخبرني بنعم وبأنه سلمها الآن لفارس أفندي.

ما كاد الشهر يصير في أوله وكل أفراد المنزل تسألني عن الدراهم[3] وفي أي وقت سيأخذونها لأنهم اعتادوا على أخذها في اليوم الثاني أو الأول. وكان كل واحد يسألني أخبره بأننا لم نأخذ دراهم من الإدارة لعدم وجودها. وأخبرهم بأن فارس أفندي ذهب عدة مرات لاستلام الدراهم. وكلما أقول لواحد يقول لي بأن الضباط أخذت دراهمها من الإدارة ولم يبق إلاّ المنزل [من دون استلام الرواتب]. وكلما يسألوني كنت أجيبهم بكل لطف وأجيب كل واحد على سؤاله لئلا يظنون أني تكبرت عليهم وكنت أفهّم كل واحد على حدة وهم يتأففون من المعاملة[4] وأنا أضحك عليهم وكثير من أصحابنا كانوا يسألونني ولو كانوا رأوني كل ربع ساعة.

(١) الضابط المسؤول عنه.
(٢) الطاهي.
(٣) الرواتب.
(٤) أي تأخر دفع الرواتب.

سرّ يتوقف عليه مستقبلي!

الجمعة ١٦ نيسان ١٩١٥ [غربي]. ٣ نيسان ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٢ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]



موسى العلمي، القدس ١٩١٦.
المصدر: مجموعة عائلة تودوري (بيت لحم).

[٢٠] أصدر روشن بيك أمراً بأن الدائرة ستعطل أيام الجمعة بين الساعة ١١ افرنجي حتى الساعة ٣ بعد الظهر. ففي الساعة ١١ ذهبت إلى المدرسة[1] وكان هنالك الآنسة ميليا [السكاكيني] وكل من جورجي بترو وأنطون مشبك وموسى العلمي. مكثت في المدرسة حتى الساعة ١١:٣٠ ثم قام جورجي يريد الذهاب فمنعته وفر من أمامي فلحقته ثم وقف وقال «أريد أن أقول لك سراً يتوقف عليه مستقبلك». فظننته يهذي معي وقد قال بأني إذا لم أتركه لا يقول لي [السر]. لم ألتفت إلى كلامه بل أخذته إلى المدرسة وقد توعدني بأنه لا يقول لي هذا السر. ثم قال بأنه سيقوله لي بعد جمعة [أسبوع] لأنه لم يتحقق بعد من صدق ما يقوله لي. ظننت بأنه سيقول لي كلام قد قصّه عليه عادل جبر عني لأنه ذكر ذلك لمّا طعنت به ولعنته ثم سحبت كلامي. وقلت له بأنني لا أعنيه. ذهبنا إلى المدرسة الساعة ١٢ تقريباً وكان معنا موسى العلمي[2] وقد كنا تواعدنا إلى أن نحضر إلى المدرسة في الساعة الواحدة بعد الظهر.

لم يتركني موسى لأذهب إلى بيتنا لتناول الغداء بل أدخلني إلى بيته وهناك تناولت

(١) المدرسة الدستورية الوطنية. أسسها خليل السكاكيني سنة ١٩٠٩ بالاشتراك مع علي جار الله وجميل الخالدي وافتيم مشبك. وهي أول مدرسة وطنية غير طائفية في فلسطين.
(٢) سياسي ومثقف مقدسي. عمل خلال الحرب العظمى في مكتب الرقابة العثماني في دمشق، وخلال الانتداب البريطاني سكرتيراً خاصاً للمندوب السامي آرثر واكهوب.

الطعام وكان ذلك كوسى محشي طازة. لقد ضايقني في الأكل فلم أقم عن السفرة [المائدة] إلاّ وبطني كبطن الحبلى وأنا لا أستطيع المشي من كثر ما أطعمني كأنه يظن بأنه كل ما أطعمني يظهر لي أكثر احتراماً. والأنكى من كل ذلك حال خروجنا من بيت السفرة أغصبني على حمل برتقالة مما جعلني أتضايق من هذا العمل فإن من عادتي الآن إذا قعدت على أي سفرة لا يمكنني أن أقوم عنها إلاّ وأنا شبعان ولو كنت علمت بأنه سيعمل معي هكذا لكنت نهضت عن السفرة قبل أن أشبع ثم هو يرجعني إلى أن آكل زيادة وهكذا أقوم شبعان. ما أبشع هذه العادة. قعدت عنده إلى ما بعد الساعة الواحدة. وقد كنت عند موسى أقرأ في مجموعة خواطر للمرحوم قاسم بيك أمين.[1] وفي الساعة الواحدة ذهبنا إلى المدرسة وكان هناك جورجي [بترو] يكتب ورقة كلفته بها الآنسة ميليا السكاكيني.

[21] في الساعة ٢ جاء إلى المدرسة المعلم خليل وكان معه عادل جبر وأول ما نطق الأخير كان «أفّ رائحة دخان»! وكانت وقتئذ سيكارة بيدي أشعلتها. فلم أهتم بما سمعته وبقيت أشرب سيكارتي إلى آخر مصّة كنت أقدر أن أشرب منها وهو طول الوقت «يسمّع»[2] على رائحة الدخان. ما أبرده وما أثقل دمه! فهل سمعنا بأن من يشرب الدخان يتأفف منه. كلا وأبيك. ولكن كل شيء للناقص ناقص. قعد هو وموسى على تخت في الغرفة وصارا يتجاذبان أطراف الحديث. وقد كنت دائراً ظهري نصفه. ثم قال الأفندي المومى إليه [عادل جبر] بأنه يشعر بتراخي في أعضائه وهو يود أن ينام فدعاه موسى إلى بيته فلبى الدعوة فرحاً مسروراً وقام على رجليه وخطى خطوة أو خطوتين وهو يقول «ولكن لا يوجد معي وقت لأنني في الساعة الآتية سأعطي درساً ولا أقدر أن أذهب». ولكنه ذهب. دعاني موسى إلى أن أذهب معه فرفضت واحتججت بأنني سأذهب عما قريب إلى المنزل [العسكري]. وكم كان خوفي شديداً منه مما لو غضب عليّ ليأخذني معه [....].[3] كنت مسروراً للغاية وأضحك ضحكاً شديداً وأفرح مع الكل ولكن حال وصوله[4] انقلبت حالتي وانقفط[5] صدري ولم أنبس ببنت شفة طول وجوده في الغرفة. ولم يكد يخرج من الغرفة إلاّ وعادت إليّ

(١) كاتب مصري من دعاة تحرير المرأة.
(٢) يحتج بطريقة غير مباشرة.
(٣) جملة مشطوبة.
(٤) يقصد عادل جبر.
(٥) انقبض.

أفراحي وسررت جداً.

في الساعة ٢:٤٥ أغصبت على جورجي [بترو][1] بأن يصحبني ليقول لي ذلك السر وقصته. ثم أخذته قسراً لأنه [....].[2] أخبرني بأنه يريد أن يخبرني شيئاً بيني وبينه. لم يهدأ لي بال وصرت أخمن ماذا يكون ذلك السر وأخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء.

(١) ضغط عليه.
(٢) كلمة غير واضحة في الأصل.

هل تحب السيدة (ع)؟



أفتيم مشبك من أصدقاء إحسان، القدس ١٩٠٥.

المصدر: مجموعة عائلة تودوري (بيت لحم).

[٢٢] خرجت وإياه [جورج بترو] من المدرسة [الدستورية] وسألته أن يخبرني ما كان في نيته أن يخبرني به فرفض أولاً. فلححت عليه. فصار يختلق لي بعض القصص فلم أصدقه. وبعد عذاب شديد سألني «هل تحب السيدة ع؟»[١] فقلت له «مالك ولهذا؟ أخبرني ماذا في نيتك أن تقول لي؟» ثم عاد وسألني نفس السؤال فسكت وعلمت أن في المسألة سراً غامضاً عليّ. ثم رجاني بأن أتركه وشأنه لأنه سيشوش أفكاري كما ادعى فيما لو ذكر لي قصته. فأجبته بأنه في إنكاره هذا يقلق راحتي طول هذه الجمعة [هذا الأسبوع] لأنه وعدني بأنه سيقص عليّ ما في نيته أن يقوله لي في مثل هذا اليوم. فلمّا رأى أنني صممت النية على الاستفسار ولم يعد له مناص سألني السؤال الآنف الذكر وهو «هل أحب السيدة ع؟» ثم أخذ يقص عليّ ما يأتي:

جرّب (أ. ب.)[٢] أن يتزوج هذه السيدة. وقد جرّب كل ما في وسعه أن يتقرب إلى بيتها حتى نجح وصار يروح ويجيء عند (و. أفندي)[٣] على زعمه لأنه كما يظهر بأنه صديق له. ولكن لمّا علمت ع. خانم ذلك رفضت زفها عليه وهم الآن لم يعطونه الجواب الكافي. وذكر أيضاً أن في نية أحد من الموجودين الآن في القدس وهم يتعاطون [....][٤] في نية أحدهم أن يتزوج هذه الآنسة التي من حين خلقت

(١) الاسم مشطوب في الأصل واستعيض عنه بحرف ع.
(٢) الاسم مشطوب في الأصل وتم استبداله بحرفي (أ. ب.).
(٣) الاسم مشطوب في الأصل وتم استبداله بـ (و. أفندي)، ويبدو أنه شقيق السيدة ع.
(٤) جملة مشطوبة.

أنا وخلقت هي ونحن نسمع بأنها ستكون شريكتي في المستقبل وأكون عريسها وهؤلاء يريدون غصبها [على الزواج] فتباً لهذه الدنيا!

لم يفدني جورجي [بترو] أكثر من ذلك. فسألته ممن أخذ كل هذه الأخبار؟ ولكني أعرف بأن هذه المعلومات لم تكن إلاّ من [....].[١] ثم أوصاني بأن لا أذكر من ذلك شيئاً وانصرفنا. ذهب هو ولا أظنه افتكر بهذه القصة وتركني أنا كالمجنون لا أعلم ماذا أصنع. افتكرت هذا الفكر. وهو بأن أقول لوالدي بأن يخبر جدها الشيخ [....][٢] بأنها ستكون هي زوجتي ويخطبها لي وأزف عليها بعد أن أنهي دروسي.[٣] وقد خطر لي بأن لا أدع أحداً يدري غير والدي فقط. مكثت أفتكر طول هذا النهار وماذا أقدر أن أصنع غير ذلك ولكني افتكرت أيضاً بأنه لا يجب الآن أن أفعل ذلك لأن الوقت ليس مناسباً.

[٢٣] تركت هذا الخاطر وعدت أفتكر علّني أجد غيره ولكني لم أجد أحسن منه. طول هذا النهار وأنا أفتكر بهذه القضية الهامة وقد كان تأثري بالغاً حده من سماع هذا الخبر. لم تبلغ الساعة ٦ إلاّ وخرجت من المنزل [العسكري] وذهبت إلى باب الخليل لأخفف ما عليّ من الأحزان وقد كان في نيتي أن أذهب إلى المدرسة [الدستورية] حيث أجد جورجي [بترو] وأعلم تفاصيل هذا الخبر ولكن الذي منعني من ذلك هو خوفي من أن أجد معه رفاقنا وحينئذ لا يجدني نفعاً الاجتماع به. فلذلك عولت على الذهاب إلى باب الخليل لأخفف ما ألمّ بي في هذا النهار من الأحزان.

قبل أن أصل إلى باب الخليل اجتمعت بالخواجة افتيم مشبك.[٤] ومشينا سوية وتحدثنا عن هذه الدولة وعن طابور الزبالة الذي تشكل جديداً.[٥] وكان الأحرى بالدولة العثمانية أن تستخدم ١٠ أو ٢٠ شخصاً ممن يعرفون صناعة الكناسة. وكانت بهذا العمل كسبت من جهتين: أولاً توفر عليها دراهم لأنها أعطت هذه

(١) الاسم مشطوب.
(٢) الاسم مشطوب.
(٣) يقصد دراسته الجامعية بعد خدمة الجندية.
(٤) صديق خليل السكاكيني وغريمه في التنافس على حب سلطانة عبده قبل أن يتزوجها السكاكيني سنة ١٩١٢. درّس في المدرسة الدستورية، وهو من مؤسسي جمعية الآداب الزاهرة سنة ١٨٨٧، ومن محرري صحيفة «الأصمعي» في القدس، ١٩٠٩. توفي في القاهرة سنة ١٩٥٥ (المصدر: تيدي ونادية تودوري).
(٥) طابور الزبالة: من كتائب العملة في الجيش.

الحرفة إلى أربابها وصرفت نصف أو ربع ما تصرفه على هذا البلوك.[1]

وثانياً، لكسبت أجر هؤلاء المساكين[2] وتركتهم لعيالهم وأخذت من كل فرد عدداً جزائياً تفرضه على كل شخص في الجمعة [الأسبوع] وأن ينزل هو بيده ويخدم.

ثم تكلمنا عن طابور العملة[3] وقد ذهبنا إلى محل تشغيل فيه ٤٠ شخصاً وقد صار لهم أكثر من ١٦ يوماً في بقعة من الأرض لا تبلغ ٣٠ ذراعاً.[4] لو صرفت هذه المبالغ أو ربعها وأعطتها لأرباب هذه الصنعة لاشتغلوا أضعاف أضعاف ذلك. ولكن...

بينما كنت مع الخواجة المذكور إذ رأيت ضالتي المنشودة[5] مع جريس قرط فوقفنا وودعت افتيم وجريس وذهبت وجورجي إلى سكة يافا[6] وكان حديثنا في بادئ الأمر عن أغلاط هذه الدولة وكيف أنه غير ممكن نجاحها مطلقاً لأنها بلغت حدها وهكذا...

---

(١) الفرقة.

(٢) المجندون من أهالي القدس ومدن أُخرى ممن أُجبروا على جمع النفايات بدل الخدمة العسكرية.

(٣) فريق الأشغال العامة، وهم أيضاً من المجندين المدنيين في الحرب الأولى.

(٤) مقياس يتراوح ما بين ٥٥ و٨٠ سم.

(٥) جورجي بترو.

(٦) ربما يعني محطة القطار [القدس - يافا] قبالة جبل صهيون القريبة من باب الخليل، أو - على الأغلب - شارع يافا المنحدر من باب الجديد.

سعادتي لا توصف

أخذ بنا الحديث أكثر من نصف ساعة وكنت دائماً أريد أن أقطع الكلام لكي نرجع إلى موضوع بعد الظهر. ولكن الحياء كان يمنعني. أخيراً لمّا اقتربت من بيته [بيت جورج بترو] رأيت أن لا بد لي من فتح السيرة [الموضوع] وقلت له: «ها يا جورج كمّل لي القصة». فتجاهل هو ولكنه رجع وقال «ليس في الأمر خلاف ما ذكرته لك». فقلت له بأن يعيد عليّ ذلك ويوضح لي أكثر. فلبى طلبي وقال: «كنت ذكرت لي يا إحسان مرة بأنك ستتزوج (ع. خانم) قبل ٤ سنوات؟ (وقد كان أُفلت مني هذا السر وذكرته له وتوقفت).[1] وأنا طول هذه المدة لم أفاتحك بذلك. وفي هذه الأيام سمعت بأن (أ. أفندي) خطب أو سيخطب (ع. خانم) ولكنها لا تفتكر مطلقاً زفها [زفافها] عليه. وكانت هي تهزأ عليه وتقلده في مشيته لمّا كانت تجتمع ب [....][2] وتسخر به».[3]

[٢٤] ثم أراد أن يطمئنني بقوله بأنها تميل إليّ وسألته «مما استنتجت ذلك»؟ أجاب بأنها لمّا سافرتُ إلى نابلس يوم النفير العام تكدرت هي ووالدتها. وحين رجوعي إلى القدس قالت [....][4] ما معناه بأنهم الآن ارتاحوا وفرحوا لي، ورجع السرور إلى بيتهم لرجوعي.

حينما ذكر لي ذلك وسمعت منه أنها تحبني نسيت أحزاني وذهبت أفكار النهار بعضها [....][5] لحد الآن ولحد الغد وإلى ما بعد الغد وإلى ما شاء الله. أخاف في كل يوم من أن يأخذها غيري. ولكن جورجي خوّفني بقوله لربما زُفت على [....][6] لأنها تسمع دائماً أباها وأخاها يمدحانهم ويثنيان عليهم وهي بالطبع يؤثر عليها مثل هذه الأقوال. هذه الكلمات أرجعت لي بعض أحزاني وأفكاري. لم يكن (أ. أفندي) يزور بيت [....][7] أفندي لوجه الله تعالى وما يريه ل [....][8] من المحبة [ليس] إكراماً

---

(١) أدخل الكاتب هذه الجملة في الهامش فيما بعد.

(٢) الكلمة مشطوبة.

(٣) يبدو أن إحدى قريبات جورج بترو كانت تتردد على بيت ع. خانم، ذلك بأن من الصعب أن يكون هو الطرف الذي شاهد هذا السلوك في جو القدس المحافظ حينذاك، وخصوصاً في ضوء الجملة اللاحقة.

(٤) الاسم مشطوب.

(٥) كلمات غير واضحة في الأصل.

(٦) الاسم مشطوب.

(٧) الاسم مشطوب.

(٨) الاسم مشطوب.

لعينيه السوداويتين. بل كان يتربص الفرص حتى يراها ويتعرف بها ويجعلها تميل إليه ولكن ولله الحمد خابت آماله بها والآن بقي عليها [....][١] فاللهم اصرفهم من هذه البلاد ولا تنجح لأحدهم مسعى من هذه الجهة.

قال جورجي بأن [....][٢] سيذهبون إلى [....][٣] ويبتّون المسألة هناك ويرضون والدها وهذا ما جعله يقول لي في أول النهار بأنه سيقص عليّ ذلك في الجمعة [الأسبوع] القادمة. ولكن (ع) على ما أظن ليست من النساء اللواتي يتزوجن ويقبلن ما يقبله لهن والدهن. بل هي ولا شك حرة الأفكار وتجاهر إذا كانت لا ترضى بالشخص الذي خطبها لأنها من السيدات المتعلمات الأديبات. فهذا أملي بها وأرجو الله بأن لا يخيب أملاً من هذه الجهة.

أنا لا أرى سعادتي إلاّ بها. وكلما أتذكرها ويخطر على بالي اسمها أرى أمام عيناي السعادة شاخصة أمامي. فصدري مشروح لها وإن لم أعرفها إلاّ حين كانت صغيرة ولكني لو أراها بين ملايين النساء المتحجبات وهي معهن أعرفها من كسمها[٤] وهيئتها وليس من وجهها.

تكلمنا عن [....][٥] بعد أن انتهينا من هذه القصة وقد قال [جورجي] بأنه خبيث ملعون فاسد الأخلاق. وقد أكد لي ذلك وقال متى شب وكبر أرى صدق قوله ولكني خالفته من هذه الجهة وقلت له بأنه جاهل ليس إلاّ.

أخذ بنا الكلام أكثر من ٣/٤ ساعة. ثم ذهبنا إلى البيت وكانت الساعة ٧ ١/٢ وأخذت العشاء وقد كان فكر أهل البيت مشغول على عدم مجيئي على الغداء كالعادة. لم أذهب في هذا المساء إلى المنزل [العسكري] بل قعدت عند والدي.

ذهبت إلى الفراش في الساعة ١٠ ١/٢ ولكن لم أستطع النوم إلاّ بعد الواحدة والربع.

---

(١) الاسم مشطوب، ويبدو أن شخصاً آخر غير عادل جبر كان يريد محبوبة إحسان، ولكن ليس من القدس كما يظهر. لذا فإحسان يرجو أن يغادر البلاد.
(٢) الاسم مشطوب.
(٣) اسم المكان مشطوب.
(٤) شكلها.
(٥) الاسم مشطوب.

محبتي لـ ع. خانم

السبت ١٧ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ٤ نيسان ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٣ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٢٥] نهضت صباحاً ولم يذهب هذا الفكر عني[١] طول هذا النهار ولكن لم يكن كالبارحة. لم يكن ذلك عن إهمال أو أني نسيت هذا الفكر بل كنت من حين إلى آخر أذكر قوله بأنها تحبني. لقد كنت أكره (أ. أفندي ب.) فيما مضى ولم أعلم سبب كرهي إياه. وقد كنت كثيراً ما أناجي نفسي لماذا تكرهه؟ ولم يكن كرهي إياه على ما كنت أظن إلاّ لأنه متكبر، وإذا تكلم لا يريد أحداً أن يجادله في كلامه. فكلامه حجة وآيات قرآنية. والذي دعاني لأن أكرهه أيضاً أننا كنا في ذات الليلة في بيت الأستاذ خليل [السكاكيني] وقد كنا نلعب ألعاباً مختلفة منها أنه كان المعلم خليل يعزف على الكمنجة ويقف أحدنا في البيت ويحزر ما يريده منه الجمهور على هوى الصوت. فجاء الدور إلى (أ. أفندي ب.) واتفقنا على أن يأخذ السيكارة من يده ولم أكن أحب أن يفعلوا ذلك لأنني أكرهه قبل هذه الليلة أيضاً. ولكني لم أحب أن أغير ما قالوه واخترت ذلك فقرب إليّ (أ. ب.) وصار يجمع فكره فيما يكون هذا الشيء الذي يريدونه، فتَحَزّر مرة أو مرتين، وما رأيته إلاّ [أن] مد يده وشد أذني. كم زعلت[٢] من ذلك ولو لم يكن في بيت الأستاذ لكنت أسمعته ما لا يريده. ولكن من طبعي المسالمة.

اشتد غيظي وضيقت عليه. وأنا كلما أذكر هذه القصة يكاد عقلي يطير. وأنا كلما أراه أحب أن أبعد عن وجهه ولا أعود أرى له صورة. فلعنة الله على هذه الحرب التي عرفتني به. [....][٣] فإذا أخذت هذه السيدة وتزوجت أحد هؤلاء المذكورين أكون أنا قد خسرت أكثر من غيري لأن هذه الحرب تكون قد أضاعت مني شريكتي في حياتي ولكن المستقبل بيد الله. لم أسرّ أكثر من كلمة جورجي البارحة وهي أن (ع) كانت تهزأ به وتقلده في مشيته. قلت سبحان الله أنا أكرهه وهي تكرهه هذا اتفاق عجيب قل أن يحدث.

في الساعة ٤ اجتمع في باب المنزل [العسكري] رجال ونساء، ولم أر يوماً

---

(١) ما أخبره به جورج بترو عن أن محبوبته ع. خانم تحبه (أنظر أعلاه، ص ١٠٩).
(٢) أي اغتاظ.
(٣) جملة مشطوبة.



الدكتور حسن شكري الخالدي، ابن خالة إحسان الترجمان وصديقه الأعز.

المصدر: مجموعة السيدة سلمى الخالدي (رام الله).

اجتمعوا به أكثر من هذا اليوم، وذلك ليسمعوا الموسيقى العسكرية وهي موسيقى فرقة إزمير وقد أتت مع [طاقمها؟] بمناسبة هذه الحرب. وبالحقيقة إن هذه الموسيقى لم يسبق لها نظير في البلاد العثمانية. فإنها تعزف أحسن الدقات وبكل تأني وبمعرفة زائدة.

قيل اليوم بأن الحكومة قد عزمت على أن تهاجم مصر في ٥ مايس المقبل. والذي أخبرني بذلك قال بأنه سمعه من فم أحد الضباط ولكن أنّى للحكومة ذلك؟

[٢٦] كان واقفاً في باب المنزل [العسكري] المعلم خليل وحلمي الحسيني[١] وموسى العلمي فذهبت إلى عندهم وصرت رابعهم. وقفت أسمع ولم أنبس ببنت شفة. فذهب حلمي لأنه يريد أن يوصل مكتوباً إلى الطور.[٢] ثم بعد قليل ذهب المعلم خليل وبقيت وموسى إلى أن ذهبت الموسيقى. فجاء حسن الخالدي وسلمت عليه لأنه آت من يافا وودعنا موسى [الذي] ذهب إلى شرفات[٣] حيث تكون العزيمة غداً غداً.[٤]

(١) من مواليد القدس سنة ١٨٩٠. درس في مدرسة السان جورج. عمل في دائرة الأراضي سنة ١٩٢١، ثم عُيّن قائمقاماً لعدة مدن، منها حيفا - أنظر: أحمد خليل العقاد، «من هو؟ رجالات فلسطين، ١٩٤٧»، ص ٤١.

(٢) قرية في جبل الزيتون من ضواحي القدس.

(٣) من قرى القدس وفيها المنزل العائلي لآل العلمي.

(٤) الإشارة مبهمة. العزيمة هنا وليمة وليست من «العزم».

روشن بيك رجل طيب!



فرقة موسيقية عثمانية تعزف في باب الخليل للجمهور، ١٩١٦.
المصدر: مجموعة ماتسون.

ثم جاء فريد بيك الحسيني وذهبنا إلى المنشية لسماع موسيقة فرقة الشام ومن هناك ذهبنا إلى طريق يافا. لم أكن كعادتي فرحاً مسروراً بل كان صدري مقفوطاً [منقبضاً] ولا أستطيع أن أتكلم.

بينما نحن ذاهبين إلى طريق [يافا] وإذا بأوتوموبيل وكان فيه روشن بيك ولمّا رجعنا رأيناه ثانية. لقد أحببت أن لا يراني أكزدر(١) على طريق يافا خصوصاً وأنا عنده(٢) ولكن البيك رجل طيب.(٣)

عند الغروب ذهبنا إلى المكتبة أنا وحسن [الخالدي] فقط ومنها إلى الحرم واجتمعنا بصدر [الدين الخالدي]. فتحدثنا عن مسألة الجراد. وكان من رأيهما بأن لا تجبر الحكومة أحداً بأن يجمع [بيض] الجراد فقد خالفتهم وذلك لأنه انوجد(٤) هذا العام بكثرة. وقد باض كثيراً فلقطع دابره ولتأمين راحة الأهالي في السنين المقبلة أصدرت [الحكومة] هذا الأمر وهو أن يذهب من [هو في] سن ١٥ إلى ٦٠ ويجمع ٢٠ كيلو من بذور [بيض] الجراد. إنه والله قانون حق. ولكن لو الحكومة أعلنت بأن الذي لا يذهب يقدر مثلاً أن يضع رسماً(٥) قدره كذا وكذا عن كل كيلو لكان هو الصواب. وظل الاثنان على عنادهما وأنا كذلك.

ذهبنا إلى البيت وكان العشاء كبة بصينية وفي الساعة ٨ أجبرتني والدتي أن أذهب إلى المنزل [العسكري] فتركت حسن وذهبت وصدر [الدين]. وصلت هناك وعلمت بأن في هذا المساء ستعطل جميع الدوائر. تكدرت لمجيئي ولكن نفذ

(١) يتمشى.
(٢) يقصد بينما كان من المفترض أن يكون في وظيفته بإمرة روشن بيك.
(٣) كان روشن بيك معروفاً بحلمه وتسامحه مع الجنود.
(٤) وُجد، جاء.
(٥) يدفع غرامة بدل.

السهم(١) فذهبنا إلى بيوتنا وكتبت مفكراتي عن الأيام السابقة. وكنت أكتب وأتكلم بدون وعي لأن ذلك الخاطر لا يزال [....].(٢) فأنا أكاد أن أجن من سماعه. لمّا وصلت إلى البيت أخبرتني والدتي بأن عمتاني [عمتاي] ذهبنا إلى فوق إلى عند والدي،(٣) خلاف العادة. وقد سألتها عن السبب فلم تلبني.(٤) أخيراً قالت لربما عمتك زعلانة لأنك تجيب معك أولاد خالتك. فأجبتها بقولي «لله العجب! لمّا كنت أذهب إلى يافا وأقعد أسابيعاً وأشهراً لم يكونوا يقولوا شيئاً».(٥) ثم عادت وقالت لربما لم يكن ذلك بل إن في الأمر سراً لا تعرفه. قبل أن تقول لي والدتي ذلك ظننت بأن عمتي ذاهبة إلى فوق لتخبر والدي بأنها تريد أن تزوجني فلانة. هذا الفكر لم يذهب عن بالي وهكذا ظننت الكل يفكرون.(٦)

نمت في الساعة ١١½ نوماً هادئاً لم أنم مثله في الليالي السابقة.

(١) جرى ما جرى.
(٢) كلمة غير مقروءة.
(٣) في الطبقة العلوية حيث كان يقطن والده مع زوجته الأولى.
(٤) لم تجب عن سؤاله.
(٥) يقصد المكوث في بيت خالته في يافا.
(٦) يقصد أن الجميع مهووس بقضية زواجه.

التلصلص على بيت محبوبتي

الأحد ١٨ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ٥ نيسان ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٤ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٢٧] قبل أن أستيقظ وأنهض من فراشي رأيت في منامي أنني قاعد مع و. ل.[١] في بيته على البلكون وإذا بوالدته قد مرت وجاءت إلى البلكون ثم أتت بعدها ابنتها ومرت أيضاً ولكني لم أتحقق [من] صورة وجهها تماماً. ثم انتبهت[٢] ونظرت يمنة ويسرة ولم أرَ أحداً بجانبي غير عمتي الكبيرة التي كانت نائمة على سريرها فنهضت للحال من فراشي وقد كانت الساعة وقتئذ ٦ ١/٤ صباحاً. ذهبت إلى غرفتي وبدأت أكتب مفكراتي عن أحداث أول البارحة.

ذهبت إلى المنزل [العسكري] بعد أن أخذت الطعام وأنا مشروح الصدر ولم أذكر بأنني كنت مرتاحاً ومسروراً مثل هذا اليوم [منذ] ٣ أو ٤ سنوات. ولم أنهض من فراشي منتعشاً ومملوءاً نشاطاً مثل هذا اليوم.

كنت طول هذا النهار مسروراً جداً ولم أرَ قط ما يزعجني وكم أتمنى لو أرى هذا المنام كل ليلة. لم أفتكر طول هذا النهار إلاّ بهذا الحلم اللذيذ الذي طالما كنت أتمنى لو أرى مثله.

قبضت في هذا النهار بدل التعينات وقدره ٨٥ ١/٢ قرشاً صاغاً. وقد أخذت لمحمود غنيم أيضاً بدله.[٣] وهو لا يزال معي. وهو يريد مني الآن ٩٠ غرشاً لأنه أبقى معي ٤ ١/٢ [قروش] لأقبض له بدله ولآخذ ليرة فرنسية.[٤]

ذهبت الظهر إلى البيت وأخذت طعام الغداء. ثم ذهبت إلى المنزل [العسكري] ومررت على المشعشع[٥] لأطلب منه دراهم ولكني لم آخذ منه شيئاً. ثم واصلت السير إلى المنزل وبقيت هناك حتى الساعة ٥ ٣/٤. خطر لي خاطر في هذا المساء وهو أن أمر عن باب بيتها علّني أراها مارة من هناك فذهبت ولكني لم أرَ شيئاً. كم زاد سروري فيما لو رأيتها في هذا النهار. أنا لست طماعاً فإنني أكتفي بأن أراها متسترة

---

(١) شقيق ع، محبوبة إحسان.

(٢) استيقظ من النوم.

(٣) راتبه.

(٤) الليرة الفرنسية كانت تساوي في تلك الفترة ٩٠ قرشاً عثمانياً.

(٥) أحد أفراد عائلة مقدسية معروفة.

ومحجبة وهذا يكفيني ولكن ويا للأسف لم أراها.



ورقة نقدية بقيمة ٥٠ قرشاً عثمانياً. (راتب الجندي العثماني في القدس كان ٨٥ ١/٢ قرشاً سنة ١٩١٥).

ذهبت إلى البيت وأخذت العشاء. كنت أوصيت عارف[١] قبل يومين بأن يذهب إلى عند إسحق ليون ويسأله إذا كان قد باع البرنيطة[٢] التي كنت اشتريتها منه. وإذا لم يبعها فليرجعها لي لأنه مضى على ذلك أكثر من شهرين ونصف. فذهب إليه ورآه لم يبعها فأحضرها معه فلبستها في البيت على رأسي. كم إنها جميلة! وقد خطر لي بأن أتصور بها وأنا جندي. وقصة هذه البرنيطة هي أنني قبل ٣ أشهر اتفقت وحسن [الخالدي] واشترى كل منا برنيطة وألبسها قماشاً عسكرياً. ولكن لم [أكد] أصل إلى البيت ورآها والدي. إلاّ ومنعني عن لبسها.

ذهبت إلى المنزل [العسكري] وقد كنت في الطريق أنظر إلى بيتها فرأيته مضوياً فمسّيت عليها وذهبت إلى المنزل. قال ضابطي فارس أفندي ليوسف طوطح أعطني ١٧ قرش صاغ لأعطيك ليرة عثمانية. وبما أنه لم يكن معه دراهم طلب مني فأعطيته من غير خاطر. أحببت أن أكذب عليه ولكني لم أقدر وفضلت أن أخاطر بالمجيدي[٣] ولا بالكذب.

ذهبت الساعة ١٠ ونمت في ١١ ١/٢.

---

(١) شقيق إحسان.

(٢) القبعة.

(٣) قطعة نقدية من الفضة كانت تساوي عشرين قرشاً.

ابن خالتي في خان يونس

الاثنين ١٩ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ٦ نيسان ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٥ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٢٨] ذهبت كعادتي في الصباح إلى المنزل [العسكري] ولم أرجع [إلى البيت] إلاّ الظهر حيث أخذت الطعام ورجعت إلى المنزل. وفي الساعة ٥ ١/٢ ذهبت وتمشيت قليلاً لوحدي، ثم رجعت إلى البيت. وفي الساعة الثامنة ذهبت إلى المنزل وقد كان هناك يوسف طوطح فحال وصولي أعطاني المجيدي[١] الذي كان أخذه مني البارحة وقد كان سوء ظني به في غير محله.

كنت قد استدنت من عمتي محبوبة مجيدي قبل ١٥ يوماً تقريباً وذلك لشراء ورق للمنزل [العسكري][٢] وحيث لم يكن معي دراهم حين اشتريتها اضطررت أن آخذ المجيدي منها. وقد مضى على شراء الورق مدة وفارس أفندي لم يعطني ثمنه. أمّا الدراهم ف ١٣ غرشاً عملة القدس.[٣] وأظن أن هذه الدراهم نفذت[٤] ولا أعود آخذها فقد نسيها أو تناساها ولو كان في نيته أن يعطيني إياها لكان فعل. أمّا أنا فلم أطلب الدراهم منه. أولاً لأنه ضابطي وأخجل من أن أطلبها منه. وثانياً فإنني أخجل من أي إنسان استدان مني بأن أطلب منه الدراهم. ولكن يجب عليّ أن أنزع هذا الخجل الذي في غير محله. فطالما هو لم يستح مني فلماذا أنا أستحي منه؟

أعطيت المجيدي الذي أخذته من يوسف لوالدتي وذلك لأجل أن تعطيها لخالتي لفقرها ولاشتداد هذه الأزمة المالية.

كتبت البارحة مكتوباً لابن خالتي محيي الدين الموجود الآن في خان يونس وقد أرسلته اليوم. [أخواتي] يسرا وسيرت[٥] في احتياج إلى كنادر[٦] صيفية. وقد قالت لهن الآنسة ميليا [السكاكيني] بأن يشترين كنادر للشتاء وذلك لأن الجلد نفذ.

(١) قطعة نقدية من الفضة كانت تساوي عشرين قرشاً.
(٢) يبدو أن الكاتب كان مسؤولاً عن شراء حاجات للمنزل العسكري كما يتضح من الجملة التالية.
(٣) عملة القدس: يوجد تباين في قيمة الصكوك المحلية من العملة العثمانية المعدنية.
(٤) يقصد أنه لم يعد في الإمكان استرجاعها.
(٥) يسرا وسيرت: يبدو من السياق أنهما شقيقتا الكاتب. لاحظ التهجئة التركية لسيرة، وكان الكاتب كتبها «سيرة» في المخطوطة ثم شطبها وأعاد كتابتها.
(٦) أحذية.

وهذا الجنس رخيص. وبما أنه لم يكن مع والدي دراهم أعطيت النصف ليرة إلى والدتي لشراء كنادر لهن.[١]

بينما أنا أفتش في هذا المساء عن بعض أوراق تخصني عثرت على أوراق مبعثرة وناقصة كتبتها في أيام .... المدرسة. فلذلك أحببت أن أجمعها في دفتر لي على حدة.



الآنسة ميليا السكاكيني، القدس ١٩٠٦ (تصوير: خليل رعد).

(١) يبدو من نصيحة الآنسة ميليا، التي كانت مسؤولة عن قسم البنات في المدرسة الدستورية، أن يسرا وسيرة كانتا طالبتين في المدرسة، الأمر الذي يلقي ضوءاً على توجهات عائلة الترجمان (الكاتب) بتعليم بناتها على الرغم من فقر العائلة الواضح.

الصهيونية ونفاق زملائي

الثلاثاء، ٢٠ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ٧ نيسان ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٦ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٢٩] بعد أن أفطرت ولبست ثيابي ذهبت إلى المنزل [العسكري] وقعدت حتى الساعة ١٢ افرنجية، وقد كنت خلال هذه المدة أقرأ في كتاب معرّب عن الفرنسية تعريب محمد كرد علي «تاريخ الحضارة» الجزء الأول.[١] وقد آليت على نفسي أن أقرأه كله وأحفظه في هذا الشهر وإني أرجو الله أن لا يعيقني عن ذلك فإنني ما شرعت في شيء وأكملته، وهذا من أكبر نقائصي فيجب أن أتعلم المثابرة والجلد على الشيء، وإذا صممت على شيء يجب أن أعمله وإن كان ذلك ضيق عليّ، فإذا لم أعمل على هذه الصورة فنجاحي غير مؤكد ومستحيل لأن السعادة والنجاح لا يأتيان إلاّ بالكد والنشاط لا بالقعود وتقطيع الوقت بالكلام الفارغ الذي لا طائل تحته.

بعد أن أخذت طعام الغداء أخذت مكاتيبي التي وردتني لمّا كنت في الكلية[٢] وفي نابلس أيام كنت جندياً والتي أرسلتها إلى البيت، وشرعت في ترتيبها. وبينما كنت كذلك إذ حضر إلى عندي والدي وأعطاني ٤ ليرات عثمانية وليرة إنكليزية ثمن ٣ تنكات سمن اشتراها من أبو حسن التيان، فسلمت الدراهم إلى ابنه حسن. وقد كنت قلت لوالدي بأنه لو اشترى تنكة كاز واستكفى بتنكتين سمنة لكان أفضل ولكن هذه الكلمة لم تعجبه وظل صامتاً.

في الساعة ٥ ١/٤ جاء ابن خالتي حسن الخالدي [ودعاني] إلى أن نلتقي في باب الخليل بعد ربع ساعة أو أكثر. في الساعة ٥ ١/٢ ذهبت ووجدته تجاه المنشية[٣] وكان معه علي عباس الجاعوني وعبد الرحيم الطبجي نجل الحاج حسين فذهبنا إلى طريق يافا ولم أنطق أنا ببنت شفة بل كان طول الوقت يتكلم حسن وعلي وقليلاً عبد [الرحيم الطبجي]. تكلموا عن الصهيونية. لم يكن لكلامهم طلاوة ولا معنى وبدون تفكر.

وإذا تكلم علي لا يكون كلامه إلاّ رياء وتوجهن[٤] لأن جميع أمثاله كلهم

(١) محمد كرد علي: مؤرخ وأديب سوري. من مؤسسي المجمع العلمي في دمشق ورئيسه.
(٢) يقصد المدرسة الدستورية.
(٣) حديقة البلدية قبالة المجمع الروسي المتفرع من شارع يافا.
(٤) يحمل محمل النفاق.

بجانب الصهيونية.[١] قال [علي] بأن الصهيونيين إذا كانت لهم أشغال في الحكومة فيذهبون مع نسائهم إذا كن جميلات، أو يأخذون واحدة جميلة وبهذه الصورة يقضي اليهودي شغله. وقد قال بأنه هو أيضاً إذا أتته سيدة مع زوجها أو أبيها أو أخيها فإنه يسهل شغلها قبل غيرها. هذا كلام رجل يطعن الصهيونيين!! أنا في هذا النهار يائس من هذه الحالة ولم يعد لي أمل ولكن أرجو الله بأن لا يطول يأسي.

(١) يؤيدونها.

الطائرات الإنكليزية تغير على يافا

[٣٠] وفي الساعة ٧¼ ذهبنا إلى البيت وقد سألته[١] إذا كان معه من ثمة أخبار جديدة فأجابني بأن الإنكليز طيّرت طيارة فوق يافا وأنزلت أوراق[٢] من الطيارة ثم ذهبت، ثم أخبرني بأنه لمّا كان جمال باشا القائد العام في غزة جاءت طيارة أيضاً ولمّا علمت [الطيارة] محل تجمع الجيش أشارت إلى البوابير الحربية[٣] التي كانت موجودة في [شاطئ] غزة فهموا منها محل الجنود فأطلقوا القنابل على المعسكر. أمّا الخسائر لم نعلم [مقدارها] بعد.

حسن يؤمل خيراً وهو يظن بأن الفرج سيأتي قريباً، بعد شهر أو جمعتين [أسبوعين]. وهو يظن بأن الإنكليز ستأتي قريباً بعد عشرة أو ٢٠ أو ٣٠ يوماً ويحتلون بلادنا.[٤] ولكن أنا أخالفه في بعض نقاط بأنني على ما أرى أن هذه الحرب بيننا وبين الإنكليز والافرنسيس[٥] والمسكوب[٦] ستدوم أكثر من ٤٠ شهر على أقل تقدير. نعم إن الحكومة لا تقدر أن تحارب وتعود إلى مصر بعد أن رأت بطش الإنكليز ولكن حربنا معهم ستدوم على ما أظن حتى تنتهي الحرب الأوروبية.

نحن نريد الصلح، وإن يكن الآن نحن لا [....].[٧] ولكن الأزمة المالية اشتدت ولم يعد بالإمكان أن نبقى [في الحرب] أكثر من ذلك فلم يبق شيء في البلاد.

بعد أن أخذنا طعام العشاء – وقد كان ورق عنب ومحشي – بقي حسن في البيت حتى الساعة ٩½ ثم ذهب وذهبت إلى بيتي[٨] ورتبت أوراقي، ولكن لي أوراق [ضائعة] لو وجدتها أسرّ سروراً لا مزيد عليه.

---

(١) يبدو المقصود من السياق حسن الخالدي.

(٢) مناشير.

(٣) البوارج.

(٤) وصل الجيش البريطاني إلى القدس في كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧، أي بعد عامين ونصف عام من هذا التقدير.

(٥) الفرنسيون.

(٦) الروس.

(٧) كلمات غير مقروءة.

(٨) يوجد بعض الإبهام في مكان العشاء، ذلك بأن البيت المذكور سابقاً قد يكون بيت إحسان أو بيت ابن خالته حسن الخالدي، ولكن لماذا يترك الاثنان هذا البيت إلى بيتيهما؟!

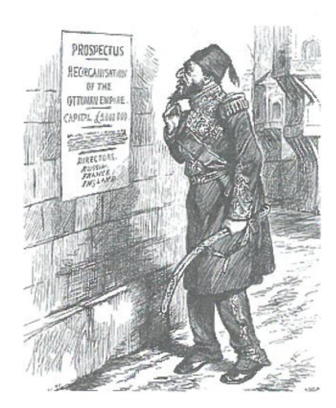
ذهبت إلى الفراش بعد أن كتبت قليلاً، وكنت وأنا أكتب، أكتب كلمة وأنام، حتى إني صرت أكتب غلطاً. ولمّا رأيت أنني لا أستطيع أن أكتب أكثر من ذلك ذهبت إلى الفراش وكانت الساعة ١١ ليلاً.

ملاحظة: أمطرت السماء مطراً غزيراً في الساعة ٨ مساء وقد أرعدت وأبرقت مما لم أر مثله في هذا العام ولا من مدة ٤ أو ٥ سنين. وقد دام المطر أكثر من نصف ساعة.

جريدة «الحمارة»[١] تتهكم على القيادة العثمانية

الأربعاء، ٢١ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ٨ نيسان ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٧ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]



صورة كاريكاتورية للسلطان عبد الحميد يطالع لائحة الإصلاحات الحكومية في الصحف الأوروبية.

[٣١] بعد أن نهضت من فراشي ذهبت إلى المنزل [العسكري] وكانت الساعة إذ ذاك ٨ افرنجية ومكثت هناك حتى الساعة ١٢ وذهبت إلى البيت وأخذت طعام الغداء وقد كان الطعام أرض شوكي. بعد أن كتبت قليلاً ذهبت إلى المنزل وقد كانت الساعة ٢. قبل أن أذهب أتى لي والدي بعددين من جريدة «الحمارة». وقد استلفت نظري ما رأيته في باب الفكاهات ولا أعلم إذا كان [الكاتب] يذكر ذلك من باب التهكم أو من باب الجد. أمّا ما جاء في الجريدة فهو ما يلي:

«لسان حال رجال الترك والعرب»

طلعت بك – «وإنك عبدي يا زمان وإنني على الرغم مني أن أرى لك سيدي»[٢]

(١) «الحمارة القاهرة» كانت جريدة تصدر في حيفا، تأسست في أيلول/سبتمبر ١٩١١، بتحرير خليل زقوت ونجيب جانا، وهي جريدة فكاهية أدبية – أنظر: يوسف ق. خوري، «الصحافة العربية في فلسطين ١٨٧٦ – ١٩٤٨» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، والاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين، ١٩٧٦)، ص ٢١.

(٢) البيت من قصيدة لابن سناء الملك يقول مطلعها:

سواي يهاب الموت أو يرهب الردى   وغيري يهوى أن يعيش مخلداً

أنور باشا – «وإنا لقوم لا نرى الموت سبة – إذا ما رأته عامر وسلول»[١]

أحمد جمال باشا، قائد الفيلق الرابع وناظر البحرية وقائد حملة مصر (ما أكثر ألقابه وأفعاله)

«الخيل والليل والبيداء تشهد لي   والسيف والرمح والقرطاس والقلم»[٢]

إنني أعجب من ذكر هذا البيت الذي لم يكن في محله. على م يشهدون لجمال؟ هل لأنه ارتد من مصر أم لجبنه. قال لي من كان في معيته لمّا كان زاحفاً على مصر إنه لمّا نشبت الحرب بيننا وبين إنكلترا قعد جمال على حدة وصار ينتف ويلعب بذقنه علامة الندم وهو يرتجف. فسأله أحد الجنود وهو نعمان الخالدي باللغة الفرنسية: «هل تأكل يا حضرة الباشا؟». ذهب وأتى له بقليل من البسكوت وقدمها له. فأخذها منه وقال «هل تظن يا ابني بأنني أستطيع أن أكسرها وآكلها؟» هذا كلام القائد العام! فعلى أي شيء تشهد له الخيل والسيوف والرماح والأقلام؟ ألأنه أخذ مصر وثابر، أم لماذا؟ إن ذلك لشيء عجيب.

نفذ التوتون[٣] من القدس من مدة جمعة [أسبوع] ولم يعد يبقى مطلقاً ولولا أنني تدبرت قبل هذه المدة واتخذت الاحتياطات واشتريت بضعة باكيتات طاتلي سرت[٤] لكان قد نفذ. ولكن ويا للأسف لم آخذ إلاّ قليلاً والدخان الموجود عندي لا يكفيني لغير الغد. سأشتري توتون بلدي مهرب وقد جربته اليوم ولكن لم أسرّ به بقدر الطاتلي سرت ولكن ذلك لأني لم أتعود عليه. ذهبت إلى المنزل [العسكري] بعد الغداء ثم رجعت إلى البيت وأخذت طعام العشاء ورجعت إلى المنزل [العسكري]. بقيت حتى الساعة ٩¼.

(١) البيت للشاعر الجاهلي السموأل ابن عادياء.

(٢) البيت للمتنبي، وقد وقع خطأ صغير في نقله. فالبيت يقول:

الخيل والليل والبيداء تعرفني   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

(٣) السجائر.

(٤) سجائر عثمانية ملفوفة، صناعة إستنبول.

طابور الزبالين

الخميس ٢٢ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ٩ نيسان ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٨ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]



طوابير الشغيلة المسخرة تحفر الترع بالقرب من بئر السبع.

المصدر: المجموعة الجوهرية، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

[٣٢] أول خبر سمعته اليوم هو أن طيارة إنكليزية جاءت إلى الرملة ورمت بعض مناشير للأهالي وحامت فوق الرملة ثم ذهبت. ثم سمعت أيضاً بأنه لمّا كانت إحدى طياراتنا طائرة بين الحفير والابن(١) إذ سقطت ولم نعلم النتيجة بعد.

لم نشرع في شيء ونشتغل فيه إلاّ ونرى الصعوبات أمامنا. وفي الآخر نرجع خائبين في كل مشروع نشرع فيه.

مسافة صغيرة بين الحفير والابن تقع الطيارة وتنكسر [تتحطم]. إن هذا لبلاء عظيم، بينما نرى الإنكليز يقطعون مسافات كبيرة ولم يحصل لطياراتهم أقل ضرر. لم يكن ذلك إلاّ لأحد أمرين: أولاً، لعدم مهارة الطيارين. وثانياً لأن ماكنات الطيارة لم تكن جيدة جداً. فحريّ بنا نحن العثمانيين أو بالحري هم الأتراك أن يتركوهم من هذه الورشة ويبرمون عقد الصلح وبذلك يريحون أنفسهم ويريحونا.

(١) الحفير والابن: منطقة عسكرية في بئر السبع. راجع أدناه خريطة رقم ٢، ص ١٣٨.

سجنت [الشرطة] البارحة عدة أناس من أكابر رجال إخواننا المسيحيين بدعوى أنهم تكلموا بالسياسة وطعنوا الدولة. أمّا المسجونين فهم أولاد جريس سعيدة، سابا وأخيه [....](١) حنا أيوب وحنا سلامة وخلافهم لا أعرف أسمائهم. لم أسمع هذا الخبر إلاّ اليوم عند الظهر وقد تأسفت جداً لسماعه. ماذا تقصد الحكومة من ذلك؟ هل تريد الانتقام أم ماذا؟ عجيب أمر هذه الحكومة. إن ما تعمله مع المسيحيين لا يصدر إلاّ عن كل وحش يريد الانتقام. كلما يريدون أن يفتحوا باباً جديداً يخصّون به المسيحيين وبعض الإسرائيليين.(٢)

تشكل طابور العملة ولم يكن فيه إلاّ المسيحيين والإسرائيليين وقليلاً من المسلمين لا يبلغ عددهم ١٠ أو ٢٠ على أكثر تقدير. ثم تشكل طابور الزبالة ولم يكن [فيه] من المسلمين أحداً. ما هذا الانتقام. والآن يريدون أن يفتحوا باب الجاسوسية(٣) وأول من يقتلون أو ينفون هم من المسيحيين وقد صدر أمر قبل بضعة أيام بأن ينقلوا من المنزل [العسكري] أسماء جميع المسيحيين فلم يكن ذلك. وهل وطنية اليهود أصدق من وطنيتهم؟

أعطاني ضابطي ١٦٥ قرشاً لأسلمها للخزينة. وبما أنه كانت الناس مزدحمة والشغل كثير تعوقت وقد فهمت بأن ضابطي قد ذكر لي ذلك من باب المزح.

لم أذهب في ١٠ مساء إلى المنزل [العسكري].

(١) الاسم غير مذكور.

(٢) تعبير كان شائعاً في العهد العثماني، ويُقصد به اليهود.

(٣) يقصد الاتهام بالتجسس.

الحكومة تفرض ضريبة الجراد على أهل القدس

الجمعة ٢٣ نيسان ١٩١٥ [غربي]. ١٠ نيسان ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٩ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]



أساتذة وطلاب المدرسة الدستورية الوطنية في القدس، ١٩١٠.

المصدر: المجموعة الجوهرية، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

[٣٣] ذهبت في الساعة الحادية عشر إلى المدرسة [الدستورية] الوطنية. فبعد أن قعدت قليلاً مع جورجي [بترو] وموسى [العلمي] ذهبت إلى البيت وقد اتفقت وجورجي على أن نحضر إلى المدرسة في الساعة الواحدة والنصف. فذهبت إلى البيت وبيّضت مقالة كنت كتبتها وأنا في المدرسة الوطنية لمّا كانت الحرب منتشبة بين الأتراك ودول البلقان.(١) وكان إذ ذاك الهدنة بين الدول المتحاربة وكان الخلاف ناشب بين

(١) حرب البلقان (١٩١٢ - ١٩١٤) نشبت بين البلغار والصرب من ناحية وبين الحكومة العثمانية من ناحية أخرى. شاركت فيها الميليشيات اليونانية والألبانية. ساهمت في تعزيز سلطة حزب الاتحاد والترقي، وفي هزيمة القوات التركية وانسحابها من الأراضي البلغارية والصربية واليونانية.

فريقين. منهم من كان يقول بإمضاء معاهدة الصلح وتسليم أدرنة للبلغار. ومنهم من بودون استئناف الحرب مرة ثانية. وقد سقطت وزارة كامل باشا التي كانت من القائلين بوجوب إبرام الصلح. وقد ثارت(١) الآستانة وسقطت الوزارة وقتل إذ ذاك ناظر الحربية ناظم باشا. وقد كان رأيي إذ ذاك بوجوب عقد الصلح. وقد كتبت كل ذلك وبينت الأسباب.

بعد أن كتبت ما تقدم ذهبت إلى المدرسة ولم يكن إذ ذاك قد حضر جورجي ولم تمض بضع دقائق حتى حضر وقعدنا نتحدث عن العلم والكتابة وما أشبه ذلك. وتذكرنا أيام كنا في الكلية- أيام كنا لا نعرف للمقت وللدنيا حساباً. آه ما أحلى تلك الأيام. فهل نعود يا رباه ونراها. ونذهب مرة أخرى إلى الكلية في السنين المقبلة. أم تكون تلك السنة أول وآخر سنة قضيتها في ذلك المعهد العلمي؟

ما أجمل الكلية وما أجمل الأيام التي قضيناها هناك. ما أطمع بني الإنسان. لمّا كنت في الكلية لم أكن أذكر إلاّ سيئاتها وقد نسيت كل فضيلة فيها. ولكن لمّا رجعت إلى القدس في أول فرصة تاقت نفسي إلى الرجوع إليها. ولم يكد يعلن التجمع العام.(٢) إلاّ وتاقت نفسي أكثر إلى الرجوع إليها. ولكن الإنسان لا يعرف قيمة الشيء إلاّ متى فقده وذهب منه.

كم كنت سعيداً في كليتي وكم كانت الأيام جميلة لمّا كنت هناك. لم أر شيئاً لم يقلق راحتي ولا ما يكدر خاطري. نعم كنت أتضايق في بعض الأحيان من الصلاة والأكل [....](٣) الخروج من الكلية ولكن ذلك ليس بالشيء الذي يوجب المكدرة. بالحقيقة إن أسعد أيام الإنسان هي الأيام التي يقضيها في كليته أو مدرسته. فهل نعود ونرى تلك الأيام يا ترى؟ نعم سأرجع إلى الكلية وسأقضي أيامي هناك بكل فرح وسرور. وإذا يسر لي الله سأذهب إلى أحد المعاهد العلمية في أوروبا وأميركا. وقد وضعت نصب عيني ذلك على شرط أن لا يحصل شيء يعيقني عن ذلك فإذا أراد لي الله السعادة والسرور فإنه ولا شك ينهي هذه الأزمة ويدع كل إنسان يذهب إلى حيث كان. فاللهم عجّل بتلك الأيام فإنني أنتظرها بفارغ صبر.

(١) هاجت.

(٢) النفير العام، أو إعلان التجنيد الإجباري في الدولة العثمانية، سنة ١٩١٤.

(٣) كلمات غير مقروءة.

التوتون(1) أهم من الأكل



إعلان توتون إستنبولي (سجائر) عليه صورة السلطان عبد الحميد.

بقيت في المدرسة [الدستورية] حتى الساعة ٢¾ فقمت وقبل أن أخرج وكان معي شكري رصاص لقيت عادل جبر فسلم عليه شكري فاضطررت لأن أصافحه. ثم ذهبت إلى المنزل [العسكري] وبقيت حتى الساعة ٦ حيث رجعت إلى المدرسة وقد كان هناك جورجي [بترو] فقعدنا قليلاً ثم قمنا وبينما نحن في الطريق صادفنا صديقنا حنا حمامة فعارضني [اعترضني] في الطريق وقال لي بأن أعطيه سيكارة بالرضا أو بالغصب، وقال أنه طول بعد الظهر كان يفتش على سيكارة إستمبولية ليشربها(2) فلم يجد، وكان معي إذ ذاك سيكارة واحدة أعطيتها له. فأخذها وقال بأنه سيدخنها بعد الطعام. نفذ الدخان من القدس ولم يعد يجد أحد دخان مطلقاً وقد استاء الجميع من [٣٤] ذلك وضجّوا لفقدانهم التوتون. فقد نفذت عدة أشياء من قبل مثل السكر والكاز والأرز وما شاكل. ولكنهم لم يهمهم ذلك كاهتمامهم بالدخان. إنه والحق يقال لأمر عجيب. استغنت الأهالي عن أشياء كثيرة ولكنهم اهتموا لأمر الدخان أكثر من الأكل حتى إن البعض صار يصخب على الحكومة ويلومها لإعلان هذه الحرب.

أخذت اليوم دخان من والدتي من مشروبها الخصوصي [ماركة] «صامسون»، وهي قد تدبرت(3) لهذا الأمر وخزّنت عندها بضعة صناديق. ولا شك بأنه سيكفيني

(١) السجائر.
(٢) ليدخنها.
(٣) احتاطت.

ويكفيها ريثما يأتي الدخان. آخر صندوق دخان نفذ البارحة وقد كان معي سيكارتين ففرطت السيكارتين ولففتهما ثلاث سيكارات اقتصاداً. إن داء الدخان لداء عظيم. سامح الله من علمني عليه.

ذهبت وجورجي إلى الكنيسة(1) وقد كانت الساعة ٧ ونيف فدخلتها وقد زوّرني إياها ولكن تلك الزيارة لا تحسب. وسأذهب في أحد الأيام وأزورها وأتفرج عليها.

ثم ذهبت إلى البيت. وقبل أن أذهب سمعت أن الحكومة غيّرت الفئة [الرسم الذي يدفع بدل عدم الذهاب للقضاء على الجراد] لتلقيط [بيض] الجراد وجعلت [المبلغ المطلوب دفعه] على الأغنياء ليرة عثمانية. وعلى متوسطي الحال ٦٠ غرشاً صاغاً، وعلى الفقراء ٣٠ غرشاً. حسناً فعلت الحكومة في إجبارها الجميع على تلقيط الجراد ودفع بدل دراهم لمن يريد أن يدفع. فإن ما فعلته هو عين الصواب وإن كان كثير يخطئونها لهذا العمل. ولكن يجب أن أقول وإن كنت أكرهها. بل ما فعلته لهو الصواب بعينه وذلك لأن الضرر فيما إذا فقس [الجراد] عائد للجميع. فلا غني يَسلم ولا فقير يَسلم. ومتى انتشر هذا الجراد فإنه لا شك سيحرث الأرض ويجعلها قاعاً صفصفاً. ولكن كان على الحكومة أن تتخذ التدابير اللازمة للذين يذهبون لجمعه [البيض] من مأوى ومأكل ومشرب. ولكنها تذكرت شيئاً وتركت أشياء.

جاء صدر [الدين الخالدي] إلى بيتنا هذا المساء وبقي حتى الساعة ٩¾ تقريباً. ثم ذهب. وقد ذكر لي قصة ضحكت منها وقلت في نفسي متى وقعت البقرة كثرت سكاكينها! من مدة جمعة [أسبوع] والبلدية تخلع جميع الرفوف من زينكو وغيره،(2) والبعض يقول للنظافة، ولجعل النور كافياً في الأزقة والأسواق والبعض الآخر يقول إن جمعها ليس إلاّ لبناء بيوت من خشب وزينكو لجمع بذور الجراد.(3) قول ثالث بعيد عن الفعل هو أن الحكومة تجمع الزينكو لجعله رصاصاً لتستعمله.(4) ولكن ذلك بعيد [التصديق].

كل يوم وعمتي في ازدياد بالمرض ولكن مرضها ليس إلاّ لكونها طاعنة في السن ولا شفاء منه. انتشرت الأمراض انتشاراً زائداً في هذه البلدة وقد اهتمت البلدية

(١) يبدو أن المقصود هو زيارة كنيسة القيامة في البلدة القديمة، وذلك من فحوى بقية الجملة.
(٢) ألواح البناء المصنوعة من الزنك.
(٣) بيض الجراد.
(٤) في المجهود الحربي.

والحكومة لهذا الأمر الحيوي. وصاروا ينقلون المرضى إلى المستشفيات بالرغم أن ذلك لعمل جليل ولكن هل يوجد يا ترى أطباء ماهرين وأدوية أم هل يذهبون بحياة المصاب ثم يموت؟ الحكومة تجرّ جميع المصابين إلى المستشفيات ويصرفون عليهم ويطهرون البيوت التي كانت فيها المصابين.[1]

[٣٥] ابتلى عبد الحميد الخالدي بداء عضال وقد قيل عنه بأنه أصيب بالسل. انتشرت الأمراض بين الحيوانات. وقد هلك اليوم عدة روس [رؤوس] من البقر بالداء البقري. ولا شك بأن هذا الداء سينتشر ويهلك ما بقي من الحيوانات.

(١) يبدو من السياق أن الكاتب يشير إلى تفشي مرض الكوليرا في الحرب العالمية الأولى.

أُحبها أُحبها أُحبها!

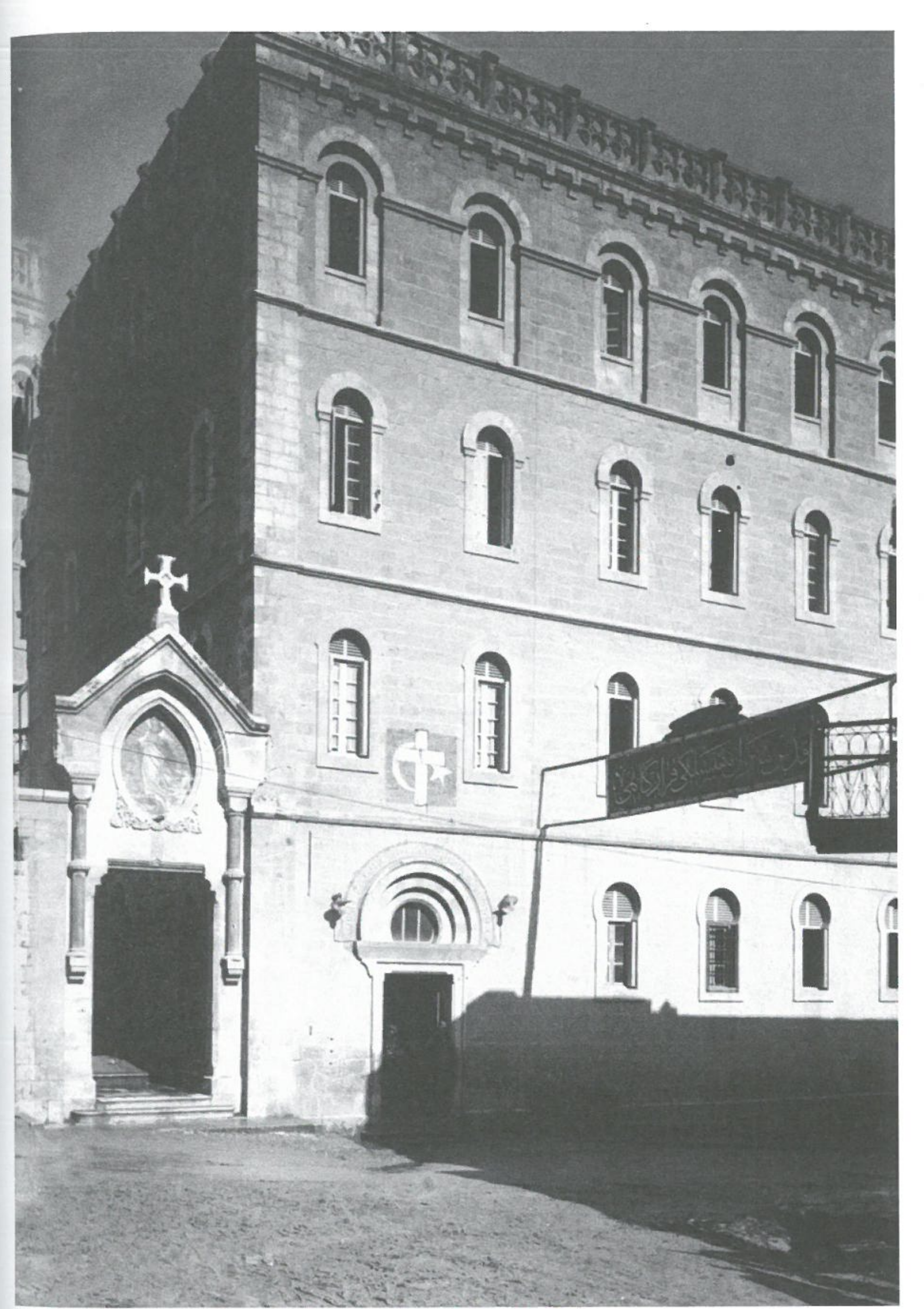
الطقس مختلف والسماء ممطرة. لا تزال ذكرى (ع.) في فكري وكلما أتذكرها أتصور السعادة شاخصة أمامي. فهل يا ترى أحظى بها وآخذها [أتزوجها] وتكون لي وأكون لها؟ إن هذا السؤال صعب الجواب. فهل يا ترى تصح آمالي وأتزوجها وأعيش معها عيشة عز وهناء؟ أو تكون آمالي كلها مبنية على شيء واهٍ لا أساس له. وتهدم آمالي ويخيب مسعاي وآخذ غيرها؟ من يعلم ذلك يا ترى؟

أنا أحب أن أتقرب إليها ولو كان ذلك بالمرور من باب دارها. وما ذلك إلاّ لأني أحبها حباً صادقاً. أحبها أكثر مما أحب نفسي ولكن من يعلم. سأتزوجها؟ هذا لا يعلمه إلاّ الله.

كلما أتذكر بأني سأتزوجها أعقد آمالاً كبيرة عليها وأبني صروح آمالي بها. فاللّهم لا تخيب لي رجاء. أنا أحبها ولكن هل هي تحبني؟ إن هذا السؤال لا يعرف الجواب عليه أحداً إلاّ هي. ولكن أظنها تحبني لأني أحبها. أنا كلما أتذكر كلمات جورجي [بترو] عندما قال لي بأنها تحبني يكاد عقلي يطير من رأسي. لم أكن أظن من قبل بأنها تحبني ولكن أرى من ملامح ما ظهر لي بأنها تحبني كمحبتي لها فهل ذلك صحيح يا ترى؟... يجب أن أعتقد أنني كما أحبها هي تحبني أيضاً. فاللّهم حقق آمالي بها إنك على كل شيء قدير.

أنا أحب أن أتقرب إليها وأسمع عنها كل شيء. فإن قامت أو قعدت أو شربت أو نامت أحب أن أعرف ذلك. ولكن أنى لي ذلك وأنا بعيد عنها؟ كم من مرة مررت عن باب بيتها لأراها مارة ولكن لم أرها. وما ذلك [إلاّ] لأنني مشتاق إليها. فهل تشتاق لي وتحب أن تراني كما أحب أنا؟ الله أعلم بذلك. إذا أرادت هي أن تراني فتقدر أن تراني بالصورة التي تركتها عند أخوها. أمّا أنا فمن أين لي ذلك؟ وإني سأتصور مرة أخرى وأرسل صورتي إلى (و)[1] لكيلا أفارق البيت. أمّا أنا فإذا اشتقت إليها فعلى مَ أنظر؟

(١) الاسم مشطوب في المخطوطة ومستبدل بحرف (و)، الذي يرمز - على الأرجح - إلى شقيق محبوبة إحسان.



مقر القيادة العسكرية للجيش الرابع في القدس في عمارة النوتردام، المعروف بمنزل مفتشلكي، والذي يتكرر في هذه اليوميات باسم المنزل. لاحظ وجود الهلال والصليب فوق المدخل.

المصدر: مجموعة ماتسون/ لارسون (م ك).

راتب العسكري لا يكفي مصروف الدخان

السبت ٢٤ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ١١ نيسان ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٠ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٣٦] ذهبت صباحاً إلى المنزل [العسكري] وبينما كنت قاعداً إذ ورد أمر من قائد الفيلق الرابع[١] جاء إلى المنزل تلفوناً مفاده [أنه] في يوم ١٤ نيسان سيكون عيد جلوس السلطان محمد الخامس[٢] ويجب إطعام العساكر في ذلك النهار خروفاً وحلو، ويجب أن تضاء وتزين المدينة. ويجب إطعام الفقراء من الأهالي. ثم لا يجوز توزيع الرز على العساكر لعدم وجوده.

عجيب أمر هذه الحكومة! الحكومة في ضيق عظيم وأزمة مالية وفي [حالة] حرب. وبينما هم في كل هذا الضيق يريدون أن يزينوا المدينة. إن ذلك لعجيب. بدلاً من الزينة يجب أن تحزن الأهالي وتطفئ الأضوية وتحد[٣] البلدة والحكومة العثمانية على سوء حالتها وتبكي حظها. ولكن هذه عادة الحكومة. تستعمل كل شيء في غير محله. فتقلب السرور مقتاً والمقت فرحاً. وما أنسى لا أنسى يوم إعلان أخذنا الترعة[٤] البلدة كانت مزدانة وأولادنا التعساء والمنكودي الطالع مطروحين على ضفة كنال [قناة] السويس. نحن نزين وهم كانوا راجعين من هناك.[٥]

طلب مني حلمي الحسيني منفاخ الدراجة ليركب دراجته. وبما أن المنفاخ كان عند صديقي موسى [العلمي] اقترح عليّ بأن أكتب له ورقة ليعطيه المنفاخ. فكتبت وعلمت أخيراً أنه أخذه. أنا لم أقصد أن آخذه من موسى إلاّ لكي أعيره لينفخ دراجته فقط. فهل زعل [استاء] يا ترى موسى مني وتكدر وأخذ كتابي له غير مأخذه؟ لا يعلم ذلك إلاّ الله.

كنت سمعت في الصباح سؤال والدي لوالدتي عن الطعام فعلمت أن لا طبخ

(١) أحمد جمال باشا.
(٢) تم عزل السلطان عبد الحميد الثاني في انقلاب عسكري سنة ١٩٠٨، وعُيّن مكانه شقيقه محمد الخامس (١٩٠٩ – ١٩١٨) إلاّ إن حكمه كان صورياً لأن مقاليد الأمور كانت بيد حزب الاتحاد والترقي.
(٣) تطفئ الأنوار وتعلن الحداد.
(٤) يقصد اقتحام الجيش العثماني قناة السويس.
(٥) يقصد أنهم هُزموا على الرغم من ادعاء الحكومة الذي كان مبنياً على نجاحات عسكرية أولية.

هذا النهار في الظهر والعشاء.

فبينما كنت خارجاً من المنزل [العسكري] إلى البيت لتناول طعام العشاء[١] لقيت الأستاذ خليل السكاكيني في الطريق وذهبنا سوية وقد دعاني لتناول الغداء معه فرفضت أولاً ولكني ذهبت معه أخيراً. بعد أن قعدنا قليلاً شرّف الصديم[٢] عادل جبر وتناول الطعام. وأكلته لم أعرف ما هو نوع الطعام بل غاية ما عرفته أنه شورباء فيها اللحم والليمون، ولكنها لذيذة.

شربت [دخنت] آخر سيكارة كانت معي وأولعت سيكارتي بآخر عودة كبريت كانت معي أيضاً. وبقي معي ٣ ورقات سيكارة أخذها مني عادل جبر. قعدت قليلاً وقبل أن أذهب أعطتني امرأة المعلم خليل [سلطانة] عدة عيدان كبريت لأنهم لاحظوا بأن توتوني وكبريتي وورق التوتون نفذ. ذهبت والمعلم خليل وتمشينا قليلاً ثم ذهبنا إلى الفرن فسمعنا من الفران بأن الحكومة جمعت الفرّانة ونبهت عليهم بأن لا يقبلوا العجين والخبز إلاّ إذا عليه غطاء وغير ذلك.[٣]

ثم خرجنا فوجدت طاهر الخالدي، فقال له الأستاذ: «أوصيك بإحسان فإن توتونه قد نفذ». فاعتذر له لأنه لا يشرب [يدخن] وقد وعده بأن يدبر لي دخاناً. فذهبنا وبينما نحن ذاهبين التقيت نجاتي أحمد أفندي الجاعوني فطلبت منه سيكارة فأعطاني ورقة [علبة] التوتون فأخذت منها عدة سيكارات ووضعتها بعلبتي ثم واصلنا المشي وقلت لطاهر «اللّهم إبعث لنا زبوناً آخر لنأخذ منه أيضاً». وقد كان في نيتي أن آخذ الورق [كله] ولكني خجلت من نفسي ومنه ومن الله. وقلت له من باب المزاح سأعيش يا طاهر على ظهر الغير دائماً ولا أشتري دخاناً. فلم نمشي بضع خطوات إلاّ وخالي أبو رشيد [الخليلي؟] قد رأيناه فقلت لطاهر بأن يأخذ لي سيكارة منه.

[٣٧] ففتح لي علبته ولم يكن [فيها] إلاّ سيكارتين أو ثلاثة من التوتون العربي وكان بيده سيكارة إستنبولي أعطاني إياها. ولكنه ندم على ذلك لقلة وجود التوتون في البلدة ثم قال: «أصحيح ما تقول لي يا إحسان بأنه لا يوجد معك توتون؟» فلم أستطع أن أنكر عليه لأنه من ضد طبعي الكذب، وفتحت علبتي وأخبرته بالقصة فأخذها وكم كان سروره عظيماً.

---

(١) يبدو أن الكاتب كان يقصد الغداء وأخطأ في الكتابة كما يتضح ذلك من الجملة التالية.

(٢) قراءة كلمة الصديم ليست مؤكدة. والصدهيم بالعامية هو الذي يأكل كثيراً جداً حتى يصدم، أي يتخم.

(٣) يبدو أن هذا إجراء للحد من تفشي جراثيم الأمراض.

عجيب حالة المدخنين. لم تتأفف الناس طول هذه المدة قدر تأففها في هذه الأيام من قلة وجود الدخان. فقد ضج الجميع وصخب على الحكومة.

في الظهر بينما كنت والمعلم خليل وجدنا امرأة تعيسة فقيرة أوقفت المعلم خليل وهي حاملة طفلاً وورائها ولدين صغيرين وصبية جميلة لا تبلغ الخامسة والعشرين من عمرها.[١] طلبت منه أن يساعدها في طلب [كانت قد] طلبته منه.

وقد علمت من فحوى كلامها بأن زوجها عسكرياً وقد وضعت [طفلها] في هذا الأسبوع ولا يوجد معها شيئاً تسد به رمقها ورمق أولادها. وقد أخبرتنا بأنها أتت من الكولونية الأميركانية[٢] حيث كانت تطعم أولادها. وقد قالت هذه المسكينة بأن أولادها باتت بالجوع يومين متتاليين. فحرّ قلبي عليها ولم يكن معي غير أربع متاليك ونصف. وأعطيتها هذه الدراهم القليلة. ما أظلم الإنسان وما أطمعه، وخصوصاً ماسكي زمام الأمور. أليس كان من الأوفق للحكومة العثمانية أن تبقى على الحياد ولا تعلن هذه الحرب؟ أليس من العار علينا أن لا نقدّر أنفسنا ونعلن الحرب على أكبر وأعظم دول العالم.

والله إن هذا العمل هو جناية لا تغتفر وإن جناية أكبر من هذه الجنايات عادة لا تكون بقتل شخص أو شخصين. أمّا الحكومة فقد جنت على نفسها وعلى رعاياها جنايات لا تغتفر. كم كانت سبباً لقتل كثير من الشبان في هذه الحرب، وكم أضاعت عرض كثير من الصبايا الفقيرات. ويل لهذه الحكومة، ويل لكل من يساعدها. إنها لحكومة طاغية جبارة فتباً لها وتباً لكل من [يشد] على يدها ويؤازرها.

بعد الظهر أخذت شهريتي [راتبي] العسكرية وقدرها ٥ غروش صاغ.[٣] لا أظن دولة في العالم تبخس في إعطاء ماهية الجندي، بقدر ما تفعل الحكومة العثمانية. ماذا تفعل الخمسة غروش للجندي؟ أهل تكفيه لتوتونه أم للحمّام أم للحلاقة أم لمصروفه اليومي؟ أم أم. إلخ.. إن هذا الظلم بعينه. فتباً لحكومة تبخس بحقوق جنودها.

ملاحظة: خرج كل المسجونين الذين كنت ذكرت خبر سجنهم يوم الخميس ٢ نيسان. لم أعلم سبب السجن بعد.[٤]

---

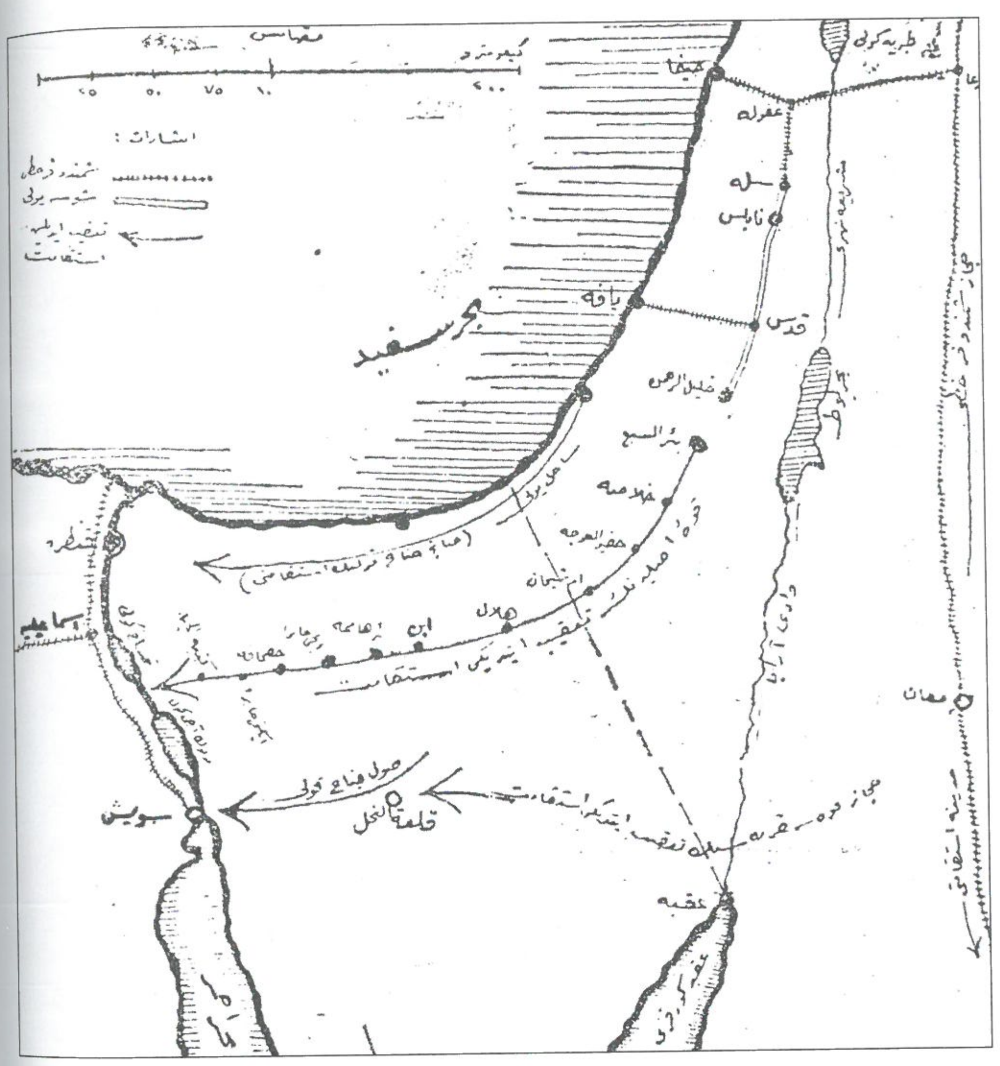
(١) يقصد الأم لا الصبية.

(٢) إرسالية سويدية - أميركية في منطقة سعد وسعيد في شمال البلدة القديمة، تحولت إلى مستشفى لمعالجة الجرحى العثمانيين خلال الحرب وكانت تحوي مدرسة. درس فيها خليل السكاكيني. واليوم هي فندق مشهور بالاسم نفسه.

(٣) لاحظ أن دفع رواتب الجنود كان يتم في أواسط الشهر تقريباً، بحسب التقويم المالي العثماني.

(٤) هذه الملاحظة موجودة في نهاية صفحة ٣٦ من المخطوطة.

خريطة رقم ٢
جبهة القتال في جنوب فلسطين وصحراء سيناء



خريطة عسكرية عثمانية لجبهة السويس - سيناء، ١٩١٧. لاحظ معسكرات «حفير العوجة» في النقب ومطار «الابن» في سيناء.

جنون رجائي بيك عقل

[٤٠][(١)] بعد أن خرجت من المنزل [العسكري] الساعة السادسة ذهبت إلى المدرسة الوطنية لأجتمع بأصحابي ورفاقي في المدرسة. ولم يكن [أحد] قد حضر بعد إليها. كانت هناك الآنسة ميليا[(٢)] وقد أخبرتني خبراً ارتعدت له فرائصي. وهو جنون رجائي بيك نجل موسى بيك عقل. هذا الشاب أديب عاقل لطيف متعلم متنور من خيرة شبابنا. وقد كنت أعرفه من زمن بعيد. وقد أخبرتني بأنه الآن في المستشفى الفرنساوي الواضعة يدها عليه الآن الحكومة العثمانية. وقد طلب أهل ذلك الشاب أن يأخذونه إلى العصفورية[(٣)] في بيروت فأبت الحكومة وقالت إن ذلك ليس إلاّ تلاعباً. ما أظلمها وما أطغاها.

أنا أحزن على أمه أكثر مما أحزن على شبابه. فمسكينة أنت أيتها الأم التعيسة. لقد دفنت أباها من قبله واليوم جنّ ابنها. إنها لبليت [بلية] عظيمة. سمعت بأن هذا الجنون كان معه من قبل ولكن الآن تزايد معه.

بعد مضي ربع ساعة ذهبت فرأيت حلمي [الحسيني] وذهبت وإياه. وقد أخبرني الأخبار التالية. يوم طارت الطيارة من الحفير إلى الابن كان الجو صافياً يصلح للطيران فطارت الطيارة وعند جبل الهلال وجدت أمامها غيوم فافتكر الطيار الحاذق بأن يغير سيره لئلا يحصل لطيارته ما لا يحمد عقباه. فغيّر مسير الطيارة وبينما هو طائر علم أن شيئاً من طيارته قد وقع. فخاف العاقبة وافتكر أن يهدّي[(٤)] إلى الأرض. ففعل ولم يكن بينه وبين الأرض إلاّ ١٥٠ متراً. سقطت الطيارة وبما أن الأرض رملية لم يحدث للطيارة ولا للطيارين شيئاً.

في الدقيقة التي كانت الطيارة العثمانية ستصل بها الابن وصلت ٣ طيارات إنكليزية وحامت هناك ثم ذهبت. إن هذا الخبر لهو من أعجب العجائب. ألم تكن الغيوم [كانت قد] أتت من الجنوب إلى الشمال؟ وكذلك الطيارات الإنكليزية؟ فكيف بها ولم يصر [يحدث] لها شيئاً؟ أمّا طياراتنا ولم تدخل في الغيم وقد حصل ما حصل. إن ذلك كله [ناتج من عدم] معرفة طيارينا المعرفة التامة بفن الطيران. هذا الخبر من حلمي

(١) يبدو أن الكاتب أخطأ في ترقيم صفحات المخطوطة، فلا يوجد فيها صفحتا ٣٨ و٣٩، مع أن سياق الكتابة لم ينقطع.
(٢) شقيقة خليل السكاكيني ومديرة قسم البنات.
(٣) مستشفى الأمراض العقلية.
(٤) يهبط إلى اليابسة.



طائرة عثمانية بعد أن وصلت إلى حي البقعة في جنوب القدس، ١٩١٥.

المصدر: مجموعة ماتسون.

الحسيني وهو قد سمعه من فم الشيخ سعيد الخطيب والمذكور سمعه من فم الطيارين.

وخبر آخر سمعته هو أنه لمّا ذهب أحمد جمال باشا إلى [بئر] السبع وقد رجع البارحة، أرجع معه من [بئر] السبع بارودة إنكليزية وكذلك سنجة وياغمورلق. هل كان ذهابه يا ترى لأجل ذلك؟ هذا لا يعلمه إلاّ الله.

[٤١] وقد أخبرني أحدهم أيضاً بأن العسكرية ستعود وتجمع(١) من مواليد ١٣٠٦ حتى ١٢٨٥.(٢) فإذا صح هذا الخبر فعلى البلاد وعلى تركيا السلام. شرعت الحكومة اليوم بجمع الناس للذهاب إلى جمع بذور [بيض] الجراد. وقد أغلقت الدكاكين وذهبوا لجمع [بيض] الجراد. وكثير منهم استغنى(٣) ودفع الليرة العثمانية(٤) فلا حول ولا. لا شك أنه إذا لم تنتبه الحكومة في هذه الأيام فهي ولا شك ستقضي على نفسها وعلينا. وإذا لم تتخذ الاحتياطات اللازمة لجمع [بيض] الجراد فإن البلاد ستموت جوعاً. أمّا وقد عملت الآن عين الصواب بإجبارها الجميع إلى الذهاب إلى جمع البذور ومن لا يجمع يدفع جزاء نقدياً قدره ليرة عثمانية واحدة. فإذا استعملت الحكومة هذه الدراهم ونفقتها [أنفقتها] في سبيل الجراد فإنها ولا شك ستقطع دابره، ولكن من يعلم كيف ستصرف هذه الدراهم والمستقبل كشاف الحقائق.

في الساعة ٣½ عدت ورجعت إلى المدرسة [الدستورية] وقد كان جورج [بترو] هناك. مكثنا إلى ما بعد الساعة السابعة ثم قمنا وذهب كل منا إلى بيته.

عمتي الكبيرة يزداد مرضها. وإنها لا شك ستكون هذه آخر مرضاتها فقد بلغت ٧٢ سنة وستموت من هذه المرضة على ما أظن والمستقبل بيد الله الواحد القهار.

سمعت أن الحكومة نفت جميع تراجمة القناصل المتحاربة(٥) إلاّ في القدس. وذلك لأن ماجد أحمد بيك متصرف القدس السابق أخذ المسؤولية على عاتقه [مسؤولية التراجمة]. [هذا ما] قاله عادل جبر.

لم أذهب هذا المساء إلى المنزل [العسكري] لرداءة الطقس بل كتبت قليلاً. وفي الساعة ١١ ذهبت ونمت نوماً هنيئاً.

---

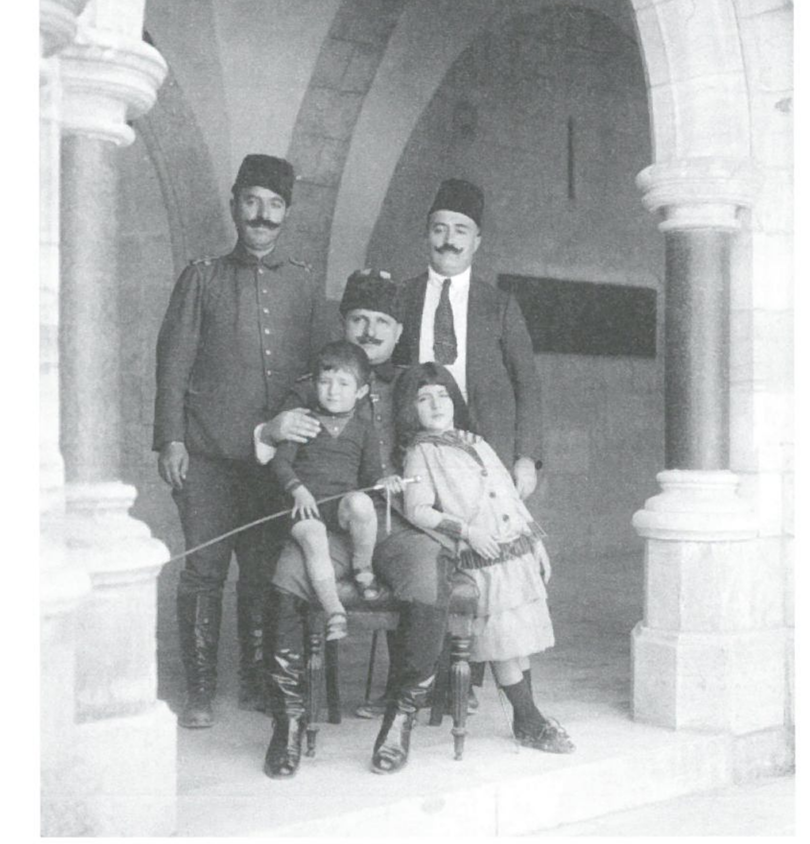
(١) تُطلب إلى التجنيد الإجباري.

(٢) هذان التاريخان عثمانيان وليس هجريين، وهما يوازيان سن ٢٥ حتى سن ٤٦.

(٣) تفادى العمل.

(٤) بدل خدمة جمع بيض الجراد.

(٥) يعني قناصل الدول التابعة للدول المتحاربة مع الدولة العثمانية.



جمال باشا الصغير (المرسيني)، قائد الجيش الثامن، مع طفلين في باحة كلية المطران في القدس، ١٩١٥.
المصدر: مجموعة ماتسون.

الضباط العثمانيون يتظاهرون بالتدين وهم منغمسون في ملذاتهم

الأحد ٢٥ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ١٢ نيسان ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١١ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٤٢] أخبرني أحد القادمين من يافه[١] بأن بابوراً[٢] أميركياً رسى على ميناء يافه ليفرغ ما فيه من المؤونة للأهالي كالأرز والسكر وما شاكل. وقد طالما سمعنا بقرب مجيء هذا البابور وعن رجوعه وذلك على ما سمعت بأنه لمّا حضر كانت المخابرة[٣] جارية بأن يعطي نصف ما فيه للأهالي والنصف الآخر للعسكرية. فأبى ربان البابور ذلك ورجع. واليوم سمعت بأن المخابرة جارية في هل يجب أن يؤخذ عن هذه المؤونة جمرك أم لا. وقد قال المخبر بأن أحمد جمال باشا أرسل أمراً إلى مدير الجمرك في يافا بأن لا يأخذ عنه جمرك. أمّا المدير فقد أرسل إلى جمال باشا يطلب منه سنداً على نفسه بهذا الخصوص.

أمّا موجودات[٤] هذا البابور فأغلبها [مرسل] من اليهود القاطنين في أميركا والبعض الآخر من الأميركان [غير اليهود]. فلذلك سيوزع ٢/٣ الموجود على الإسرائيليين والثلث الباقي على الوطنيين.[٥] أنا لا أعلم السر الذي أوجب إنكلترا السماح لمرور هذه المؤونة ولعل في المسألة سر والمستقبل كشاف الحقائق.[٦]

دُعي كل من جمال باشا الكبير والصغير وحاشيتهما إلى حضور طعام العشاء في المنزل [العسكري] على حساب الضباط على ما أظن. وقد صرف لهذا أكثر من ٣٠ ليرة [عثمانية] على ما أظن. وقد أرسلت العسكرية البارحة أوتومبيلات خصوصاً إلى

---

(١) يتأرجح الكاتب في كتابة اسم المدينة بين الصيغة العثمانية القديمة «يافه» وبين الصيغة العربية الحديثة «يافا».
(٢) سفينة.
(٣) المفاوضات.
(٤) حمولة.
(٥) يقصد أن الثلثين لليهود في فلسطين، والباقي للمواطنين من غير اليهود.
(٦) كان الأسطول الإنكليزي يحاصر شواطئ فلسطين في هذه المرحلة من الحرب، وبالتالي لم يكن في استطاعة السفن الأميركية الوصول إلى ميناء يافا من دون إذنه.

القطرون ليأتي لهم بالمشروب.[1] وقد كانت الحفلة جامعة أكثر من ١٠٠ ضابط وكانت الموسيقى تعزف بألحانها الشجية حين تناول الطعام والمشروبات.

لا أعلم كيف يستطيع جمال باشا وغيره من مفتري هذه الدولة على القول بأنهم لم يأتوا إلاّ ليخلصوا الإسلام والمسلمين من النير الإنكليزي لأنهم أصبحوا بخطر منهم، وهم لم يأتوا إلاّ لينقطوا [لينقذوا] هذا الدين من أيدي الكافرين! وهم في كل يوم يذيعون وينشرون الأخبار الرسمية بأنهم لم يأتوا إلاّ ليخلصوا الإسلام وليس لهم مأرب سوى خلاص هذا الدين وإحيائه وترفعته. في كل يوم ينشرون البلاغات الرسمية ويذكرون بأن كل من تعدى[2] من الضباط على السُكر أو القعود في القهاوي والبيرة خانات[3] يجازونهم أشد، [الجزاء] ويطردونهم من الجندية، [٤٣] وأنه يجب على جميع الجنود إطاعة الله ورسوله والصلاة إلخ.. ما هنالك من الخزعبلات الواهية التي أصبحت مألوفة لدينا. وهم مع ذلك يحضون الجميع على الصلاة كما أنهم يذهبون في كل يوم جمعة إلى صلاة الجمعة. بينما نراهم هم أيضاً يأتون بما نهى الله عنه وهو الانغماس بالسكر والزنى إلخ. نراهم ويا للأسف مغموسون بالسفالات. فإذا كان قصدهم إيهام الناس فقط وتوريتهم[4] بأنهم مسلمون حقيقيون فتباً لهم.

أليس كان الأجود لو أنفقوا هذه الدراهم إلى الفقراء منا الذين يبيتون على وجوههم ويتجولون في الأسواق ويشحذون ويطرقون أبواب الناس ولا من أحد يجيبهم خصوصاً وقد أصبح الغني والفقير متساويان في هذه الأيام وما ذلك إلاّ لجهلهم.

أليس كان من الأوفق لهم، وجميعهم بطونهم ملآنة من المآكل الفاخرة، وهم لا يحتاجون إلى شيء، أن يوزعوا هذه الدراهم إلى الفقراء ويسدون رمقهم؟ ولكن لمن المشتكى فحسبي الله على كل من طغى وتجبّر.

في هذا المساء عند الساعة الخامسة مر طابور [كتيبة]، أو طابوران، من باب المنزل [العسكري]، يحزن على مرآه كل من يعرف للشفقة معنى. كلهم شباب قامتهم طويلة وبنيتهم صحيحة، ولكنهم للأسف منهوكي القوى تعبانين من ما رأوه من الأهوال. فمنهم من كان يتمايل على الجانبين ومنهم من كان يعرج ومنهم من كان حاملاً يده

(١) القطرون: لعل المقصود دير اللطرون الذي ينتج النبيذ في سهل الرملة، إذ لم أستطع أن أجد منطقة أُخرى في فلسطين بهذا الاسم.

(٢) اعتاد.

(٣) حانات لشرب البيرة.

(٤) من العامية ورّى يورّي، أي أظهر.

ومنهم من لم يلبس إلاّ الثياب الممزقة، ومنهم من كان لابساً فردة حذاء والأُخرى الله يعلم أين تركها. أمّا ثيابهم فلا تسل عنها. كم تأسفت وحزنت لمرأى هذا الطابور فإن حالته يُرثى لها.

أمّا هذا الطابور فهو من الأتراك [القادمين] من [منطقة] الابن[1] مصدر شقاء الإنسان أو بالحري العثمانيين الذين كان في نيتهم أن يفتحوا مصر. فيا رباه رحمة بنا ورحمة على هؤلاء الفقرة [الفقراء] المساكين. ماذا جنوا هم؟ ما جنت إلاّ حكومتهم. فهل يترك الكبير يتقاصّ [يعاقب] لأجل سلطان صدرة الصغير؟[2] إن هذا ما حصل في الدولة العثمانية البربرية.

(١) في صحراء سيناء.

(٢) القراءة غير مؤكدة تماماً. وإن صحت فهو يعني هل يعاقب الصغير من أجل الصدر السلطاني؟

إطلاق النار على موكب جمال باشا



كتيبة من الجيش العثماني في عرض عسكري جنوبي القدس، ١٩١٧.
المصدر: مجموعة ماتسون/ لارسون.

جاء حسن [الخالدي] بعد العصر عند الغروب. فذهبت وإياه. وقد قصّ عليّ ما يلي: سقط قلعتين[١] في الدردنيل من المدافع الإنكليزية.

[٤٤] والخبر الآخر هو أنه بينما كان أحمد جمال باشا القائد العام في هذه البلاد ذاهباً من غزة إلى خان يونس في أوتومبيله. إذ أُطلقت عليه النيران من الأسطول. فجُنّ جمال لذلك وقال من هو الذي عندي جاسوساً ويخبر هؤلاء الإنكليز بكل ما أفعله؟ فاشتد غيظه ولعن وصخب. عادة كل مغلوب. لأن المثل يقول من قصرت حجته طال لسانه وهذا الحال مع قائدنا العام قائد الحملة المصرية - أو بالحري قائدنا إلى الهلاك والاضمحلال.

ذهبت وحسن إلى البيت وبعد العشاء ذهبنا إلى الأستاذ خليل أفندي السكاكيني. وقد كان هنالك الشيخ عبد القادر أفندي المغربي،[٢] وإسعاف أفندي النشاشيبي، وحلمي الحسيني، والحاج أمين الحسيني،[٣] وإسحق أفندي درويش. لم

(١) قراءة الجملة غير مؤكدة.

(٢) صاحب جريدة «البرهان» الطرابلسية، والمحرر في جريدة «الشرق» الدمشقية.

(٣) كان الحاج أمين في الثامنة عشرة من عمره في هذا اللقاء، وكان على وشك الالتحاق كضابط =

يكن حديثنا طول هذه المدة إلاّ عن الحالة قبل الدستور. وقد أخبرنا الشيخ المغربي عن حبسه يوم اتهم بتهمة سياسية. وقد تكلمنا أيضاً عن الشيخ المرحوم محمد عبده وعن تأليفات وأخلاق الأديب قاسم بيك أمين. وقد مدح الكل همة هذين البطلين لما خدما به بلادهم من معارفهم واقتدارهم. فرحمة الله على هذين الشخصين الكريمين اللّهم عوّضنا بأحسن منهم.

أقفلت اليوم أغلب الدكاكين وذلك للذهاب لجمع البذور.[١] لم أذهب في هذا المساء إلى المنزل [العسكري] بل عوّضت ذلك بالذهاب إلى بيت الأستاذ [خليل] وقد بقينا هناك حتى الساعة ١٠ افرنجية. سمعنا بأن العسكرية ستجمع[٢] قريباً مواليد ١٣١٠ و١٣١١ و١٣١٢ [هجري] أيضاً ولا أعلم السبب في ذلك إلاّ الطيش والجنون. فاللّهم رحمة بنا. في الساعة ١١ ونيف ذهبت ونمت نوماً عميقاً.

= احتياط في الفرقة ٤٦ على أطراف البحر الأسود - أنظر: يعقوب العودات، «من أعلام الفكر والأدب في فلسطين» (القدس: دار الأسماء، ١٩٩٢)، ص ١٠٩.

(١) يقصد جمع بيض الجراد وإتلافه.

(٢) ستدعو إلى التجنيد.

إطلاق النار على موكب جمال باشا



كتيبة من الجيش العثماني في عرض عسكري جنوبي القدس، ١٩١٧.
المصدر: مجموعة ماتسون/ لارسون.

جاء حسن [الخالدي] بعد العصر عند الغروب. فذهبت وإياه. وقد قصّ عليّ ما يلي: سقط قلعتين[١] في الدردنيل من المدافع الإنكليزية.

[٤٤] والخبر الآخر هو أنه بينما كان أحمد جمال باشا القائد العام في هذه البلاد ذاهباً من غزة إلى خان يونس في أوتومبيله. إذ أُطلقت عليه النيران من الأسطول. فجُنّ جمال لذلك وقال من هو الذي عندي جاسوساً ويخبر هؤلاء الإنكليز بكل ما أفعله؟ فاشتد غيظه ولعن وصخب، عادة كل مغلوب. لأن المثل يقول من قصرت حجته طال لسانه وهذا الحال مع قائدنا العام قائد الحملة المصرية – أو بالحري قائدنا إلى الهلاك والاضمحلال.

ذهبت وحسن إلى البيت وبعد العشاء ذهبنا إلى الأستاذ خليل أفندي السكاكيني. وقد كان هنالك الشيخ عبد القادر أفندي المغربي،[٢] وإسعاف أفندي النشاشيبي، وحلمي الحسيني، والحاج أمين الحسيني،[٣] وإسحق أفندي درويش. لم

(١) قراءة الجملة غير مؤكدة.

(٢) صاحب جريدة «البرهان» الطرابلسية، والمحرر في جريدة «الشرق» الدمشقية.

(٣) كان الحاج أمين في الثامنة عشرة من عمره في هذا اللقاء، وكان على وشك الالتحاق كضابط =

يكن حديثنا طول هذه المدة إلاّ عن الحالة قبل الدستور. وقد أخبرنا الشيخ المغربي عن حبسه يوم اتهم بتهمة سياسية. وقد تكلمنا أيضاً عن الشيخ المرحوم محمد عبده وعن تأليفات وأخلاق الأديب قاسم بيك أمين. وقد مدح الكل همة هذين البطلين لما خدما به بلادهم من معارفهم واقتدارهم. فرحمة الله على هذين الشخصين الكريمين اللّهم عوّضنا بأحسن منهم.

أقفلت اليوم أغلب الدكاكين وذلك للذهاب لجمع البذور.[١] لم أذهب في هذا المساء إلى المنزل [العسكري] بل عوّضت ذلك بالذهاب إلى بيت الأستاذ [خليل] وقد بقينا هناك حتى الساعة ١٠ افرنجية. سمعنا بأن العسكرية ستجمع[٢] قريباً مواليد ١٣١٠ و١٣١١ و١٣١٢ [هجري] أيضاً ولا أعلم السبب في ذلك إلاّ الطيش والجنون. فاللّهم رحمة بنا. في الساعة ١١ ونيف ذهبت ونمت نوماً عميقاً.

= احتياط في الفرقة ٤٦ على أطراف البحر الأسود – أنظر: يعقوب العودات، «من أعلام الفكر والأدب في فلسطين» (القدس: دار الأسماء، ١٩٩٢)، ص ١٠٩.

(١) يقصد جمع بيض الجراد وإتلافه.

(٢) ستدعو إلى التجنيد.

موت عبد الله الخالدي

الاثنين ٢٦ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ١٣ نيسان ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٢ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٤٥] ذهبت في الصباح إلى المنزل [العسكري] وقد كنت من البارحة قد قرأت رواية اسمها «ليلة عرس». واليوم قبل الظهر أتممت قراءتها. وفحوى الرواية أن امرأة فقيرة تزوجت بأحد الأغنياء وقد كانت دائماً تحب أن تكون من أصحاب الثروة. وبعد أن تزوجت. تعرفت بدوق وعشقته وأحبت أن تتزوجه لأجل أن تحصل على لقبه وثروته. وقد كانت السبب في قتلها زوجها لتتزوج الدوق. أمّا الدوق فقد كان مبذراً وقد صرف كل ما لديه من المال. وكان فاسد الأخلاق يغوى الحسان. فلمّا أحس بالإفلاس عشق المرأة المذكورة وقد قتل زوجها في بيته لمّا كان هو وعشيقته. ثم تزوج عشيقته ليس إلاّ حباً بمالها. هذه فصول هذه الرواية وهي أكبر درس لشباننا وشاباتنا.

فاتني أن أذكر أن في ليلة عرسه أحس أخو القتيل بأن قاتل [أخيه] هو الدوق. فطلب أن ينفيه ولا يعود يأتي إلى فرنسا إلاّ بعد ٢٠ عاماً فذهب فلمّا رأت ذلك امرأته قتلت زوجها ثم انتحرت وهكذا انتهت الرواية.

عند الساعة ١٢ ذهبت إلى البيت وقد رأيت في الحرم نساء علمت بأنهم ذاهبين إلى جنازة وأول ما خطر في بالي موت عبد الله الخالدي. ثم لمّا ذهبت إلى البيت سألت والدتي وأخبرتني بموته. وبموت رجلين لا يبلغ كل منهما الثانية والعشرين من العمر.

كم كان أسفي على هذا الشاب وعلى والدته المسكينة والتي دَفَنت في أول يوم من مارت حساباً شرقياً[1] ولداً لها. واليوم مات هذا الشاب وهو أصغر إخوته. أمّا هو فلم يخلف أحداً. بل ترك امرأته حبلى وهي مقطوعة لا يوجد لها أب ولا أخ ولا أحد إلاّ زوجها المسكين.

مات هذا الشاب في المستشفى على أثر مرض لم يمهله إلاّ ١٠ أيام وقد شُيّعت جنازته اليوم بعد [صلاة] العصر والكل يبكي على شبابه. أمّا أنا فلم أذهب إلى الجنازة لتقيدي بالجندية.

كان المرحوم مغموساً [منغمساً] بتلذذه بالشهوات وخصوصاً بالأولاد. ولا بد أن تكون هذه العادة من الأسباب التي أضرّته بحياته، وسبب آخر هو عدم اعتنائه بصحته. كنت كلما أسمع الصياح والعويل من داره يقشعر جسدي من هول ما كنت أسمع.

(١) مارت: آذار/مارس.

فاللّهم ألهم أهله الصبر والسلوان واغفر لهذا الفقيد. إنك على كل شيء قدير.

قرأت بعد الظهر لمّا ذهبت إلى المنزل [العسكري] في كتاب «حياتنا التناسلية».[1] وهو كتاب حري بأن يقرأه كل شاب أديب ويطلع عليه لما فيه من الفوائد التي يجب على كل فرد أن يعرفها على الأقل. ولكن الكتاب - ويا للأسف - ملآن بالأغلاط الصرفية والنحوية والمطبعية ويا ليتهم اعتنوا أكثر من هذا الاعتناء. ولكن عندي أن ذلك لا ينتقص من قدره.

ذهبت في هذا المساء إلى المنزل [العسكري] بعد أن مضى عليّ أكثر من جمعة.[2] رجعت في الساعة ٩½ إلى البيت. ذهبت وكتبت بعض مفكراتي.

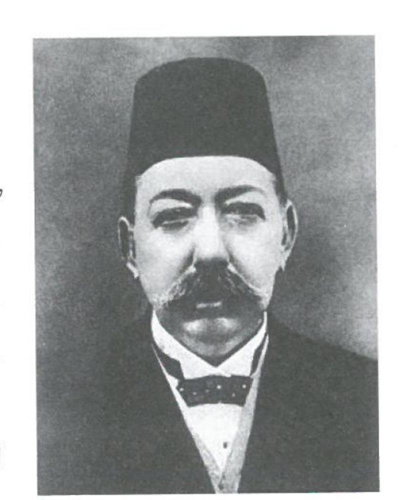
لا تزال عمتي في مرض. وهم [أهلي] يظنون بأن مرضها صغير. ولكن الحقيقة ليست كذلك. وهم خائفين من أن يحضروا لها طبيباً ثم يراها ويأخذها إلى المستشفى.

نمت في الساعة ١١ نوماً هادئاً.[3]

(١) يلاحظ القارئ أن الكاتب يطالع الأدبيات الغرامية والجنسية في مكان عمله فقط [المنزل العسكري]، وقد يكون السبب أن والده لا يسمح بهذا النوع من المطالعات في البيت.
(٢) يقصد أنه لم يزاول دوامه في ساعات المساء في المنزل العسكري منذ أكثر من أسبوع.
(٣) يبدو من هذه الملاحظات في شأن نوم الكاتب في نهاية كل إدخال أنه كان يدون ملاحظاته في اليوم التالي، أو أنه كان يضيف لاحقاً هذه الملاحظات عن منامته.

بغايا القدس يحتفلن بذكرى اعتلاء السلطان محمد رشاد الخامس العرش!

الثلاثاء ٢٧ نيسان ١٩١٥ [غربي]. ١٤ نيسان ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٣ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]



السلطان محمد رشاد الخامس.

[٤٦] أصدر أحمد جمال باشا أمراً بإطعام جميع العساكر في هذا اليوم وهو عيد جلوس السلطان محمد رشاد الخامس خرفان وحلويات. كما أنه أصدر أمراً أيضاً بإضاءة جميع المحلات الرسمية وإطعام الفقراء. ثم تبعه أمر من روشن بيك فيه عدم إجازة إطعام الجنود أرز لعدم وجوده في العنابر.

يا سبحان الله. هل جمعت العسكرية الأرز للضباط فقط ونحن العساكر حقوقنا مهضومة. إن هذا الظلم بعينه ثم رأيت اليوم أمراً في إعطاء ٢/١ ما كانوا يعطونه للعساكر من قبل من الكاز وذلك لقلة الكاز. الضباط تطبخ وتضيء بالكاز أمّا العساكر فلا ردها الله.[١]

سيجمع في هذا المساء أمراء وضباط الجيش ومنهم الجمَالَين وروشن إلخ..[٢] وتحضر أيضاً بعض العائلات وأعيان البلاد ووجهائها ونسائها.

لم تعطل الدائرة اليوم[٣] بخلاف جميع الدوائر الرسمية. وقد كانت الهمّة مبذولة في تزيين وتنظيف جنينة المنزل Notre Dame De France[٤] وامتدت

(١) تعبير عامي يعني لا يكترث لها أحد.
(٢) الجمالين: أحمد جمال باشا قائد الجيش الرابع، ونائبه جمال باشا المعروف بالصغير، وروشن بيك قائمقام المنزل والحاكم العسكري للقدس.
(٣) القيادة العسكرية في المنزل.
(٤) هكذا بالفرنسية في المخطوطة، وهو اسم الدير التابع للكنيسة الكاثوليكية (النوتردام) قبل أن تصادره الدولة العثمانية لاستخدامه مقراً للقيادة العسكرية.

الأسلاك الكهربائية في جميع أنحاء البستان.[١] أضيئت البلدة وخصوصاً المحلات الرسمية بالقناديل وقد زُينت أحسن زينة.

خرجت في الساعة السادسة من المنزل [العسكري] وقبل أن أخرج ناداني رشيد المملوك وباعني صندوق إيكنجي أوّل باب ب ١١ متليك وهو ثمنه الحقيقي وصندوق صامسون[٢] مما جعلني أشكره وذلك لعدم وجود دخان. وقد سمعت بأنه حضر توتون ولكنهم لا يبيعونه إلاّ للضباط فقط. بعد أن أخذت الدخان خرجت من المنزل وقد كان خالي أبو رشيد وسعد الدين أفندي [الخليلي] فذهبنا سوية وصار كل منا يسرد أخباره. وقد أفرغت لهم كل جعبة أخباري وذكرت لهم خبراً سمعته يوم حدوثه قبل يومين ولم أذكره في وقته. وهو: بينما كان ياور[٣] أحمد جمال باشا ذاهباً من هنا على طريق نابلس تعطلت ماكنة الأوتومبيل. ووقف في قرية شعفاط ينتظر دابة أو عربة أو أوتومبيلاً لينقله. فبينما هو قاعد إذ فاجأته الفلاحين وشلحته.[٤] وقد أرسلت الحكومة قوة لجلبهم ولكن بدون جدوى.

ثم رجعت بعد مضي ربع ساعة وأخذت صورة كنت تصورتها قبل سنة ونيف مع أحمد ابن خالتي[٥] ومحمود القسطنطيني وقد كنا كلنا في ثياب النوم وكل منا حاملاً غنمة. وهي صورة تاريخية جميلة.

ثم ذهبت إلى المنزل [العسكري] وقد كان واقفاً هناك بجانب باب البستان كل من جورجي بترو وحنا حمامة يتفرجون على الزينة. فأخذتهم إلى طريق يافا. فذهب حنا على أمل أن يرجع وبقيت مع جورجي وكان مدار حديثنا في بادي الأمر عن هذه الدولة التعيسة. ولكن لا ليست الحكومة تعيسة بل إنما نحن التعساء لأننا تحت حكمها.

[٤٧] أنا لا أعرف طريقة حتى أمشي بها مع حكومتنا فكل شيء تعمله بالضد.

(١) كانت بناية النوتردام أول بناية تستخدم فيها الطاقة الكهربائية في القدس، وربما في فلسطين - أنظر: واصف جوهرية، «القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية، الكتاب الأول من مذكرات الموسيقي واصف جوهرية ١٩٠٤ - ١٩١٧»، تحرير وتقديم: سليم تماري وعصام نصّار (القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٣)، ص ٥٠ - ٥١.
(٢) إيكنجي وصامسون: نوعان من الدخان التركي الفاخر.
(٣) لقب عسكري لمساعدي كبار الضباط، ويعني المرافق الشخصي.
(٤) سرقوا ما معه.
(٥) أحمد سامح الخالدي، ابن الحاج راغب.

كان الحري بالحكومة اليوم أن تحزن لفشلها في هذه الحرب وفي انكساراتها العديدة وعدم توفيقها في كل مشروع تشرع فيه. ازدانت البلدة اليوم أحسن زينة وأضيئت جميع المحلات احتفالاً بهذا العيد. أليس كان الحري بها لو لم تفعل ذلك وتحزن لحزن رعيتها وتحس معهم وتساعدهم وتصرف ما صرفته هذه الليلة على الفقراء والمساكين؟

دعي في هذا المساء جميع السيدات الجميلات وبعداهن(١) أهلهن وذلك للاشتراك بإحياء هذه الليلة. وقد كانت المشروبات تدار على الجميع والموسيقى تطربهم بألحانها الشجية. ويا ليتهم اكتفوا بذلك. بل إنهم دعوا مومسات القدس لحضور هذه الحفلة. وقد قيل لي بأنه كان في هذه الليلة أكثر من ٥٠ مومسة من المعروفات. وقد كان كل ضابط أو أمير أو باشا يأخذ معه سيدة أو سيدتين أو أكثر وهو يتمختر في البستان ويتجاذبون أطراف الحديث. كم من سر يصدر منهم لهؤلاء السيدات مما يضر بمصلحة الدولة وهم عن ذلك ساهون(٢) وما ذلك إلاّ من شدة سكرهم. فأمّة هذه حالتها تبدل أيام سرورها بالمقت، وأيام المقت بالسرور. فماذا تكون حالتها يا ترى؟

بينما نحن مسرورين. الله يعلم كيف هي حالة إخوتنا بل إخوان الاتراك في جهة [جبهة] الدردنيل؟ خصوصاً وقد سمعت في هذا المساء خبراً فيه أن الإنكليز أنزلت جنوداً إلى البر في «جناق قلعة»(٣) وقد أسرنا منهم ٤٠٠٠ جندي. هذا الخبر سمعته عن من أثق بكلامه وقد جاء للعسكرية هنا. وأنا لا أنسى يوم أُعلن خبر اجتيازنا قنال السويس وهذا اليوم هو مثل ذلك اليوم.(٤) فحكومة لا تعرف يوم سرورها من [يوم] مقتها لا تصلح لأن تكون حكومة. هم الآن مسرورين ولكن من يعلم حالة العثمانيين في غير جهاتها؟

لمّا مررت من باب المنزل [العسكري] رأيت المدعوين يدخلون أفواجاً أفواجاً من الباب الخصوصي المضاء بالكهرباء. وقد نصب لهذا الخصوص لمرور المدعوين وقد

(١) إضافة إليهن.

(٢) يلمّح الكاتب إلى أن مومسات القدس كن يعملن لمصلحة الإنكليز. وجاء في كتاب عزيز بيك، مدير الاستخبارات العثمانية في دمشق والقدس، أن ألتر لافين كان يدير شبكة من المواخير في القدس تعمل لمصلحة الحلفاء ضد الدولة العثمانية - راجع: «الاستخبارات والجاسوسية في لبنان وسوريا وفلسطين خلال الحرب الأولى» (بيروت، ١٩٣٧).

(٣) في مدينة غاليبولي التركية على الدردنيل.

(٤) يقصد أن الخبرين كاذبان.

كتب [عليه] «بمر نحى سرل مفتشلكي». انغمّ صدري وحزنت على حالتنا.

بقيت مع جورجي [بترو] حتى الساعة ٨¼. تكلمنا في عدة مواضيع من جملتها إصلاح المرأة المسلمة. وقد قلت له [إن] أكبر خدمة يقوم بها الإنسان الآن بعد هذه الحرب هو فتح مدرسة للإناث. ثم ذهبت إلى البيت وقد كانت الساعة ٨½ وفي الساعة ١١ نمت ولم أذهب إلى المنزل [العسكري].



مومسات من يافا - ١٩١٨. خلال الحرب افتتحت القيادة العثمانية عدة دور للبغاء في القدس ويافا لخدمة ضباط وجنود الجيش الرابع.

المصدر: مجموعة الفرد كان – باريس

عندما يسكر روشن بيك
تتعطل الدائرة العسكرية

الأربعاء ٢٨ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ١٥ نيسان ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٤ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٤٨] ذهبت صباحاً إلى المنزل [العسكري] ولم أرجع إلاّ الساعة ١٢ حيث تناولت طعام الغداء. لم يأت روشن بيك في هذا النهار إلى المنزل، أولاً لسهرة البارحة ولصداع أصابه في رأسه كما يدعون. ولكن ذلك لم يكن إلاّ لكثرة ما شربه من الخمر في المساء. لقد ملأ دماغه بيرة وشمبانيا وغازل الحسان. ثم في هذا النهار لم يحضر وعطّل الدائرة لأن في ذهابه يخلّ نظام الدائرة. ففي أي دولة يصير مثل هذا وفي أي حكومة؟

والله إن حكم هذه الدولة ونيرها لم يعد في استطاعتنا تحمله. فمتى يأتي ذلك اليوم المشهود؟

رجعت بعد الظهر، وفي الساعة ٥½ ذهبت ورفيقي حلمي أفندي الحسيني وحدنا نتمشى إلى ما بعد الساعة السادسة والنصف. تطرقنا خلالها لعدة مواضيع. بينما كنا نمشي رأينا نهاد بيك.(١) [رئيس] أركان حرب المنزل، ورضا شوقي مدير الأوراق، وتحسين(٢) ملحق بالأركان الحربية يتمايلون بالطريق وعلائم السكر بادية عليهم وهم لم يأتوا بعد الظهر، والله أعلم أين كانوا. لا شك أنهم كانوا عند إحدى السيدات اليهوديات يغازلونهن ويلاعبونهن ويشربون الخمرة معهن.

ثم رأينا الشيخ محمد الصالح وأوقفنا بالطريق وتحدثنا سوية، ثم قال بأن مدير معارف القدس أرسل مخطرة(٣) يقول لهم فيها عدم إجازة تشخيص(٤) روايات للتلاميذ. وقد كانت المخطرة شديدة اللهجة. ثم قال لهم لا يجوز أيضاً تشخيص رواية طارق بن زياد ورواية أُخرى عربية نسيت اسمها.

عجيب والله أمر هذه الحكومة. فبينما كان أحمد جمال باشا ينشر المناشير

(١) الرجل الثاني في قائمقامية القدس بعد روشن بيك.
(٢) لم نتمكن من معرفة الاسم الكامل.
(٣) مذكرة.
(٤) تمثيل.

الحماسية ويذكر أسماء الأبطال وخصوصاً طارق بن زياد، وبينما نسمع مديرية المعارف تبيح لمن أراد تشخيص أي رواية أراد ومهما كانت وخصوصاً إذا كانت وطنية، ويحثونهم على ذلك - بينما نرى كل ذلك - يصدر مدير المعارف أمراً بعدم تشخيص الروايات العربية التي تُعلِّم التلاميذ الوطنية الصادقة، وتعلمهم الجد والاجتهاد والإقدام، وتربيهم [على] ما كان يفعلونه أباءهم وأجدادهم من قبل ليكونوا خير قدوة لهم. فماذا يريدون منا؟ هل يريدون أن يُترّكو جميع العناصر؟(١) إن ذلك محال. كيف يريدون أن يضغطوا علينا وعلى أفكارنا حتى وقد ولدتنا أمنا أحراراً؟ الله أكبر على هذه الدولة فما أطغاها وما أظلمها! فمهما ضغطت علينا فإنها لا تقدر أن تضغط على الأفكار. فلا هي ولا أي دولة كانت تستطيع أن تفعل ذلك.

(١) تتريك.



الآنسة إكرام خانم، حفيدة أميرة الخليلي وابنة خالة إحسان.
المصدر: من صورة عائلية (يافا ١٩٢١).

[٤٩] نحن نعتقد أن وجودنا تحت هذا النير التركي يضر بصوالحنا [بمصالحنا] فهل تقدر [هذه الدولة] أن تغير ذلك؟ لا أظنها تقدر إلاّ إذا عدلت وأظهرت كل ميل نحونا وصارت تعاملنا كما تعامل الاتراك لا كما تعاملنا الآن. فهي الآن اتخذت بلادنا كمستعمرة من مستعمراتها ونحن لسنا كذلك. بل إنما نحن شركائها في الملك. ولكن سيأتي يوم نخرج به من تحت نيرها ونستقل أو نلتحق بمصر ونريها أننا لم نكن إلاّ شركاؤها ونحن قد فسخنا عقد الشركة التي كانت بيننا. فتندم حينئذ حيث لا ينفعها الندم. هذا وأرجو أن لا يطيل حكم هذه الدولة ويرينا [الله] وجهاً غير وجهها ونتخلص من ذلك النير الثقيل. النير التركي. ما أثقل هذا النير يا رباه. نحن نعتقد أننا لن ننتج ما دمنا تحت الحكم التركي الطاغي الباغي الذي لا يعرف كيف يحكم نفسه وأهله. وحري بهذه الحكومة أن تموت لأنها جاهلة بأمور تدبير نفسها وغيرها.

تكلمت مع حلمي أفندي [الحسيني] عن المرأة المسلمة وعن إصلاحها وقلت له يجب الآن تعليمها وتربيتها ثم تركها [تعتني بنفسها]. وقد قلت أيضاً بأن الحجاب هو المانع لترقيتها. ولكن يجب أن لا ينزع الآن بالمرة[1] لأن ذلك مما يضرها. وغاية ما هناك نزعه بالتدريج. وقد أخذ هذا الموضوع معنا أكثر من نصف ساعة ونحن نتكلم عنه. ثم قلت له كيف نرتقي نحن إذا كان نصفنا جاهلاً؟ كيف نحيى إذا كان نصف أعضائنا قد شُلّت ولم تعد [تصلح] لشيء؟ إذاً وجب علينا قبل كل شيء أن نعلمها... أن نعلمها... أن نعلمها. ثم نطلب التمدن.

لا نرتقي ولا ننتج ولا نصير في مصاف الأمم الراقية إذا تعلمت رجالنا فقط وبقيت النساء جاهلات. فقبل أن نعلم أولادنا يجب أن نعلم نساءنا.

---

(١) يقصد فوراً كما يتضح من الجملة التالية.

ثم ودعته وانصرفت إلى البيت. لم أذهب إلى المنزل [العسكري] في هذا المساء. نمت في الساعة ١١ حساباً افرنجياً.

[ملاحظة]: رأيته اليوم.[1] بينما كنت مع حلمي. كنت أتمنى أن أراه من مدة جمعتين[2] أو أكثر ولم أكن أفتكر بأنني سأراه. ولكن المقادير [أبت] إلاّ أن أراه. وكم كنت مسروراً لرؤيته.[3]

---

(١) يقصد رأيتها (أي محبوبته)، ويستعمل صيغة المذكر للتورية.
(٢) مثنى جمعة في العامية، أي أسبوع.
(٣) قد تكون هذه الإشارة إلى الحادث المذكور في بداية مفكرة يوم الجمعة ٣٠ نيسان (أنظر أدناه، ص ١٦٢)، وخصوصاً على الأرجح أن الكاتب أدخلها في يوم آخر بعد نومه الساعة ١١.

لقاء مع مومسة

الخميس ٢٩ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ١٦ نيسان ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١٥ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٥٠] لمّا خرجت مساء من المنزل [العسكري] لقيني جندياً أخبرني بأن حسن الخالدي ابن خالتي ينتظرني في المنشية.[١] فذهبت إلى هناك وقد كان قاعداً قوماندان القراركاه[٢] المنزل في القهوة. فصرت أمشي الحيط الحيط كيلا يراني. ثم دخلت المنشية وقد كان حسن هو وجماعته هناك.

كلما أتذكر أنني جندياً أحتقر نفسي لوجودي في هذا السلك. ما أضيق وما أصعب معيشة الجندي، يخاف من كل واحد ويحسب حساب الكل حتى الأومباشي، وبعضاً [منا] يخاف من الأنفار.[٣] ليست الجندية وخصوصاً العثمانية إلاّ مدرسة تعلم الجنود الذل والخضوع لمن هو أكبر [أعلى] منه رتبة بدون فهم ولا إدراك. فهم والحالة هذه كالأداة بيد الغير.

أخذت حسن وابن عمه طاهر الخالدي وصرنا نتمشى إلى أن وصلنا إلى دار حكيم العينين.[٤] فدخلت البيت المذكور لأن والدي أوصاني بأن أذهب هناك وأسألهم إذا كان قد حضر الوكيل وأحضر معه دراهم لوالدي. فعلمت منهم أنه لم يحضر. فرجعت واستأنفنا المسير.

في الساعة ٧ ١/٢ ذهبت وحسن إلى البيت على أمل أن نذهب بعد العشاء إلى عند الأستاذ خليل أفندي السكاكيني. وفي الساعة الثامنة خرجنا قاصدين بيت الأستاذ المذكور. بينما كنا ذاهبين استلفت نظري ونظره مومسة كانت واقفة في حوش تجاه سبيس [هوسبيس] النمسا. فقلت لحسن «مسكينة هذه المرأة فإنها تنتظر شقاءها». فأجاب «ماذا تقدر أن تعمل؟ فهي تريد أن تعيش. ستأخذ ربع مجيدي أو أكثر تصرفه على نفسها».

مسكينة حالة المومسات. يبعن أعراضهن لقاء بعض دريهمات يأخذوهن من

---

(١) حديقة عامة تابعة للبلدية قرب شارع يافا.

(٢) القائد العسكري للمنزل.

(٣) جمع نفر، وهي الرتبة الدنيا في الجيش النظامي.

(٤) لعل المذكور هو الدكتور طيخو، طبيب العيون المشهور في شارع الأنبياء قرب المسكوبية حينذاك.

الفسقة الفجرة ويقضون معهن ويلتذون الملذة الحيوانية. نعم إن هؤلاء المسكينات لهن من أتعس خلق الله وأشقاهن. إني أعتقد بأن أكثر المومسات إن لم يكن كلهن لم يدخلوا [المهنة] إلاّ عن احتياج أو أنهن فرّطن بأعراضهن لأحد الرجال [الذين] كانوا يوعدوهن بالزواج. فبعد أن يفعلوا بهم ما يريدون يتركوهن وشأنهن. فتقف تلك المسكينة حائرة ماذا تفعل، ثم لا ترى باباً تترزق منه غير هذه المهنة. والله إن سبب شقاء النساء وتعاستهن ليس إلاّ من الرجال فقط، ولا عتب من هذه الجهة على النساء إلاّ ما ندر لأنهن ينخدعن بأقل الكلام. فيا رباه إرحم هؤلاء المسكينات واشفق عليهن وعلى شبابهن.

مع رستم أفندي حيدر



رستم حيدر من مديري المدرسة الصلاحية (دمشق والقدس) ومن قادة الجمعية العربية الفتاة، ولاحقاً السكرتير الخاص للأمير فيصل (دمشق ١٩١٦).

المصدر: مذكرات رستم حيدر.

[٥١] وصلنا بيت الأستاذ [خليل السكاكيني] وبينما كنا نقرع الباب إذ برجلين عرفت أحدهما وهو إسعاف النشاشيبي وسألت حسن عن الثاني فأخبرني بأنه رستم أفندي حيدر[١] مدير المكتب السلطاني العربي في الشام. وهو رجل متنور متعلم في أوروبا. يحب العرب والعربية وقد أحضرته الحكومة إلى هنا ليعلم في كلية صلاح الدين أو «الصلاحية».

فلمّا دخلنا رأينا في الغرفة حلمي أفندي الحسيني وأخاه جمال[٢] فبعد أن قعدنا سأل المعلم خليل رستم أفندي إذا كان بر الأناضول في ترقي أم هو في جهل مدقع؟ وهل نحن أم هو [الأناضول] أرقى منا؟ فتكلم وقد أجاد كل الإجادة. وقال بأنه لا نسبة بيننا وبينهم فإن سورية وفلسطين أرقى بكثير. وقد قال بأن المحلات التي لم يدخلها البخار ولا الحديد لا مدينة ولا علم

(١) رستم حيدر (١٨٨٩ - ١٩٢٥): من قادة الحركة العربية في نهاية الحقبة العثمانية، من أصل لبناني بعلبكي. درس في المدرسة الراشدية في بعلبك، وفي المدرسة الملكية الشاهانية في إستنبول، ثم درس التاريخ والعلوم السياسية في باريس. انتمى مع عوني عبد الهادي إلى جمعية العربية الفتاة ودرّس في المدرسة الصلاحية في القدس ثم في دمشق. التحق بجيش الأمير فيصل سنة ١٩١٧ وأصبح سكرتيراً خاصاً له، وشارك في معظم مؤتمرات الصلح التي تقرر فيها مصير بلاد المشرق العربي - أنظر: «مذكرات رستم حيدر»، تحقيق نجدة صفوة (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٨).

(٢) جمال الحسيني: درس الطب في الجامعة الأميركية والتحق بالجيش العثماني سنة ١٩١٤. عُيّن سكرتيراً للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في فترة الانتداب، ثم أصبح سكرتير اللجنة التنفيذية العربية سنة ١٩٣٤. أسس الحزب العربي الفلسطيني سنة ١٩٣٥ وانتخب رئيساً له. سجن ثلاث مرات وأُبعد عن فلسطين سنة ١٩٤١، ثم عاد سنة ١٩٤٦ وتولى قيادة الحزب حتى نكبة ١٩٤٨- أنظر: أحمد خليل العقاد، «من هو؟ رجالات فلسطين، ١٩٤٥ - ١٩٤٦»، ص ٣٤ - ٣٥.

فيها مطلقاً. وقد قال إن الجهل مخيم عليهم بالمرة. وقد تكلم في هذا الموضوع ما ينوف عن ٣/٤ الساعة بما لا يسعني ذكره هنا لأنني اتخذت في كتابة مفكراتي الاختصار.

تكلم عن العلم هنا وهناك وسألناه إذا كان لنا طلبة كثيرين في أوروبا. فقال ويا للأسف بأنه لا يوجد أكثر من ١٥ أو ١٦ نفساً. فسألنا إذا كانت الحكومة أرسلت تلاميذاً إلى أوروبا على حسابها؟ قال بأنها أرسلت قبل ٣ سنوات. ٣ تلاميذ عرب على حسابها من بين ٥٠٠ [تلميذ]. وقبل سنتين أرسلت تلميذين.

ثم سألناه عن المهاجرة.[١] وكان رأيه أن للمهاجرة ضرراً أكثر من النفع. ثم أخذ بنا الكلام إلى أن تكلمنا عن تعلم اللغتين اللاتينية واليونانية و[علاقتنا] بأوروبا. وهل يجب تعلمها. وقد كان من الوجه [الموقف] الإيجابي [المؤيد] حسن وجمال فقط لأنهما طبيبين ومن مصلحتهما تعلم هذه اللغة.

ثم تكلمنا عن إصلاح اللغة العربية والفرق بين اللغة العامية واللغة الكتابية وكيف يجب علينا أن ننقح اللغة وننظفها من الكلمات القذرة وقد قلنا إن الفرق عظيم بين اللغة العامية واللغة الكتابية بخلاف غير لغات. وقد اعترض حسن على هذه الجهة وقال بأن الفرق بين اللغتين الكتابية والعامية موجود في جميع اللغات. وقد أخذ هذا الموضوع مدة طويلة ونحن نبحث فيه حتى خرجنا عن الموضوع. وهكذا قمنا ونحن لم نتفق على رأي.

أحببت هذا الرجل [رستم حيدر] وهو ميال للعرب كثير فهو عربي.[٢]

ذهبت إلى البيت الساعة ١٠ ونمت في الساعة ١١.

(١) يقصد الهجرة.

(٢) تبدو هذه الجملة غريبة اليوم، وخصوصاً الإشارة إلى رستم بأنه «ميال للعرب»، لكنها تأتي في سياق صراع فكري محتد ساد، في تلك الفترة، في أوساط النخب العربية الشامية بين أنصار التيار العروبي وأنصار التيار العثماني اللامركزي.

جنّدوه ليلة زفافه

الجمعة ٣٠ نيسان ١٩١٥ [غربي]، ١٧ نيسان ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١٦ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٥٢] في الساعة ٥ ½ افرنجياً خرجت من المنزل [العسكري] وذهبت وحلمي أفندي الحسيني وفؤاد بيك الحسيني نتمشى. وبينما كنا مارين رأيت الصديق(١) ماراً ودخل بيته. وبينما كان صاعداً الدرج رأيت قسماً من وجهه المنير. لم أكن أفتكر في ذلك النهار بأنني سأراه. وإني الآن صرت أحب في كل مرة أخرج مع حلمي لكي أراه. آه ما أجمل تلك الساعة التي رأيت بها الصديق.

ثم واصلنا السير فرأينا الخال سعد الدين أفندي [الخالدي] وأبو رشيد أفندي وطاهر الخالدي ورجعنا معهم.

وقد سمعت خبراً لم أصدقه لكبر كذبته. هو أن المسكوب(٢) أضاعت في جبال الكرباء ٧٥ ألف ضابط فقط! لو قالوا «جندي» لهان الأمر ولكنّا صدقنا. ولكن ٧٥ ألف ضابط!! كبر هذه الكذبة جعلني في حيرة عظيمة. وقد قالت الأجانس(٣) بهذه المناسبة إن قبر روسيا قد أصبح في جبال الكرباء. أقف عند هذا الحد وأترك هذا الخبر على علاته.

ثم رجعت إلى البيت وأخذت طعام العشاء. أخبرتني والدتي هذه القصة. كان البارحة كَتْب كتاب موسى الصباغ. فذهب المذكور إلى السرايا(٤) ليأخذ علم وخبر باسم زوجته(٥) وقد كان المدعوين لكَتْب الكتاب ينتظرون قدومه في البيت. وحين دخل إلى السرايا قبضت عليه آلت [آلة] الظلم الجندرمة والعسكرية وحبسته. وقالوا له أنهم فتشوا عليه ولكنهم لم يجدوه. فأرسل المسكين بعد مدة خبراً يخبرهم بالقصة ويقول لهم بأن يكتبوا الكتاب [في غيابه] ففعلوا. وقد كان في نيته أن يتزوج في هذا المساء.

(١) إشارة إلى محبوبته (ع) بصيغة المذكر للتورية.

(٢) الروس.

(٣) وكالة الأنباء.

(٤) المقر الإداري للحكومة، وكان موقعه في المدخل الشرقي للحرم (سانت آن) ثم انتقل إلى دار الأيتام الإسلامية في البلدة القديمة.

(٥) تسجيل عقد الزواج.

لله ما أتعس حظ هذا المسكين! كان ينتظر طول حياته هذه الأيام. ثم أتوا وأخذوه ليخدم الجندية ويدافع عن الوطن. مسكين هذا المسكين ما أشقاه. لو كنت محله مُتّ غيظاً وندبت سوء حظي. في أسعد أيامه أتوا لينغصوا عيشته ويأخذوه جندياً. إن هذا والله لهو من أشد البلاء.

ثم تكلمنا عن عوائد العرس عند الإسلام وقد ذكرت لي أمي عادتين مضحكتين ومبكيتين في ذات الوقت.

[٥٣] الأولى: أن العروس ليلة عرسها تشمّع بالشمع عيناها لكيلا ترى زوجها وهي تُزف عليه.(١) ولا يقع نظرها عليه وتبقى عيناها مغلقتين إلى أن تدخل بيتها هي وعريسها. حينئذ يغسلون عينيها. ماذا يعنون يا رباه بمثل هذه العوائد؟ وهل يعدّ من العار إذا تطلعت المرأة إلى زوجها والعريس إلى عروسته ليلة زفافهما؟ فإذا كان كذلك لماذا يزوجونه إياها؟ إن هذا والله من العوائد التي تضر بصوالح [بمصالح] نسائنا. ويعد ذلك من هضم حقوقهن لأنها تعد من هذه الجهة كأَمَة له.

والعادة الثانية وهي من أرذل العوائد وأقبحها. وهي أن المرأة كانت فيما مضى (أعني من قبل ١٠ سنوات وصاعداً) تلبس في ليلة عرسها قمبازاً حريرياً وتمسك خادمتان طرفيه من كل جهة لكي تظهر من تحته الدكة(٢) الحرير المطرزة بالقصب والحرير. تباً لهذه العادة ما أقبحها وما أبشعها. ماذا يعنون بذلك يا ترى؟ هل يريدون أن يفرّجوه على الدكة وهو قد رأى في زمانه عدة دكك؟ أم يريدون أن يفطنوه ويدلونه على الطريق وماذا يجب أن يصنع [يفعل] ليلة عرسه وهو لا ينساها ولن ينساها! فتباً لهذه العادة الذميمة. ولكن ولله الحمد لقد انتسخت العادة بالمرة(٣) والعادة الأولى آخذة بالانتساخ.

ثم ذكرت لي عادة أُخرى. وهي حال دخول العريس وعروسته [إلى بيتهما] تدخل خادمة أو جارته لتشلّح ثياب العروسة. وهذه العادة هي من أقبح ما سمعت. ولكنها أخف ضرراً من الأولى.

(١) يبدو أن العادة المقدسية كانت تقضي بأن يوضع الشمع المذاب على عيني العروس، ولا يُزال عنهما وتفتحان إلاّ أمام العريس. والمغزى رمزي؛ فهي عذراء الفرج وعذراء العين، أي لم تنظر إلى غير عريسها.

(٢) رباط يشد به السروال على الخصر، وهي محرفة من الفصحى «تكة» - أنظر: عبد اللطيف البرغوثي، «القاموس الشعبي الفلسطيني» (رام الله: جمعية إنعاش الأسرة في البيرة، ٢٠٠١).

(٣) اندثرت تماماً.

وقد أخبرتني والدتي أيضاً بأن أهل العريس يقولون لمن تريد أن تشلّحها الثياب أن تخلعها.... ثيابها وهاك أجرتك! لنا عوائد يجب أن تنسخ وترمى وتنسى لأنها من أرذل ما يسمع ويخطر على البال. ولكنها ولله الحمد كل يوم آخذة في الاضمحلال.

ذهبت هذا المساء إلى المنزل [العسكري] ورجعت في الساعة ٩¾ ونمت في الساعة ١١. اليوم أعطاني(١) شيئاً قليلاً لأكتب. وهذه أعدها من العجائب ولكن ذلك لم يكن إلاّ لكثرة الشغل ولله الحمد.(٢)

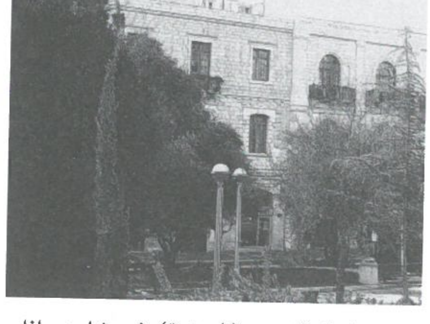
---

(١) يقصد الضابط المسؤول عنه.

(٢) يقصد التقارير الإدارية. ويذكر القارئ من بداية هذه اليوميات أن الكاتب فشل في الحصول على وظيفة كتابية في المنزل العسكري بسبب سوء خطه.

نزهة في حديقة المنشية

السبت ١ مايس ١٩١٥ [غربي]. ١٨ نيسان ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٧ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]



منتزه بلدية القدس (المنشية) في شارع يافا، مكان إحسان المفضل للقاء أصدقائه - في صورة حديثة (تصوير: سليم تماري).

[٥٤] نهضت صباحاً وقبل أن أخرج من البيت ريّضت جسدي قليلاً ولعبت ألعاباً رياضية.(١) ثم أفطرت وذهبت إلى المنزل [العسكري]. وقد كنت طول نهاري منتعشاً فرحاً مسروراً. وفي المساء خرجت من المنزل وطاهر الخالدي وذهبنا إلى المنشية. وكان هناك سعد الدين أفندي الخليلي وابن عمه. قعدنا بضعة دقائق ثم قمنا لنتمشى. دخلنا المسكوبية ومن هناك وصلنا إلى المستشفى الالماني. ولكننا رجعنا لمّا رأينا خيم تجاه المستشفى الالماني في أرض الشيخ عكاشة. عرفنا أنها مستشفى المصابين بالأمراض السارية. فرجعنا وواصلنا المسير ومررنا بكبانيات اليهود(٢) ثم الميشورم(٣) ومن هناك إلى بركة البقاع عند الشيخ جراح. وواصلنا إلى أن وصلنا إلى بيت الخال سعد أفندي. فودعتهم وذهبت إلى البيت.

كانت هذه الرياضة جميلة جداً. وقد أفادتنا جداً ولم نشعر بتعب مطلقاً. طرقنا عدة مواضيع ونحن نتمشى مثل العادة وما شاكل. استلفت أنظارنا لمّا كنا بجانب مستشفى المصابين بالأمراض المعدية ٣ جنود حاملين ثيابهم ومعهم رجل تدل ملامحه على أنه أجنبياً. أمّا الجنود فحالتهم يرثى لها. ضعاف الأجسام منحلي القوى يمشون بكل تكلف وتعب وعلامة المرض بادية على محياهم.

لم أكن أفتكر طول هذا النهار إلاّ بفكرة واحدة وهو متى تنتهي هذه الأزمة لا

---

(١) تمارين رياضية، وهي عادة تعلمها من خليل السكاكيني.

(٢) مستعمرات اليهود.

(٣) اللفظ العربي لحي مئاه شعاريم (المئة بوابة)، وهو من أقدم الأحياء اليهودية خارج أسوار المدينة.

بد لي من أن أذهب إلى إنكلترا وأتعلم هناك. هذا إذا لم يكن في السنة القادمة فسيكون ذلك بعد ٤ أو ٥ سنوات لأنه متى تنتهي هذه الحرب المشؤومة سأذهب بلا شك إنشاء الله إلى الكلية لأتقوى في الإنكليزية وفي العلوم العصرية. ثم بعد أن أمكث سنة أو سنتين [في القدس] سأذهب إن شاء الله إلى إنكلترا أو أميركا. فقد وضعت نصب عيني ذلك. هذا إذا لم يحصل شيء ليس في الحسبان فيضيع مستقبلي ويقتلني قتلاً أدبياً.

ذهبت إلى المنزل [العسكري] ولم أرجع إلاّ بعد العشاء، وقد ذهبت إلى فراشي في الساعة ١١ افرنجي.

الأتراك لا يعرفون قيمة العرب

الأحد ٢ مايس ١٩١٥ [غربي]، ١٩ نيسان ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٨ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٥٥] بعد أن خرجت من المنزل [العسكري] في الساعة ٥½ ذهبت إلى المنشية(١) وقد كانت الموسيقى العسكرية تعزف هناك. ولمّا لم أجد أحداً عولت على الرجوع إلى البيت فرجعت وقبل أن أخرج جاءني حسن ابن خالتي فسررت به وذهبت معه. وصرنا نتمشى في أرض المنشية وقد أخبرني بما يأتي: إن ضابطاً إنكليزياً أرسلوه إلى الآستانة اجتمع بأحد تلاميذ العرب وقد كان [حسن؟] يترجم بين الضابط وبين [الطالب] فسأله الضابط واستحلفه بأعز شيء عزيز عليه هل هو عربياً أو تركياً؟ فأجاب بأنه عربياً. فابتسم أمامه وقال له بأنه يهنأه لأنه أصبح من المقرر استقلالنا ورفع النير التركي عنا. كم سرني هذا الخبر وأنعشني، لأني صرت أكره هذه الدولة كراهية لا مزيد عليها، وذلك مما رأيته من فظاظة أخلاق [....](٢) ومعاملتهم إياها.

لا تعاملنا هذه الحكومة إلاّ كما يعامل السيد عبده. فكأنهم هم الأسياد ونحن العبيد. وبالطبع كل حر لا يقبل على نفسه هذه الإهانة فقد كفانا ما أصابنا وما سببوه لنا من هذه البلوات التي أدت بنا إلى أوج دركات الذل. فمرحباً بيوم نرى أنفسنا أحراراً ونتخلص من تحت هذا النير الجائر.

ثم سرد [حسن] لي ما يأتي: أتت إلى غزة طيارة إنكليزية ورمت منشوراً فيه إسم ٧٠ شخصاً ممن أسرتهم الإنكليز وكلهم من أولاد نابلس. وتطمنهم عليهم فلمّا سمعت أهالي نابلس بذلك فرحت ودعت للإنكليز بالخير. خصوصاً بعد أن كانوا قطعوا الأمل بحياتهم. ثم أخبرني بأن الحكومة أصبحت بضيق عظيم. ثم بشرني بأنه ورد أمر بتعيين جميع أولاد الطبية(٣) وكلاء ضباط. وقال لي بأنه بعد أيام قليلة سيلبس السيف ويضع الأبليت على كتفه(٤) علامة ضابط صغير. ويضع القصب على طاقيته [قبعته]. فقلت له مازحاً بأن الحكومة ترشيكم وتضحك عليكم بسماحها لكم

(١) حديقة البلدية في شارع يافا.
(٢) كلمة مشطوبة.
(٣) أفراد الكادر الطبي في الجيش.
(٤) السيف والأبليت: شعارا رتبته الجديدة في سلك الضباط.

بوضع قصب على طواقيكم وتبرطلكم[١] بالفوزما على أكتافكم ولكن للأسف أمنيتك وفرحتك لم تكتمل لأنك تلبس برنيطة [قبعة]. والبرنيطة لا يوضع عليها صرما. ثم قلت له بأنني أعطيه طاقيتي ليكمل سروره.

علمت اليوم بأن «سكز نجي فرقة أرزاق طابوري»[٢] سيسافر غداً أو بعد غد. وقد كانت هذه الفرقة في القدس فسافرت قبل شهر ونصف وتركت هذا الطابور ثم إنها رجعت وصارت ترسل [٥٦] عساكرها إلى هنا [القدس] حتى أن لاتي[٣] منها وصل لحد نابلس. وحين وصوله أمر بالرجوع إلى السيلة[٤] ليركب بالسكة الحديدية فرجع ولمّا وصل إلى السيلة جاء أمر بالذهاب إلى العفولة[٥] مشياً على الأقدام لعدم وجود بوابير[٦] كافية لأخذ العساكر.

أمّا وجهتهم فستكون على بر الأناضول على ما فهمت لأنهم أصبحوا في خطر عظيم من جهة مرسين.[٧]

كنا في الأول متحمسين ونريد أن نأخذ مصر وطرابلس وتونس وفاس إلخ... فالآن رجعنا عن هذه الخطة وصرنا نريد أن نحافظ على بلادنا فيا سبحان المغير.

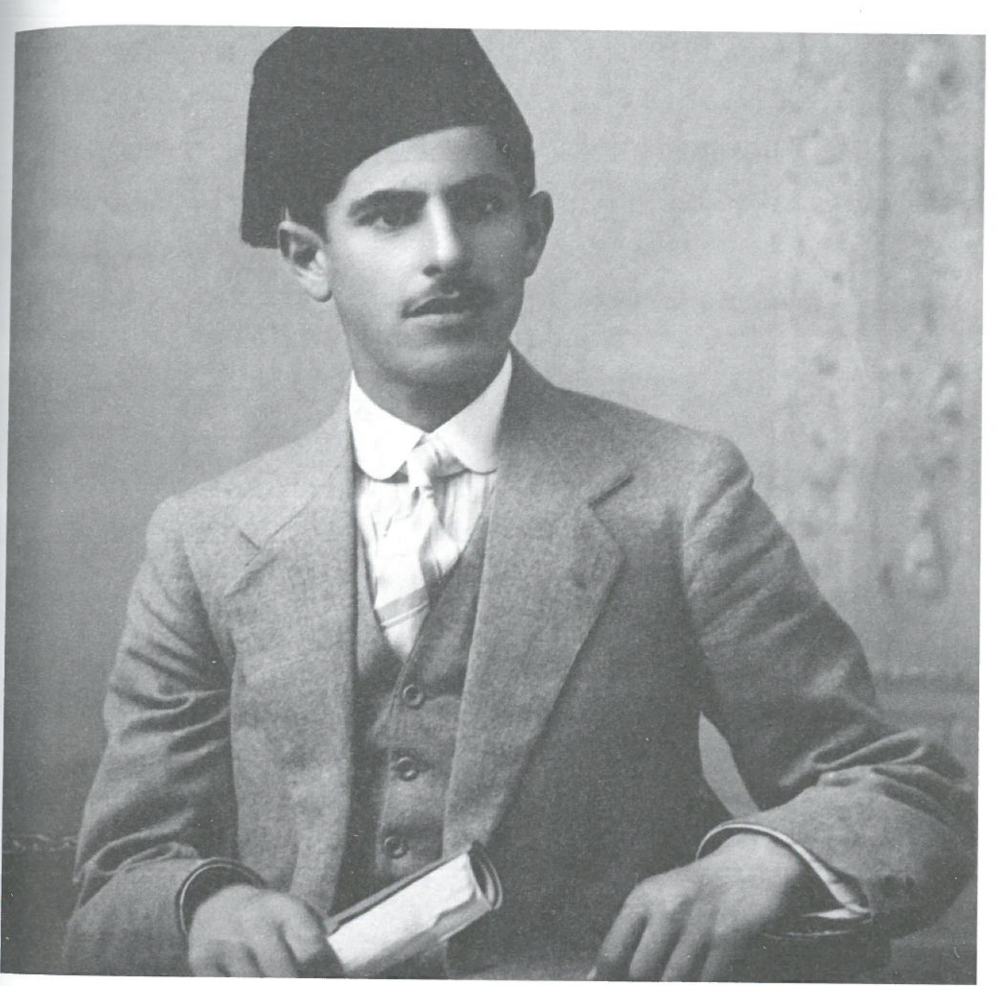
أخبرنا أحدهم بأنه ورد في أجانس[٨] البارحة ما يأتي: «بأنهم ردوا في رأس آري تبا الأعداء فارتدوا إلى مواقعهم» وآري تبا هذه في داخل الدردنيل. لمّا سمعت هذا الخبر أيقنت أن سقوط الدولة أصبح أمراً مؤكداً وأن هذه الأزمة ستنتهي قريباً. فلا يمضي الشهر أو الشهران وعلى أكثر تقدير حتى عيدنا الصغير عيد الأضحة[٩] إلاّ وتنتهي هذه الأزمة وتبين القرعة من أمر الضفائر.[١٠] وننفصل عنهم. فإننا والحق يقال مثلنا مثل الجوهرة بيد الطفل لا يعرف قيمتها. ومتى كبر وعرف أن الجوهرة التي كانت

(١) ترشوكم.
(٢) كتيبة الإمدادات.
(٣) فرقة عسكرية.
(٤) قرية في قضاء نابلس.
(٥) بلدة في أطراف مرج ابن عامر تربط خط قطارات حيفا بجنوب فلسطين.
(٦) تُطلق على السفن، لكن في هذه الحالة على القطار البخاري.
(٧) بلدة تركية محاذية لإسكندرون.
(٨) وكالة الأنباء، ومجازاً نشرة الأخبار.
(٩) يقصد عيد الفطر.
(١٠) مثل شعبي بمعنى يتضح الأمر كله.

بيده والتي لم يعرف قيمتها في يده لأغنته ولنفعته لولد الولد.[١] فيندم على ما فرط منه حيث لا ينفع الندم. هكذا حالتنا مع الأتراك. فإنهم لا يعرفون قيمة العرب إلاّ بعد أن تنفصل عنهم.

في الساعة ٧ خرجنا من المنشية وذهبنا إلى البيت. وقد كان الاتفاق فيما بيننا أن نذهب وموسى ناصر[٢] إلى بيت الأستاذ خليل [السكاكيني]. بعد العشاء ذهبنا إلى المنزل [العسكري] وقد كنت أنتظر في باب المنزل لئلا يروني داخله. وبينما كنت وحسن واقفين ننتظر قدوم موسى ناصر إذ جاء القول أفاس حسن (منزل نقطة قومانداني)[٣] راكباً حصانه فنزل عنه وقال لي بأن أمسكه [الحصان] حتى ينادي خادمه من الخارج. فامتثلت لكوني جندياً وكم احتقرت نفسي وتمنيت أن تبتلعني الأرض ولكن العسكرية تعلم الذل. جاء خادمه بعد فترة وأخذه. ثم جاء موسى ناصر وذهبنا إلى بيت الأستاذ [خليل السكاكيني]. ولمّا لم يكن هناك انتظرنا أكثر من نصف [ساعة] فلم يأت. فنهضنا وذهب كل منا إلى بيته.

(١) نسله وخلفه.
(٢) موسى ناصر (١٨٩٥ – ١٩٧٥): رجل تربية وسياسة من بير زيت. درس في الجامعة الأميركية وعُيّن ضابطاً في الجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى. عين قائمقام في الفترة الانتدابية، تسلم عدة حقائب في الفترة الأردنية، ضمنها وزارة الخارجية – أنظر: أحمد خليل العقاد، «من هو؟ رجالات فلسطين، ١٩٤٥ – ١٩٤٦»، ص ١٢٩.
(٣) قائد المنزل العسكري.



موسى ناصر، القدس ١٩١٤، عند تخرجه من الجامعة الأميركية.

المصدر: مجموعة ريما ترزي.

مذبحة الجنود العثمانية في قناة السويس

الاثنين ٣ مايس ١٩١٥ [غربي]. ٢٠ نيسان ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١٩ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٥٧] نهضت صباحاً وبعد أن لعبت [التمارين الرياضية الصباحية] قليلاً وأفطرت ذهبت إلى المنزل [العسكري] وقعدت هناك في الغرفة التي أنا فيها أشتغل أو بالحري أقطع وقتي. يوجد عندنا ساع[١] قد حضر الحرب. فلمّا ذهبت كان قاعداً هناك يقص عليهم ما رآه من الأهوال. أفادني أشياء كثيرة لم أسمعها قط. قال أنه كان في طابور ناقلة الذخائر. نزلوا في ذات يوم الصحراء.[٢] وأرادوا أن يعلفوا الإبل ولمّا لم يكن معهم شعير وتبن وزعت الضباط على الجمال قسماط.[٣] فسألته كيف ذلك؟ قال أعطونا كمية وأمرونا بأن ندقّها ونعّمها ثم نقدمها للجمال ففعلوا. ولمّا رأت الإبل الطعام رجّت [أملت] نفسها عليه ولكنها لمّا ذاقته ارتفعت [برؤوسها وامتنعت عنه] وأخيراً اضطرت أن تأكله. ثم بأن ضابطاً وقف عليهم وهم يعلفون الجمال لئلا تسرق العسكر القسماط. ولكن وقوفه لم يفده شيئاً.

ثم أخبرني كيف كان الهجوم. قال أصدر جمال باشا ما يأتي بأن تمتلئ الفلائك[٤] جنوداً قبل الصبح وتنزل إلى القناة [قناة السويس] وقد كان الأمر بأن لا يضرب ولا فشكة[٥] حتى إنهم ربطوا آلة البندقية. فنزلت الجنود ولمّا أحست الإنكليز ذلك بدأوا بضرب المترليوز.[٦] وكان يظن جمال الأبله بأنه في عمله هذا تمر جنودنا وتطرد الإنكليز وينصبون الجسر لتمر عليه الجنود والمدافع والجمال. الله ما أجهله.[٧]

سألته من أي البلاد استشهد أكثر. فقال من الشام وذكر بأنه استشهد أكثر من

---

(١) مراسل.

(٢) صحراء سيناء.

(٣) قرشلة، كعك ناشف.

(٤) القوارب.

(٥) ولا طلقة. يبدو أن الهدف كان هو المباغتة تحت جنح الظلام.

(٦) المدفع الرشاش.

(٧) جمال الأبله... إلخ: لا شك في أن الكاتب كان يعرض نفسه للخطر باستعماله هذه الألفاظ ضد القائد العام، وخصوصاً أن الشرطة السرية العثمانية كانت تداهم منازل القدس في هذه الفترة بحثاً عن المواد التحريضية كما نعلم من يوميات السكاكيني، وكان هذا الأخير يحتاط بأن يخبئ مذكراته يومياً بعد تدوينها.

١٥٠ [جندياً]. وقد استشهد من نفس نابلس ٩٥ نفراً. قال بأنه لمّا نزلت الفلائك إلى القناة كان في قارب واحد أكثر من ٧٠ نفراً فجائتهم مدافع المترليوز وأماتتهم جميعاً دفعة واحدة. وقد تكلم عن أشياء كثيرة يطول بي شرحها [هنا].

أُشيع اليوم - والعهدة على الراوي - بأن سكيز نجي قول أردو وقائده (جمال باشا) سيسافر قريباً إلى جهة أضنة ومرسين. والمخبر قال لي أيضاً بأن الإنكليز أنزلت جنوداً إلى بيروت. يسألني الكثير إذا كنت سمعت من أن المنزل سيسافر إلى الرملة.(١) فأجبتهم بالنفي. ويقولون أيضاً بأنه سيسافر إلى سباستيا.(٢) فأجبتهم هل تنسون يوم قالوا بأن المنزل سيسافر إلى الابن؟(٣)

[٥٨] كما أعلن بأننا اجتزنا [اخترقنا] قنال السويس. أشاع البعض حتى الضباط بأن المنزل سيسافر [ينتقل] إلى الابن. ومنزل الشام [دمشق] سيحل محل هذا [القدس]. ولا أظن أن هذا الخبر إلاّ مثل ذلك.

قرأت البارحة إعلاناً فيه بأن السكة الحديدية بين يافا والقدس ابتداء من يوم الخميس - أعني بعد ثلاثة أيام - لا تسافر إلاّ مرة بالجمعة [الأسبوع] من هنا. ولا تصل إلاّ إلى سجد.(٤) وقد كانت فيما مضى لا تصل إلاّ إلى اللد. وأظن أنه لا يمضي شهراً أو أشهر إلاّ أن ينقطع السفر بالسكة الحديدية بالمرة [تماماً] هذا إذا ظلت الحرب. وذلك لأنهم الآن يمدون الخط الحجازي من السيلة(٥) حتى اللد وبئر السبع. وهم كلما خسّ [نقص] عليهم الحديد يفتقدون [يتذكرون] حديد هذه السكة الحديدية ويأخذون حديدها.

لا شك بأنه سيأتي يوم تناقش فيه إنكلترا وفرنسا وروسيا تركيا الحساب جزاء ما جنته يداها الآثمتين. يريدون أن يمدوا الخطوط الحديدية وليس لديهم حديداً - إن هذا من أغرب الأمور وأعجبها!

لمّا ذهبت الحملة التركية إلى حدود مصر سمّوا آخر محطة للقنال باسم جمال باشا. ولم أسمع بذلك إلاّ اليوم. فقلت في نفسي يا سبحان الله إنه لكل إسم من المسمى نصيب. لم ير محلاً يسميه باسمه إلاّ المحلات القاحلة التي لا ينبت فيها شيئاً

(١) المقصود أن قيادة المنزل ستنتقل إلى الرملة.
(٢) قد يكون المقصود سبسطية في قضاء نابلس.
(٣) نقطة عسكرية تحوي مطاراً في صحراء سيناء. راجع أعلاه الخريطة رقم ٢، ص ١٣٨.
(٤) محطة قريبة من مدينة الرملة.
(٥) قرية في قضاء نابلس.

ولا يعيش فيها حتى ولا الوحوش. إن والله عمله هذا لهو الصواب بعينه لأنه لم ير أَوفق من هذا المحل حتى يسميه باسمه. فقد أصاب بعمله هذا الإنسان إذا أراد أن ينتسب إلى محل يرى محلاً موافقاً لذلك. فكأنه لم ير أجمل من هذا المحل ولكن نِعْمَ ما فعل. لأنه بعمله هذا أراد أن يبقى اسمه مرذولاً إلى الأبد ويلعنه محله. وحتى يكون طول حياته ومماته مكتسب هذا العار.

كتبت مكتوباً إلى محيي الدين [الخالدي] ابن خالتي الموجودة الآن في خان يونس ولكني لم أرسله اليوم. ذهبت في هذا المساء إلى المنزل [العسكري] ورجعت الساعة ١٠ ونمت بعد مضي ثلاثة أرباع ساعة. أُشيع اليوم بأنه صدر أمر بأخذ كل من رؤي بأنه يقدر على حمل السلاح أو كان فوق الـ ٤٥ سنة. (كذب).(١)

أجانس:(٢) أرادت الغواصة الإنكليزية المسماة (١٢ و - «٥»٢) المرور إلى بحر مرمرة. إلاّ إن سفننا الحربية قد أغرقتها. وأسرنا ٣ ضباط و٢٩ جندياً - تلغراف وارد للفيلق الثامن. وجاء تلغرافات [أُخرى] منها تلغراف البارحة وقد ذكر في محله.

(١) التعليق من كاتب اليوميات.
(٢) وكالة الأنباء.

البلدية تصادر أرضنا

الثلاثاء ٤ مايس ١٩١٥ [غربي]. ٢١ نيسان ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٢٠ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٥٩] بلغ البارحة روشن بيك أمراً فيه ما يأتي: لمّا زار بستان المنزل [العسكري] أحمد جمال باشا ورأى بأن بستانياً واحداً لا يكفي خصوصاً والبستاني بلا اجره، فأمره كما أدّعي بأن يعين اثنين ممن يعتمد عليهما. فعيّن أنطون بولص وحنا ابنه. بمعاش للأول ٢٤٠ غرشاً صاغاً وللثاني ١٦٠ غرشاً. لمّا قرأت هذا قلت يا سبحان الله هذان الرجلان نازكان [؟](١) وهل يريدان أن يشتغلا بالبستان. وإذا دخلا واشتغلا(٢) (وهذا غير ممكن) لا يعرفان كيف يزرعان ويقلعان. إنهم ولا شك عملوا البستان واسطة لهم حتى يقبضون شهريتهم. أنا لا أنكر بأن أنطون المذكور يصل ليله بنهاره ويجد ويجتهد ويحق له أن يأخذ معاشاً أكثر من ذلك. ولكن ليس لهم بأن يدوروا هذه الدورة الصريحة(٣) ويعينوا له ولولده لكل منهما معاشاً ويذكرون بالإسم، فخدماتهم هزيلة. فقد عين كذا وكذا غروش ولا يتخذوا البستان حيلة لهم.

أرسلت المكتوب الذي كتبته البارحة إلى خان يونس إلى ابن خالتي محيي الدين.

الهمة مبذولة الآن لتنظيف البلدة وتوسيع طرقها وأزقتها فإنه والحق يقال لم أرى القدس نظيفة مثل هذه الأيام. ولكن على ما هم من الجد والاجتهاد في التنظيف لم تبلغ الدرجة التي كان يجب أن تبلغ فيها. فإن الأقذار لا تزال نوعاً ما متراكمة في الأزقة. ولكن يجب أن لا أنكر وأنس بأن حالة البلدة تحسنت من جهة النظافة أضعاف أضعاف ما كانت عليه في السنين السابقة. كلما أمرّ بالأسواق أراها نظيفة ومطروشة بالكلس الأبيض(٤) مما جعل للأسواق رونقاً جميلاً.

ذهبت إلى البيت بعد أن خرجت من المنزل [العسكري] في الساعة ٥ ٣/٤. وبعد أن أخذت طعام العشاء ذهبت لأتمشى. بينما كنت ماراً رأيت الخال سعد الدين أفندي الخليلي والخال أبو رشيد وطاهر أفندي الخالدي وابن الخالة حسن. سألني الخال سعد الدين أفندي إذا كنت رأيت ما فعلوا بأرضنا المجاورة لهم؟ ولمّا لم أكن [على

(١) كلمة غير مؤكدة القراءة.

(٢) كلمة غير مؤكدة القراءة.

(٣) كلمة غير مؤكدة القراءة.

(٤) الشيد.

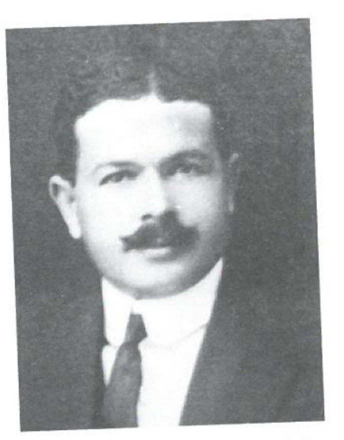
علم] بذلك ذهبت وطاهر وحسن إلى الأرض المذكورة وهي بجانب بيت محمد أفندي الخالدي وبيت المتولي ودار الدزدار. رأيتهم قد وسعوا الطريق وأخذوا من أرضنا أكثر من ٣٠٠ ذراعاً(١) مما حسَّن الأرض جداً فقد انتفعنا نحن(٢) وانتفعت الأهالي من ذلك. ولكن لا أعلم ماذا يفعلون حين يصلوا الأودة حيث يوجد هناك أبنية فهل يهدموا البيوت أم يتركوا الطريق على علتها؟ وقد سرني ما رأيت من أنهم لمّا أخذوا ما يريدون بنوا جداراً. ولكن كان يجب على الحكومة أن تخبر على الأقل والدي بذلك. في الساعة ٧ رجعت إلى البيت ولم أذهب هذا المساء إلى المنزل [العسكري]. وقد كتبت مفكرات البارحة. ذهبت إلى الفراش في الساعة ١١ افرنجية.

(١) مقياس يتراوح ما بين ٥٥ و٨٠ سم.

(٢) على الرغم من مصادرة قسم من الأرض للصالح العام فإن الكاتب يبدو مسروراً لأن قيمة الأرض سترتفع نتيجة ربطها بشبكة الطرق العامة.

عادل جبر يدافع عن الحكومة

الأربعاء ٥ مايس ١٩١٥ [غربي]، ٢٢ نيسان ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٢١ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]



عادل جبر، من أنصار الفكرة العثمانية ومن أساتذة المدرسة الصلاحية، ١٩١٦.

المصدر: مجموعة عائلة تودوري.

[٦٠] بينما كنت خارجاً من المنزل [العسكري] في المساء، رأيت المعلم خليل [السكاكيني] وحسن الخالدي وموسى العلمي فانضممت وسرت معهم. بينما كنا ماشيين رأينا أكثر من ٤٠٠ شخصاً علمنا أنهم جنوداً أتوا من جهة نابلس في المساء. أمّا حالتهم فيرثى لها. منهوكي القوى يمشون الهوينا بكل تعب وتكلف وعلامة اليأس بادية عليهم.

مسكينة حالة هؤلاء العساكر التعساء. تعب وجوع وعطش وطفر وثياب قذرة والإهانة والضرب واللكم على رؤوسهم. إنها لحالة تعيسة. لم أرى أطوع من الجنود العثمانية. فإنهم ينقادون قيادة عمياء حتى المتنورين منهم يخشون كل الأوامر ويحسبون حساب أي ضابط كان ويعبرون على الذل والمسكنة. فجنود هذه حالتها لا يرجى منها خيراً.

قل لي كيف يرجى من جندي قد تربى على الذل والمسكنة أن يخدم وطنه ويدافع عنه؟ إن هذا غير ممكن فإذا لم يكن الجندي شجاعاً نشيطاً لا يرجى منه أقل خير.

قبل أن أدخل هذا السلك الحقير وتحت هذا الجو السفيل [المنحط] الخامل كنت أحسب نفسي سعيداً شجاعاً لا أقبل الضيم والذل والمسكنة ولكن لمّا دخلت تحت النير العسكري تغيرت أحوالي وصرت أعد نفسي أذل من وتد. كيف لا وأنا أخاف من كل قانون رأيته وأحسب له ألف حساب. إذا كنت غبت [تغيبت] ليلة واحدة عن المنزل [العسكري] أفتكر طول تلك الليلة وطول ذلك النهار لأجد لي كذبة أختلقها لأتخلص. فلا أجد كذبة تلائمني فألعن نفسي لأنني لم أتعود على الكذب لمّا كنت صغيراً. وهكذا أصمم النية على أن أقول الصدق. فأذهب ولكن لا يسألني أحداً [عن عذري] لحسن حظي.

نعم إنني لا أنكر أنني صرت كذوباً بالنسبة إلى ما كنت عليه سابقاً من طهارة القلب وصفو [٦١] النية ولكن الكذب جائز شرعياً في [بعض] الأحيان. في هذه الجملة أعزي نفسي لمّا أرى ضميري يوبخني على اختلاق بعض الأكاذيب. ولو نظرت إلى الحقيقة إنها ليست بأكاذيب ولكن قلبي ووجداني يحدثاني ويوبخاني على ذلك. فإذا ظلّت العسكرية بضعة أشهر أخرى فإنها ولا شك ستتغير أحوالي التي تعبت عليها أكثر من ١٧ عاماً[١] وأنا أضغط وأقهر نفسي حتى وصلت إلى هذه الدرجة. والعسكرية الآن تريد أن تنقض ما بثّه فيّ والداي وأساتذتي وما أدخلته أنا لنفسي. كل ذلك تريد الجندية أن تخليني عنه. فاللهم إذا كتبت لي ذلك فعجل بي إليك[٢] لأنني لا أريد إلاّ أن أعيش حراً عزيزاً صادقاً.

ذهبت في هذا المساء وحسن ابن خالتي إلى بيت الأستاذ خليل أفندي السكاكيني ولم يكن موضوعنا إلاّ كالأيام السابقة عن هذه الدولة ولا لزوم لإعادة ذكره هنا. فقد سئمت هذه الدولة وحتى الكلام عنها من كثرة ما رأيته وسمعته.

في يافا بكباشي تراندرمة[٣] وهو الآن ماسك زمام الأمور فقد نفع وأضر يافا. ولكن إثمه أكثر من نفعه. أعماله قاسية بربرية كان يستحي أن يعملها الملوك المستبدين في القرون الوسطى. فإنه أهلك يافه وأهلك أهاليها. وما كفاه ما أصابها من الويلات في هذا العام[٤] بل إن حضرته ليزيد في الطين بلة. فلا حول ولا قوة لعنه الله ولعن من عيّنه. وصلت أصوات أهالي يافا السماء ولا من مجيب. حتى إنهم استخدموا قنصل صديقتنا ألمانيا[٥] ولكن لم يفدهم ذلك شيئاً بل زاده قساوة فوق قساوته.

كان عادل جبر يقول قبل بضعة أسابيع أنه يكره هذا الرجل[٦] [ولكن] في هذا المساء أثنى عليه ثناء جميلاً. ولا أعلم السر في ذلك إلاّ لأنه من حزب الحكومة. فعجيبة حالة رجل مثل عادل. متنور عاقل لكن آراءه وأفكاره متجمدة متعفنة.

---

(١) في المخطوطة كتب إحسان ٢٧ عاماً واستعاض عنها بـ ١٧ عاماً، وهو ما يشير ربما إلى أن عمره عند الكتابة كان ٢٧ عاماً.

(٢) خذ روحي.

(٣) ضابط في الشرطة.

(٤) إشارة إلى غزوة الجراد وقصف البحرية البريطانية المدينة بالمدفعية.

(٥) يقصد حليفة الدولة العثمانية في الحرب.

(٦) يقصد البكباشي.

لا يوجد أوقح من جمال باشا

الخميس ٦ مايس ١٩١٥ [غربي]، ٢٣ نيسان ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٢٢ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٦٢] أصدر أمر جمال باشا (درردنجي أردو قوماندانى وبحرية ناظري)-[(١)] وما أكثر الأوامر في هذه الأيام – إطعام جميع العساكر خرفان وحلوى في هذا اليوم لأنه عيد الخضر عند إخواننا المسيحيين. جميل هذا جداً فقد عمل الصواب بعينه ليس لأنه ضروري إطعام العساكر في هذا اليوم بل إن المقصود هو إطعام الجنود مآكل فاخرة من وقت لآخر. والأجمل منه هو جعله في هذا النهار لأنه يوجد بين الجنود كثير من إخواننا المسيحيين الذين يجب إطعامهم مثل الخروف وما شاكل في أعيادهم أسوة بإخوانهم المسلمين.

ولكن لا أعلم ما الذي دعاهم إلى أن يصنعوا ذلك فقط في هذا العام خصوصاً وقد وجدت العساكر المسيحية قبل ٤ أو ٥ سنوات في سلك الجندية.[(٢)] وهم لم يطبخوا غير هذا العام. إن ذلك لم أقدر أن أفسره ولعل المستقبل يرينا قصد جمال من عمله هذا. ولكن لا أظنه فعل ما فعل إلاّ ليحبب نفسه للمسيحيين [بحيث] يعبّرونه ويحترمونه ويثنون عليه ويذكرونه بالخير ويقولون إنه فعل ما لم تفعله من قبل الأمراء والأولين. أم أراد أن يبرهن للمسيحيين أن لا فرق بينهم وبين المسلمين حتى ولا في الأعياد مع أننا نرى الفرق في كل دقيقة وثانية بين معاملة الأفراد المسيحية والمسلمة.

[٦٣] لم أكد أخرج من باب المنزل [العسكري] إلاّ وسمعت صوت أوتومبيل، فالتفت ورأيت – ويا للأسف – جمال باشا مع ياوره[(٣)] وهو مزين صدره بنيشاناً ذهبياً. فهل لا يخجل من الله ومن العبد [الإنسان] على وضعه؟ ألم يستحي مما فعله ومما أصابه من الانكسار؟ ولكن كلمة والدي لا أنساها يوم كنا نتحدث سوية حيث قال لي: «لو فتشت العالم بأسره لما رأيت أوقح منه!» فرسخت في أذني هذه الكلمة.

بينما كنت ماراً بجانب الأرض التي تخصنا المحاذية لبنايات محمد طاهر الخالدي

(١) قائد الجيش الرابع وناظر البحرية.

(٢) قبل الحرب الأولى كان المواطنون العثمانيون من غير المسلمين يدفعون الجزية ويتم إعفاؤهم من الجندية، إلاّ إن إلغاء مفهوم «الذمة» بعد الإصلاح الدستوري أدى إلى تجنيد أبناء الأديان من غير المسلمين.

(٣) مرافقه الشخصي.

استلفت نظري هدم الجدار الذي كانت الحكومة بنته لنا لمّا وسّعت الطريق. ورأيت بعض علامات تدل على أن في النية بناء جدار وراءه لأنهم رأوا بأن الطريق لا تزال ضيقة ولم يكتفوا بما أخذوا.

أنا لا أنكر أن ما تفعله [الحكومة] الآن من توسيع الطرق هو الصواب بعينه. ولكن كان يجب على الحكومة أن [تبتّه] لأمر حيوي وهو أن تأخذ دراهم من المحلات المجاورة التي تحسنت بذلك. مثلاً إنها أخذت من أرضنا هذه ما قيمته أكثر من ٢٠٠ ليرة عثمانية. نعم إن الأرض تحسنت جداً وارتفع ثمنها ولكن النفع لم يعد لنا فقط بل إن جيراننا قد انتفعوا مثلنا أو أكثر. فهذا ليس الحق والعدل أن يكسب وينتفع واحد على ظهر الآخر بدون أن يخسر شيئاً.

أما كان الأجدر بالحكومة مثلاً لو أجبرتهم على دفع نصف ثمن أرضنا وحينئذ تكون المنفعة والخسارة مشتركة بيننا؟ كان يجب على الحكومة أن تنتبه لهذا الأمر ولكن لمن المشتكى، فلا حول ولا قوة.

دولة تزعزعت أركانها وصارت تخبط في الأمور خبط عشواء وهي لا تدري ما تفعل، تريد أن تعمل خيراً ثم ينقلب الخير ويلاً عليها وعلى أهلها. فإلى متى يا رب الخلاص فقد ضاق الصدر وطفح الكيل.



«لا يوجد أوقح من جمال باشا». قائد الجيش الرابع في جلسة استرخاء في حديقة الكولونية الأميركية.

المصدر: مجموعة ماتسون/ لارسون.

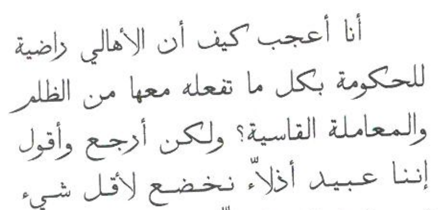
مثلما تكونوا يُوَلَّ عليكم

الجمعة ٧ مايس ١٩١٥ [غربي]، ٢٤ نيسان ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٢٣ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]



أميرة الخليلي، خالة إحسان وزوجة الحاج راغب الخالدي.
المصدر: مجموعة محمد الخالدي (عمّان).

[٦٤] ماذا أكتب وقلبي مضطرب وأفكاري مشغولة من كثرة ما أسمع من فظاظة أخلاق هؤلاء الفجرة ومن هول ما أرى كل يوم في ازدياد شقاء بني جنسي العرب الوطنيين. كل يوم يزداد موقفنا حرجاً وقد أصبح الجميع لا طاقة له على احتمال اشتداد هذا الضيق المالي العظيم. فضيق مالي، وحروب طاحنة وظلم، كل ذلك والأهالي صابرة على هذا النير التركي الثقيل.



أنا أعجب كيف أن الأهالي راضية للحكومة بكل ما تفعله معها من الظلم والمعاملة القاسية؟ ولكن أرجع وأقول إننا عبيد أذلاّء نخضع لأقل شيء وعلى الذل والمسكنة. وأتذكر الحديث الشريف «مثلما تكونوا يُوَلّ عليكم». والله إن هذا الكلام جدير بأن يكتب بماء الذهب. فإننا لو لم نكن أهلاً لهذا الظلم لما قدرت الحكومة أن تفعل بنا كل ذلك فاللوم كل اللوم إذاً علينا. وليس على الحكومة. فطالما نحن لا نريد أن نعيش عيشة عز وهناء كيف تستطيع الحكومة على إجبارنا. من يصح له أن يكون سيداً ويرفض هذه النعمة.[١] كيف تقدر الحكومة أن تضغط علينا كل هذا الضغط لو كنا أعزاء ومتنورين؟ كلما أرى الجنود خرجت من باب القدس ينشرح صدري وأقول لقد أتى الفرج. اليوم مر طابور لم أرَ مثله فهو والحق يقال من أحسن وأقوى الطوابير. ذهب إلى جهة نابلس. تلقّهم السلامة وأدعو الله أن لا يعود

(١) يقصد نعمة التخلص من الهيمنة التركية.

ويرينا وجهه من جديد. فقد سئمنا ما رأينا وكفانا.

[٦٥] أصبحت اليوم طريق مصر شمالاً. فبعد أن كانوا يجيئون من الشمال إلى الجنوب وجدوا - كما قال أحدهم - طريقاً جديدة لمصر والترعة [القنال] من الشمال من الدردنيل والسواحل. سبحان مغير الأحوال. أعلنا الحرب على أمل أن نأخذ مصر ونفتتح الأقطار صرنا الآن نريد الدفاع عن المحلات [المواقع] التي بأيدينا.

بشرني صباحاً الشيخ أمين الدنف بأن خالتي أم حسن [الخالدي][١] وضعت غلاماً نيافاً. جعل الله قدومه خيراً.

سمعت خبراً اقشعر له بدني. وهو أن حلمي بيك السعيد نجل حافظ بيك السعيد،[٢] مبعوث القدس، انتقل إلى رحمة الله أول البارحة بالتيفوس. مسكين حالة والده ووالدته وامرأته وأولاده. مات هذا الشاب وقد خلف وراءه ٤ ذكور وأنثى.

ذهبت هذا المساء إلى المنزل [العسكري] ولم أرجع إلاّ الساعة ٩½ حيث ذهبت إلى البيت وكتبت مفكرة البارحة. ثم نمت وقد كانت الساعة ١١½.

(١) هي السيدة أميرة الخليلي شقيقة نبيهة الخليلي، والزوجة الثالثة للحاج راغب الخالدي.
(٢) حافظ بيك السعيد (١٨٤٢ - ١٩١٦): مدير ناحية الرملة وبيت لحم، وقائمقام طولكرم. عُيّن رئيساً لمحكمة التجارة في يافا، وفي سنة ١٩٠٨ انتخب نائباً عن يافا في مجلس المبعوثان (البرلمان العثماني). حكم عليه الديوان العرفي برئاسة جمال باشا في عاليه (لبنان) بالإعدام، لكنه توفي في السجن سنة ١٩١٦ - أنظر: مناع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

الحكومة تغذي التفرقة بين الطوائف

السبت ٨ مايس ١٩١٥ [غربي]، ٢٥ نيسان ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٢٤ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٦٦] أصدر أمر روشن بيك يقول فيه بأنه يجب على الجميع تسليم ما عنده من التنكات فارغة. وقال بأنهم سيجددون الحملة على مصر. وقد استحضروا ٢٠ ألف جمل.

هذا الخبر بسيط في حد ذاته ولكنه صعب التصديق. من يصدق بأن الحكومة العثمانية ستعيد الكرة وتهاجم مصر؟ بماذا تريد أن تحاربها؟ أبالجنود التي ارتدت [هزمت] ولم يأت خلافها؟ أم بالمدافع الجديدة التي أوصت عليها؟ أم بمدافعها الصغيرة التي لا تبلغ فوهتها أكثر من ١٢ سنتمتراً ومدافع الإنكليز الضخمة أقلها ٢٠ سنتمتراً فصاعداً؟

إنها لو أعادت الكرة وهاجمت مصر لتأتي بالويل عليها وعلينا وتقضي على نفسها وعلينا، وتفر جنودها لئلا تموت جوعاً وعطشاً خصوصاً الذين ذهبوا في فصل الشتاء حين كانت المياه كثيرة ولم يكن يقدر الجندي أن يستحصل أكثر من مطرة ماء.[1] وقد كان عددهم لا يبلغ ال ٤٠ ألف فكيف بها الآن لو أعلنت الحرب وزادت عدد الجنود فماذا تستطيع أن تعمل يا ترى خصوصاً ونحن في فصل الصيف؟

فإذا ذهبوا هذه المرة فإن الإنكليز الآن لا ترحمنا وتبطش بنا بطشاً ذريعاً وترينا بأنها لم تكن في بادئ الأمر تعاملنا مثل هذه المعاملة وترضي خواطرنا إلاّ لتهدي روعنا وتعاملنا كما يعامل الطفل الصغير. فإذا رأتنا الآن مصرين على [الحرب] ترينا وتعلمنا من هم الإنكليز وما هي قوتهم، فنرجع إلى بلادنا مكسورين مخذولين.

فهل يا ترى تجهل الحكومة هذه المرة أيضاً وتهاجم الإنكليز وتعاديها؟ ولكن عند حكومتنا العاقلة كل مفعول جائز. أمّا أنا فأعتقد بأن الحكومة لن تعود وتهاجم مصر مرة أُخرى خصوصاً [٦٧] بعد أن رأت ما رأته من قوة وبطش الإنكليز. وما كل ما نراه[2] إلاّ توهيم للعامة.

أُعدم اليوم جندياً لفراره وسينفى كل من نجيب بيك أبو صوان المحامي الشهير وجرجي أفندي أبو زخريا وجرجي أفندي الحمصي ومسيحيين لا أعرف من هم.

(١) قارورة ماء معدنية يحملها الجنود على الجبهة.
(٢) يقصد الاستعدادات الحربية.

وسبب ذلك هو لاشتباه الحكومة بهم. والقانون الجديد يصرح لها بنفيهم.

لله ما أقسى هذا الحكم وما أظلمه. والله لحكم جائر يصعب علينا احتماله. نفي وقتل وظلم وجور واستبداد. كل ذلك ونحن لم ننبس ببنت شفة فإلى متى يا رب نسكت ونتحملها. ألم يكفها ما سببته للأمة العربية وللأمة العثمانية[1] جمعاء من الويلات وهم يدّعون بأنهم يريدون أن يخدموا الوطن لأنه بخطر كما يدّعون. لم يكن الوطن بخطر إلاّ منهم ومن أعمالهم التي لم تكن عن تأن وترو.

ألم يكفها ما سببت لنا من الويلات والآن تريد أن تفتح لنا باباً جديداً وهو النفي. إن هذا لم يكن في الحسبان. تسمع وترى بأن الحكومة تقاضي وتجازي أشد الجزاء كل من تحدّى وأراد التفريق بين العناصر[2] والمذاهب. بينما تراها تنشر كل ذلك وهي تفرق بيننا. فتباً لأم تفرق بين ولديها وتزيد البغضاء فيما بينهم. إنها والله لأم لا تستحق لأن تكون أماً لهم. لكن [هذا] الحال إنشاء الله لا يدوم. وغداً إنشاء الله لمّا نخرجها من أرضنا نناقشها الحساب.

يقال بأن الحكومة ستوسع الطريق المؤدية من باب الخليل إلى الحرم. وقيل أيضاً بأن في نيتها توسيع الطريق من باب العمود إلى سوق القطانين. وقد رأيتهم اليوم بينما كنت ذاهباً إلى المنزل [العسكري] يهدمون دكاناً صغيراً داخل باب العمود في الباب الأوطة الغربية. نِعْمَ ما يفعلون الآن إذا صحت هذه الإشاعات ولكني لا أظنها إلاّ إشاعات لأن حكومتنا لا تقدم على عمل فيه نافعة لنا.

(١) لاحظ استعمال لفظة الأمة العثمانية والأمة العربية بالتداخل.
(٢) المجموعات العرقية - وفي هذه الحالة «المجموعات القومية»، وهو تعبير مبطن لمعاداة الهيمنة التركية.

المصائب تغزونا مرة واحدة:
حرب وغلاء وجراد وأمراض سارية

الأحد ٩ مايس ١٩١٥ [غربي]، ٢٦ نيسان ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٢٥ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٦٨] ماذا أكتب وفكري مشغول وبالي مضطرب من هذه الحالة السيئة فإني لا أفتكر بشيء، إلاّ الحالة الحاضرة ولا يخطر ببالي إلاّ متى نخلص من هذه الحرب المشؤومة وماذا ستصير حالتنا بعدها.

حياتنا مهددة بالأخطار من كل صوب. فحرب أوروبية وحرب عثمانية وغلاء معيشة وأزمة مالية وجراد منتشر في البلاد. وزد على ذلك انتشار الأمراض السارية في البلاد العثمانية وقانا الله منها. لا أعرف كيف أنام الليل وكيف أمشي في الأسواق وأتكلم مع هذا وذاك وكل هذه البلايا قد حاقت بنا من جميع الجهات فكيف لي وأنا على هذه الحالة إن ذلك لمن العجب العجاب.

أنا من عادتي إذا نزلت عليّ أقل بليّة لا يهدأ لي بال. أمّا الآن وقد أصابني وأصاب الجميع ما أصابنا لم [أعد] أكترث بشيء. إن ذلك لم يكن إلاّ على ما أظن لتراكم المصائب علينا. فكلما أتذكر واحدة وأفتكر بالأخرى تنسيني الثانية الأولى لأنها أعظم منها. وهكذا إلى أن يمر على خاطري جميع هذه البلايا حتى لم أعد أهتم بشيء. فمتى تنتهي هذه الأزمة يا ربّ ونتخلص من ذلك وإن ذلك اليوم لا شك بأنه سيكون أعظم وأكبر أيام سرورنا وهو سيكون يوم تاريخي.

لم أعمل شيئاً يوجب الذكر فذهبت إلى المنزل [العسكري] ورجعت إلى البيت ثم رجعت إلى المنزل وذهبت أيضاً في المساء إلى البيت ثم عدت إلى المنزل ورجعت إلى البيت كعادتي. وفي المساء بينما كنت أتناول طعام العشاء سمعت من إحدى النساء بأن صهر خالي أبو رشيد انتقل هذا المساء إلى رحمة ربه. ولكني لم أتحقق من صدق ذلك بعد.

أخبرني حسن [الخالدي] بأنه أصبح سقوط الدردنيل قريباً.

في الطريق إلى النبي صموئيل

الاثنين ١٠ مايس ١٩١٥ [غربي]، ٢٧ نيسان ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٢٦ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٦٩] نهضت صباحاً وأول كلمة سمعتها كانت هي موت عبد الوهاب أفندي الفتياني. فبعد أن لبست ثيابي وذهبت إلى المنزل [العسكري] لآخذ إذناً من ضابطي لأن أحضر الجنازة، بعد أن قعدت قليلاً أخذت إذناً ونزلت تواً إلى البيت وقرأت كتاباً إنكليزياً «ماذا يجب على الشاب أن يعلم؟» في فصل «انتخاب الزوجة». ذكر فيه [المؤلف] عدة نقط مهمة، وشرحها شرحاً وافياً. وحبذا لو يقتدي شبابنا ببعضها. إن لم يكن بها كلها.

ثم قمت وذهبت إلى الحرم أنا ووالدي وقعدنا في إحدى الغرف فجاء رجلان وصارا يتحدثان في السياسة. خاضا في الموضوع أكثر من نصف ساعة وهما يتكلمان ويظنان بأن كلامهما هو الصحيح وعين الصواب ولكن الحقيقة [....][١] كما كان يقول لنا معلم الأخلاق في الكلية، كان لا معنى لما يتكلما. فهما قد مدحا الأتراك مدحاً زائداً وأثنيا على الألمان والنمسا وعلى قوتهم وأنكرا بالمرة قوة أعدائهم وقالا بأنهم أصبحوا في خطر عظيم. فهل تصبح إنكلترا في خطر وأساطيلها العظام تمخر في عباب البحر. أم فرنسا. أم المسكوب [الروس] وجنودها الجرارة التي إذا أرادت تجنيد كل من في سن العسكرية لجندت أكثر من نصف ما في ألمانيا من رجال ونساء؟ فسبحان من خلق العباد كما شاء.

بعد الظهر خرجت الجنازة من الحرم. فذهبت وإياها إلى مأمن الله[٢] وقد كان بصحبتي صدر [الدين] وحسن [الخالدي] أولاد خالتي. لم أذهب طول هذا النهار للمنزل [العسكري] بل ذهبت مع حسن إلى بيت أخيه وقعدنا قليلاً ثم ذهبنا إلى المكتبة الخالدية.[٣] فبعد أن قرأ لي قليلاً قمنا إلى باب الخليل ومن هناك ذهبنا إلى طريق النبي صموئيل.[٤] وقد سررت جداً وانتعشت جميع أعضاء جسمي.

---

(١) جملة غير مقروءة، ويبدو أنها جملة تركية يمكن أن تُقرأ هكذا: لوغر تكناه!
(٢) مقبرة المسلمين التاريخية في غرب المدينة، وتعرف باسم ماميلا.
(٣) تقع المكتبة في عقبة الخالدية بجانب مدخل الحرم الشمالي المحاذي لحائط البراق وحي المغاربة.
(٤) في شمال غرب المدينة، وهو يؤدي إلى مقام النبي صموئيل على تلة مطلة على طريق يافا - القدس. وقد أدت هذه التلة دوراً حاسماً في معارك القدس سنة ١٩١٧.

[٧٠] استلفت نظري وعجبت جداً مما رأيت. فقد رأيت شيخاً أميركياً من أفراد الكولونية الأميركية(١) يتمشى بكل جد ونشاط وقد ابتعد عن القدس أكثر من نصف ساعة. كان كلما يمشي قليلاً يقف ويفحص كل شجرة رآها وكل شيء وقعت عليه عيناه. ويتلفت ذات اليمين وذات اليسار كأنه يفتش عن شيء حتى إني قلت لحسن «لا بد لهذا الأميركي لمجيئه من سبب خصوصاً وأنه يفحص كل شيء فحصاً مدققاً».

رجعنا إلى بيوتنا وقد كانت الساعة أكثر من ٧. فتعشيت وذهبت إلى المنزل [العسكري]. سمعت خبراً هالني سماعه وهو أن المنزل سيلغى. وقد قال من ذكر ذلك بأنه سمعه من نهاد بيك (أركان حرب المنزل) وذلك بأمر من العرضي.(٢) ما دامت الحرب منتشبة فالمنزل موجود هذا أمر مؤكد. ولكن الخبر يقول بأن هذه الوظيفة أصبحت ولا شغل عليها والعرضو يقدر أن يلغي هذه الوظيفة ولكني أعود وأغوي [أقنع] نفسي بأننا في أيام الحرب والحكومة تعلن المرة بعد الأخرى بأنها ستعيد الكرة على مصر ومن يأخذ على نفسه إطعام وإيصال الطعام إلى الجنود.(٣) فإذا صح هذا الخبر فيجب أن نستبشر خيراً ونقول بأن الحكومة غيرت النية وقد قرب الفرج. هذا ما أعزي نفسي به ولكن الحقيقة التي لا مراء فيها هي أنه إذا ألغي المنزل وألحقونا بالطوابير لا شك بأننا سنتعب ونتغلب معهم(٤) في يوم أكثر من طول هذه المدة في المنزل.(٥) فاللهم لا تحقق هذا الخبر ولا تغير المنزل وتنقله من هذه البلدة حتى تنتهي هذه الأزمة.

رجعت إلى البيت وأنا أفتكر بهذه القضية المبهمة ونمت ولم أنساها.

---

(١) مستوصف ومدرسة في حي الشيخ جراح.
(٢) تعريب لكلمة أردو التركية، وتعني الجيش.
(٣) يبدو أنه كان هناك نية لنقل الجهاز الإداري العسكري إلى دمشق أو بئر السبع خوفاً من سقوط القدس بفعل هجمات الجيش البريطاني من جهة الساحل.
(٤) عامية، وهي تكرار لكلمة سنتعب.
(٥) يقصد إلحاقه بكتائب العسكر الميدانية.

مؤامرة يونانية ضد الحكومة

الثلاثاء ١١ مايس ١٩١٥ [غربي]. ٢٨ نيسان ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٢٧ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٧١] كل يوم والجنود تبرحنا متوجهة نحو نابلس واليوم سافر اللاء – ٢٩(١) وغيره على طريق نابلس. تلقّهم السلامة. لقد سئمناهم وسئمنا أنفسنا معهم. كنت فيما مضى أنتظر ذهاب بقية العساكر إلى بلادها أمّا الآن ولم يبقى إلاّ القليل وخصوصاً وأن طريق مصر لا يعود ويذهب إليها أحداً هذا مؤكد.

أمّا وجهتهم فلا يعرف أحداً إلى أين هم متوجهون الآن. فالبعض يقول إلى سواحلنا والبعض يقول إلى الآستانة والبعض يقول إلى ساحل بر الأناضول. والحاصل أن الإشاعات متضاربة ومختلفة. وقد أخبرني مخبر بأنه سمع بأن أحمد جمال باشا سيذهب هو وحاشيته. فقلت في نفسي «إلى حيث ألقت... ولا ردّه الله إلى بلادنا».

ذهبت وحسن [الخالدي] إلى البيت. وبعد العشاء رجعنا إلى بيت الأستاذ خليل أفندي [السكاكيني].

جاء عادل جبر وأخبرنا بما يأتي: «اكتشف طلعت بيك ناظر الداخلية مؤامرة ضد الوزارة الحاضرة. وألقوا القبض على الأعضاء وأغلبهم من اليونان. ومن جملة مؤسسيها اللورد كتشنر وفنزليوس. وقد أهديَ على هذه الخدمة الميدالية الذهبية». هذا ما قاله عادل بحرفه(٢) وقد زاد بالطبع بالثناء على جميع الاتحاديين(٣) وحكومتهم كعادته.(٤) ثم حضر جورجي بترو والآنسة ميليا [السكاكيني] وحنا حمامة. وبعد أن تكلمنا قليلاً اقترح علينا الأستاذ [خليل] بأن نلعب «من المظلوم؟» فالتففنا حول الطاولة ومن غريب الصدف أنني كنت المظلوم مرتين متواليتين وقد قلّيت [كنت أقل] عن نمرتين كانت مع عادل وهذا من غريب ما جرى لي. وقد ظلمت مرة. وبعد أن انتهيت من هذه اللعبة كانوا يختارون جزاء الظلم شيئاً وأغلبهم كان الغناء ومن

---

(١) رقم اللواء العسكري.
(٢) حرفياً.
(٣) جمعية الاتحاد والترقي.
(٤) يلمح الترجمان في يومياته إلى أن عادل جبر كان من أنصار الدولة العثمانية، وأحياناً كان عميلاً لها.

جملتهم أنا. ومن غريب الاتفاق بأنه لا يوجد بين الجميع من صوته يُسمع[١] على الأقل. فكنا جميعاً نجعّر كالحمير وقد ضحكنا وسررنا جداً.

ذهبنا الساعة ١٠½ ولمّا كانت عائلة خالي أحمد [الخليلي؟] عندنا اضطررت لأقعد حتى الساعة ١١½ [ثم] ذهبت إلى الفراش.

(١) جدير بالسمع.

المعلمون يدعون البغايا إلى قاعات الدراسة

الأربعاء ١٢ مايس ١٩١٥ [غربي]، ٢٩ نيسان ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٢٨ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

[٧٢] اليوم الظهر انتحر رئيس إدارة العرضي الرابع[١] وهو في المستشفى والأسباب لا تزال مجهولة. ولكن الإشاعات كثيرة فمنهم من يقول بأن الميزانية والمصارفيات [كذا] قد أفرقت معه ألوفات من الليرات مما جعله ينتحر. ومنهم من يقول بأنه [انتحر] لعدم خروجه من محل شغله ولكثرة أشغاله...[٢] ولكن الحقيقة مجهولة. وعلى كل فإن عمله هذا لهو الجنون بعينه. كيف ينتحر الإنسان؟ لا أعلم. الحياة عزيزة وغالية. وكل مجنون يفدي بحياته. أخبرني أي شيء أعز على الإنسان من حياته؟ فكل جبان ينتحر. الرجل لا ينتحر مطلقاً.

بعد الظهر مرت جنازته من باب المنزل [العسكري] وقد كانت ملآنة. والعساكر والجاندرمة[٣] منكسة بنادقهم. ورجال البوليس أمامهم. وخلفهم أمراء الجيش ومنهم الجمالَين - جمال باشا قائد الفيلق الرابع وجمال قائد الفيلق الثامن - وترومر باشا وغيرهم من كبار القوم.

ومما يجب ذكره أنه بينما كانت الجنازة مهيئة بكل وقار والكل وراءها مشاة بكل احترام. إذ بالموسيقى التركية آتية لتعزف بباب المنزل [العسكري] وما ابتعدت عنها عدة خطوات حتى صارت تعزف بألحانها فيا سبحان الله هل الميت لهذه الدرجة محتقر؟ ولكن كلما أتذكر الحالة التي نحن فيها الآن وما وصلت إليه الدولة من الذل والهوان وهم لا يهمهم شيء إلاّ ملذاتهم.[٤]

خرجت من المنزل في الساعة ٥½ ووقفت في الباب لأرى من أعرفه حتى أصحبه فما لبث أن مر والدي وذهبت معه وأخبرني بما يأتي. قال: ذهب مفتش معارف لواء سورية إلى مكتب البقعة[٥] قبل يومين فرأى [....][٦] فسأله عن مومستين

(١) الجيش الرابع.

(٢) همومه.

(٣) الشرطة.

(٤) من الممكن أن الفرقة العسكرية كانت تعزف ألحاناً جنائزية، وأن الكاتب غير معتاد على هذا الأداء الموسيقي في الجنائز.

(٥) حي جديد في جنوب القدس.

(٦) الاسم غير مقروء.



فيضي بيك العلمي، رئيس بلدية القدس، وعضو مجلس المبعوثان عن متصرفية القدس.

المصدر: المجموعة الجوهرية، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

حضرتا قبل يوم. فاستغرب الأمر وسألها إذا كانت تعرف الأشخاص الذين أحضرتهما لهم؟ فأجابت بنعم. فأدخلها وعرف أن معلمي المكتب هم الأشخاص. أمّا المعلمون فهم: كمال الخطيب. سامي الخطيب. زهدي العلمي. الشيخ يعقوب الأزبكي. ولمّا تأكد من صحة قولها قدم تقريراً [٧٣] إلى مدير المعارف وهذا حوّله إلى متصرف اللواء. فحكم أولاً بعزل المعلمين المذكورين. فتدخل مبعوث لواء القدس فيضي العلمي[١] وغيّر الأمر وقر القرار على تنزيل معاشاتهم ١٥٠ غرشاً.

أنا أعجب كيف يصوغ [يَسَوَّغ] للمعلم أن يفعل مثل هذه الأشياء؟ يجب على المعلم أن يكون قبل كل شيء أديباً محمود السيرة وفي الدرجة الثانية يكون عالماً له إلمام بتعليم وتربية الأولاد الصغار. أمّا نحن والحمد لله فمعلمونا [شخصيتهم] خالية

(١) فيضي العلمي (١٨٦٥ - ١٩٢٤): رئيس بلدية القدس (١٩٠٦ - ١٩٠٩)، وممثل القدس في مجلس المبعوثان (البرلمان العثماني) سنة ١٩١٤ - أنظر: مناع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٧.

من جميع هذه الخصال. فلا علم ولا أدب. نعم إن المعلم رجل ويجب أن يتلذذ ويقضي شهواته الحيوانية. ولكن يجب عليه أن يضبط نفسه عن مثل هذه [الرغبات] الدنيا. وإذا لم يتمكن كان من الواجب عليهم بأن لا يدخل المومسات إلى المكاتب[١] أمام الأولاد الصغار ويعلمونهم الرذائل قبل الفضائل ومعلوم أن الإنسان ميال للشر والسفالات قبل الخير والترفعات عن الأشياء الدنيئة. فكيف بالأولاد الصغار؟

وتحدثنا [أنا ووالدي] عن ذلك طول الطريق ثم ودعته إلى أن أوصلته إلى البيت ورجعت إلى باب الخليل. ولكني لم أصل باب المحكمة إلاّ ورأيت الشيخ الخطيب المغربي وكان قد طلب مني من مدة الجزء الثاني من تفسير الزمخشري وقد أخذ [الجزء] الأول من مدة ١٠ أشهر ونيف وقد أجبرني أن أرجع إلى البيت لأعطيه الجزء الأول.[٢] أنا أحب أن أعير كتبي وأستعير كذلك من الغير لأفيد وأستفيد. ولكني لا أحب أن أعطي كتاباً لأحد أعرف بأنه لن يرجعه لي. فما أقبح هذه العادة الموجودة فينا.

ذهبت إلى باب الخليل واجتمعت بال - ج ص د ص ق ع ق[٣] وبقيت معه حتى الساعة السادسة ونصف. ثم رجاني أن أذهب إلى بيت ال خ ق ا د ع ف[٤] وأخبرها بأنه لا [لن] يأتي ليأخذها. ورجاني أيضاً بأنه [....][٥] فامتثلت لأمره وذهبت وكان ذهابي سبباً لسروري.

(١) قاعات الدراسة.

(٢) يقصد الجزء الثاني.

(٣) تبعاً للشيفرة الحروفية لإحسان فالاسم هو: السكاكيني.

(٤) تبعاً للشيفرة فالاسم هنا: السلطانة، أي سلطانة زوجة خليل السكاكيني، وقد أضاف إليها ال التعريف كنوع من التعظيم.

(٥) كلمات غير مقروءة.

رمية من غير رام[1]

[٧٤] إن هذا اليوم لهو من أجمل أيامي وأسعدها. كيف لا وقد رأيت من كنت أتمنى لو أرى وجهها ولو مرة واحدة - لا أراها [عادة] إلاّ وهي متسترة بإيزارها. أأنا في حلم أم في يقظة؟ كلا فإنني رأيت في اليقظة حبيبتي وسيدتي وشريكتي في المستقبل. رأيتها وهي واقفة في باب بيتها تكلم إحدى السيدات وقد رفعت الحجاب عن وجهها. ولكنها لمّا رأتني أسدلته وظلت تكلمها. إن ضميري قال لي إلتفت يا فلان وانظر إلى ما كنت تتمنى أن تراه فأجبته إلى ندائه ونظرت إليها ورأيتها فما أسعدني لأني رأيتها.

رأيت تحت الحجاب بدراً منيراً ووجهاً جميلاً مستديراً ولوناً صافياً. كل هذا الجمال كنت أجهله فما أشقاني في الماضي لأني كنت أجهله. وما أسعدني الآن لأني عرفته. لو كنت شاعراً أو كاتباً لوصفته أحسن وصف ولكني أجهل نظم الشعر وكتابة النثر وأكتفي بأن أقول إنها آية في الحسن والجمال وسيدة الحسان في اللطف والجمال. فما أسعد من يتزوجها وما أسعدني إذا أخذتها.[2]

كم رأيت من نساء أوروبيات وأميركيات ومسلمات ومسيحيات ويهوديات، فإني وأيم الله لم أرى أجمل من تلك الصورة الحسناء. فسبحان الله خالقك يا سيدة النساء والمخدرات.

لقد كنت قبل اليوم أحبها حباً خيالياً لأني لم أكن أعرفها. كنت أعيد ذكرى صورتها لمّا كانت طفلة صغيرة وأتصور هيئتها وجمالها الآن بعد أن كبرت وأصورها في عقلي أحسن صورة. ولكني لمّا رأيتها رأيت ذلك الجمال الفتان، رأيت بأن جمالها فوق ما يتصوره الإنسان ولم يكن ما كنت أصورها به إلاّ تحقيراً لها لمّا رأيتها. أمّا الآن وقد رأيتها بأم عيني فصرت أحبها حباً حقيقياً، حباً محسوساً. حب رجل رأى الجمال بعينه ولم ينخدع بوصف أمه أو أخته لها.

[٧٥] بعد أن رأيتها حق لي أن أحبها هذا الحب الطاهر الصادر من قلب أبيض من الثلج وأصفى من الألماس. من قلب لا يعرف للغش والخداع معنى.

أنا لا أنسى ما دمت حياً تلك اللحظات القليلة التي تمنيت لو كانت أياماً وأعواماً وأنا واقف كالصنم بلا حراك أمامها أنظر فقط إلى نور وجهها. جمالها أنساني كل أحزاني

(١) العنوان في الأصل.

(٢) يقصد إذا تزوجها.

وكل ما مر على رأسي. أنساني نفسي أيضاً فما أجمل تلك اللحظة وتلك الساعة. إنها ساعة عز وفرح، ساعة سرور لم يحصل في أثنائها ما يعكر وما يغم ويكدر أحداً على وجه هذه البسيطة.

لمّا رأيتها كانت الشمس قد غربت والظلام قد أقبل ولكن نور وجهها اخترق الظلام وانعكس على وجهي ورأيتها. ما أسعدني لو كنت تمكنت من أن أتمعن بنور وجهها الفتان أكثر ولكن كفاني أني رأيتها. وهل أنسى لمّا كنت أمر من باب بيتها لأراها وهي مارة ومتحجبة وكم كنت أفرح وأسر إذا رأيتها في طريقي وأطرح عليها السلام في قلبي لا يسمعه أحداً إلاّ هي. وأبحث في ضميري كلام الحب وأنا لم أكن أعلم لها صورة وجه وكم كنت أفرح لذلك وأسر. فكيف الآن وقد رأيتها بعيني فإني سعيد والله لهذه الرؤيا الجميلة. فمتى تكمل تلك السعادة الحقيقية وآخذها وأتزوجها وتكون لي امرأة أفتخر بها.

أنا أخاف عليها والله من أن يأتي غيري ويختطفها مني ويفترسها ويأخذها غنيمة باردة، بدون تعب. فهذه الطاقة الكبرى كلما أفتكر بذلك يطير عقلي.

أنا لا أريد إلاّ هي فكوني معي أيتها السيدة الحسناء ولتكن قلوبنا أدلاؤنا وحبّيني كما أحبك. لقد كنت أحب ال - ج ص د ص ق ع ق[1] لا مزيد عليه. أمّا الآن فقد زادت محبتي له ولعائلته لأنهم سببوا لي أن أراها فجزاهم الله خير جزاء.

أستودعك الله أيتها الحبيبة فإلى الملتقى. إلى الملتقى بعد بضعة سنين.[2] وأرجو أن لا تستطيل هذه المدة فأستودعك الله مرة أخرى وإلى الملتقى يا سيدتي والسلام عليك.

[تابع الأربعاء - كُتب يوم الخميس]

[٧٦] إن ما أصابني البارحة من السرور أنساني أن أذكر ما رأيته بعد أن رأيتها. بعد العشاء بينما كنت راجعاً من البيت إلى المنزل [العسكري] رأيت الطريق غاصة بالجنود والعربات والخيل والأرزاق[3] فعلمت بأنه ورد لبقية الجنود والفرقة العاشرة ورد لها [أوامر] بالسفر إلى الشمال. كان الظلام حالكاً والجنود كلها مسافرة ثم مشيت قليلاً فرأيت موسيقى الفرقة المذكورة وهي على أهبة الرحيل. كم سرني ما رأيت فإن

(١) الاسم المشفّر هنا هو: السكاكيني.

(٢) قد يعني نهاية الحرب وتسريحه من الجيش.

(٣) معدات الجيش من تمويل وغذاء.

ذلك لا شك أنه لم يكن إلاّ لأني رأيت قبل ساعة شيئاً أنعشني.

سررت لسفر هؤلاء وحمدت الله على ذلك. سررت لأن الحكومة أصبحت حياتها بخطر. فقبل كانت تعد المعدات لتهاجم مصر. وأمّا اليوم فإنها رأت أن حياتها مهددة من جميع الجهات وأعدائنا الإنكليز يضربوا بأساطيلهم المدن. وقد أصبح أخذ [سقوط] إستنبول على قاب قوسين أو أدنى. الآن عرفوا بأنهم لا يقدرون على شيء. الآن عرفوا قوة أعدائهم. الآن عرفوا أنهم يحاربون أعظم وأقوى دول الأرض. الآن عرفوا بأن جميع أعمالهم لم تكن إلاّ صبيانية.

الحكومة تسرق أرضنا

الخميس ١٣ مايس ١٩١٥ [غربي]. ٣٠ نيسان ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٢٩ جمادى الثانية ١٣٣٣ [هجري]

نهضت فرحاً مسروراً لما رأيته البارحة. ولكن ويا للأسف حصل ما كدر خاطري وجعلني طول هذا النهار بعد العصر مقبوض الصدر لما أصاب والدي من الخسارة في هذا العام. لا أعلم من أخبرني بأن البلدية توسع الطريق من الجهة الشمالية من كرم الأعرج فذهبت ورأيت أنهم أخذوا من الأرض أكثر من ٧ أذرع.[1] وقفت حائراً لا أبدي حراكاً لأن ما أخذوه لتوسيع هذه الطريق يبلغ قيمته أكثر من ٨٠٠ ليرة على أقل تقدير.

أنا لا أقول شيئاً من جهة توسيع الطريق. فإنه من الضروريات ذلك. ولكن كان يجب على الحكومة أن تعوضنا من المال ما يساوي على الأقل نصف ثمن هذه الأرض وتجبر جيراننا بيت قطينة الذين تحسنت أرضهم[2] بدون أقل خسارة أن يدفعوا لوالدي شيئاً من المال.

لا بأس من توسيع الطريق فهذا من الضروريات ولكن نحن خسرنا مبلغاً لا يستهان به بينما جيراننا قد تحسنت محلاتهم بدون أقل خسارة. ففي أي مذهب يجوز ذلك وأي قانون يصرح بذلك. نحن لا نريد الآن من الحكومة دراهم لأننا نعلم بأن ذلك من المستحيلات خصوصاً وقد أصبحت خزينتها أفرغ من فؤاد أم موسى. ولكن ما بالها لو أجبرت أصحاب الأرض المجاورة أن يدفعوا لنا مائتين أو ٣ مائة ليرة؟ لم أحزن وأتكدر مثل ما تكدرت على هذه الأرض. لقد أخذوا منا من قبل [٧٧] ما تساوي قيمتها أكثر من ٢٠٠ ليرة واليوم أخذوا أرضاً قيمتها أكثر من ٨٠٠ ليرة فخسارتنا جسيمة في هذا العام. ألف ليرة والله لا يستهان بها فهي مبلغ وافر. هذا ما خسرناه من هذه الجهة. ودع عنك ما خسرناه [من] تعطيل دراهمنا من أجرة محلاتنا وما دفعه والدي إعانات لهذه الحكومة.[3] فخسارتنا هذا العام أكثر من ١٤٠٠ ليرة لحد هذا التاريخ وهم يقولون بأنهم سيوسعون ويجددون طرقاً جديدة في غير محلات من

(١) مقياس يتراوح ما بين ٥٥ و٨٠ سم.

(٢) يقصد أن توسيع الطريق قد زاد في قيمة أرض عائلة قطينة لأنها أصبحت مشرفة على الطريق العام من دون أن يُقتطع شيء منها.

(٣) ضرائب الحرب.

أراضينا. فتكون الخسارة في هذا العام أكثر من ٢٠٠٠ ليرة عوضها الله علينا.

لم يخسر أحداً من هذه البلدة ما خسره والدي. فما أظلم هذه الدولة. ما أعز المال على صاحبه وما أشقاه إذا رآه يصرف بالرغم عنه وفي طرق غير مشروعة.

أنا لا أزال طفيلي على والدي وليس لي ما أملكه ما دام والدي حياً. ولكني تكدرت جداً لهذه المعاملة الغير مشروعة.

لمّا رجعت إلى البيت أخبرت والدي بما رأيت فعزاني(١) وأوصاني بأن لا أتكدر وأحمد الله على ما أصابنا. ولكنه كلام لم يكن يفدني شيئاً بل زادني غماً على غمي وكدرتي. سألته إذا كان بإمكانه أن يراجع بهذا الخصوص ولكنه قال بأنه لا يقدر، ومن يريد أن يراجعه؟ وقال «العوض على الله يا ابني. فلا تزعل – مصيبة بالمال ولا مصيبة بالعيال».

ثم تركته وأخذت طعام العشاء بلا شهية. ثم ذهبت إلى المنزل [العسكري] عن طريق باب الخليل(٢) وأنا أمشي الهوينا إذا بصديقي جورجي بترو. ولمّا كان الوقت لا يزال باكراً أخذت أتمشى معه قليلاً ونتحدث عن هذه الحالة. ولمّا رآني منقبض الصدر سألني عن السبب فلم أفده شيئاً بل أخبرته بأني ميؤس [يائس] من هذه الحالة فأخذ يعزيني ويشجعني. ثم تركته في الساعة ٨ وودعته وذهبت إلى المنزل [العسكري] لم أرجع إلاّ الساعة ١٠ وذهبت إلى فراشي الساعة ١٠ ٣/٤ ونمت وأنا أفتكر ما أصابنا هذا اليوم ولكن أعزي نفسي وأقول إن ما أصابنا ولله الحمد لم يؤثر في حالتنا أقل شيء. فخسارتنا بضعة أمتار لا تزيد ولا تنقص من مالية والدي. ولكن أتأسف فقط لعدم المساواة. فلو أنصفونا وعوضونا وانتفع غيرنا لما همنا شيئاً. أمّا الآن فأناس انتفعوا بلا خسارة ونحن خسرنا كل ذلك. إن هذا الظلم لا يطاق.

(١) يقصد طيّب خاطره.

(٢) يقصد بمحاذاة سور المدينة وليس من خلال باب الجديد، وهو الطريق المباشر إلى بيته.

المشايخ لا تستحي

الجمعة ١٤ مايس ١٩١٥ [غربي]. ١ مايس ١٣٣١ [عثماني]

الموافق غرة رجب المبارك ١٣٣٣ [هجري]

[٧٨] لقد سمعت قبل بضعة أيام بأنه صدرت فتوى من المشيخة الإسلامية تلقب سلطاننا الحالي محمد رشاد الخامس(١) بالغازي وذلك لما ناله من الفوز هو وجيشه في هذه الحرب. وعن المدافعة(٢) الفائقة التي دافعها جنودنا وخصوصاً في جهة جناق قلعة.(٣) ولكني لم أصدق هذا الخبر. ولمّا سمعته صرت بين الصدق والكذب. وأمّا اليوم فقد ورد لنا أمر يفيد بأن خليفتنا نال لقب الغازي. فضحكت لمّا قرأت هذا الخبر وقلت في نفسي ألا يستحون من الله ومن العبيد(٤) على إصدار مثل هذه الأشياء. ولكن كما تقول العامة بأن «عرق الحياء قد طق»(٥) فصاروا لا يستحون من شيء ويكابرون بالمحسوس.

كلما أتذكر حادث الأرض يغيب صوابي ولا أعود أفتكر بشيء. إلاّ بهذه الخسارة. واليوم بعد العصر ذهبت لأرى مرة أخرى الطريق وبينما كنت واقفاً خرج المعلم خليل [السكاكيني] من بيته وصرنا نتكلم عن هذه القضية وقد كان تأثري بالغاً حده. فسألني لماذا لا يراجع والدي ويشتكي؟ فقلت له على من نشتكي وغريمنا الحكومة؟ وبعد أن تحدثنا سوية وذهبنا إلى باب الخليل ونحن نتكلم عن هذه الحادثة رجعنا وذهب كل منا إلى بيته. وقبل أن نفترق سألني إذا كان في نيتي أن أرجع إلى الكلية بعد انتهاء هذه الأزمة فأجبته بنعم وقلت له بأني سأذهب إذا لم تجدّ وتحدث بعض أشياء لا سمح الله تمنعني من الذهاب.(٦) ثم افترقنا وذهبنا إلى بيوتنا.

تكلمت مع والدي وأشرت عليه بأن يذهب هو وخالي أبو رشيد أو لوحده لعند رئيس البلدية حسين سليم أفندي [الحسيني] ويكلمه بهذا الخصوص ويشكره لأنه

(١) تمت مبايعته سلطاناً بعد عزل شقيقه السلطان عبد الحميد الثاني في إثر الانقلاب العسكري سنة ١٩٠٩.

(٢) المقاومة.

(٣) مرفأ استراتيجي شمالي إزمير، شهد معارك طاحنة ضد الحلفاء.

(٤) الناس.

(٥) فقد الحياء.

(٦) كان إحسان يتنبأ بموته بعد عامين من هذه المحادثة، كما جاء في يوميات السكاكيني لاحقاً.

ذهب البارحة على ما أظن. ولمّا رأى أن الطريق واسعة أكثر من اللازم أمر بإرجاع مترين من عرض الطريق. هذا ما سمعته من والدي. ثم أخذت طعام العشاء وذهبت إلى المنزل [العسكري] ولم أرجع إلاّ بعد الساعة ١٠ ونمت الساعة ١١ ١/٢ لأني كتبت مفكرة أول البارحة.

كان الخطيب اليوم [الجمعة] الشيخ أسعد شقير[١] مبعوث عكا وقد حث الحشود على عدم الهريبة[٢] من الجندية. وغير ذلك.

(١) هو أسعد الشقيري، نائب عكا في مجلس المبعوثان (البرلمان العثماني)، ووالد أحمد الشقيري أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية.

(٢) من غير الواضح ما إذا كان يقصد التهرب من الخدمة العسكرية أو الفرار من الجندية.

هل عادل أفندي جاسوس عثماني؟

السبت ١٥ مايس ١٩١٥ [غربي]. ٢ مايس ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٢ رجب ١٣٣٣ [هجري]

[٧٩] نهضت صباحاً وذهبت كعادتي إلى المنزل [العسكري] ولم أرجع إلى البيت إلاّ بعد الظهر حيث تناولت طعام الغداء. بعد الغداء كتبت مفكرة البارحة ثم رجعت إلى المنزل وبينما كنت هناك سمعت بأن الآستانة قد أصبحت بخطر عظيم.[١] وجنود الأعداء قد اقتربت إليها جداً وأنزلت إلى البر ١٨٠ ألف جندياً. والبارحة بعد العصر أخبرني أحد الفضلاء بأنه قد مر من ترعة [قناة] السويس ٦٠ باخرة حاملة جنوداً إلى المضيق. وقد أخبرني أيضاً بأن أنور قد قتل.[٢] حقق الله الآمال.[٣] وقد قال لي غيره بأنه سمع من مصدر يوثق به وقرأ بإحدى الجرائد الأميركية بأن الإنكليز قد احتلت غاليبولي من ١٥ آذار غربي.[٤] كل هذه الأخبار إن لم يكن لها صحة فلا بد أن يكون لها رائحة من الصحة.

اليوم أرسل والدي عارف[٥] إلى خاله محمد توفيق أفندي ليحضر لعند والدي. فذهب وأخبره الخال بأنه ينتظر رجالاً وعدوا ليحضروا إلى عنده. وإذا لم يأتوا يحضر بعد ساعة أو بعد الظهر.

في الصباح بينما كنت ماشياً مع طاهر أفندي الخالدي رأينا خادمة الخال [محمد توفيق] وسألها عنه فأجابته بأنها تركته في البيت وأغلقت الباب عليه وأخذت المفتاح. فسألناها إذا كان هو لوحده؟ فأجابت بنعم. فأخذ طاهر أفندي المفتاح وذهب إلى عنده وقد دعاني أن أذهب معه فأبيت. فهل من يريد أن ينتظر رجالاً يقفل الباب من الخارج ويقعد لوحده في البيت؟ كلا فإن ذلك محال. وكيف يأتي من يريد أن يدخل

(١) في الحاشية كلمة «كذب» بخط صاحب اليوميات.

(٢) أنور باشا (١٨٨١ - ١٩٢٢): رئيس أركان الجيش العثماني ومن قادة حزب الاتحاد والترقي. وكان قد قُتل في معركة ضد الجيش الروسي سنة ١٩٢٢ وليس في هذه المعركة كما بلغ الكاتب.

(٣) في الحاشية كلمة «كذب» بخط صاحب اليوميات.

(٤) غاليبولي: أهم معركة خاضها الجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى، ومن أهم المعارك البحرية في التاريخ. حقق فيها العثمانيون انتصاراً ساحقاً على الحلفاء، وبرز من خلالها مصطفى كمال بطلاً قومياً. نجم عنها مئات الآلاف من الضحايا من الجانبين.

(٥) شقيق إحسان الصغير.

والباب مغلق وهل يصعد إلى الطاقة أو يطير إلى السطوح؟ ولكن قلة اهتمامه بأمرنا. ولعلمه بأن في المسألة خجالة جعله أن يقول مثل هذه الأقوال.

اليوم بعد الظهر حضر [محمد توفيق] إلى البيت ولكنه لم يجد والدي. وسأل والدتي عن سبب ندائه فأخبرته وجعل يسألها أسئلة كل جميع أعضاء جسده تعرفها.[1] ثم ذهب وأوعدها خيراً وقال بأنه سيحضر في الغد أو بعد الغد.

ولمّا رجعت إلى البيت في المساء سألها [والدي] إذا كان حضر خالي وأخبرته بالقصة.

بعد العشاء ذهبت إلى بيت المعلم خليل [السكاكيني] وأتى حسن [الخالدي] وأنا هناك وقد كان عادل جبر ذهب في هذا النهار إلى يافا [في] مهمة أوصى عليها جمال باشا ومعه رجل لا نعلم من هو. على ما يظهر لي. وكما كنت أظن من قبل. وكما صرح لنا حسن [الخالدي] في هذا المساء. يظهر بأن عادل جاسوس.[2]

قُرأ الفرمان لتجنيد قرعة ١٣١٢.[3]

(١) يقصد أسئلة بديهية لا ضرورة لها.

(٢) لا يوجد دليل على هذا الادعاء سوى العداء الشخصي تجاه عادل من جانب إحسان الترجمان. ومن الجائز أنه كان ينافسه في ود محبوبته. في كتاب عزيز بيك، مدير الاستخبارات العثمانية في دمشق («الاستخبارات والجاسوسية في لبنان وسوريا وفلسطين خلال الحرب الأولى»، بيروت ١٩٣٧) لم يرد إسم عادل جبر قط. والمعروف، على الرغم من ذلك، أن عادل جبر كان أقرب أصدقاء السكاكيني إلى النظام العثماني والمدافعين عنه. وقد عينه جمال باشا أستاذاً في المدرسة الصلاحية سنة ١٩١٥ حين كان الهدف منها تخريج شباب عرب للخدمة في الدولة والولاء لها - أنظر: العودات، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥ - ٨٧.

(٣) أمر عسكري بتجنيد مواليد سنة ١٣١٢ بالتقويم العثماني.

الجدري ينتشر في البلدة القديمة

الأحد ١٦ مايس ١٩١٥ [غربي]، ٣ مايس ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٣ رجب ١٣٣٣ [هجري]

[٨٠] لمّا خرجت في المساء من المنزل [العسكري] ذهبت إلى المنشية وهناك اجتمعت بحسن أفندي الخالدي وجمال أفندي الحسيني وانضممت إليهما وتحدثنا في عدة مواضيع كنظافة البلدة والأعمال التي يجب اتخاذها لذلك. وعن ثورة الآستانة وما شاكل. في الساعة ٧ ¼ ودعناه[1] وذهبنا إلى البيت. فبعد أن أخذنا طعام العشاء وقعدنا قليلاً ذهبنا إلى بيت الأستاذ خليل أفندي [السكاكيني] وكانت الساعة وقتئذ ٩. وقد كان عنده إسعاف أفندي النشاشيبي ومحمد موسى أفندي المغربي.

كان موضوع بحثنا في هذا المساء لذيذ وملذ جداً. تكلمنا هل كانت دعوة النبي العربي عليه السلام دينية محض أم سياسية اجتماعية. أمّا أنا فلم أنطق ببنت شفة لعلمي بأن هذا الموضوع والخوض فيه من أصعب وأعوص الأمور وهو يحتاج إلى مطالعة كثيرة فلذلك اكتفيت بالسكوت.

أمّا المدافع عن الوجه الأول فهو حسن [الخالدي]. والباقون لم يبتوا في هذا الموضوع بل كان من يقولون أنه بين بين. وأن دعوته سياسية اجتماعية أكثر منها دينية. وقد كانت من جملة الأسباب التي دعت حسن لأن يقول بأنها دينية محض هو تقشفه والتخشن في المعيشة والاكتفاء بما هو عليه. وقد كان بإمكانه أن يعيش أحسن معيشة. أجابوه بأنه في بث دعوته يرى الملذة في ذلك وليس في الثياب والأكل.

في الساعة العاشرة انصرفنا ونحن نتكلم في هذا الموضوع الملذ. ولكن يجب علينا كما ذكرت آنفاً بأن لا نخوض في مثل هذا الموضوع إلاّ بعد أن نقرأ عنه.

داء الجدري منتشر في البلدة واليوم ماتت سيدة من أكبر عائلات القدس وهي ابنة عبد السلام باشا الحسيني وهي لم تبلغ الـ ٣٠ من عمرها. يجب علينا أن ننتبه ونتطّعم جميعاً.

(١) المقصود جمال الحسيني. وكالعادة بقي حسن الخالدي، ابن خالة إحسان، معه.

جمال باشا يمنعنا من النوم في بيوتنا

الإثنين ١٧ مايس ١٩١٥ [غربي]، ٤ مايس ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٤ رجب ١٣٣٣ [هجري]

[٨١] تقرر اليوم هدم الدكاكين والبيوت من باب الخليل حتى باب السلسلة وتوسيع الطرق.[١] وقد أتى المهندس البلدي اليوم إلى ذلك السوق وبدأ بقياس الطريق. هذه الفكرة من أجل الأمور إذا صارت فنحن نشكر الحكومة العثمانية ولا ننسى لها هذا الفضل ففي عملها هذا زادت أهمية القدس العمرانية. يأتي السياح بالألوف في كل عام ويزورون الحرم ويرون الأزقة القذرة. أليس من العار علينا أن لا نجعل طريقاً جميلاً مؤدياً إلى الحرم الشريف؟ نعم إن كثيرين من أصحاب الأملاك تضرروا. ولكن ضررها لا يؤثر كثيراً. اللهم إذا لم تعوض الحكومة أصحابها قليلاً من المال كالعادة[٢] في جميع البلاد المتمدنة. إذا وسعت طريق تدفع الحكومة ثمنها. فهل تعمل ذلك يا ترى؟ إن هذا التعويض لهو من أهم الأشياء وخصوصاً أن الكثيرين منا يعيشون على مدخولهم السنوي من الأملاك، ويكتفون بالقليل. فإذا كانت الحكومة تريد نفع البلاد والأمة وجب عليها أن تعوض أصحاب الدكاكين وما شاكلهم وإلاّ فعملها سيكون مضراً بدلاً من أن يكون نافعاً. فهل في نية الحكومة يا ترى أن تعوضهم. هذا ما لم أعرفه بعد[....].[٣]

لا تزال الأمراض تفتك بالأهالي وقد توفي اليوم بداء التيفوس أحد تلاميذ كلية صلاح الدين الأيوبي.[٤] وبهذه المناسبة أُصدر أمر اليوم بعد المغرب من جمال باشا فيه عدم جواز الأفراد [من الجنود] أن يبيتون في بيوتهم لئلا يصابون بهذا المرض. ولكن هذا الأمر لم يفده شيئاً ولا يعود عليه بالنفع وذلك لأن ابن البلد[٥] إذا لم ينم في بيته فإنه ولا شك يذهب ويتناول الطعام مرتين أو ثلاثة في النهار ويرسل ثيابه إلى

(١) تعليق الكاتب في الهامش: «كذب». ويبدو أن إشارات «الكذب» هذه أدخلها في وقت لاحق لكتابة اليومية.
(٢) كما هو متبع.
(٣) هامش أضيف لاحقاً إلى اليوميات بخط الكاتب: «أضاعت الحكومة الخارطة وعدلت عن الهدم، تحريراً في ١٨ كانون أول ١٣٣١».
(٤) المدرسة الصلاحية التي أنشأها أحمد جمال باشا. راجع أهميتها في مقدمة الكتاب.
(٥) يقصد الجنود الذين تقع بيوتهم في منطقة القدس.

بيته ليغسلها. كل ذلك لا بد منه.

بينما كنت ماشياً في باب الخليل هذا المساء بصحبة صديقي جورجي [بترو] أوقفني أحد القوانين جاويشة[١] وسألني أين أستخدم[٢] وطلب مني أن أذهب معه إلى مركز قوماندانى. لأنه قال لمّا ذُكر لي بأن جمال باشا بلغ قوماندان المركز أمراً فيه عدم جواز مرور العساكر بعد الغروب. ومن رآه يتجول يجب أن يساق إلى هناك ويجب على كل جندي [إذا] أراد الذهاب من محل إلى آخر، عليه أن يأخذ وثيقة تبيح له ذلك، وأن يذكر فيها الساعة التي هو ذاهب فيها. ثم [٨٢] تلطف معي وقال لي بأن أذهب [أغادر]. فتركته شاكراً وذهبت رأساً إلى المنزل [العسكري] وأخبرت ضابطي بالقضية. بعد مرور نصف ساعة أو أكثر جاء أحد ضباط المنزل وسأل الكل عن محل نومه ولمّا لم يكن غيري في الغرفة من ينام في الخارج أمرني أن أنام في هذا المساء في المنزل. فامتثلت لأمره وقبل أن ننصرف[٣] ذهبت إلى البيت على شرط أن أنام في القشلة[٤] وقد نبهوا عليّ بأن أحضر ثيابي في الغد.

بعد العصر رأيت في الطريق جورجي [بترو] وموسى [العلمي]. ثم ودعنا موسى وبقيت أنا وجورجي وذهبنا إلى المدرسة [الدستورية]. في الساعة الثامنة ذهب جورجي إلى بيته وذهبت إلى المنزل [العسكري] وقد اعتمدت على أن آخذ طعام العشاء بعد رجوعي من المنزل. أخبرت أهلي بذلك[٥] وقد تكدروا لسماع ذلك وحسبوا ألف حساب على فراقي ونومي في المنزل.

(١) الشرطة العسكرية.
(٢) مكان الخدمة العسكرية.
(٣) انتهاء الدوام العسكري في ذلك اليوم.
(٤) مكان نزول العسكر.
(٥) أي أخبرتهم بالقانون الجديد الذي يمنع المجندين من النوم في بيوتهم.

جمال باشا يمنعنا من النوم في بيوتنا

الإثنين ١٧ مايس ١٩١٥ [غربي]، ٤ مايس ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٤ رجب ١٣٣٣ [هجري]

[٨١] تقرر اليوم هدم الدكاكين والبيوت من باب الخليل حتى باب السلسلة وتوسيع الطرق.[١] وقد أتى المهندس البلدي اليوم إلى ذلك السوق وبدأ بقياس الطريق. هذه الفكرة من أجل الأمور إذا صارت فنحن نشكر الحكومة العثمانية ولا ننسى لها هذا الفضل ففي عملها هذا زادت أهمية القدس العمرانية. يأتي السياح بالألوف في كل عام ويزورون الحرم ويرون الأزقة القذرة. أليس من العار علينا أن لا نجعل طريقاً جميلاً مؤدياً إلى الحرم الشريف؟ نعم إن كثيرين من أصحاب الأملاك تضرروا. ولكن ضررها لا يؤثر كثيراً. اللهم إذا لم تعوض الحكومة أصحابها قليلاً من المال كالعادة[٢] في جميع البلاد المتمدنة. إذا وسعت طريق تدفع الحكومة ثمنها. فهل تعمل ذلك يا ترى؟ إن هذا التعويض لهو من أهم الأشياء وخصوصاً أن الكثيرين منا يعيشون على مدخولهم السنوي من الأملاك، ويكتفون بالقليل. فإذا كانت الحكومة تريد نفع البلاد والأمة وجب عليها أن تعوض أصحاب الدكاكين وما شاكلهم وإلاّ فعملها سيكون مضراً بدلاً من أن يكون نافعاً. فهل في نية الحكومة يا ترى أن تعوضهم. هذا ما لم أعرفه بعد[....].[٣]

لا تزال الأمراض تفتك بالأهالي وقد توفي اليوم بداء التيفوس أحد تلاميذ كلية صلاح الدين الأيوبي.[٤] وبهذه المناسبة أُصدر أمر اليوم بعد المغرب من جمال باشا فيه عدم جواز الأفراد [من الجنود] أن يبيتون في بيوتهم لئلا يصابون بهذا المرض. ولكن هذا الأمر لم يفده شيئاً ولا يعود عليه بالنفع وذلك لأن ابن البلد[٥] إذا لم ينم في بيته فإنه ولا شك يذهب ويتناول الطعام مرتين أو ثلاثة في النهار ويرسل ثيابه إلى

(١) تعليق الكاتب في الهامش: «كذب». ويبدو أن إشارات «الكذب» هذه أدخلها في وقت لاحق لكتابة اليومية.
(٢) كما هو متبع.
(٣) هامش أضيف لاحقاً إلى اليوميات بخط الكاتب: «أضاعت الحكومة الخارطة وعدلت عن الهدم، تحريراً في ١٨ كانون أول ١٣٣١».
(٤) المدرسة الصلاحية التي أنشأها أحمد جمال باشا. راجع أهميتها في مقدمة الكتاب.
(٥) يقصد الجنود الذين تقع بيوتهم في منطقة القدس.

بيته ليغسلها. كل ذلك لا بد منه.

بينما كنت ماشياً في باب الخليل هذا المساء بصحبة صديقي جورجي [بترو] أوقفني أحد القوانين جاويشة[١] وسألني أين أستخدم[٢] وطلب مني أن أذهب معه إلى مركز قومانداني، لأنه قال لمّا ذُكر لي بأن جمال باشا بلغ قومانداان المركز أمراً فيه عدم جواز مرور العساكر بعد الغروب. ومن رآه يتجول يجب أن يساق إلى هناك ويجب على كل جندي [إذا] أراد الذهاب من محل إلى آخر، عليه أن يأخذ وثيقة تبيح له ذلك، وأن يذكر فيها الساعة التي هو ذاهب فيها. ثم [٨٢] تلطف معي وقال لي بأن أذهب [أغادر]. فتركته شاكراً وذهبت رأساً إلى المنزل [العسكري] وأخبرت ضابطي بالقضية. بعد مرور نصف ساعة أو أكثر جاء أحد ضباط المنزل وسأل الكل عن محل نومه ولمّا لم يكن غيري في الغرفة من ينام في الخارج أمرني أن أنام في هذا المساء في المنزل. فامتثلت لأمره وقبل أن ننصرف[٣] ذهبت إلى البيت على شرط أن أنام في القشلة[٤] وقد نبهوا عليّ بأن أحضر ثيابي في الغد.

بعد العصر رأيت في الطريق جورجي [بترو] وموسى [العلمي]. ثم ودعنا موسى وبقيت أنا وجورجي وذهبنا إلى المدرسة [الدستورية]. في الساعة الثامنة ذهب جورجي إلى بيته وذهبت إلى المنزل [العسكري] وقد اعتمدت على أن آخذ طعام العشاء بعد رجوعي من المنزل. أخبرت أهلي بذلك[٥] وقد تكدروا لسماع ذلك وحسبوا ألف حساب على فراقي ونومي في المنزل.

(١) الشرطة العسكرية.
(٢) مكان الخدمة العسكرية.
(٣) انتهاء الدوام العسكري في ذلك اليوم.
(٤) مكان نزول العسكر.
(٥) أي أخبرتهم بالقانون الجديد الذي يمنع المجندين من النوم في بيوتهم.

نومي مع البراغيث

الثلاثاء ١٨ مايس ١٩١٥ [غربي]. ٥ مايس ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٥ رجب ١٣٣٣ [هجري]

[٨٣] لا حديث لنا اليوم إلاّ نومنا في المنزل [العسكري]. فمنا من يقول بأنه سينام ومنهم من كان يقول أنه لن ينم. وقبل الظهر أصدروا أمراً بأن نحضر ثيابنا لكي ننام، وبأن لا نحضر تخت ولا ما شاكل بل تكون ثيابنا بسيطة كثياب بقية الجنود. وقد جرب الكثير منا بأن يحضر تخته واستأذنوا لذلك ولكنهم رفضوا. ومع كل هذا فقد نام الكثير منا على تخت سفري.[(١)]

بعد الظهر صارت العساكر تأخذ كل ٣ غرفة. ولمّا رأيت أنه لا بد من ذلك اتفقت وطاهر الخالدي وأحمد عارف النشاشيبي على أن نشترك بغرفة واحدة. فذهبنا وأخذنا غرفة نمرة ٧٤ في القاط الأسفل[(٢)] وهي صغيرة لا تسع إلا واحد، لا تبلغ [مساحتها] أكثر من ١ ١/٢ × ٢ ١/٢ [متر].

بعد العشاء استأجرت رجلاً ليحمل لي ثيابي وأخذتها إلى المنزل [العسكري] وقد كانت الساعة إذ ذلك ٨. لم يأت طاهر في هذا المساء وقد بعث ورائي قوماندان القرازكاه وقال لي بأن أُحضِر طاهر لينام. فذهبت الساعة ٩ افرنجية وكم تعذبت لعدم معرفتي بيته. أخيراً بعد أن طرقت باب بيتين عرفت البيت. وخرج وقال لي بأنه لا يحضر لأنه لم يأخذ لا فرشته ولا لحافه. وقال لي بأن أقول له [القوماندان] بأنني لم أعرف البيت لأنه سكن في بيت جديد. فذهبت وأخبرت القوماندان بذلك فقال لي بالتركية: «زكي يارين كو مستره يم»![(٣)]

وفي الساعة ١٠ ذهبت إلى غرفتي الجديدة ولم أنم قبل الساعة ١ ١/٢ بعد نصف الليل وذلك لأني أولاً غيّرت منامي وثانياً لأنني لم أسترح في نومي. كيف أعرف أن أنام وعندي فرشة أرق من دين اليهودي، فقد نفذ البرد من الفرشة إليّ وثالثاً لوجود البراغيث فإنها شربت من دمي في هذا المساء.

إنهم يخافون علينا من أن نختلط بالأهالي ونصاب بالأوبئة المعدية. ولكنهم لو

(١) سرير متنقل للعسكر.
(٢) الطبقة السفلى.
(٣) لم نتمكن من الحصول على ترجمة هذه العبارة.

يعلمون بأننا في نومنا هذا نعرض أنفسنا لخطر أكبر. فحياتنا الآن معرضة للخطر أكثر من قبل.

دقت الساعة ١ ١/٢ وأنا لم أنم. فساعة كنت أفتكر بحالتي العسكرية، وأُخرى كنت أفتكر ب (ع).[(١)] والحاصل أني لم أدع شيئاً إلاّ وخطرته على بالي. فإلى متى يا ربي هذه الحالة؟

(١) محبوبته.

وضعي بالمقارنة مع جنود الطوابير النظامية

الأربعاء ١٩ مايس ١٩١٥ [غربي]، ٦ مايس ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٦ رجب ١٣٣٣ [هجري]



الملازم إسماعيل الماني، الضابط المسؤول عن إحسان الترجمان، في صورة من الخمسينيات.

المصدر: ماجد الماني.

[٨٤] نهضت في الساعة ٧ صباحاً متراخي الأعضاء كسلاناً لقلة النوم ولعدم ارتياحي في النوم. وقد كان نومي متقطعاً طول الليل وبردت. قمت من فراشي ولبست ثيابي ومسحت وجهي بقليل من الماء ولم أغسل رأسي. وذهبت إلى الغرفة التي أشتغل فيها وقد كان ضابطي [إسماعيل الماني](١) هناك. اشتريت كعكاً وفطرت.

عند الظهر ذهبت إلى البيت وقد لاقوني بالترحيب كأنني غبت عن البيت أشهراً وسنيناً. بعد أن أكلت ذهبت وصدر [الدين الخالدي] ابن خالتي إلى بيت عبد الوهاب أفندي الفتياني لنعزي امرأة خالي فيه. قعدنا قليلاً ثم ذهبت إلى المنزل [العسكري] وقبل الانصراف أُشيع بأن روشن بيك بلّغ أولاد البلد الموجودين في معيته(٢) بأن يناموا في بيوتهم لأنه أمين من نظافة بيوتهم وقال بأنهم يسمحون لكل من يثقون بنظافة بيوتهم بالذهاب والنوم هناك. وقد قر قرار الجميع بأن لا يناموا [في المنزل العسكري] في هذا المساء.

عند المساء ذهبت وجورجي [بترو] لنتمشى. أخذته إلى كرم الأعرج لأرى ماذا صار في الطريق. ولم أكد أن أصل إلى هناك رأيت أحد أفراد الكولونية الأميركية راكباً عربة نقل وهو متدرع ويأخذ التراب من الأرض فعلمت منه بأنهم يأخذون التراب ليمدوا أرض نزعوا الصخور منها ليجعلوها بستاناً. وودعناه وانصرفنا. تحدثنا عن هؤلاء الأميركان وقلنا بأنهم يستفيدون من كل شيء فهم بالحقيقة رجال أحياء(٣) ومثلهم من يعيش. طرقنا عدة مواضيع ثم ودعته وذهبت إلى البيت. وبعد أن أخذت طعام

(١) الماني: من عائلات القدس المعروفة.
(٢) يقصد المجندين من أبناء القدس.
(٣) ذوي حيوية.

العشاء أخبرتهم بأنني ربما حضرت لأنام في البيت هذا المساء، وأخبرتهم السبب.

ذهبت إلى المنزل [العسكري] وقعدت هناك ولم يكن أحد من أولاد البلدة [القدس] لينام فلذلك عولت أن أذهب إلى البيت لو لم يمنعني ضابطي وقد أوصاني بأن أنام [في المنزل العسكري]. وقبل أن يذهب إلى غرفته أستأذن من قوماندان القرارگاه فأخبره أنه لم يأت أحد [من جنود القدس]. وقال لي المذكور «نم يا إحسان فبدلاً من أن تكون من الأوائل يجب أن تكون من الأواخر(١) وغداً نرى النتيجة». فألححت عليه ولكنه نصحني بأن لا أفعل. [٨٥] فامتثلت لأمره ونمت في المنزل. وقد جاء أيضاً أحمد النشاشيبي ونام معي. لم أنم قبل الساعة ١١¼ مع أني كنت نعساناً طول هذا النهار ولكن عدم اعتيادي على تخشن المعيشة جعلني بأن أقلق.(٢)

أنا كلما أقيس نفسي بالجنود أحمد الله على الحالة التي أنا عليها الآن. فراحة وقلة شغل وفي بلدي ومحترم وعند أحسن الضباط. كل ذلك جعلني أن أحمد الله على ذلك. كيف يصير بي لو كنت في أحد الطوابير النظامية وكنت آكل مع العساكر وأنام معهم وأذهب إلى التعليم [التدريب] كل يوم وأضرب كما يضربون وأذهب إلى ساحة الحرب كما ذهبوا. لا شك بأنه كان قد قُضي عليّ. فأحمدك اللهم على هذه النعمة الجزيلة التي لا تقدر.

إذا قست نفسي إلى أحسن العساكر أرى الفرق عظيم بيننا. فأنا في بلدي وأرى أهلي كل يوم وأنام في بيتي. نعم نمت ليلتين [في المنزل العسكري] ولكنها مدة لا تدوم. وكيف بي لو نمت في القاوسين؟(٣) [ثم إني] آكل في داري وأرى أصحابي وأنا حر أفعل ما أريد. إذا حضرت أو تعوقت لا يسألني إلى ذلك أحداً. ومع هذا كله أنا في معية أحسن ضابط وألطفهم يعاملني كما يعامل الأب ابنه فجزاه الله عني خيراً. فأنا لا أنسى هذه النعمة ولا أنسى هذا المعروف الذي أجراه معي [ضابطي] إسماعيل الماني. فإنه والحق يقال نصحني ونفعني وربّحني أثابه الله.

منامي هذه الليلة كالليلة الفائتة. لم أسترح قط في نومي.

(١) يقصد أنه آخر من يترك منامه في المنزل العسكري.
(٢) عدم القدرة على النوم.
(٣) لم نتمكن من معرفة معنى هذه الكلمة، ولعل المقصود مكان نوم الجنود.

الجراد يصل إلى البقعة

الخميس ٢٠ مايس ١٩١٥ [غربي]، ٧ مايس ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٧ رجب ١٣٣٣ [هجري]



حرق بيض الجراد قرب يافا، ١٩١٥.
المصدر: مجموعة لارسون/ ماتسون (م ك).

[٨٦] بعد أن نهضت في الساعة ٧/١ ٢ صباحاً خرجت من المنزل [العسكري] إلى البيت لأتناول الطعام وجدت في البيت الداية آتية من بيت أم عبد الرحمن الصلاحي لتبشرنا بأن امرأة عبد ولدت ذكراً وهو أول ذكر رزق به. والولد الوحيد الحي جعل الله قدومه خيراً وجعله من أصحاب العمر.

خرجت من البيت إلى المنزل [العسكري] ولم أرجع إلاّ الظهر. فقس الجراد وانتشر في البلد وخصوصاً في جهات يافه فأهلك الزرع والنسل. وقد أخبرني من أتى من هناك بأن الحكومة تجبر كل شخص بأن يذهب ويهلك الجراد. ومن لا يقدر أو لا يحب أن يذهب هو بنفسه ما عليه إلاّ أن يدفع في كل ستة أيام ليرة عثمانية. أمّا هنا فقد وصل لحد البقعة[١] كما أخبرتني والدتي وقالت بأن أخاها أخبرها بذلك ورآه بعينه. لطف الله بنا.

بينما كنت ذاهباً في الصباح إلى البيت التقيت ببلوك استحكام[٢] آت عن

(١) ضاحية في الجنوب الأقصى للقدس على حدود بيت لحم.
(٢) كتيبة.

طريق نابلس ولا أعلم سبب مجيئه. فهل يريدون أن يعيدوا الكرة ويهاجمون مصر بعد أن رأوا ما أصابهم من الفشل؟ أم يريدون أن يبقوه هنا للمحافظة؟ هذا ما لم أعلمه.

كان فكري محصوراً طول هذا النهار والبارحة وما قبلها ب (ع).[١] ولكن اليوم بازدياد. فهل تصح أحلامي وأفكاري أم تكون مبنية على شفا جرف هار؟

أنا أحبها ولا أقدر أن أنكر ذلك. نعم إني لم أفه لأحد بذلك ولكن الكل يعرف ذلك. فهل يا ترى آخذها؟[٢] أنا لا أرى السعادة إلاّ بها فإذا ذهبت مني[٣] فقدت ولا شك سعادتي. فهي مصدر سعادتي وشقائي في الحاضر. أريد المستقبل أن يأتي عاجلاً لأعلم مختبئات الدهر لي من هذه الجهة. ولكني لا أرى سبيلاً إلى زفافي إليها لعلمي بأن والدها لا يسمح بأن تأخذني زوجاً لها. ولكن يجب عليّ أن أمهد كل طريق من الآن لأنال مرادي، لأنال ما كنت أنتظره من قبل ١٧ سنة. فهل يذهب كل هذا الانتظار سدى؟ اللهم لا تخيب لي رجائي.

نمت هذا المساء في البيت بكل ارتياح بعد أن قاسيت ما لا أطيقه.[٤]

(١) محبوبته.
(٢) يأخذها زوجة له.
(٣) يقصد إذا لم يتزوجها.
(٤) يقصد ما عاناه خلال نومه في المنزل العسكري.

(ع) خانم خيرة شابات القدس وفلسطين

الجمعة ٢١ مايس ١٩١٥ [غربي]. ٨ مايس ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٨ رجب ١٣٣٣ [هجري]

[٨٧] نهضت في الصباح وذهبت إلى المنزل [العسكري]. وفي الساعة ١١ انصرفنا وذهبت رأساً إلى المدرسة [الدستورية] لأجتمع وأتحدث مع أصحابي. ثم ذهبت إلى البيت وقد ضربت لهم موعداً إلى أن أحضر في الساعة الثانية.

بعد أن تناولت طعام الغداء وكتبت قليلاً مفكرة أول البارحة ذهبت إلى المدرسة وقعدت وسمعت بأن النمسا سلّمت تريستا لإيطاليا.[١] ولكن كيف أصدق هذا الخبر والأسطول النمساوي مختبئاً في هذه الميناء. وهي الميناء الوحيدة الموجودة في النمسا؟ وكيف بها وقد سلّمتها؟ ولكني أرى ذلك بعيداً [عن التصديق]. راوي هذا الخبر ذكر لي بأن الوزارة الطليانية المحابية للإنكليز قد سقطت وقامت محلها وزارة طلبت تسليم مالطة وتونس. هذا لا أصدقه أبداً. وإذا صدقت [الخبر] الأول فهذا لا أصدقه مطلقاً. تطلب إيطاليا من إنكلترا مالطة ومن فرنسا تونس؟ هل تتجاسر إيطاليا على هذا المطلب؟

ثم ذهبت إلى المنزل [العسكري] ولم أرجع إلاّ في الساعة ٦ حيث ذهبت رأساً إلى البيت. وقد سمعت أنه لا صحة لما أشيع من أن الوزارة الإيطالية قد سقطت.

بعد العشاء قرأت في كتاب إنكليزي اسمه «ماذا يجب على الشاب أن يعلم؟».[٢] قرأت فيه فصول متقطعة عن انتخاب [اختيار] الزوجة. قال في أحد الفصول عن الزوج وعن انتخاب المرأة ما معناه أنه يجب على كل من يريد الخيزة [الزواج] أن يتبصّر في الامرأة التي يريد زواجها وأن يحسن الانتخاب وأن لا يهتم لكونها من صاحبات الجاه ومن الجميلات. بل يكون لها إلمام بمعرفة تدبير البيت وأن تكون محلاة بالأخلاق الحميدة إلى آخر ما ذكر في ذلك الفصل.

فلمّا قرأت ذلك فكرت ملياً وقلت إن من أُحبها لهي خالية من معرفة أصول

(١) تريستا: مدينة ومرفأ غربي البندقية، تنازعت عليها إيطاليا مع الإمبراطورية النمساوية خلال الحرب العالمية الأولى وقبلها.
(٢) كتاب تحضير للزواج موجه إلى الشباب، ومن غير الواضح من النص ما إذا كان الكتاب مترجماً إلى العربية أم أن إحسان قرأه بالإنكليزية.

تدبير المنزل وصرت أفتكر فيماذا أفعل؟ ولكن حبها غلب عليّ وأعمى قلبي وجعلني أفضلها عل كل شيء. أفضلها حتى عن حياتي. أحبها ولا أنكر.[١]

بقيت طول هذا المساء أفتكر في هذا الفكر وذهبت إلى المنزل [العسكري] ولكن ما لبثت أن عدلت وقلت إن السيدة عنظرق[٢] هي خيرة شابات القدس وفلسطين ولا أبالغ إذا قلت إنها أحسن سيدة كما أعتقد على وجه هذه البسيطة. فلذلك أرى نفسي سعيداً إذا أخذتها.[٣] فأنا عولت إنشاء الله على أن لا آخذ إلاّ هي إذا رضي والدها أن تكون زوجة لي. وإذا لم يرضى فسأتزوج غيرها ولكن لا أنسى حبي لها. وسأبقى حبيبها طول الحياة. ولكن أرجو أن يحبني [والدها] وينيلني إياها ولا يحرمني من هذه النعمة. لأنني متيقن بأنني سأكون أسعد خلق الله إذا تزوجتها. وإذا لم يسمع الله لي (لا سمح الله) فربما تزوجت غيرها وربما لا أتزوج غيرها وأقضي طول حياتي أعزب كالرهبان. والسلام عليك يا عنظرق.

(١) يبدو من هذا النص وما سبقه أن خبرة (ع) بالتدبير المنزلي كانت محدودة، ومن هنا تردده.
(٢) الاسم الحقيقي لصاحبته هو (نعمتي) وعنظرق تشفير لهذا الإسم. علينا أن نقرأ العين على أنها نون والنون على أنها عين والظاء على أنها ميم.. وهكذا. وسوف نوضح لاحقاً شفرتيّ إحسان الحروفية والرقمية. (زكريا محمد)
(٣) إذا تزوجها.

في المستشفى العسكري مع الدكتور كنعان[1]

الأحد ٢٣ مايس ١٩١٥ [غربي]، ١٠ مايس ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١٠ رجب ١٣٣٣ [هجري]



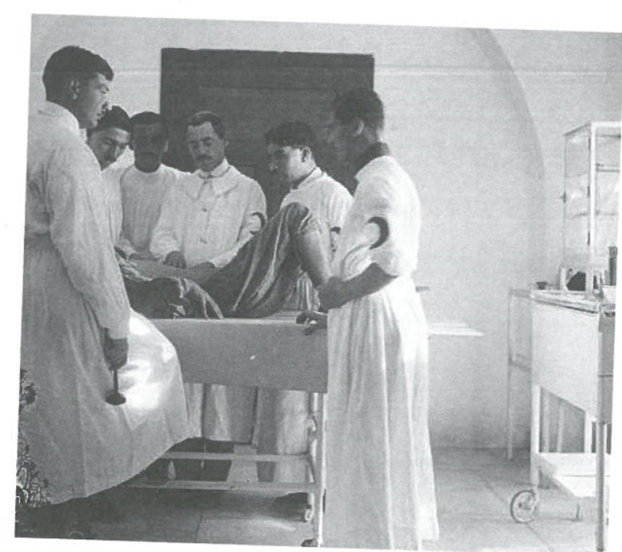
الدكتور توفيق كنعان، مدير المستشفى العسكري في القدس، ١٩١٦.

المصدر: مجموعة توفيق كنعان (جامعة بير زيت).

[٨٨] نهضت في الساعة ٤ صباحاً من فراشي وذهبت تواً إلى بيت الراحة لأن معي إسهالاً وذلك لأني ليلة البارحة بعد أن رجعت من المنزل [العسكري] إلى البيت أخذت حماماً ساخناً وأظن أنني بردت، ثم بعد أن استرحت وأخرجت وذهبت ونمت، نهضت في الساعة ٧ ولم يفقني غير شخّتي [بولي].

ذهبت إلى المنزل [العسكري] وقد كتبت ورقة لأذهب للمستشفى العسكري قصد التداوي، وجدت حسن [الخالدي] ابن خالتي هناك وهو معاون للدكتور كنعان.

(١) الدكتور توفيق كنعان: ضابط وطبيب في الجيش العثماني من بيت جالا. أصبح فيما بعد رئيس جمعية فلسطين الشرقية، ومدير مستشفى البرص (الطالبية)، ومدير مستشفى المطلع. له كتابات عديدة في الطب الشعبي والتراث.



أطباء وممرضون في المستشفى العسكري (القدس ١٩١٦).

المصدر: مجموعة ماتسون.

فدخلت غرفة المعاينة وقعدت حتى انتهوا من معاينة المرضى. ثم عاينني الحكيم [كنعان] وأعطاني استراحت [استراحة] يومين.[1] ونصحني بأن آخذ شربة وبعدها أستعمل دواء أعطاني إياه، وأوصاني إذا لم يفد معي هذا الدواء بأن أرجع له بعد انتهاء المدة.

ذهبت تواً إلى المنزل [العسكري] وقد أخبرت ضابطي وأريته ورقة الإذن فشغّلني ولم أذهب إلى البيت إلاّ الظهر كعادتي. وأخذت الشربة الظهر لأني ولحد هذا الوقت لم أذق شيئاً.[2] خرجت عند العصر إلى باب الخليل ووجدت طاهر الخالدي وأكلت معه أربع برتقالات كان من الواجب عليّ بأن لا آكلها. ثم رجعت إلى البيت لأن الطقس كان منحوساً[3] والغبار كثير.

بعد العشاء، أتى ابن الخالة حسن أفندي إلى البيت وذهبت معه إلى عند الأستاذ خليل [السكاكيني] وقد بشرني وقال بأن إيطاليا أعلنت الحرب على النمسا وبالطبع بإعلانها الحرب عليها ستدخل ألمانيا ونحن أيضاً. وقد استبشر خيراً وقال بأن عدة دول ستدخل الآن الحرب كرومانيا واليونان وبلغاريا. لذلك فإن الحرب ستنتهي قريباً إنشاء الله.

(١) إذن في التغيب عن الدوام الرسمي العسكري.

(٢) يقصد أنه لم يتناول أي طعام قط.

(٣) سيئاً.

ذهبنا إلى بيت الأستاذ خليل وتكلمنا بهذا الموضوع وطرقنا غيره. في الساعة ١٠ ذهبنا إلى بيوتنا ونمت في الساعة ١٢ ½ حيث إني قعدت مع والدتي وقد تحدثنا بما يأتي: شرحتُ لها عن سبب تعدد زوجات النبي وقلت لها إنه لم يكن ذلك إلاّ ليجمع شتاتهم ويوحد كلمتهم. وقد ذكرت لها ذلك بالتفصيل. ثم ذكرت لها احترام المرأة في الإسلام وكيف كان النبي يحترم النساء. وذكرت لها قصة النبي وامرأته لمّا أتت من الحبشة إلى المدينة. ثم ذهبت ونمت.

زمبرك الساعة وعقلي الصغير

الاثنين ٢٤ مايس ١٩١٥ [غربي]. ١١ مايس ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١١ رجب ١٣٣٣ [هجري]

[٨٩] لم أذهب في هذا النهار قط إلى المنزل [العسكري]. ففي الصباح ذهبت إلى بيت عمتي أم عبد [الرحمن] الصلاحي لأبارك لها بمجيء غلام لابنها. ومن هناك ذهبت إلى عند جميل أبو السعود لأسلم عليه ولكني لم أجده فرجعت إلى البيت ثم ذهبت إلى باب الخليل واجتمعت بالأستاذ [السكاكيني] وغيره ثم رجعت إلى البيت وقد ضربت موعداً مع جورجي بترو وأنطون مشبك إلى أن نجتمع في المدرسة الساعة ٢ بعد الظهر حساباً افرنجياً.

وقفت اليوم ساعتي[1] خلاف العادة. ففتحت آلتها ثم دارت[2] ولكن عقلي الصغير قال لي بأن أفكفك آلاتها وأتفرج عليها وأعود أركبها من جديد ففعلت وفككتها كل شقفة[3] على حدة. وبينما كنت ألعب بها إذ بالزمبرك قد أفلت منها فخربت الآن الساعة ولم تعد تصلح لشيء فرميتها ووضعتها على حدة.

(١) توقفت عن العمل.

(٢) عادت إلى العمل.

(٣) قطعة.

الأمراض تفتك بأهالي القدس

سمعتُ اليوم خبراً هالني سماعه وهو موت أحمد أفندي النشاشيبي نجل الحاج رشيد أفندي[(١)] وشقيق راغب بيك مبعوث القدس الحالي. مات، رحمه الله، بداء التيفوس. وقد شُيعت اليوم بعد الظهر جنازته ودفن. والكل آسف على شبابه. عزى الله آله وألهمهم صبراً جميلاً.

الأمراض تفتك كثيراً بالأهالي وخصوصاً الإسلام لعدم اعتنائهم بصحتهم سامحهم الله. وقد أخبرني من أثق بكلامه أنه سمع من أحد مأموري الصحة إنه أصيب بهذا الداء أربع إصابات بيوم واحد في باب حطة.[(٢)] أليس لأنهم لا يعتنون بصحتهم؟ وعند سماع هذه الأخبار وغيرها حسبت ألف حساب وصرت أتوقع وأخاف من أن أصاب خصوصاً وأنا طول نهاري بين العساكر والمحل الموجود فيه ملآن بالبراغيث، وربما قمل أيضاً. وثانياً لعدم وجود محيط نظيف أنوجد فيه. نعم لا أنكر أن بيتنا من أنظف البيوت ولكن مدخله والطرق التي تؤدي إليه لهي من أقذر المحلات، وهي لا شك تسبب نقل الأمراض.

[٩٠] أنا أحب الحياة ولا أريد أن أموت وأرى الحياة لذيذة وحلوة. نعم أنا لست مرتاحاً من حالتي الحاضرة ولكن المستقبل يبشرني.... يا إلهي لا تكتب لي الموت يا الله في هذه الأيام فأنا شاب لم أرى من ملذة الحياة شيئاً فأنا أرى حياتي ضرورية لي، لا أريد أن أموت. أريد أن أحيى لأتمتع بملذات الدنيا. لا أعني بملذات هذه الحياة ما يعنيه غيري مثل الزنى وما شاكل. كلا فليس هذا المقصود. الحياة لذيذة وملذاتها كثيرة فليست ملذاتها ما يراه غيري. السعادة شاخصة أمامي إذا عشت فلا تسلبها مني أيها الرحمن الرحيم. فمن أسمائك رؤوف، رحيم، معطٍ، لطيف. فأبسط عليّ أسمائك يا معطي!

ذهبت إلى المدرسة الساعة ٢ ٣/٤. ولمّا لم يكن أحداً هناك ذهبت إلى باب

---

(١) الحاج رشيد أفندي النشاشيبي: من أعيان القدس، وعضو مجلس إدارة المدينة في العهد العثماني. جمع ثروة طائلة من امتياز بيع الحبوب والمؤن للجيش العثماني المرابط في فلسطين. أنشئ حي النشاشيبي في الشيخ جراح في أراض اشتراها من أهالي لفتا وأقام عليها بيتاً فخماً أصبح لاحقاً مقر ابنه راغب، رئيس البلدية. ثم هدم هذا القصر لبناء فندق الأمبسادور مكانه. كان رشيد عضواً في مجلس إدارة متصرفية القدس - أنظر: مناع، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٦.

(٢) حي من أحياء البلدة القديمة في القدس.

الخليل واجتمعت بأنطون [مشبك] وقد أخبرني أنه كان هناك وانتظرني. ثم ذهبت عند العصر إلى البيت ولكن ما لبثت أن قعدت حتى رجعت وذهبت واجتمعت بالمعلم خليل [السكاكيني] وغيره. وأتى حسن [الخالدي]. ثم ذهبت إلى البيت ومن هناك ذهبنا إلى عند الأستاذ خليل أفندي السكاكيني ولم نرجع إلى بيتنا قبل الساعة ١٠ ١/٢. ذهبت إلى الفراش في الساعة ١١ ونيف.

اليوم أعلنت إيطاليا الحرب على حليفتها النمسا.

محيي الدين الخالدي

يأخذ مكاني في الجبهة

الثلاثاء ٢٥ مايس ١٩١٥ [غربي]. ١٢ مايس ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١٢ رجب ١٣٣٣ [هجري]



افتتاح محطة جديدة في خط سكة حديد الحجاز، ١٩١٦.

المصدر: نيكلسون.

[٩١] بينما كنت ماراً في الحرم ذاهباً إلى المنزل [العسكري] سمعت صوتاً يناديني فالتفت إلى الوراء وإذا بالشيخ هدي الدنف أراد أن يخبرني بقدوم ابن الخالة محيي الدين أفندي [الخالدي] من خان يونس. أنا أحب هذا الشاب حباً لا مزيد عليه. فهو بمثابة الروح عندي. كيف لا وقد بدّاني [فضّلني] عن نفسه في أول الحرب لمّا عُينت في خان يونس وتعين هو في البيرة فاختار لي البيرة[1] وذهب هو. فكيف لا أحبه وأحترم من عاملني مثل معاملة الأخ لأخيه والأب لابنه. لا يعملها [أحد] والله.

مر علينا أكثر من شهر ونحن لم نأخذ تحارير[2] مما جعلني في قلق عظيم عليه. وصرت أحسب لعدم مكاتبته لنا أخماساً بأسداس. حتى إني تمنيت لو ذهبت

(١) بلدة صغيرة تبعد عشرة كيلومترات شمالي القدس. ويبدو أن محيي الدين استطاع أن يقنع السلطة العثمانية بتبديل أمر مكان التعيين بينه وبين ابن خالته إحسان.

(٢) رسائل.

محله ورجع هو.

ذهبت رأساً إلى بيتهم وسلمت عليه وقبلته وقبلني. ما أجمل تلك الساعة التي لم أكن أظن بأنني سأجتمع به ولكن الحمد لله. كان ضابطه معه. وهو شيخ مريض يبلغ ال ٦٥ من عمره. أخرج من السلك العسكري لمرضه وقال لي المذكور بأنه سيجرب ويبقي محيي الدين هنا [في القدس] جزاء خدماته له.

ثم ذهبت إلى المنزل [العسكري] لأن مدة استراحتي قد انتهت.[1] فدخلت وطاهر - وهو أيضاً قد أخذ استراحة ولكن مدته قد انتهت قبل يومين. قد كان في نيتي أن أذهب اليوم أيضاً لأتحكم[2] ولكن لمّا رأيت بأن الضابط قد زعل [استاء] لأخذي الإذن عدلت عن ذلك. حتى إن الإسهال قد كان [ما زال] معي.

بعد الظهر بعد الأكل ذهبت إلى عند محيي الدين وقد بسط لي معيشته هناك [في خان يونس]. أخبرني بأنه يوم وصوله لهناك طلب منه ضابطه بأن يحرر تلغرافاً بالتركية فأجاب بأنه لا يعرف. ثم سأله إذا كان يعرف أن يكتب فأجابه بنعم. وفي اليوم الثاني ذهب إلى البلد وكان هناك قوماندان إحدى الالايات[3] وعنده جندي أراد أن يبقيه هناك. فقر قرار الضابطين إلى أن يذهب محيي الدين إلى الطابور وهذا [الجندي] يذهب إلى الخان [خان يونس] إلى عنبر الجبخانة.[4] مرض الضابط في المساء. وخدمه طول الليل محيي الدين. وفي الصباح طبخ شوربة له مما جعله أن لا يغيره فجزاه الله عنا.

[٩٠] أخبرني محيي الدين بأنه ذهب إلى العريش مرتين ليأخذ جبخانة[5] وقد تعذب جداً في الطريق. أولاً لقلة الأكل وثانياً لعدم وجود ماء ولخشونة المعيشة. أخبرني بالتفصيل كيف كان يعيش هناك. وكيف كان يخدم ضابطه خلال مرضه.

أخبرني بأن الجراد منتشر جداً وقد أكل الأشجار والثمار ولم يبق شيئاً. سألته إذا كانت الطيارات الإنكليزية تزورهم؟ فأجابني بأنها كانت تحضر يومياً مرة أو مرتين وترمي بعض المناشير ضد الحكومة.

(١) يقصد الإجازة المرضية.

(٢) لأتداوى.

(٣) الفرق العسكرية.

(٤) مستودع الذخيرة.

(٥) المقصد غير واضح تماماً هنا، لكن من الممكن أنه ذهب ليأخذ دوره في العمل في مستودع الذخيرة.

طابور فرسان في طريقه إلى نابلس

الأربعاء ٢٦ مايس ١٩١٥ [غربي]. ١٣ مايس ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٣ رجب ١٣٣٣ [هجري]



خريطة سكة حديد الحجاز بعد مدها سنة ١٩١٧.
المصدر: نيكلسون، «السكة الحجازية».

بينما كنت في هذا الصباح ذاهباً إلى المنزل العسكري رأيت في الطريق فرسان يبلغ عددهم ٢٠٠ تقريباً متوجهين إلى نابلس. وهم قد أتوا قبل بضعة أيام عن طريق الشام وكانوا في جبل لبنان. أتوا في أول قطار جاء من الشام[1] إلى القدس.

الآن إذا أراد أحد أن يسافر إلى الشام يقدر أن يذهب إلى سجد[2] سكة يافه – القدس ومن هناك يغير القطار ويركب في السكة الحجازية ويمر عن الرملة واللد ثم يذهب إلى الشام. قد كان من قبل قطار القدس يصل إلى وسط يافا. أمّا الآن فإنه لا يصل إلاّ لحد سجد. ومن سجد يغير [المسافر] القطار ويركب في قطار عثماني. ويقال إن الهمة مبذولة بمد [خط] قطار من سجد إلى بير السبع.

(١) دمشق.
(٢) محطة تحويل قرب الرملة.

جمال باشا يتزوج إحدى المومسات

الخميس ٢٧ مايس ١٩١٥ [غربي]. ١٤ مايس ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٤ رجب ١٣٣٣ [هجري]

[٩٣] أخبرني اليوم أحدهم أن غواصة إنكليزية أغرقت مدرعة إنكليزية[1] ولكن من أين مرت هذه الغواصة ووصلت إلى الدردنيل حتى أغرقت هذه المدرعة؟ هل طارت أم ماذا؟ هذا لم أعرفه.

كان الحر شديداً جداً لم أر مثله من عدة سنوات. وقد ذهبت إلى دار الحكومة الجديدة – أعني في الـ «Dominican»[2] لأسلم دراهم للخزينة. فبعد أن أخذت الوصل زاد معي ١١ متليكاً. فقصصت الخبر على ضابطي فتعجب ولكنه لمّا عرف بأني سلمت الدراهم ١٢٥٠ غرشاً بدلاً من ١٢٥٣ قال لي بأن أرجع وأغيّر الوصل. ولم يكن الخطأ مني ولا من الخزينة بل مِن مَن كتب الورقة لأنه لم يقيد الـ ٣ غروش. فذهبت ولكنهم لم يقبلوا [بذلك] وطلبوا مني بأن نكتب تقريراً آخر بـ ٣ غروش. فذهبت وأخبرتهم بالقصة ولمّا كان وقت الظهر قد قرب ذهبت وسلمت ١٢٠ غرشاً كنت قد استلمتها في هذا الصباح. أعطيتها للبوسطة العثمانية. بعد الظهر سلمت الـ ٣ غروش.

سمعت هناك خبراً صدّقه أو لا تصدق وهو أن أحمد جمال باشا قائد الفيلق الرابع وناظر البحرية والقائد العام سيتزوج ابنة إسرائيل اليهودي.[3] وهي من المومسات الخصوصيات. إذا صح هذا الخبر فيا للعار ويا للفضيحة! أتى ليفتح مصر ولم يأتي ليتلذذ باليهوديات. من يفتكر بالزيجة في هذه الأيام خصوصاً مثله من قليلي الشرف والمروؤة؟ الناس بضيق عظيم وهو لم يهتم إلاّ بزيجته. إنه لعمل قبيح وأيم الله. كيف يسوغ له أن يتزوج الآن وهل أتى خصوصياً ليتزوج؟ إنه والله قائد لا يصلح أن يكون قائداً لدجاجة.

(١) ثمة خطأ في الكتابة، إذ الأغلب أن الكاتب يقصد مدرعة عثمانية.
(٢) في الأصل دير فرانسيس في شارع نابلس.
(٣) هي الآنسة ليئا تاننباوم المشهورة بجمالها، وأصبحت خلال الحرب عشيقة جمال باشا في القدس. ولا يوجد أي دليل على أنها تزوجته. بعد الحرب تزوجت المحامي المقدسي ميشال آبيكاروس وعاشت معه في بيت سماه على اسمها، وهو فيلا «ليا». راجع تفصيلات هذه العلاقة في: جوهرية، «القدس العثمانية...»، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠١.

سمعت أنه بعد الغد الظهر في الساعة ٣ سيحضر إلى هنا شريف مكة[١] ولا نعلم الأسباب خصوصاً وقد انتهت مهمتهم،[٢] وهم لا يعودون الآن ويفتكروا بمصر.

وصل الجراد إلى البقعة والله يستر ويلطف بعباده. سمعت بأن ضابطي سيسافر إلى الشام مأموراً وسيرجع بعد أيام قليلة. أمّا المأمورية فهي تصليح عجلة الطيارة في الشام. لم تكن هذه المأمورية إلا واسطة[٣] لذهابه إلى الشام لأنه في هذه الأيام ممنوع. وقد صرت أحسب ألف حساب لذهابه. كيف لا وأنا قاعد عنده مستريح، معزوز مكرم. ردّه الله إلينا وتلقّه السلامة.

[ملاحظة في هامش الصفحة:] الإسهال أخذ مني مأخذه!

(١) الحسين بن علي، ولم يكن قد أعلن بعد الحرب على الدولة العثمانية.
(٢) أي هُزموا على الجبهة المصرية.
(٣) ذريعة.

الجراد يصل إلى بركة السلطان

الجمعة ٢٨ مايس ١٩١٥ [غربي]. ١٥ مايس ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٥ رجب ١٣٣٣ [هجري]

[٩٤] الساعة ١١ ذهبت إلى المدرسة [الدستورية] حتى الساعة ١١½ ثم ذهبت إلى المنزل [العسكري] وقد ضربتُ موعداً مع جورجي [بترو] إلى أن أذهب إلى المدرسة في الساعة ١.

نمت قليلاً بعد الظهر وذهبت إلى المدرسة الساعة ١½. حضر المعلم خليل [السكاكيني] ومتري فرّاج.[١] تكلمنا عن دخول إيطاليا في هذه الحرب. كانت إيطاليا قبل ٣ أو ٤ سنوات أعلنت الحرب واستلمت [احتلت] طرابلس [ليبيا] في ذلك الحين. كان الأجانس[٢] يذكر دائماً كالعادة انتصاراتنا ويبالغ في ذلك ويذكر عدداً كبيراً في كل يوم عن من قتلوا من الجنود الطليانية في تلك الحرب. أحصى وقتئذ أحدهم العدد التي كانت الأجانس تذكر في التلغرافات اليومية عن عدد مقاتلين الطليان. فبعد انتهاء الحرب كان الإحصاء أن عدد من قتل زاد عن معدل نفوس إيطاليا – رجالاً مع نساء مع أولاد – ٧٠٠ ألف.[٣]

في الساعة الثالثة ذهبت إلى المنزل [العسكري] مع طاهر الخالدي وأخبرني بأنه ورد تلغراف من نظارة الداخلية بأن ألمانيا أحضرت إلى تريستا ٣ غواصات ألمانية على القطارات مفكوكة ومن هناك أنزلتها إلى البحر ودخلت إلى الدردنيل وأغرقت مدرعتين كبيرتين إنكليزيتين. وهو يعتقد صحة هذا الخبر ولكنه كما قال لي أحدهم بأنه يحتاج إلى إثبات.

نهضت في الساعة ٥½ اليوم[٤] وذهبت إلى محطة السكة الحديدية لأنه كان في نية ضابطي أن يسافر إلى الشام. ولكن قبل أن أصل علمت بأن السكة لا تسافر

(١) معلم ومحام وقاض مقدسي. ولد في القدس سنة ١٨٨٦. عمل أستاذاً في المدرسة الدستورية بإدارة خليل السكاكيني سنة ١٩١٣. أسس مكتباً للمحاماة بالاشتراك مع جمال الحسيني. في فترة الانتداب عُيّن قائمقاماً لمدينة نابلس (١٩٢٧)، ثم لمدينة عكا فحيفا فالناصرة فرام الله.
(٢) وكالة الأنباء.
(٣) من الواضح أن صاحب اليوميات يستهزئ بهذه الأرقام ولا يعني هذا الادعاء.
(٤) صباح اليوم: يبدو أن هذه بداية مفكرة يوم السبت، ذلك بأن الكاتب ألغى يوم السبت الواقع فيه ٢٩ أيار/مايو من المفكرة.

حتى ٢٥ مايس حساباً شرقياً.(١) والأسباب مجهولة. فمنهم من يقول بأن الإنكليز عطلت الخط. ومنهم من يقول بأن الخط مشغول بنقل الفرقة ٢٥ الموجودة الآن بغزة. ومنهم من يقول بأن الخط لا يصلح ويحتاج إلى تصليح. فلذلك رجعت إلى المنزل [العسكري].

[٩٥] رأيت الجراد اليوم قد وصل إلى بركة السلطان(٢) بكثرة. وقد أكل جميع الخضر [النباتات]. أمّا الالمان(٣) الموجودين هناك فقد احتاطوا لهذا الأمر ولم يصابوا بأقل ضرر.

كما أُشيع البارحة بأن شريف مكة سيحضر في القطار الساعة ٣ بعد الظهر ولكنه لحد الساعة ٦½ لم يحضر ويقال بأنه سيحضر عند منتصف الليل. وقد ذَهَبَتْ إلى المحطة جميع رجال الحكومة وأكابر البلدة. تحققت أنه لم يكن حضور الشريف إلى هنا إلاّ بقصد الزيارة.

ذهبت في هذا المساء إلى بيت الخنطط. صطفط.(٤) وتحدثنا عن الأحوال الحاضرة وقرأنا عنده في جريدة أميركية من مكاتب [مراسل] لها كان في ساحة الحرب وقد امتدح جميع جيوش الدول المتحاربة. ثم ذكر عن الأسلحة فقال إن سلاح ألمانيا والنمسا كان في ابتداء الحرب من أحسن الأسلحة. أمّا الآن فإن سلاح الإنكليز هو الأحسن. ثم ذكر عن خسارة الجيش الالماني فقال إن ألمانيا بلغ عدد ما خسرته في كل شهر ٢٠٠ ألف جندي. وصف كل ذلك بكل تحقيق واختصار مفيد.

كان ابن الخالة حسن [الخالدي] وعدني بأنه سيحضر هذا المساء إلى بيت خنطط صطفط. ولكنه لم يأتي. في الساعة ١١ ذهبت إلى البيت ونمت في الساعة ١٢ عند منتصف الليل.

(١) في التقويم العثماني الرسمي.
(٢) الوادي المنحدر من جبل صهيون، ويقع بين باب الخليل وسكة الحديد. والواضح أن الكاتب شاهد الجراد وهو في طريقه إلى محطة القطارات.
(٣) سكان الحي الألماني جنوب غرب القدس من الهيكليين، ولا علاقة لهم بالجيش الألماني الموجود في القدس.
(٤) وفقاً للشيفرة فالإسم هنا هو المعلم خليل، أي أستاذه خليل السكاكيني.

أوامر تعسفية من جمال باشا

الأحد ٣٠ مايس ١٩١٥ [غربي]. ١٦ مايس ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١٦ رجب ١٣٣٣ [هجري]

[٩٦] نهضت في الساعة السادسة والنصف صباحاً. وذهبت إلى المنزل [العسكري] لأودع ضابطي لأنه سيسافر هذا النهار إلى الشام(١) وسيرجع بعد بضعة أيام. بعد العصر جاء طاهر الخالدي إلى المنزل وذهبت وإياه إلى [حديقة] المنشية. مكثنا هناك مع الأخوال سعد الدين أفندي وأبو رشيد أفندي وغيرهما حتى الساعة السابعة. رجعت إلى البيت وبعد العشاء ذهبت إلى المنزل [العسكري].

في الساعة ٩½ خرجت من الغرفة على أمل أن نذهب [أذهب] إلى البيت ولكن قومندان القرارگاه أخبرنا بأن وقت الانصراف لم يحن بعد. فرجعنا وقعدنا حتى الساعة ١١ حساباً افرنجياً وبينما كنا قاعدين ورد لنا أمر من أحمد جمال باشا مفاده بأنه يجب على جميع الدوائر أن لا تنصرف قبل الساعة ١١. ووقت الطعام لا يتجاوز أكثر من ساعتين. وأن يكون الشغل في أيام الجمعة كالأيام الاعتيادية - أعني لا تعطل الدوائر.

ماذا يهم جمال باشا من هذا الأمر؟ فهو يذهب إلى فراشه في أي ساعة أراد. وينصرف أو يستريح في أي دقيقة أراد. لم يتعب ولم يكلفه شيئاً هذا الأمر غير وضع إمضائه تحته. أمّا نحن فإننا نسهر حتى الساعة ١١ ولا ننام إلاّ في ١٢ على أقل تقدير. ويجب أن ننهض في الساعة ٦½ أو ٧. وهو يستريح من عناء كل ذلك. إنه والله الظلم بعينه. كنت سمعت هذا الخبر الظهر ولكن لم أصدقه لأني افتكرت أن المخبر يمزح معي.

تناولت طعام العشاء مع محيي الدين [الخالدي] ابن خالتي. وقبل الأكل جاء عارف(٢) وأخبر محيي الدين بأن والدته قد أتت في هذا المساء من يافا. فذهب بعد أن تناول الطعام. نمت بعد الساعة ١٢.

(١) دمشق.
(٢) الأخ الأوسط لصاحب اليوميات.

لم يبق في الأسواق إلاّ البرتقال لنأكله

الاثنين ٣١ مايس ١٩١٥ [غربي]، ١٧ مايس ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١٧ رجب ١٣٣٣ [هجري]

[٩٧] ذهبت في الصباح إلى المنزل [العسكري] وقد سمعت بأن مدرعة افرنسية أطلقت البارحة قنابلها على يافا على مستودع الكاز. أمّا التلفيات [الخسائر] فلم تُعلم بعد. فمنهم من كان يقول ما بين ال ٨٠ إلى ٩٠ [قتيلاً] ومنهم من يقول بعدم موت أحد. والإشاعات متضاربة. ولكن المحقَّق هو إطلاق القنابل على يافا.

ذهبتُ بعد العصر إلى [حديقة] المنشية وقعدت حتى الساعة ٧ ثم ذهبت إلى البيت وأخذت معي أولاد الخالة محيي الدين وصدر الدين وعبد السلام ليتناولوا طعام العشاء في البيت لأن البارحة أمرتني عمتي الكبيرة بأن أدعوهم لتناول العشاء في هذا المساء.

لم أذهب في المساء إلى المنزل وقد نزلتُ إلى بيت جارنا الشيخ أمين الدنف وقد كان والدي هناك.

كثر الجراد في هذه الأيام حتى وصل داخل البلدة [القديمة]. فوصل باب الخليل ومن الجهة الثانية وصل باب المغاربة حتى بيوت أبو السعود.(١) وإذا تهاونت الحكومة في هذا الأمر فإننا سنموت جوعاً في هذا العام.

من اليوم والبارحة ومن قبل بضعة أيام ارتفعت أسعار الخضار للغاية حتى وصل [سعر] رطل الخيار بـ ٧½ غروش ويقال بأننا بعد بضعة أيام لن نجد شيئاً حتى نأكله. لم أرَ اليوم في السوق إلاّ برتقال. وقليلاً من البندورة وأقل منها بكثير خيار والباقي غير موجود.

البرتقال موجود بكثرة لأنه بسبب هذه الحرب لم ترسل أهالي يافا إلى إنكلترا شيئاً من ذلك.(٢) فلذلك بقي على الأشجار وسعرها بخس جداً. نمتُ بعد الساعة ١١.

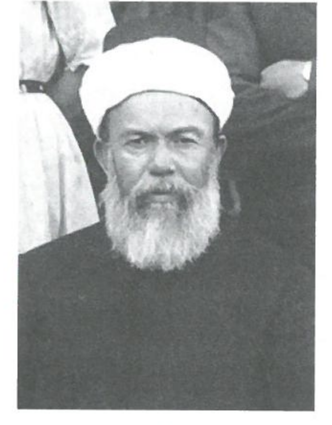
(١) المنطقة المحاذية للحرم الشريف.

(٢) بسبب هذه الحرب: الحصار البحري من قبل الحلفاء على شواطئ سورية ولبنان وفلسطين.

الجراد يصل إلى الحرم الشريف

الثلاثاء ١ حزيران ١٩١٥ [غربي]، ١٨ مايس ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١٧ رجب ١٣٣٣ [هجري]



الحاج راغب الخالدي، زوج خالة إحسان (القدس ١٩٢٠).
المصدر: مجموعة محمد الخالدي.

[٩٨] سمعتُ اليوم بأن الأسطول [البريطاني] ضرب يافه ولكن التلفيات [الخسائر] لم تُعلم بعد. وقد أخبرني أحدهم أيضاً بأن الإنكليز قد أنزلت جنوداً إلى غزة ولكن الخبر يحتاج إلى إثبات. وقد أخبرني أيضاً أحدهم بأن الإنكليز استأجرت [كذا] ٧٠ ألف جندياً يونانياً لتشارك الإنكليز في محاربتنا في جناق قلعة(١) فإذا صحت هذه الأخبار فسلام على تركيا.

ذهبت بعد العصر إلى [حديقة] المنشية وقد حضر أخوالي سعد الدين أفندي وأبو رشيد أفندي والحاج راغب أفندي الخالدي وطاهر أفندي الخالدي وغيرهم ثم انصرفنا. وذهبت والحاج راغب أفندي الخالدي وابنه حسن وابن خالتي محيي الدين إلى البيت. ولكن محيي الدين لم يأتِ معنا.(٢)

بعد العشاء نزلنا إلى بيت الشيخ أمين أفندي الدنف وبقينا هناك حتى الساعة ١١ ثم ذهب كل منا إلى بيته. كان مدار حديثنا عن هذه الدولة وعن أعمالها البربرية وعن معاملتها إلخ... وعن الجراد. والحاصل فإننا طرقنا عدة مواضيع. لم أذهب في هذا المساء إلى المنزل [العسكري].

وصل الجراد الحرم الشريف في هذا اليوم ولا أدري لماذا الحكومة ساكتة عن هذا الأمر الحيوي فإذا لم تنتبه هي لهذا الأمر فعلى من تركن [تعتمد] يا ترى؟ كفانا ما أصابنا وهل نريد أن تزداد حالتنا تعاسة ونموت جوعاً. من الواجب على الحكومة المحلية أن تنتبه وتجبر الأهالي على إتلافه(٣) وبه تستفيد وتفيد.

(١) منطقة ساحلية شمالي إزمير وجنوبي غاليبولي شاهدت أعنف المعارك في الحرب.

(٢) ثمة تناقض في الجملة بالنسبة إلى ذهاب محيي الدين إلى بيت صاحب اليوميات.

(٣) يقصد إتلاف بيض الجراد.

معظم العساكر تغادر القدس

الأربعاء ٩ حزيران ١٩١٥ [غربي]،[1] ٢٧ مايس ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٢٦ رجب ١٣٣٣ [هجري]

[٩٩] لم أكتب طول هذه المدة مفكراتي اليومية لعدم سنوح الفرص فقد كنت فيما مضى أكتب في بعض الأحيان مفكراتي بعد أن أرجع في الليل من شغلي في المنزل [العسكري]،[2] وأحياناً عند الظهر أمّا الآن فبعد أن أصدر جمال باشا الأمر بالسهر للساعة ١١ لم يعد لي وقت بأن أكتب في الليل. وأمّا في مدة التعطيل بعد الظهر فإن الطقس حار جداً مما يجعلني أكسل عن الكتابة. وقد يطرأ في بعض الأوقات شغلاً يعيقني عن الكتابة. أمّا عند فرصة العشاء فبعد أن نخرج من المنزل [العسكري] أرى نفسي محتاجاً إلى استنشاق الهواء والرياضة والحديث مع الغير. فلذلك عولت أن لا أكتب إلاّ في [يوم] الجمعة. ولكنني سأجرب كل ما في وسعي إلى أن أكتب مفكرة كل يوم بيومه. ولكني لا أقدر أن أعد نفسي على ذلك لأن معيشتي اليومية الآن بغير انتظام.

والآن سأذكر جميع ما ظل في ذاكرتي من الأخبار والحوادث التي جرت أثناء هذه الجمعة [هذا الأسبوع].

في يوم الجمعة أغلقت الحكومة جميع الدكاكين وأجبرت الجميع إلى الذهاب إلى المحلات المجاورة للقدس مثل البقعة والطور وما شاكل لإهلاك الجراد. وقد مررت في ذلك الصباح ولم أرى إلاّ دكاكين مقفلة إلاّ من كان مسناً أو ولداً صغيراً وقد وضعت أصحاب المحلات الأولاد والعجزة في محلاتهم ليقدروا أن يفتحوا محلاتهم وهذا ما ندر. أمّا الأهالي فلم تكن تتجول في الأسواق لأن البوليس كان يأخذ من يجده في طريقه إلى [إهلاك] الجراد. ولكن لا بد لي من أن أقول بأن الحكومة - أو بالحري البوليس لم يكن يسوق إلاّ الفقراء والضعفاء ويترك من يعرفهم من الوجهاء والأغنياء. وفي اليوم الثاني قبلت الحكومة لمن لا يريد أن يذهب[3] أن يدفع جزاء

(١) انقطع الكاتب أسبوعاً كاملاً عن الكتابة.
(٢) هذا يفسر حرية الكاتب في الهجوم على سياسة الحكومة والجيش، ذلك بأنه كان يخبئ يومياته في بيته مساء.
(٣) من رفض الذهاب للقضاء على الجراد وإتلاف بيضه.

أو بدلاً ٥٠ غرشاً صاغاً. أمّا المدة فهي خمسة أيام.

[١٠٠] بدأ الجراد أن يطير وقد صار يتوجه من الجهة الشرقية إلى هنا (القدس).
قرأت قبل بضعة أيام خبراً في الأجانس[1] ضحكت منه كثيراً. وهو أنه جاءت إلى بدروم[2] مدرعة إنكليزية ووقف على الميناء رجل اسمه محمد الباقي من المجاذيب وصار ينشد الأناشيد. فأطلقت المدرعة عليه ٢٠ قنبلة ونيف ولم تصبه. وقد أغرقت قارب أو قاربان ولم يمت أحداً.

لا أعلم ماذا تعني الحكومة أو الشركة[3] من مثل ذكر ذلك. فهل هذا الزمان زمن المجاذيب؟ لماذا لا يأخذونه إلى الدردنيل أو إلى الترعة[4] حتى ينجّيهم. إن هذا هو الجنون بعينه. ماذا يريدون من إذاعة هذا التلغراف وهل يريدون أن يخدعوا أو يوهموا العوام بالمجاذيب ويرجعون إلى زمن الخرافات والخزعبلات والاعتقاد بالباطل؟ فقد أصبح الجميع لا يعتقد بمثل هذه الأشياء.

قرأت في جريدة «الأخبار» اليافية خبراً عن إحدى الجرائد من باب التهكم ولكنه لحقيقة بينة - مفاده أن ألمانيا أرسلت إلى فون درلفتز باشا[5] تقريراً فيه ما يأتي: إن ألمانيا لم تستفد قط من دخول تركيا الحرب. ويمكن لتركيا أن تعقد الصلح منفردة وتدفع غرامة حربية. وتهدم جميع الحصون والقلاع الموجودة في الدردنيل والبوسفور وجعله ممراً حراً لجميع الدول. لا شك أن هذا الخبر صحيحاً.

يقال بأن إيطاليا أنذرت ألمانيا بأن تسحب جميع قوادها الألمان من تركيا. ويقال وهذا شائع أيضاً بأن البلغار تطلب أدرنة[6] لأن استلام تركيا أدرنة كان بغير حق. فقد أخذتها بلغاريا بعد أن سقطت من الأتراك ولكن الدول [الأوروبية المتحالفة] سمحت حين أخذت تركيا أدرنة بأن تسترجعها [منها].

سمعت بأن جناق قلعة[7] قد سقطت بيدي الأعداء. ولكن الخبر لم يتحقق بعد. الإشاعة بأن جمال باشا سيسافر وقد تحققت بأنه سيسافر غداً إلى جهة حلب وقد

(١) يقصد النشرة الإخبارية التي تصدرها وكالة الأنباء.
(٢) مدينة ساحلية في جنوب غرب الأناضول.
(٣) وكالة الأنباء.
(٤) جبهة قناة السويس.
(٥) لم نستطع أن نجد أية إشارة تاريخية إلى هذا الشخص.
(٦) مدينة تركية في القسم الأوروبي من الأناضول.
(٧) موقع عسكري في غاليبولي.

أمر بأن يُقرأ ليلة المعراج الشريف المعراج عنده في الطور.[1] وفي هذا المساء بينما كنت راجعاً من المنزل [العسكري] إلى البيت رأيت عدة من المشايخ أصحاب العمائم الدنفية[2] وما شاكل فوق ظهور الخيل خارجين من الحرم وذاهبين إلى الطور لقراءة المعراج الشريف والبعض منهم راكباً في العربات كل ذلك على حساب الحكومة.

ما أنفق [ما أكثر نفاق] هذه الحكومة وخصوصاً كبارها يريدون أن يخدعوا الشعب البسيط بمثل هذه الخزعبلات. يخدعونهم بإظهارهم لهم بأنهم متدينين ولكن الدين براء منهم.

بعد الظهر كثر الجراد الطيار في القدس وقد أكل كثيراً من الأشجار. وقد كانت أصحاب البساتين حاملة التنك وتدق عليه لتطيّره عن أثمارهم ولكن ذلك لم يجدهم النفع المطلوب. ارتفعت أسعار الخضار ارتفاعاً باهظاً لم نر مثله في السنين الفائتة وذلك لأن الجراد أكله فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

أخذت في الجمعة الماضية [الأسبوع الماضي] بدلة ملكية[3] لونها يشابه اللون العسكري وقد طلبت لمن اشتريتها منه بأن يعملها عسكرية. وبينما كنت هناك رأيت قماشة بيضاء أحببت أن آخذها بدلة لي وقد كلفته بأن يفصلها لي بـ ٣٠ فرنكاً وقد تساوي في الأيام المعتادة أكثر من ٤٠ أو ٥٠ فرنكاً.

حضر اليوم قبل الظهر ضابطي فارس أفندي من الشام. ستعرّض الحكومة السكة الحديدية من القدس –[4] أعني خط القدس يافا وتلحقه لخط الشام (السكة الحجازية). ولكن هل تدوم لها خصوصاً والشركة افرنسية كأنها ستناقشها الحساب بعد أن تخرج خصوصاً إذا بقيت البلاد عثمانية. وقد أخبرني أحدهم بأن الهمة مبذولة في توسيع الطريق وقد ينتهي الشغل بعد ١٠ أو ٢٠ يوماً على أكثر تقدير.

لم يثبت في القدس من العساكر إلاّ القليل مما يدل بأن الحكومة ليس في نيتها أن تعود الكرة وتزحف على مصر.

وصل الجراد بيتنا (الحرم).

---

(١) خلال الحرب الأولى أقام جمال باشا مقر إقامته في القدس داخل مجمع الأوغستا فيكتوريا [مستشفى لاحقاً] على تلة المطلع في جبل الزيتون قرب قرية الطور.

(٢) إذا صحت قراءة الكلمة، فهي تعني الشيوخ من عائلة الدنف، ويبدو أن عائلة الدنف كانت عائلة دينية مشهورة ومهمة.

(٣) مدنية (عكس عسكرية).

(٤) أي ستعدل عرض مقاسات سكة الحديد لتسمح بتسيير قطارات أسرع من الحالية.

متطوعون في الجندية غصباً

الخميس ١٠ حزيران ١٩١٥ [غربي]، ٢٨ مايس ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٢٧ رجب ١٣٣٣ [هجري]

[١٠٢] كان أشيع قبل بضعة أيام بأن الحكومة ستجمع ألفين أو أكثر من لواء القدس من الأهالي الذين تحت أسنان[1] العسكرية وفوق السن، الذين لم يبلغ عمرهم ١٩ ومن ٤٦ فصاعداً. وقد أُحضر لهذه المهمة حسن بيك قومندان يافه الحالي. وستجعل الحكومة عليهم اسم متطوعين. وقد عين قومنداناً لهذا الآي [اللواء] البكباشي المذكور وقد جمعتهم الحكومة بالسيف وبالغصب حتى بلغ عددهم على ما أظن ١٠٠٠ ونيف. واليوم قبل الظهر قدموا القدس وكان منهم البيادة والسواري والهجانة،[2] ولكن الأكثر بيادة وكلهم من أهل القرى والبدو.

كانوا مرتدين أغلبهم ثياباً بيضاء وكل واحد منهم حامل بندقية. وقَلَّ أن تجد من بينهم من تشابه بندقيته بندقية رفيقه الآخر. أمّا الحكومة فقد أجبرت كل واحد منهم بأن يأتي [يجلب] معه بارودته [بندقيته]. وبالحقيقة قد فعلوا، ولكنها ويا للأسف من طراز قديم جداً.

ولمّا كنت ماراً لأتفرج على مرورهم رأيت البوليس يغلق الدكاكين ويغصب الأهالي على رؤيتهم فقال لي أحد ممن كان معي «متطوعين إجبارين وكذلك المتفرجين»! فضحكت لأنه ما قال إلاّ الصواب. ولمّا مروا من أمامنا طافوا بالترتيب الآتي: أولاً الموسيقى العسكرية وورائها مفرزة من الجنود ثم يتبعهم البكباشي حسن بيك ومعه خليل الداودي وجميل الحسيني وكلاهما سيكونان بكباشياً على الطابور. ثم يتبعهم المتطوعين فمنهم من كان يغني ومنهم من كان ينشد الأناشيد وبعضهم كان ساكتاً وقد لفت نظري لمّا رأيتهم ماشين بغير نظام وانتظام والترانددرمة[3] ومديري النواحي والجنود الشاهانية[4] تطاردهم ويضربونهم. فقال من كان معي «أيُضرب المتطوع ويهان؟ إن هذا لم يحدث ولا في أي حكومة كانت». وقد رأينا خلفهم عدد قليل يبلغ الـ ٢٠

---

(١) سن.

(٢) البيادة: جنود البادية؛ السواري: الكتائب العثمانية التقليدية؛ الهجانة: راكبو الجمال.

(٣) الجاندرمة، الشرطة.

(٤) الجنود السلطانية النظامية.

أو ٣٠ من السواري وأكثر من هذا العدد بقليل هجانة عربان. وقد كان منهم عدداً قليلاً ركوب على هجين. أمّا حالتهم فلا تدل عليها الجنود الأبطال. فأكثرهم إن لم أقل كلهم يجرّون أنفسهم جراً لأنهم ذاهبين بالرغم عنهم. أمّا هؤلاء فسيستخدمونهم على السواحل، وفي النقط المهمة للمحافظة.[١] وسيأخذون الجنود الشاهانية إلى غير جهات ويبقون هؤلاء محلهم.

بعد العصر ذهبوا إلى الطور حيث أحمد جمال باشا يقعد ورجعوا بعد الغروب وقد قيل بأنهم تناولوا طعام العشاء هناك.

ويقال أيضاً بأن الحكومة بعد أن تقيد أساميهم [أسماءهم] وتسجلهم في دفاترها سترخص لهم[٢] على شرط أن يكونوا مستعدين لأول كلمة يسمعونها منهم.[٣] هذا دليل أوضح من الشمس بأن الحكومة ليس في نيتها بأن تعود وتهاجم مصر مرة أُخرى ولو كان في نيتها أن تفعل [ذلك] لما سحبت جميع العساكر المنظمة إلى جهات الأناضول وقد رأت من الضروريات أن تجمع هؤلاء،[٤] خصوصاً بعد أن رأت ما يفعله الإنكليز من الضرب المبين.

أمّا جمال باشا فسيسافر غداً على ما أظن ولا يعود ويرجع إلى هنا.

لم أذهب هذا المساء إلى المنزل [العسكري] بل أخذت طعام العشاء في بيت الخال أبو رشيد. وقد كان الحاج راغب أفندي [الخالدي] وابنه حسن وذهبنا إلى البيت في المساء عندنا.

---

(١) للحراسة.

(٢) تسرّحهم.

(٣) أي سيدرجون في فئة الاحتياط بعد تدريبهم ويكونون خاضعين لاستدعائهم عند الضرورة العسكرية.

(٤) يشير الكاتب في هذا التفسير إلى أن هدف القيادة العثمانية من فتح الجبهة الجنوبية (قناة السويس) هو تحويل جزء من قوات الحلفاء بقيادة الإنكليز بعيداً عن الجبهة الأساسية في غرب الأناضول وتخفيف الضغط عنها.

جمال باشا يعزل رئيس البلدية حسين أفندي الحسيني

الجمعة ١١ حزيران ١٩١٥ [غربي]، ٢٩ مايس ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٢٨ رجب ١٣٣٣ [هجري]



حسين أفندي الحسيني، رئيس بلدية القدس، ١٩١٦.

المصدر: مجموعة ماتسون.

[١٠٤] سافر اليوم قائد الفيلق الرابع أحمد جمال باشا ناظر البحرية إلى جهة نابلس وهو على ما أظنه لا يعود ويرجع إلى هنا. أمّا أسباب سفره فهي غير معلومة ولكن على ما يظهر لي بأن مهمته هنا قد انتهت ولم يعد يبقى له هنا أقل شغل. أمّا وجهته فغير معلومة. فمنهم من يقول بأنه سيمكث في الشام ومنهم من يقول بأنه سيذهب إلى حلب ومنها يتوجه إلى الأمام.[١] ولكن المهم الآن بأنه لا يرجع ولن يرجع ما دامت هذه الحرب منتشبة بيننا وبين الإنكليز.

وقد سُرّ الجميع، حتى الضباط أنفسهم سرّوا لذهابه وقد أيقنوا بأنه لا يعود ويرجع. أين أقواله ومناشيره التي كان يذيعها بين الأهالي ويقول فيها بأنه لم يرجع من الحدود المصرية إلاّ لتجديد الحملة ولتقوية الجيش ولإتمام المعدات الحربية. لقد ظهر

---

(١) يقصد جبهة الدردنيل.

بأنها لم تكن إلاّ كلام في كلام ليغطي على أبصار الأهالي بأنه سيعود ويجدد الحملة على مصر.

أُشيع اليوم بأن جمال باشا عزل رئيس البلدية الحالي حسين أفندي سليم [الحسيني] ولكنها لم تتحقق بعد. أمّا الأسباب فهي أنه لمّا حضر المتطوعين البارحة أمرت العسكرية الرئيس المذكور بأن يستعد لإطعام أمراء الجيوش المتطوعين من الفلاحين على العشاء. ثم جاء أمر بالتلفون يشكرونه ويطلبون منه بأن لا يستعد. ثم عند المغرب لم يأت الطعام. سألوه عن الأكل فأخبرهم بالقصة. فإذا صح هذا الخبر فمن يكون الملام يا ترى؟ البلدية أم العسكرية؟ لا شك أن الحق كل الحق على العسكرية لأنها بعد أن أمرت رفضت [ألغت] وبالطبع كل أمر أخير يبطل الأول. هذه قاعدة معروفة.

نمت اليوم بعد الظهر أكثر من ١ ١/٢ ساعة ثم ذهبت إلى المنزل [العسكري] وأعضائي متراخية. اليوم لعبت بعض الالعاب [التمارين] الرياضية أكثر من ربع ساعة وأرجو أن أواظب على ذلك ولا أعود وأتكاسل وأهمل الالعاب الرياضية لأنها من الضروريات.

شائعات عن مقتل ناظر الحربية
أنور باشا في تمرد شعبي

السبت ١٢ حزيران ١٩١٥ [غربي]. ٣٠ مايس ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٢٩ رجب ١٣٣٣ [هجري]

[١٠٥] يقال بأن الحكومة البلغارية طلبت رسمياً من الحكومة العثمانية تسليم أدرنة لأنها [تركيا] استلمتها بدون حق وأوروبا وعدتها بأن تسلمها إياها. فإذا صح هذا الخبر فإن بلغاريا بالطبع تعلن الحرب علينا وتنتهي حينئذ هذه الأزمة المالية السياسية الجنسية.[١]

فهل تعلن الحرب بيننا وبين البلغار يا ترى أم تسلم الدولة إذا طلبتها يا ترى بلغاريا أدرنة؟ هذا السؤال طرأ على فكري حين سمعت ولكني لا أعتقد بأن الدولة تسلم أدرنة إلاّ بالحرب؟ وإن كانت تعتقد أنها لا تقدر أن تقاوم بلغاريا إلاّ إن عنادها وعدم معرفتها وتقديرها لنفسها يجعلانها تعلن الحرب عليها. من كان يظن أو يفتكر بأن دولتنا تعلن الحرب على أعظم وأقوى وأكبر دول الأرض قاطبة.[٢] سمعتُ من مصدر لا يوثق به بأنه قامت الأهالي في الآستانة وثاروا وقتلوا أنور باشا ناظر الحربية[٣] والبعض يقول إنه ذهب إلى استحكامات جناق قلعة وقتل هناك ولكن الخبر لا أظنه صحيحاً. ويقول المخبر بأن سفر جمال باشا لم يكن إلاّ ليخلفه في مكانه فهل يصدق هذا الخبر دائماً مثله؟

بعد العشاء بينما كنت في المنزل [العسكري] سمعت بأن المنزل سيقوم [سينقل] إلى الشام [دمشق] ولكني كم سمعتُ هذا الخبر حتى صرتُ لا أهتم حين سماعه وهذا الخبر لا أظنه إلاّ مثل الأخبار الأولى. ولكن المخبرين أكدوا صحة هذا الخبر ولكنهم شاميين[٤] ويعزون أنفسهم ويبنون صروح آمالهم لذهابهم إلى الشام وما هي إلاّ آمال لا أساس لها.

---

(١) الأزمة الجنسية: «القومية» بحسب التعبير السائد في نهاية القرن التاسع عشر.

(٢) يقصد إنكلترا. الجملة في الأصل ركيكة ويبدو أن قصد المؤلف أن الدولة العثمانية بتهورها في إعلان الحرب على الحلفاء، بقيادة إنكلترا، لن تتردد على الرغم من وضعها السيئ في إعلان الحرب على دولة صغيرة مثل بلغاريا.

(٣) وزير الدفاع.

(٤) جنود من دمشق ومن مناطق أُخرى في سورية.

أنباء عن تمرد شعبي في الشام

الثلاثاء ٢٢ حزيران ١٩١٥ [غربي].[1] ٩ حزيران ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٩ شعبان ١٣٣٣ [هجري]

[١٠٦] صار لي أكثر من جمعة [أسبوع] وأنا كل يوم بعد أن أنهض من فراشي أتمرن بعض الالعاب الرياضية بين ربع ساعة و١٠ دقائق وسأواظب عليها إن شاء الله.

لم أتكاسل وأتراخى في حياتي مثل هذه الجمعة [الأسبوع] فإذا تكلمت أو مشيت أو قعدت لا يكون كل ذلك إلاّ بتعب عظيم. فأعضائي كلها متراخية وربما كان السبب هو لقلة الأشغال والبطالة.

لم يكن عدم كتابتي مفكراتي في الأيام الماضية إلاّ عن كسل فقط وليس لكثرة الأشغال.

أخبار هذه المدة: انتشر الجراد الطيار انتشاراً لا مزيد عليه. فلم يبق من الخضرة والأشجار شيئاً. فالأشجار عارية من الأوراق والأثمار وقد انقطعت جميع الخضر والفواكه إلاّ البندورة فإنها موجودة ولكنها قليلة. أمّا البقلة[2] فلا أثر لها في الأسواق.

يقال بأن أهالي الشام ثارت. وقد سجنت الحكومة عدة أشخاص ولكن الخبر لم يتحقق. الحكومة في ضيق مالي عظيم فلا دراهم عندها ولا مؤونة لعساكرها. قبل بضعة أيام رمت إحدى الطيارات الإنكليزية فوق سماء يافه مناشير بكثرة [جاء] فيها أن الإنكليز صممت النية على امتلاك هذه البلاد وقالت بأن الوقت قد قرب.

بدأت الضباط الالمان الموجودين في الصحراء[3] تتوارد إلى هنا. وقد سافر عدد منهم إلى جهة الشام ويقال بأن الجميع سينسحبون من تلك الجهات.

اتصل الخط الحجاري بالقدس.[4] وصار الخط واحداً أخرب الخط [كذا] الذي بين يافا والقدس وعرضوه وجعلوه خطاً واحداً وألحقوه بالخط الحجازي. أمّا مسير القطار فليس بالمنظم مطلقاً وهو لا يقبل إلاّ الجنود فقط ولكن ذلك أيضاً بغير انتظام.

(١) مرت ١٠ أيام منذ تسجيل اليومية السابقة.
(٢) قراءة كلمة «بقلة» غير مؤكدة.
(٣) ربما يعني صحراء النقب حيث كان الضباط الألمان يعملون في إنشاء الإمدادات العسكرية في الحفير، أو في منطقة الحجاز.
(٤) سكة الحديد.

[١٠٧] يقال بأن عرضي[1] قد هلك عن بكرة أبيه في جهة الدردنيل.

الهمة مبذولة في مد الخط [الحديدي] من [....][2] إلى بير السبع وسيتصل هناك قريباً. وقد رمت إحدى الطيارات منشوراً إلى طوابير العملة الموجودة على هذا الخط تحثهم على الشغل المتواصل وتوعدهم بأن الحكومة الإنكليزية قررت إعطاءهم أجرتهم[3] من يوم شغلهم على التمام والكمال.

الكل مستاء من هذه الحالة الحاضرة حتى الضباط أنفسهم. ومن كان يظهر حباً للحكومة مستاء أيضاً لاشتداد الأزمة المالية. فقد أصبحت البلاد في ضيق مالي عظيم لا مزيد عليه وهم ينتظرون كلهم انفكاك هذه الأزمة بفروغ الصبر.

يقال بأن الأزمة السياسية تشتد حراجة كل يوم بين الالمان والأميركان. حتى إنه قيل بأن الأميركان أنذرت الالمان.

سافر قنصل جنرال[4] إيطاليا. وعلى ما يظهر من هذا السفر أنه ستنشب الحرب بيننا وبينهم. فإذا دخلت إيطاليا الحرب ضدنا فإن المشكل سيحل إمّا عاجلاً أو آجلاً.

هذه الأخبار سمعتها في الجمعة [الأسبوع] الماضية وهذا ما بقي في ذاكرتي ويوجد خلافها من لم أتذكره.

لطف الله بنا.

(١) عرضي (أردو): جيش باللغة التركية.
(٢) الاسم غير مقروء.
(٣) كانت كتائب الشغيلة «طوابير العملة» تعمل بالسخرة، ويبدو أن الجيش الإنكليزي كان يحفزهم على إنهاء العمل في الخطوط لقاء الدفع كي يتسنى للجيش الإنكليزي احتلاله بعد إنهاء العمل.
(٤) القنصل العام.

نسيت كل ما تعلمته

الأربعاء ٢٣ حزيران ١٩١٥ [غربي]، ١٠ حزيران ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٠ شعبان ١٣٣٣ [هجري]

[١٠٨] كلما أفتكر في الحالة التي أنا عليها الآن من الكسل والخمول وحب الراحة والبطالة يكاد يطير عقلي. فقد نسيت كل ما تعلمته في السنين الماضية وما حصّلته من العلوم. وإني الآن أرى نفسي كل يوم بالتقهقر والرجوع إلى الوراء من علوم وآداب حتى كدت أن أكون مثل من لم يدخل في مدرسة البتة. وصار عقلي خاملاً بليداً. إذا سمعت شيئاً لا أفهمه. وإذا قرأت في كتاب وفي جريدة لا أفهمها. وليس ذلك إلاّ لأني أهملت نفسي.

أمّا الآن فقد عولت على أن لا أدع فرصة تمر بدون أن أستفيد وأكتسب منها وأزيد علومي وكفاني ما أنا عليه. إذا قابلت نفسي بأولاد جيلي، حتى الأصغر مني سناً، أرى أنني لا مناسبة (نسبة) بيننا. فهم أعلم مني وأقدر. أليس ذلك لأنني قد أهملت واجباتي وتركت لنفسي العنان. فإذا بقيت على هذه الحالة فلن أنجح. وأعيش بقية عمري تعيساً خاملاً جاهلاً وأضيّع كل تعبي في المستقبل وأكون شخصاً تعيساً شقياً في المستقبل. فيجب عليّ أن أجد وأجتهد لكي أصير بمصاف أولاد جيلي وإلاّ عشت في هذه الدنيا حقيراً مهاناً محتقراً بأعين الجميع لأن الفرص التي صحت [سنحت] لي لم ينلها غيري.

أنا أعجب من حالتي. أنظر إلى مكتبتي فأراها ملآنة بالكتب التي لا أقدر أن أختار [منها] كتاباً لأقرأه مع أنها كلها مفيدة. فعيب والله وعار عليّ.

الأسطول الإنكليزي يقصف يافا

الجمعة ٢٥ حزيران ١٩١٥ [غربي]، ١٢ حزيران ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٢ شعبان ١٣٣٣ [هجري]

[١٠٩] كل يوم تأتينا الأخبار بفوز الجيوش الالمانية في الساحة الشرقية والغربية وفيها الإحصاءات عن عدد ما غنموا من المدافع والذخائر وما أسروه من الجنود وما قتلوا من المحاربين. ولم يذكر ولا يوماً واحداً بفوز أعدائهم عليهم كأنهم يعتقدون بأن مثل هذه الخزعبلات والتوهمات تدخل علينا [نصدّقها] ولكن ويا للأسف نرى كثيرين قد حادوا عن خطتهم وصاروا يعتقدون خلاف ما كانوا يعتقدونه في أول الحرب.

وآخر ما أنبأتنا به الأنباء البرقية عن فوز الالمان هو أنه من ابتداء هذه الحرب حتى الشهر الحالي أسرت وقتلت ألمانيا وحدها من الروس ٩٧,٠٠٠ ضابط و٢ ١/٣ مليون من الجنود. يا سبحان الله كيف لا تخجل ألمانيا من ذكر هذا التصور الذي يكاد يكون تصديقه من باب الجنون. من يصدق أن الروس خسرت في هذه الحرب هذا المقدار الكبير. فإذا كان صحيحاً فلما لم تذكر هي ما خسرته مع أعدائها. فإننا لو أردنا أن نصدق هذا الخبر وسلّمنا به لا بد لنا من أن نقول بأن ألمانيا خسرت في الحرب أضعاف هذا العدد والسبب هو أنها تحارب عدة دول كلها مستعدة الاستعداد الكافي.

قرأت قبل شهر ونيف في إحدى الجرائد الأميركية فصلاً[١] ذكر فيه بأنه يبلغ ما خسرته ألمانيا في هذه الحرب ٢٠٠ ألف رجل وقد ذكرت ذلك في مفكرتي بيوم الجمعة ٢٨ مايس (غربي) صفحة ٩٥.[٢] فيكون ما خسرته ألمانيا لحد الآن ٢,٢٠٠,٠٠٠.

أطلق الأسطول الإنكليزي قبل يومين قنابله على يافا وذلك بينما كان مركباً شراعياً محملاً ماراً في البحر فأمره الأسطول بالوقوف فأبى وقد كانت الريح مساندة [للمركب] ولمّا وصل المينا أطلق الأسطول عليه قنابل وأغرقه. أمّا الخسائر فلم تُعلم بعد.

---

(١) مقالاً.
(٢) أنظر أعلاه، ص ٢٢٤.

سيعدم جميع الذين لم يسلموا أنفسهم

السبت ٢٦ حزيران ١٩١٥ [غربي]. ١٣ حزيران ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٣ شعبان ١٣٣٣ [هجري]

[١١٠] بينما كنت ذاهباً في هذا الصباح سمعت بأن الحكومة العسكرية قد رخصت(١) طوابير العملة. والمخبر أكد لي ذلك وقال بأن البلوك(٢) الموجود هنا يرقص ويلعب لسماع هذا الخبر فلم أصدق هذا الخبر وقلت له بأنه جاء تلغراف ليلة البارحة ينبه [؟] بأنه أجريت عملية جراحية للسلطان الحالي في المثانة فشفي فلذلك سيزينون البلدة وستعطل الدوائر وستطعم الحلوى لجميع الجنود. فما زلت أسأل عن هذا الخبر وهو ترك طوابير العملة إلى أن علمت كما كنت أعتقد بأن هذا الخبر لا صحة له. غير أن هذا الطابور وجميع الطوابير ستستريح في هذا النهار. جاء طابور العملة إلى باب المنزل [العسكري] ودار حول البلد وهو يغني ويصيح ويرقص وكان الأوفق لهم لو اشتغلوا في هذا النهار لأن تعبهم اليوم يفوق تعب كل يوم.(٣)

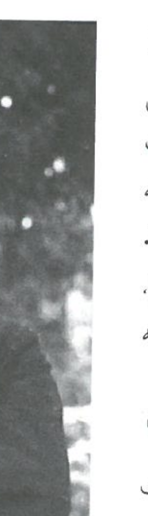
ثم جاء الطابور المذكور بعد العشاء إلى باب المنزل كالظهر. فبعد أن غنوا له ولعبوا طل عليهم روشن بيك مفتش المنزل وخطب فيهم وعرفهم عن السبب الذي دعاهم لأن يعملوا هذا العمل ثم حثهم إلى أن لا يفروا وأفهمهم بأنه بعد ال ١٥ من الشهر الحالي سيعدم جميع الذين لم يسلموا أنفسهم قبل اليوم المذكور ثم شكرهم وانصرف الجميع. وقد كان يعرّب كلامه ضابط هذا البلوك وهو عربي. على ما أظن. لا يحسن التركية على ما ظهر لي من ترجمته. لأنه حين كان يترجم كلام روشن بيك لم يفه ولا بجملة صحيحة فاه بها البيك المذكور.

فبعد انصرافهم ذهبت إلى البيت وفي الطريق التقيت الموسيقى العسكرية وثلة من الجنود يحملون الفناويس(٤) والموسيقى تعزف ألحانها. ثم ذهبت إلى البيت. خسارة والله هذه المصاريف في هذا الرجل. ولكن يحق للحكومة الحاضرة أن تعمل أكثر من ذلك لأنها لا تجد غيره يوافقها ولا يخالفها. فمسكينة أيتها الأمة!

(١) سرّحت.
(٢) الكتيبة.
(٣) يقصد أن رقصهم وغناءهم في الشوارع كانا أشد إرهاقاً لهم من عمل السخرة الذي يقومون به.
(٤) الفوانيس.

معارك ترعة السويس

الأحد ٢٧ حزيران ١٩١٥ [غربي]. ١٤ حزيران ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٤ شعبان ١٣٣٣ [هجري]



الدكتور حسين فخري الخالدي، ابن خالة إحسان ورئيس بلدية القدس لاحقاً.
المصدر: مجموعة محمد الخالدي (عمّان).

[١١١] بعد أن تناولت طعام الغداء وبينما كنت قاعداً في البيت سمعت صوتاً يناديني ويقول «إحسان جاء ابن خالتك حسين». فنزلت إلى بيت الشيخ أمين الدنف وسلمت عليه. رأيته في حالة كدت أبكي منها. ثياب قذرة رثة. وقبعته لا لون لها. وكندرته(١) لا تسوى بارة. مقطعة من جميع أطرافها. والحاصل أن حالته كانت من أسوء الأحوال.

بدأ يسرد لنا عن معيشته هناك(٢) وماذا قاساه من الأهوال. قال أنه ذهب ٣ مرات إلى القنال. أمّا مركزه فقلعة النخل تبعد عن الترعة من جهة السويس ٣ أيام على ما أظن.

أخبرنا أشياء كنا نجهلها. أخبرنا ما قاساه من الأهوال. أخبرنا بأنه لم يأكل إلاّ البقسماط(٣) والشاي والحمص وما شاكل. قال بأنه مرة جاء أحد العربان إلى هناك ومعه دجاجة فقعدوا حولها كأنهم لم يروا شيئاً من ذلك في حياتهم.

حضر هناك موقعة على الترعة. قال بأن الإنكليز ليسوا على استعداد تام ولو كانت القوة [العثمانية] أكثر ملكنا مصر(٤) بالتأكيد. قال بأن الإنكليز ليسوا منتبهين قط. وقد قال إنه ذهبت مرة قوة عثمانية إلى هناك وأرسلت ٥ أشخاص ممن يحسنون الرمي [الرماية] إلى ضفة الترعة ووجدوا هناك ١٠ [جنود] قاعدين في كازينو على ضفة

(١) حذاؤه.
(٢) جبهة قناة السويس.
(٣) الكعك.
(٤) احتللناها.

النيل من جهتنا فرمى الخمسة [قناصة] العشرة وأردوهم قتلى وأخذوا أسلحتهم وفروا. فحسّ الإنكليز بذلك وصاروا يطلقون على العساكر قنابل من أسطولهم ثم رجعوا على أعقابهم.(١)

قال بأنهم لم يحرزوا انتصاراً إلاّ مرة واحدة قُتل منا ما بين ال ٣٠ وال ٤٠، ومنهم ما ينوف عن ال ٤٠٠. وقد أفادنا عن كل سفرته باختصار.

لمّا جاء إلى هنا [القدس] كان كلما ينظر إلى شيء يتطلع إليه مبهوتاً كأنه لم يره قط في حياته، لم أفارقه قط. ولم أذهب إلى المنزل [العسكري].

أخذت طعام العشاء في بيت الخال أبو رشيد، ورجعنا الساعة ١٠½.

(١) يلاحظ القارئ أن هذه الرواية تتعارض مع تقويم الكاتب لقوة الإنكليز واستعداد الجيش البريطاني وضعف القوات العثمانية في منطقة السويس.

الجيش العثماني يحارب على أربع جبهات

الاثنين ٢٨ حزيران ١٩١٥ [غربي]، ١٥ حزيران ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١٥ شعبان ١٣٣٣ [هجري]

[١١٢] لم أسمع اليوم ولم أعمل شيئاً يوجب الذكر غير أن أحدهم أخبرني بأن إحدى الجرائد اليهودية(١) أذاعت خبرين أولهما أن السفير الالماني غادر عاصمة البلغار. فإذا صح هذا الخبر - ولكني لا أظنه صحيحاً ولم أسمع فيه - فإننا سنخوض غمار الحرب مع البلغار وحينئذ نقول السلام عليك يا تركيا، لأنها ستحارب في جميع الجهات: من جهة الروس، ومن جهة الإنكليز في جبهة البصرة، والإنكليز والفرنسيس(٢) في الدردنيل، وكذلك الإنكليز على الحدود المصرية، والعلاوة البلغار.

أنا أتمنى من صميم فؤادي أن يصح هذا الخبر، لأني زهقت هذه الدولة وكادت أن تخرج روحي من معاملتها لنا وما أضرتنا به.

أمّا الخبر الثاني، وهذا كالأول، أظنه عار من الصحة أو ضعيف أو فيه رائحة من الصحة هو أنه بينما كانت العائلة المالكة في إسبانيا في إحدى البواخر إذ فاجأتهم مدرعة ألمانية وأطلقت قنابلها عليها وأغرقتها. ولكني أظن أن هذا الخبر كالأول لا صحة له، ففي أي بحر وجدت هذه المدرعة وأطلقت القنابل على السفينة؟ أفي البحر المتوسط وأمامه جبل طارق والأسطول الإنكليزي والفرنسي انقب [؟] الماء لكثرة تجواله هناك؟ أم في البحر الأدرياتيكي والأسطول الإنكليزي واقف بالمرصاد ولا يدعه يخرج من البحر الشمالي. فهذا الخبر لا يصدق.

كل يوم تزداد الأزمة السياسية بين أميركا وألمانيا. ولكن لا أظن أميركا تعلن الحرب البتة.

(١) كان ثمة جريدة عبرية وحيدة تصدر في القدس خلال الحرب العالمية الأولى هي «حيروت» [الحرية]، لسان حال الجالية السفارادية، ومن غير الواضح ماذا يقصد الكاتب بـ «إحدى الجرائد اليهودية».

(٢) الفرنسيون.

نقل الضابط فارس الشامي إلى طابور العملة في السلط

الجمعة ٢ تموز ١٩١٥ [غربي]، ١٩ حزيران ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٩ شعبان ١٣٣٣ [هجري]

[١١٣] ورد أمر من روشن بيك رئيس مفتش المنزل [العسكري] بنقل ضابطي الحالي ورتبته كاتب إلى السلط لطابور العملة[١] ولا أعلم السبب في نقله ولكن لا بد من أن يكون [روشن بيك] قد أحسّ عليه[٢] شيئاً كدره. وقد عين خلافه معاون كاتب في الإدارة يظهر لي من ملامح وجهه أنه رجل لطيف.

أمّا هذا الضابط الذي نُقل فهو شامي واسمه فارس. رجل طيب يعامل العساكر أحسن من معاملة بقية الضباط ويشفق عليهم. غير أن لسانه سفيه في بعض الأحيان ولا يستعمل سفهه إلاّ وقت انبساطه. فإنه يمزح مزحاً بارداً. أمّا وقت زعله فلا يتكلم شيئاً. فقد طالما كنت أذهب إلى المنزل [العسكري] متعوقاً، أو أني في بعض الأحيان لم أكن أذهب إلى المنزل في الليل أو أتملص في بعض الأحيان. فإذا كان مسروراً يمزح معي ويأمرني بأن أذهب وأحبس نفسي، أما إذا لم يكن مسروراً فيلتزم الصمت.

وفيه شيء آخر هو قلة ذمته. بعبارة أُخرى يحب المكسب والبلص.[٣] هذا بعض خصله. ولكن يجب أن لا أنسى حسن معاملته لي أيام كنت في ضيق. فإنه كان يعاملني معاملة حسنة بالنسبة للضباط [الآخرين]. ولكني في المدة الأخيرة تضايقت منه جداً لأنه كان يسخّرني بأن أحضر له في بعض الأحيان نار لنرجيلته وهذا ما يجعلني أكرهه. ولكني أحترمه وأحبه [أيضاً] مع كل هذا لأنه كان يعاملني معاملة حسنة كما ذكرت. وأني متأسف جداً لفراقه وأني أشعر معه لتعيينه في تلك البلاد[٤] وسيسافر غداً أو بعد غد. رافقته السلامة وحلّ الله عسره. واللهم لا تجعل سفرته هذه طويلة. واللهم رده إلى بلاده وأهله وفك أسره بأقرب وقت إنه على كل شيء قدير.

(١) كتيبة الجنود المسخرين للأشغال العامة. ومن الواضح من السياق أن هذا النقل يشكل تنحية عن الرتبة.
(٢) أمسك به وضبطه.
(٣) الاحتيال.
(٤) يقصد شرق الأردن.

محاولة مصالحة

[١١٤] بينما كنت ذاهباً إلى البيت لأتناول طعام الغداء وكنت أمشي الهوينا إذ بابن صد طرق. ظشق(ال) أتيع.[١] فبعد أن تحدثنا قليلاً قال لي بأنه كان البارحة عند ند قحف. وظند ف. الشيخ. قاق (ال)أعم[٢] وأخبرني بأنهم تذكّروني وأتوا بسيرتي وتحدثوا عليّ [عني] واعتمدوا على أن أذهب معه إلى عنده في الجمعة [الأسبوع] القادمة لأنه في ليلة البارحة كان شدكر[٣] ومن غريب الاتفاق أنني ليلة البارحة في الساعة ١١ افرنجية تذكرتهم. وخطر على بالي بأن أقول له بأن يقول له بأن قفا قفد. جطد ظق.[٤] متى رآه. والغريب أنه في تلك المدة كانوا في ذكري. وقد صمم النية إلى أن يصافحني وأذهب إلى عنده وأنا الآن في حيرة فهل أذهب أم لا؟

أخاف أن أذهب لأنه لا يصح لي إلاّ أن [....][٥] ويفذ هق (ال) طقط[٦] في أغلب الأوقات ولكنه أفهمه بأني لا أقدر أن [....][٧] ويفذ الا هق (ال) عفدت.[٨] فأنا في حيرة عظيمة: أبقى على ما أنا ولا أذهب وهذا هو الأحسن. ولكني أحب أن أتعرف وأجتمع.[٩] خصوصاً بعد أن مدحوا لي علمه وأدبه وأخلاقه الحميدة وآرائه

(١) استخدم إحسان نوعين من الشيفرة في تسجيل بعض المقاطع والأسماء. في النوع الثاني وضع رقماً لكل حرف هجائي، وفي الأول وضع حرفاً آخر لكل حرف. أو قل إنه غيّر القيمة الصوتية لكل حرف من حروف الهجاء. أمّا شيفرته الحروفية فتقرأ على النحو التالي: ا:د، ب:، ج:س، د:ا، هـ:ف، و:أ، همزة، ز:، ح:ش، ط:ل، ي:ذ، ك:، ل:ط، م:ض، ن:ع، س:ج، ع:ن، ف:هـ، ص:خ، ق:ي، ر:ت، ش:ح، ت:ر، ث:، خ: ص، ظ:م، غ:. تبعاً للشيفرة فالجملة المشفرة الأولى تُقرأ كما يلي: خالتي محي الدين. (زكريا محمد)
(٢) الجملة المشفرة تُقرأ كما يلي: عايشه ومعاه الشيخ هدي الدنف.
(٣) الكلمة المشفرة «شدكر» تُقرأ حا...ت. أمّا حرف الكاف فمن الممكن جداً أن يساوي الحرف ض. وعليه فالكلمة حاضت.
(٤) تُقرأ: يهديها السلام.
(٥) كلمة مشطوبة.
(٦) تُقرأ: أذهب إلاّ في الليل.
(٧) كلمة مشطوبة.
(٨) تُقرأ: أذهب إلاّ في النهار.
(٩) اتعرف واجتمع: يجب أن تليهما كلمة «به» كي يستقيم المعنى، لكنها مشطوبة.

العالية.[١]

ولكن طبعي أن لا أعرف بأناس لم تكن لي سابق معرفة بهم فهل أحافظ على عادتي القديمة ولا أعرف به أم أذهب إلى اللوكندة[٢] إلى عنده وأرى من أخلاقه السامية وآرائه العالية وأخلاقه الحميدة ما يسرّ به كل إنسان؟

ولكني أخاف متى عرفته أن أتعلق به وأصير لا أقدر أن أفارقه وأتعطل عن أشغالي وألتهي به. ولكنه بعد أن طلب بالواسطة أن يتعرف بي وجب عليّ الطاعة؟ فاللهم عجّل بذلك اليوم فإنني منتظر كما ينتظر العطشان الماء. والعاشق معشوقه. فعجّل اللهم بذلك اليوم. وعجل اللهم به واجعله يوماً سعيداً عليّ ولا تكدرني به مطلقاً إنك سميع الدعاء.

(١) ربما يكون هذا مشروع خطبة لإمرأة غير (ع). ولجوء صاحب اليوميات إلى استعمال الشيفرة هنا هو لتجنب اطلاع أي متطفل عليها من داخل بيته حيث كان يخبئها. وقد استعمل الكاتب صيغة المذكر في السابق في إشاراته إلى محبوبته.

(٢) كان صاحب اليوميات قد ذكر سابقاً «لوكاندة سليم» في باب الخليل.

اختفاء ٤٠٠ مفرزة
من السواري في شفا عمرو

[١١٥] جاء تلغراف البارحة من قوماندان فرقة ٢٧ إلى قومانداني الأردو [الجيش] الثامن جمال باشا[١] مفاده أنه في ذلك النهار (البارحة) أنزلت إلى جهة شفاعمرو جنود. وقد أرسلت الحكومة ٤٠٠ مفرزة من السواري[٢] ولكن لم يرجع منهم أحداً. ولم يُعلم أين ذهبت هذه المفرزة. هل أسرت أو سلمت نفسها أو هربت؟ وفيه أيضاً أنه بظرف ٤ ساعات امتلكوا جميع جهات بني صعب وإنهم قربوا أو وصلوا جنين ويوجد بعض بواخر نقالة في البحر.

في يوم الأربعاء أطلق الأسطول الإنكليزي قنابله على يافا على مركب شراعي لم يسلّم للمدرعات. فأطلقت عليه القنابل لمّا وصل إلى الميناء. وقد مرت بضع قنابل فوق السرايا.[٣] والبنك الالماني وفي البيارات. والبعض يقول إنه [الأسطول] أطلق قنابله على سرونة[٤] (مستعمرة ألمانية في يافا). ولكن المحقَّق أنه لم يحصل قتل في النفوس. وورد تلغراف آخر أن مدرعتين إنكليزيتين موجودتين في يافا في حالة الارتباك. وأن باخرتين إيطاليتين موجودتين هناك والمخبر لذلك [الخبر] قال بأنه سمع هذه الأخبار ممن قرأها في إحدى المجلات الرسمية. حقق الله الآمال.

لم أذهب إلى المنزل [العسكري]. تناولت العشاء في دار خالي أبو رشيد وذهبت مع أولاد خالي عند الأستاذ [السكاكيني].

لم أنم إلاّ بعد الساعة الواحدة افرنجية مع إني ذهبت إلى الفراش في الساعة ١١½.

(١) هو جمال باشا الصغير قائد الجيش الثامن المعروف بالمرسيني لتمييزه من جمال باشا الكبير، قائد الجيش الرابع.

(٢) الكتائب العثمانية التقليدية. والغالب أن الكاتب يقصد مفرزة من ٤٠٠ جندي.

(٣) السرايا: دوائر الحكومة العثمانية في ميدان الساعة في يافا.

(٤) سارونة: مستعمرة ألمانية أنشأها الهيكليون في منطقة يافا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

تعييني برتبة ساع

الاثنين ٥ تموز ١٩١٥ [غربي]، ٢٢ حزيران ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٢٢ شعبان ١٣٣٣ [هجري]

[١١٦] سافر ضابطي في هذا النهار قبل طلوع الفجر إلى السلط لأنه تعيّن هناك.[١] قبل أن يذهب فهّمني بأنه عيّنني هنا بصفة [رتبة] ساعي. ولكني خائف الآن بعد ذهابه وبعد أن أخذ خادم الغرفة [إلى السلط] أن أضطر إلى تكنيس الغرفة وهذا ما لا أرضاه ولن أفعل ذلك ولو كلفني ذلك طردي من المنزل [العسكري] فإني لا أكنس ولا أخدم.

أمّا أخلاق هذا الرجل فهي فاسدة ولسانه سفيه للغاية. يستغيب الإنسان ويتكلم في غيابه وهذه من جملة نقائصه. وفيه شيء آخر وهو أنه إذا طلب من في معيته شيئاً من ملبوس وما شاكل لا يقبل مطلقاً مع أنه عادة الضباط [أن] يخصّون الذين يستخدمون معهم.[٢] أمّا هو فالبعكس فإنه يخص الغريب خصوصاً إذا كان مستخدماً عند أحد المتنفذين فهو من هذه الجهة لا ينفع من يعرفهم أو من يستخدم عنده.

وفيه شيء آخر وهو جبنه. أذكر أنه لمّا صدر الأمر بعدم السماح لأولاد البلدة [القدس] بالنوم ببيوتهم. وفي اليوم الثاني أصدر الأمر بالسماح لهم ولكنهم لم يبلّغوه رسمياً مع أنه كان متأكداً من صحة هذا الخبر لم يسمح لي بالنوم بالخارج مع أنه في تلك الليلة لم ينم إلاّ أنا وقليلين [آخرين] لا يبلغون ال ٤ أشخاص.

اليوم أخذت كندرة (صندل) وذلك بدون طلب مني. وتفصيل ذلك أنه في العام الماضي أخذت الحكومة عدة من هذه الكنادر تكاليف [مخصصات] حربية. وفي أول الصيف وزعتهم على الضباط وبعض الأفراد [الجنود]. واليوم قبل الظهر جاء أحد وكلاء الضباط وهو أرمني الأصل يستخدم في القرازكاه عندنا وطلب منا أن نكتب مضبطة[٣]

(١) الضابط فارس: يعيد الكاتب هنا ما ذكره الأسبوع الفائت عن علاقته المتوترة بالضابط فارس، وقد حذفناها تجنباً للتكرار (أنظر أعلاه، ص ٢٤٤).

(٢) يفضلون الذين يعملون معهم على غيرهم.

(٣) مذكرة.

ب ٣ كنادر[١] وسألني إذا كنت أخذت فأجبته بلا. فقال للكاتب بأن يقيد اسمي واسمه ففعل فأخذتها وحللت محل الكاتب الذي سافر. أذكر أنه قبل شهرين طلبت من المذكور [الضابط فارس] بدلة عسكرية صيفية فرد طلبي وقد أعطى غيري فلذلك لم أعد أطلب منه [شيئاً]. واليوم أخذت هذه الكندرة ولو كان موجوداً فإني أؤكد بأني لم أكن لآخذها مطلقاً. لأنه من عادته أن يعرقل كل شيء فيه فائدتي. وقد أخذت الكندرة ولبستها حين استلمتها. ولكن ويا للأسف [كانت] كبيرة جداً على رجلي لأني لم أجد أصغر منها [....].[٢]

(١) أحذية، أو صنادل.

(٢) السطر الأخير في الصفحة غير مقروء.

فتوى تبيح للعساكر النظامية
الإفطار في رمضان

الثلاثاء ١٣ تموز ١٩١٥ [غربي]. ٣٠ حزيران ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١ رمضان ١٣٣٣ [هجري]

[١١٨] في مثل هذه الأيام [من السنة الفائتة] كنت راجعاً من الكلية بعد أن ذهبت بعد تعطيل المدرسة إلى صيدا وعاليه وزحلة ودمشق ويافه. رجعت وكنت مسروراً مبتهجاً فرحاً خصوصاً لأني أنهيت دروسي الاستعدادية وكان في نيتي في هذه السنة. لو لم يعلن النفير العام. الدخول في الصفوف العالية.(١)

لمّا رجعت إلى القدس(٢) كنت مصمم النية على أن أجدّ وأجتهد في هذه الفرصة وأقضيها بين الأصحاب والأقارب بالفرح والسرور. هذه كانت آمالي. ولكن ويا للأسف لم يمض بضعة أيام من شهر رمضان [١٣٣٢] إلاّ وسمعنا بأن في نية الحكومة جمع العساكر لمناورة فقط. فهال الأمر علينا ولكنا ما لبثنا أن سمعنا بالنفير العام وبالسفر برلك فانقلب سرورنا مقتاً وغابت كل آمالي ولم أذهب إلى الكلية في هذا العام بل قضيته بالبطالة وقلة الشغل. أعني بالجندية التي لم تفدني ويا للأسف شيئاً يذكر.

أما الآن وقد مضى على النفير العام ما يقرب السنة تقريباً وقد كانت أول إشاعاته في مثل هذه الأيام. أحببت أن أذكر تنبئاتي هذا اليوم وإن كان قد فات أوانها.

كان أول رمضان السنة الماضية حلواً لذيذاً قضيته بالفرح والمسرات ولكن ويا للأسف انقلبت الأحوال. أما الآن فإن أوله وطول هذه السنة لم نر يوم سرور. فهل يا ترى نُسَرّ في آخر هذا الشهر لأن أوله كان كدراً علينا؟

[١١٩] [....](٣) حينئذ أذكر هذا اليوم وأقول إن نبوئتي هذه صدقت فاللهم

(١) تم إعلان النفير العام «سفر برلك» يوم الجمعة بداية تموز/يوليو ١٩١٤ حين قرعت الطبول بعد صلاة الجمعة في المسجد الأقصى، وتم إعلان دخول الدولة العثمانية الحرب رسمياً بالتحالف مع ألمانيا.
(٢) يبدو من السياق أن إحسان كان يدرس في بيروت حينذاك إذ زار صيدا وعاليه وزحلة ودمشق بعد انتهاء دراسته وقبل أن يصل إلى القدس.
(٣) كلام محذوف من الأصل، وربما كان ذلك قصداً.

حقق لي هذه الأمنية وفك أسرنا واجعلني أصدق هذه المرة في قولي. ولكن قلبي لا يبشرني بقرب الفرج. اللهم اجعلني في هذه المرة كاذباً وتبرم معاهدات الصلح وتنتهي هذه الحرب ويرجع كل منا إلى شغله. إنه سميع مجيب وما ذلك على الله بعسير.

كان شيخ الإسلام الحالي في العام الماضي في رمضان أصدر فتوى بوجوب إفطار العساكر الشاهانية(١) لأنها بحالة السفر. وقد كنت قرأت مرة في لائحة إطعام العساكر فقرة هذا معناها: في أثناء السفر بموجب الفتوى الشريفة يجوز للعساكر الشاهانية الإفطار. واليوم لبعد الظهر لم يبلّغوا إذا كان في نيتهم أن يصوموا العساكر ولكنهم بعد العصر جاء الأمر بعدم الصيام. أمّا اليوم فقد كانت العساكر بحسب رأيهم صائمون. وقد صمت في هذا النهار ولكني لم أحس فيه بل رأيته كغيره من الأيام ولم استصعبه قط.

بعد العشاء أخبرت أهل البيت بالفتوى الشريفة ولكنهم لم يسمحوا لي بالإفطار مع أنه يجب عليّ أن أفطر.(٢)

تغير بروغرام الشغل(٣) بسبب قدوم رمضان وصار الشغل في الصباح من ٩ ١/٢ إلى ١١ ١/٢ وبعد الظهر من ٢ ١/٢ حتى ٥ ١/٢ وفي الليل من ٨ - ٩ ١/٢ وهذا بروغرامهم في هذا الشهر.

قيل اليوم بأن روسيا أسرت في هيدنبورغ القائد الالماني الشهير مع عدد [....] ولكن [....].(٤)

(١) النظامية.
(٢) من الواضح أن أهل إحسان اعتبروا أن ابنهم العسكري ليس في «حالة سفر» توجب الإفطار، وأن اعتماده على الفتوى/العسكرية تبرير لعدم صومه.
(٣) الدوام الرسمي العسكري.
(٤) الفقرة الأخيرة مبتورة وغير مقروءة.

فتوى تبيح للعساكر النظامية الإفطار في رمضان

الثلاثاء ١٣ تموز ١٩١٥ [غربي]. ٣٠ حزيران ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١ رمضان ١٣٣٣ [هجري]

[١١٨] في مثل هذه الأيام [من السنة الفائتة] كنت راجعاً من الكلية بعد أن ذهبت بعد تعطيل المدرسة إلى صيدا وعاليه وزحلة ودمشق ويافه. رجعت وكنت مسروراً مبتهجاً فرحاً خصوصاً لأني أنهيت دروسي الاستعدادية وكان في نيتي في هذه السنة، لو لم يعلن النفير العام، الدخول في الصفوف العالية.[١]

لمّا رجعت إلى القدس[٢] كنت مصمم النية على أن أجدّ وأجتهد في هذه الفرصة وأقضيها بين الأصحاب والأقارب بالفرح والسرور. هذه كانت آمالي. ولكن ويا للأسف لم يمض بضعة أيام من شهر رمضان [١٣٣٢] إلاّ وسمعنا بأن في نية الحكومة جمع العساكر لمناورة فقط. فهال الأمر علينا ولكنا ما لبثنا أن سمعنا بالنفير العام وبالسفر برلك فانقلب سرورنا مقتاً وغابت كل آمالي ولم أذهب إلى الكلية في هذا العام بل قضيته بالبطالة وقلة الشغل، أعني بالجندية التي لم تفدني ويا للأسف شيئاً يذكر.

أما الآن وقد مضى على النفير العام ما يقرب السنة تقريباً وقد كانت أول إشاعاته في مثل هذه الأيام، أحببت أن أذكر تنبئاتي هذا اليوم وإن كان قد فات أوانها.

كان أول رمضان السنة الماضية حلواً لذيذاً قضيتهُ بالفرح والمسرات ولكن ويا للأسف انقلبت الأحوال. أما الآن فإن أوله وطول هذه السنة لم نر يوم سرور. فهل يا ترى نُسَرّ في آخر هذا الشهر لأن أوله كان كدراً علينا؟

[١١٩] [....][٣] حينئذ أذكر هذا اليوم وأقول إن نبوئتي هذه صدقت فاللهم

(١) تم إعلان النفير العام «سفر برلك» يوم الجمعة بداية تموز/يوليو ١٩١٤ حين قرعت الطبول بعد صلاة الجمعة في المسجد الأقصى، وتم إعلان دخول الدولة العثمانية الحرب رسمياً بالتحالف مع ألمانيا.

(٢) يبدو من السياق أن إحسان كان يدرس في بيروت حينذاك إذ زار صيدا وعاليه وزحلة ودمشق بعد انتهاء دراسته وقبل أن يصل إلى القدس.

(٣) كلام محذوف من الأصل، وربما كان ذلك قصداً.

حقق لي هذه الأمنية وفك أسرنا واجعلني أصدق هذه المرة في قولي. ولكن قلبي لا يبشرني بقرب الفرج. اللهم اجعلني في هذه المرة كاذباً وتبرم معاهدات الصلح وتنتهي هذه الحرب ويرجع كل منا إلى شغله. إنه سميع مجيب وما ذلك على الله بعسير.

كان شيخ الإسلام الحالي في العام الماضي في رمضان أصدر فتوى بوجوب إفطار العساكر الشاهانية[١] لأنها بحالة السفر. وقد كنت قرأت مرة في لائحة إطعام العساكر فقرة هذا معناها: في أثناء السفر بموجب الفتوى الشريفة يجوز للعساكر الشاهانية الإفطار. واليوم لبعد الظهر لم يبلّغوا إذا كان في نيتهم أن يصوموا العساكر ولكنهم بعد العصر جاء الأمر بعدم الصيام. أمّا اليوم فقد كانت العساكر بحسب رأيهم صائمون. وقد صمت في هذا النهار ولكني لم أحس فيه بل رأيته كغيره من الأيام ولم استصعبه قط.

بعد العشاء أخبرت أهل البيت بالفتوى الشريفة ولكنهم لم يسمحوا لي بالإفطار مع أنه يجب عليّ أن أفطر.[٢]

تغير بروغرام الشغل[٣] بسبب قدوم رمضان وصار الشغل في الصباح من ٩½ إلى ١١½ وبعد الظهر من ٢½ حتى ٥½ وفي الليل من ٨ - ٩½ وهذا بروغرامهم في هذا الشهر.

قيل اليوم بأن روسيا أسرت في هيدنبورغ القائد الالماني الشهير مع عدد [....] ولكن [....].[٤]

(١) النظامية.

(٢) من الواضح أن أهل إحسان اعتبروا أن ابنهم العسكري ليس في «حالة سفر» توجب الإفطار، وأن اعتماده على الفتوى/العسكرية تبرير لعدم صومه.

(٣) الدوام الرسمي العسكري.

(٤) الفقرة الأخيرة مبتورة وغير مقروءة.

البلدية تسرقنا مرة ثانية للصالح العام!

الأربعاء ١٤ تموز ١٩١٥ [غربي]. ١ تموز ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٢ رمضان ١٣٣٣ [هجري]

[١٢٠] تَعيَّن بدلاً من كاتب الطابور الذي كان عندنا [الضابط فارس] في المنزل [العسكري] كاتب طابور غيره وهو تركي تظهر علاماته عليه البساطة وخفة الدم. ولا أعلم إذا كنت سأبقى عنده. أمّا ما يظهر لي فهو يعاملني أحسن معاملة ويحترمني فوق العادة. ولكن لا أعلم إذا سيبقى هنا كانت ستبقى حالته معنا مثل هذه أم تتغير طباعه ولكني أرجو الله أن يبقيه عندنا على شرط أن لا أُهان، بل أبقى كما كنت عائشاً من قبل. هذا ما أرجو.

نهضت الساعة ٩ صباحاً وذهبت إلى المنزل [العسكري] ولم آكل شيئاً ولكن ما لبثت أن رجعت فرآني الدكتور فوتي[١] وكان راكباً في عربة فأوقف العربة وناداني وأخبرني بأن قوميسير البلدية قرر إذا لم يدفع والدي ال ١٥ ليرة فإنهم سيحبسونه ويدفعون الدراهم. أمّا هذه الدراهم فهي أثمان البالوعة[٢] التي يبنونها. وهي تمر من الطريق التي أخذوها منا ووسعوا الطريق بها في كرم الأعرج في الجهة الشمالية.

لا أعلم كيف لا يستحون على أنفسهم من هذه المعاملة. أخذوا منا ما قيمته أكثر من ١٥٠٠ ليرة افرنسية وهم يطالبوننا الآن ب ١٥ ليرة افرنسية. إن هذه والله لهو الظلم بعينه. لم تستفد الأرض بقدر ما خسرت. نعم إن الأرض استفادت ولكن استفادتها تعادل ما خسرته وأكثر.

ومن الجهة الثانية فإن جيراننا استفادوا بلا خسارة وكذلك البلدية. فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

[١٢١] ذهبت وأخبرت والدي بذلك فأعطاني الدراهم بالحال ولكني أرجعتها. وبينما كنت راجعاً إلى البيت في هذا المساء أوقفني عبد الرحمن أفندي[٣] وأخبرني أن أذهب في الغد إلى الرئيس الجديد أرطغرل بيك[٤] وآخذ الاستدعاء من هناك

---

(١) لم نستطع التأكد من اسم العائلة، لكن الأرجح أن يكون فريج.

(٢) أنابيب المجاري للصرف الصحي.

(٣) لم نتمكن من معرفة اسم العائلة.

(٤) عزلت القيادة العسكرية العثمانية سنة ١٩١٥ رئيس البلدية المنتخب، حسين - هاشم سليم الحسيني، وعينت مكانه رئيس بلدية تركياً بواسطة الأحكام العرفية التي كانت سارية حينذاك. =

والأمر لأنه أرسله مع صديقه الدكتور صالح زكي أفندي وهو من أعز أصحاب الرئيس المذكور. وقد قرر الرئيس بأن لا يدفع والدي إلاّ النصف. أعني ٧½ ليرة افرنسية. جزاه الله عنا خيراً.

بينما كنت ماشياً الظهر إذ رآني ابن خالتي حسن أفندي [الخالدي] وأخذني إلى البيت فوجدت والده هناك وحسين[١] وقعدنا جميعاً. ثم ذهبت إلى البيت ومن هناك رجعت إلى المنزل [العسكري].

= ثم أعيد تعيين حسين الحسيني قبل أيام من انسحاب الجيش العثماني من القدس في كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧، وذلك كي لا تضطر القيادة العسكرية إلى أن تسلم المدينة للجيش البريطاني المحتل.

(١) شقيق حسن.

مع محيي الدين الخالدي

الثلاثاء ٢٠ تموز ١٩١٥ [غربي]. ٧ تموز ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٨ رمضان ١٣٣٣ [هجري]

[١٢٢] نهضت الساعة التاسعة وذهبت إلى المنزل [العسكري] وبعد الغروب ذهبت إلى البيت وفي الساعة العاشرة نزلت إلى البلد وفي الساعة ١١ ١/٢ قبل منتصف الليل ذهبت لأول مرة ومحيي الدين [الخالدي] إلى البيت وقد سررنا جداً ومكثنا حتى الساعة ١ ١/٢ ونيف ثم خرجنا وكلنا ألسنة تمدح أهل البيت[١] على ما أظهروه لنا من مكارم الأخلاق واللطف. ثم ذهبت إلى البيت وتناولت السحور ونمت نوماً عميقاً مستريحاً من تعب هذا النهار.

في الحرم

الخميس ٢٢ تموز ١٩١٥ [غربي]. ٩ تموز ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٠ رمضان ١٣٣٣ [هجري]

نهضت في هذا النهار كعادتي في شهر رمضان. أعني في الساعة ٨ ٣/٤ ثم ذهبت تواً إلى المنزل [العسكري] وفي الساعة ١١ قبل نصف الليل مشيت ومحيي الدين [الخالدي] قليلاً في الحرم ثم ذهبنا إلى البيت ومكثنا حتى الساعة ١ ١/٢ ونيف. وكان سرورنا في هذا المساء عظيماً ثم ذهبنا وبعد أن تناولت طعام السحور ذهبت ونمت وكانت الساعة ٣ - أعني صباحاً.

(١) من غير الواضح من هم أهل البيت الذي قصداه.

اعتقال رئيس البلدية، أرطغرل بيك

الاثنين ٢٦ تموز ١٩١٥ [غربي]. ١٣ تموز ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٤ رمضان ١٣٣٣ [هجري]

[١٢٣] نهضت صباحاً وذهبت إلى المنزل [العسكري] ولم أرجع إلى البيت إلاّ بعد الظهر بساعة ونصف ثم ذهبت إلى المنزل. وقد كانت الحكومة قبل شهر ونصف ونيف كفت يد حسين [- هاشم] سليم أفندي الحسيني رئيس بلدية القدس، وعينت بدلاً عنه أحد الأتراك واسمه أرطغرل شاكر بيك. والبارحة صباحاً توجه محفوظاً إلى الشام. أمّا الأسباب فمجهولة وقد سمعت اليوم خبراً عند منتصف الليل ولكني لم أصدقه وهو أن الرئيس المذكور وصل يافا وذهب إلى بيت مبعوث القدس السابق حافظ بيك السعيد[١] واختبأ هناك ولكني لم أتحقق [من] هذا الخبر.

ويقال إن الحكومة ذهبت إلى بيت المذكور وألقت القبض على أرطغرل بيك وحافظ بيك ولا أعلم صحة هذا الخبر أيضاً. والبعض يقول بأن الرئيس لم يذهب مصحوباً بالتراندرمة[٢] تحت الحفظ غير أنه ذهب إلى الشام مأذوناً والحقيقة مجهولة بعد.

الحالة كما هي عليه سابقاً فكل شيء كل يوم ترتفع أثمانه وكدنا نفقد الضروريات فلا حول...

جاء قبل بضعة أيام ألماني لتحري المياه وقد سافر اليوم إلى الصحراء ليجد مياه هناك وقد قيل لي بأنه وجدها هنا في القدس في عدة محلات منها البقعة والطور وبجانب شنيلر (دار الأيتام السورية). وقد أخذ معه طعاماً على حساب الحكومة ما يكفيه لأكثر من سنة. وكل هذه الأشياء على حساب الحكومة فإنها اشترت له من السوق مأكولات فقط أكثر من ٢٠ ليرة. عدا عن الحوائج. وأخبرني أحد المستخدمين في المنزل [العسكري] وهو بكباشي مدير شعبة الإنشاءات في المنزل قال إنه يأخذ في كل يوم ٧ ليرات فقط.[٣]

(١) عضو البرلمان العثماني في الآستانة عن منطقة يافا.
(٢) الجاندرمة، الشرطة.
(٣) لا شك في أن الكاتب يقارن يومية الخبير الألماني بمعاشه في العسكرية، وهو ٨٥ قرشاً في الشهر.

أبناء الأشراف في المكاتب
والقرويون إلى الجبهة!

الاثنين ٩ آب ١٩١٥ [غربي]، ٢٦ تموز ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٢٧ رمضان ١٣٣٣ [هجري]

[١٢٤] ورد قبل بضعة أيام أمر من قلم أخذ العرض الثامن(١) في الشام مؤداه [أنه] يجب إرسال أسماء جميع الأفراد المتعلمة الموجودة في العنابر والمستشفيات والمؤسسات وما شاكل لسوقهم إلى الطوابير(٢) واستبدالهم بأفراد غير متعلمة وممن أخذوا خدمة غير مسلحة. وطلبوا إرسال الأسماء عاجلاً.

هذا الطلب هو على ما أرى في محله لو نظرنا الحقيقة. ولكني لا أظنه ينفّذ فإنه يذهب كما ذهب قبله مئات مثله في هذا السفر(٣) وذلك لعدة أسباب منها أن جميع الأفراد المستخدمة في المحلات الثابتة(٤) هي غالباً من أولاد المتنفذين والأشراف ومن متنوري هذا الشعب المسكين. وكلهم لم يقعدوا في محلاتهم إلاّ بالالتماس ورجاء عمرو. وكل ضابط إذا وجد في معيته من ريّحه(٥) لا يبدله بنفر(٦) لا يعرف الألف من العصى. والتاء من الباطية [؟] أو لا يتركه لأنه يستفيد منه مادياً. هذا ما أراه ولا أظن أن الحكومة ستنجح. وإذا فعلت وكان لا بد من ذلك فإنها ستأخذ القرويين والفقراء ليس إلاّ. ويذهبون ضحية غيرهم.

جاء قبل بضعة أيام تلغراف يقول فيه بأن الالمان دخلوا فارسوفيا(٧) وقد أخذوا من الروس بين قتيل وأسير أكثر من ٤٥٠٠٠٠. وقد ازدانت المدينة لهذا الخبر ثلاث أيام في لياليها. وإني كلما أتذكر ذلك يخطر في بالي المثل العامي القائل «القرعة تتباهى بضفائر بنت أختها». هذه حكومتنا. كلما سمعنا بانتصار الالمان نفرح ونزين كأن ألمانيا هي تركيا. نعم جميل أن نشارك حلفائنا في السراء والضراء ولكن بعد أن ننتصر نحن.

(١) الجيش الثامن، وكان بقيادة جمال باشا الصغير.
(٢) كتائب الجبهة.
(٣) السفر برلك، أي التجنيد.
(٤) يقصد الوظائف الكتابية بعيداً عن الجبهة.
(٥) أراحه.
(٦) أدنى رتب الجندية – عسكري.
(٧) وارسو عاصمة بولندا.

ولكننا لم نحرز طول هذه المدة انتصاراً يذكر لنفرح ونزين ونزعج العالم. ونعمل للالمان أكثر ما كنا نعمل لأنفسنا. فإن هذه الزينة في هذه المرة لم يسبق لها مثيل في هذه البلدة حتى ولا يوم إشاعة دخولنا إلى مصر. فبدلاً من أن نفرح يجب أن نندب سوء طالعنا ونبكي ونجدّ ونجتهد وننظر إلى ما فيه خير الأمة والبلاد. نفتكر في حالة الفقير في هذه الأيام ونصرف ما صرفناه في تلك الليلة على فقرائنا الذين هم أحوج الناس إلى المعونة. فبدلاً من أن نصرف دراهمنا على الشمع والفتاش(١) وما شاكل كان من الواجب أن نصرفه في سبيل الخير ولكن لمن المشتكى ولمن نقول؟ يجب أن نبكي على أنفسنا وعلى ما ألم بنا من المصائب في هذه المدة فلا حول ولا قوة.

ذهبتُ ومحيي الدين [الخالدي] في هذا المساء في الساعة ١١¾ إلى البيت ولكننا لم نمكث كثيراً لأن أهل البيت كانوا مشغولين.

(١) الألعاب النارية والمفرقعات الاحتفالية.

الحكم بالإعدام والسجن المؤبد على متنوري البلاد السورية والفلسطينية

الخميس ١ أيلول ١٩١٥ [غربي]. ١٩ أغسطس ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٢١ شوال ١٣٣٣ [هجري]

[١٢٦] قبل بضع سنين قام بعض متنوري الأمة السورية في بيروت يطالبون الحكومة العثمانية بالإصلاح وقد حذا حذوهم كثير من متنوري البلاد السورية والفلسطينية(١) وشكلوا جمعية ضمت خيرة شبان ومشايخ البلاد العربية وجعلوا قاعدتها مصر(٢) ثم أرسلوا وفداً إلى باريس واجتمعوا هناك عدة مرات وقابلوا كثير من كبار الفرنسويين وقرروا عدة أشياء. ثم رجعوا إلى بلادهم. ولمّا سقطت الوزارة الائتلافية أسكتت أصواتهم ولكنهم لم ينفكوا دقيقة واحدة عن طلب مطاليبهم. ولمّا أُعلن النفير العام في السنة الماضية [١٩١٤] وقويت سطوة الحكومة. لم يسكتوا هذه المرة بل صاروا يشتغلون ويجدّون بالسر والعلانية.(٣) إلى أن علمت الحكومة مقاصدهم فعينت عدة أناس ممن لا أخلاق لهم ليراقبوا حركاتهم وسكناتهم. فمسكوا عدة مكاتيب من مكاتيبهم التي كانوا يرسلوها لبعضهم وفيها أسماء بعض أفراد الجمعية وكثيراً منها أسماء لأناس لم تكن الحكومة تظن بأنهم من أفراد الجمعية. فألقت القبض على من وجدته في بلادها وساقتهم إلى ديوان الإدارة العرفية في صوفر(٤)

(١) لاحظ استعمال تعبير «البلاد السورية والفلسطينية» في مقابل تعبير «الأمة السورية».
(٢) الإشارة هنا - في الغالب - إلى تشكيل «حزب اللامركزية الإدارية العثماني» في نهاية سنة ١٩١٢ بتشجيع من الإدارة المصرية في القاهرة. وكانت القاهرة في ذلك الحين ملجأ المعارضة العربية للحكم العثماني.
(٣) السر والعلانية: أهم الأحزاب العربية في هذه الفترة - بالإضافة إلى حزب اللامركزية العثماني المشار إليه في الهامش أعلاه - كانت: جمعية العربية الفتاة، والعهد. تألفت الجمعية العربية الفتاة في باريس سنة ١٩٠٩ بقيادة عبد الغني العرايسي، وتشكل «العهد» في تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٣ في إستنبول بقيادة عبد العزيز المصري، وكان على اتصال بالتنظيم العسكري المعروف بالجمعية القحطانية في الجيش العثماني. ويدعي حسن كيالي أنه (أي عبد العزيز) استطاع أن يجند معظم الضباط العرب في العاصمة، كما كان له أتباع في بغداد والموصل بالإضافة إلى فروعه في لبنان وسورية وفلسطين - راجع: حسن كيالي، «العرب وتركيا الفتاة، ١٩٠٨ - ١٩١٨»، ص ١٢٣ - ١٢٥.
(٤) بلدة في جبل لبنان كان فيها مركز الإدارة العرفية العثمانية.

ساحة المدافع (بيروت ١٩١٥) حيث تم إعدام الوطنيين العرب شنقاً في آب/أغسطس ١٩١٥، وعرفت لاحقاً باسم ساحة الشهداء.

وحاكمتهم هناك. حكمت على بعضهم بالإعدام والبعض الآخر بالحبس المؤبد. وحكمت حكماً غيابياً بالإعدام على الغائبين.

أمّا من نُفّذ فيهم الحكم فهم أحد عشر شخصاً كلهم من خيرة شبابنا مثل عبد الكريم أفندي الخليل ومحمد ومحمود أفندي المحمصاني وغيرهم - وقد حُكم بالإعدام أيضاً على كل من حافظ بك السعيد مبعوث القدس السابق وعلى مفتي غزة ولكن نظراً لانتسابهم للعلم وكبر سنهم عفى عنهم جلالة مولانا السلطان وحكم عليهم بالحبس المؤبد. وقد حُكم بالحبس المؤبد [أيضاً] على رضا بك الصلح مبعوث بيروت سابقاً وعلى ابنه.

[١٢٧] أمّا بقية من حكم عليهم بالإعدام ولم ينفذ بعد نظراً لتغيبهم فيبلغ عددهم أكثر من ٦٠ شخصاً مثل رفيق بك وحقي بك العظم وعبد الغني أفندي العرايسي صاحب جريدة «المفيد» البيروتية. وحكم أيضاً بالإعدام على الدكتور شبلي شميل وعلى فارس نمر أحد أصحاب «المقطم» و«المقتطف». وعلى الشيخ رشيد أفندي رضا صاحب مجلة «المنار» الإسلامية التي تصدر بمصر. وعلى أحد أصحاب «الأهرام» وغيرهم ممن لم أذكر أسمائهم.

وقد نُفّذ الحكم قبل جمعتين [أسبوعين] ونيف على الأحد عشر شخصاً في

بيروت وشنقوا في بلد واحد وفي صباح يوم واحد وفي ساعة واحدة[١] قتلوا ولم يطالب أحد منا بدمائهم.

قتلت الحكومة أحد عشر شخصاً ولكنهم يساوون أكثر من ١١٠٠٠ شخصاً. أعدمتهم الحكومة لأنهم يسعون لرفع هذا الوطن. قتلوا في بيروت ونحن عن ذلك سكوت نيام... قتلوا في بيروت تلك المدينة العظيمة التي هي أم البلاد العربية ولم ينبس أحد منا ببنت شفة... [....].[٢]

[١٢٨] نشرت الحكومة بعد أن نفّذ الحكم بالإعدام منشوراً ادعت فيه أنكم خونة لكن حاشا الله أن تكونوا من هذه الفئة. نعم إنكم خونة للأتراك ولكنكم مخلصين لأمتكم ولأهليكم ولبلادكم... فلستم أنتم الخونة بل من وشى بكم. سامحكم الله قد انخدعتم بأناس واستسلمتم لهم وظننتموهم من المخلصين لكم ولأمتكم وأطلعتموهم على مكاتيبكم ولم تعلموا أنهم جواسيس الحكومة التركية... ولم تحسبوا لهذا اليوم حساباً وذكرتم في مكاتيبكم أسماء بعضكم ولم تصطلحوا على رموز وإشارات ونمر [أرقام] لأسماء بعضكم حتى قبضت عليكم الحكومة وفعلت ما فعلت.[٣]

... أنا لا أعرف أحداً منكم ولم أجتمع ولا بواحد منكم ولكنني فجعت لمّا سمعت هذا النبأ. فأستودعكم الله وستجتمع أرواحنا متى تمت المشاريع التي كنتم شرعتم بها والسلام عليكم أسيادي.

[١٢٩] أُشيع في هذه المدة بأن الأسطول الإنكليزي والأسطول الافرنسي محاصرا إزمير وقيل أيضاً بأن الإنكليز أنزلوا جنوداً إلى إزمير وقيل أيضاً بأن الإنكليز جلبت الآن ٣٠٠ ألف جندي وهم الآن في البحر المتوسط ينتظرون أقلّ أمراً يصدر. أمّا من جهة جناق قلعة[٤] فإن الأخبار قليلة وقلما يأتي خبر صادق والأخبار التي تردنا كلها تنبأ بفوز العثمانيين وبانتصاراتهم وبكمية الذخائر والغنائم وعدد الأسرى والقتلى إلخ...

بالاختصار فإن الأخبار التي ترد إلى هنا لا يعول عليها. أمّا أخبار بقية الدول فإنه

(١) تم الإعدام في ساحة البرج التي أصبحت تعرف لاحقاً بساحة الشهداء في صباح يوم ٢١ آب/ أغسطس ١٩١٥.

(٢) كلام محذوف.

(٣) قد يفسر هذا استعمال الكاتب للشيفرة في يومياته حين الإشارة إلى بعض الأشخاص والأحداث.

(٤) جبهة قتال على الدردنيل.

لا يأتينا إلاّ أخبار ألمانيا والنمسا وانتصارهما وقد انقطعت الأخبار في هذه الأيام مما يدل على أن في الأمر سراً لا نعلمه ولكن لا بد من أن الأيام تعرّفنا الأسباب. أمّا أخبار الصلح فهي مقطوعة عنا ولا نعلم إلى متى تنتهي هذه الأزمة ولكن الدلائل تظهر لنا أن الحرب ستدوم سنة أو أكثر.

إني أشبه هذه الحرب بأيام شباط. ففي الصباح يكون الطقس جيداً ولكن لا تمضي مدة من الزمن حتى يتغير الطقس وترعد وتبرق وتمطر وهذه حالتنا... [....].[١]

(١) عدة أسطر محذوفة.

لستُ عثمانياً إلاّ بالاسم لأن وطني العالم!

الجمعة ١٠ أيلول ١٩١٥ [غربي]، ٢٨ أغسطس ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٢ ذي القعدة ١٣٣٣ [هجري]

[١٣٠] أُرسل أمر تلفونياً مساء الأربعاء الساعة ٥½ إلى المنزل [العسكري] يقول فيه بأنه سُمع أن كثير من الأفراد المستخدمة في السنسور[١] والمراكز والتراندرمة [الجاندرمة/الشرطة] والمؤسسات وما شاكل هي من أهالي البلد الذي يُستخدمون بها. فبناء على ذلك فهو[٢] يأمر بأن لا يجوز لأحد من أهالي البلد أو القرى المجاورة أن يُستخدم في بلده. ويطلب تنظيم دفاتر بأسمائهم بعد أن يساقوا إلى منزل الجول[٣] في بير السبع وأن يعرفوا عن تاريخ سوقهم [نقلهم] وهناك (منزل الشول) يوزعهم إلى القطعات ويطلب منه أيضاً أن يرسل له أسمائهم ويبين له طريقة توزيعهم.

وقد استُثني من ذلك الأفراد الموجودة في الطوابير.[٤] ويهدد كل ضابط يهمل هذا الأمر ويبقي أي نفر كان في معيته بديوان الحرب. وعمم هذا [الأمر] إلى العرض الثامن هنا[٥] وإلى وكالة العرض الرابع والثامن في الشام وإلى جميع المنازل [العسكرية] الموجودة تحت سلطته.

حين تلقى المنزل [العسكري] هذا الأمر طلب تنظيم أسماء المقادسة والقرى المجاورة وقد حدد مدة [تنفيذه] إلى أول أيلول [تقويم عثماني].

أمّا الأسباب التي أوجبت جمال باشا على إصدار هذا الأمر فمجهولة. منهم من يقول بأن السبب في ذلك هو أن أحد الأفراد - واسمه سليم بن موسى بن عقل - بعد أن عينه المنزل في الرملة قدم استدعاء إلى صاحب الدولة جمال باشا قوماندان العرض الرابع وناظر البحرية وقائد الحملة المصرية يسترحم منه إبقاءه هنا مثل بقية مواطنيه المقادسة. وقد شرح له أعمال أولاد البلد وسفاهاتهم وكيف يعاملون ضباطهم. وهذا على ما أظن غير ممكن.

---

(١) رقابة المطبوعات والمراسلات.

(٢) جمال باشا الكبير.

(٣) الجول أو الشول في التركية العثمانية: الصحراء.

(٤) الكتائب العسكرية.

(٥) الجيش الثامن بقيادة جمال باشا الصغير.

والبعض الآخر يقول بأن بعض المستخدمين في السنسور وما شاكل قد تصاحبوا مع ضباطهم وتسافهوا وقد سمع [جمال باشا] بذلك ورأى الأوفق نقلهم. والبعض الآخر يقول إن السبب هو أنه لا يريد أن يرى أحداً يستخدم في محله. وهذا هو السبب الذي دعاه أن يصدر هذا الأمر العمومي ولكن الحقيقة مجهولة.[١]

وقد قام الكل وهاج لسماع هذا الخبر وصاروا يلتجؤن إلى بعض أشياء واهية كالمعاينة الطبية وما شاكل حتى يبقوا في القدس ولكن الأمر صارم ولا أعلم إذا كانت نساء اليهود وبعض أفراد الجيش يتداخلون في المسألة. ولكن إذا لم تتداخل النساء في المسألة لا بد لنا من أن نسافر والمستقبل كشاف الحقائق.

وقد جن مفتش المنزل [العسكري] لمّا سمع بهذا الخبر. أولاً لأن في معيته من يحبهم ولا يود أن يفارقهم. ثانياً أن كثير مِن مَن أتوا إلى البلد استفاد وأفاد الأمة حقاً فيهم. ثالثاً أنه فيما لو ذهب بعض أشخاص تتوقف حركة المنزل مثل الأعمالخانه[٢] لأنها ركن من أركان المنزل فإذا ذهبوا وكلهم من أولاد البلد فماذا يصنعون؟ لا بد أن روشن بيك سيجرب كل ما في وسعه حتى يبقى بعض الأشخاص هنا.

سمعتُ بهذا الخبر بعد وروده بربع ساعة على أكثر تقدير ولكنني لم أصدقه لأول وهلة. ولكنني أخيراً تحققت هذا الأمر لم أكن [أظن] أن جمال باشا يصدر مثل هذه الأوامر لأسباب ولا أعلم الأسباب التي أوجبته على إصدار هذه الإرادة.

[١٣٢] كثيرين من الناس يقولون لي بأن هذا لا ينفذ. ربما لا ينفذ في بعض أشخاص ولكنه [سوف] ينفذ على كثيرين من هم على شاكلتي أنا. من أعرف أو لمن أقول حتى يلتمس لي؟ وأنا لا أقبل على نفسي أن يلتمس لي لأن نفسي شريفة عزيزة لا تقبل ولا ترضى لي حتى أترجى لها. أنا أفضل الذهاب إلى هناك [الجبهة] من أن أرى أحداً يشمخ عليّ ويقول لي أتنسى المعروف الذي عملته لك في سنة كذا وكذا. لا لا لا أرضى أن أذهب وألتمس. ولكن إلى أين أذهب وماذا سيحل بي فيما لو ذهبت؟ وماذا أشتغل وهل لي قدرة على الشغل والمشي والتعب والعطش؟

أمّا هل أقدر أن أذل نفسي لزيد وعمرو حتى يبقيني في معيته أو يريحني؟

---

(١) يبدو من طبيعة التعميم - وهذا ليس خاصاً بأهالي القدس - أن قيادة الجيش الرابع أرادت تجنب أن يمارس أصحاب النفوذ الضغط على القيادة العسكرية المحلية لمحاباة أبنائهم، الأمر الذي يولد فوضى إدارية في هيكلية الجيش.

(٢) دائرة الأشغال العامة.

أذهب إلى الجول ولماذا أذهب؟ أذهب لأدافع عن وطني. أنا لست عثمانياً إلاّ بالاسم فقط لأن وطني العالم.(١) أأذهب حتى أموت جوعاً وعطشاً أو أن أتوه في الصحراء وأموت هناك؟ والله لو خيرت وقيل لي لو ذهبت يا إحسان إلى هناك لأخذنا مصر(٢) لو قيل لي هذا وتأكدت [من] ذلك وعلمت بأنني لا أتعب مطلقاً لما ذهبت.

[١٣٣] هل تريد الدولة الجنكيزية(٣) الوحشية البربرية أن تذهب وتملك مصر على ظهورنا وتخربها حتى تصير الأهالي والعالم أجمع بطعن من خطى خطوة واحدة هناك في سبيل تخليص مصر.(٤)

أنا لا أريد أن أذهب، ولماذا أذهب؟ هل لأنهم يعدونني ويعدون إخواني العرب [أن نكون] شركاؤهم في الملك؟ أم هل لأنهم سعوا في الماضي ويسعون في الحاضر لترقية الأمة العربية؟ وماذا رأينا منهم؟ هل أذهب لأنهم قتلونا مادياً وأدبياً؟ أذهب هناك وأهرق دمي هدراً؟ إن حياتي والله لعزيزة.

لو كانت الدولة دولة راقية وعاملتنا معاملة حسنة فأنا ومالي وحياتي وكل شيء فدا للوطن. ولكن ونحن على ما نحن عليه نقطة واحدة من دمي تساوي جميع ما في الدولة التركية.

أنا أحب أن أذهب، ولكن لا أحب أن أذهب كجندي عثماني إلى هناك. أحب أن أذهب حتى أدرس تلك الجهات وأعرف عنها وأحب أن أذهب حتى أتعذب ويزداد بغضي لهذه الدولة الطاغية. ولكن أخاف من أن أموت كما ذكرت جوعاً أو عطشاً أو أن أتيه في الصحراء.

إذا ذهبت ماذا يحل بوالدي وبوالدتي وجميع أهل البيت؟ لمّا سمعت والدتي ووالدي بهذا الخبر صاروا في قلق عظيم هذا قبل أن أذهب، كانوا يبكون لما كانوا يسمعونه هناك [الجبهة] عن المعيشة. فكيف بهم لو رأوا ولدهم ومهجة كبدهم يودعهم وهو ذاهب إلى هناك؟ لا شك أن حياتهم تصبح في خطر. وها نحن ننتظر إرادته ونحن الآن بيده يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير.

(١) هذا تعبير كثيراً ما استعمله خليل السكاكيني في يومياته خلال الحرب العالمية الأولى، ويبدو أن إحسان قد تأثر بأفكاره.
(٢) احتللناها.
(٣) نسبة إلى جنكيز خان.
(٤) من الاحتلال الإنكليزي.

هل يختاروني للذهاب إلى الجبهة؟

الأربعاء ١٥ أيلول ١٩١٥ [غربي]، ٢ أيلول ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٦ ذي القعدة ١٣٣٣ [هجري]

[١٣٤] مضى على الأمر الذي أصدره جمال باشا عدة أيام ولم تظهر نتيجة بعد حتى استأنس كثير منا وظنوا أن الأمر قد نُسي أو قد تلافته بعض الناس حتى ظنوا أنه أصبح في حكم كان. ولكنني أظن أنه لا بد من أن ينفذ هذا الأمر ولو في البعض منا. وإن قلبي يحدثني بأنني من جملة من يسافرون.

في هذا الصباح ورد أمر آخر تلفونياً من الأردو(١) الرابع إلى المنزل [العسكري] يقول فيه بأنه لا بأس من إبقاء الأفراد المحمودي السيرة والذين إذا ذهبوا تعطل الأشغال التي كانت منوطة بهم. والبقية يجب إبعادهم عن بلادهم.

وفي هذا العصر جاءت اللائحة المقيدة فيها أسماؤنا إلى قوماندان قرارگاه المنزل حتى يختار من يريد اختياره والبقية يسفّرونهم وقد دعى المذكور كاتبي. الذي أنا في معيته. ليحكم معه. ثم جاء الكاتب وأخبرني بأنهم سيسوقون ٣ أشخاص من المقادسة.(٢) ثم ذكر لي اسم طاهر أفندي الخالدي. فأوقفته وسألته إذا كان طاهر سيسافر؟ ولكنه غيّر الاسم ووقف وتذكر أنني من المقادسة وخاف على ما أظن بأن أبوح لأحد. ثم قال بأن اللائحة سترسل إلى مفتش المنزل روشن بيك وهو يختار من يستنسب بقاؤه ويسفّر من يريد. أمّا أنا فلم أعلم إذا كنت سأسافر أم أبقى. ولم يسمح لي كبريائي بأن أسأله عن نفسي. هل أنا من الثلاثة الذين سيسافرون أم لا. فهذا منوط به. لأنه إذا قال بأنه يلزم [يحتاج] لي فإنه بالطبع يبقيني ولا أسافر.

[١٣٥] وقد كان يظهر لي هذا الكاتب كل احترام ويظهر لي محبة فائقة ويودني حتى أنه لمّا سمع بخبر نقلنا جرب أن يتشبث بي حتى أبقى هنا ولكنه لمّا علم بأن لا فائدة من ذلك وقف عند حده، ولكنه صار دائماً يسألني عن هذه المسألة ويرسلني إلى فوق حتى أستفهم عن هذه المسألة. ولمّا سمع في هذا الصباح عن هذا الأمر حمد ربه. فهل يبقيني يا ترى أم يخاف ويرسلني؟ وهل إذا كتب وقال بأنه يستغني عني فهل المفتش يوافق أم يبقيني هنا؟

ولكن سواء ذهبت أو لم أذهب فإنني لا أترجى ولا ألتمس [من] أحد. ولا

(١) الجيش.
(٢) للنقل إلى خارج منطقة القدس.

أتزلف لأحد حتى أبقى هنا. فخير لي أن أذهب من أن أبقى تحت منية أحد عليّ.

لمّا جاء طاهر أخبرته بالقضية فاصفرّ واحمرّ واخضرّ وحسب ألف حساب. إلى أن قال بأنه سيذهب إلى عند صهره حسين أفندي سليم الحسيني ويخبره بالقضية حتى يذهب إلى عند روشن بيك. ثم سألني عن نفسي فأخبرته بالقصة وقلت له بأنني في الهواء لا أعرف إذا كنت على الشاطئ أم على البحر. فأظهر اهتمامه بمسألتي وقال لي «ماذا أفعل؟» فقلت: «ماذا أفعل أذهب [بموجب الأوامر]». ثم قال بأنه ذاهب إلى عند حسين أفندي ليكلمه بالقضية، وسألني إذا كنت أريد أن يخبره بأن يوصي المفتش عني أيضاً فلم أقدر إلاّ أن أقول له لا بأس. ولكنني لم أقل ذلك إلاّ لأنه هو الذي طلب مني ذلك ولم أود أن أكسر خاطره وأقول له لا.

ثم ذهب ولا أعلم ماذا فعل. هذا ما جرى وما عليّ إلاّ أن أنتظر نصر الله والفتح وأسكت ولا أنبس ببنت شفة وأصبر حتى ينتهي هذا الأمر. فإمّا أن أسافر وأذهب ولا أترجى أحداً ولا أكسر نفسي لأحد. وإمّا أن أبقى هنا بدون رجاء أحد فإن ذلك أوفق لي وأشرف. نعم أفضل الذهاب ولا أبقى أترجى هذا وذاك وأقول لهذا لا تنساني وإن كنت بذلك غداً أذهب وأموت ولا أقول لأحد ترج لي إلتمس لي ولا أكون مداناً لأحد. ولكن هل يا ترى يتركني مفتش المنزل [العسكري] وينساني؟ وهل يتركني والدي؟ وهذا ما أفتكر به. نعم إن والدي نفسه عزيزة إلى درجة لا توصف فهو لا يترجى لي ولو كان يعلم بأنني سأموت. ولكن الوسائل التي يستعملها إذا سافرت ترجعني كما رجعت من برك الخليل[١] حينما كنت ذاهباً إلى الصحراء. وهو لا يقدر أن يفارقني ويحبني محبة تفوق محبة جميع الآباء. ولا يقدر أن يفارقني يوماً واحداً وإن كان بذلك خسارة له.

أنا والله أحب أن أذهب إلى هناك[٢] ولكن تعيقني بعض أشياء وهي أخاف من قلة الماء والأكل. وثانياً. وهذه أهمها. أخاف إذا ذهبت أن أذل وأحتقر لأن جماعتنا[٣] ولله الحمد لا يعرفون إلاّ إذلال نفس الجندي وقهرها. هذا ما يجعلني أن أخاف.

لم أذهب ليلة البارحة إلى المنزل [العسكري] بل ذهبت لوحدي إلى البيت مساء

(١) برك الخليل: يبدو أن والد إحسان كان تدخل مع مفتش المنزل العسكري لإعادة إحسان من الخدمة على جبهة السويس في فترة سابقة. وقد تكون الإشارة إلى برك الخليل هي المنطقة المعروفة ببرك سليمان بين بيت لحم والخليل.

(٢) يقصد الجبهة.

(٣) يقصد قادة الجيش العثماني.

ونمت في الساعة ١١ ½.

صدر الأمر في هذه المدة بأن تنتهي فرصة الليل في الساعة ١١ قبل نصف الليل وهذا ظلم فاحش.

كان اليوم آخر يوم من المدة التي أنذرت بها ألمانيا رومانيا لتسمح لجنود ألمانيا حتى تخترق رومانيا وتأتي إلى الآستانة ثم تزحف بها إلى مصر.[١] بعد أن تكسر الجنود الإنكليزية والفرنساوية المرابطة على جناق قلعة ولا أعلم إذا كانت رومانيا تسمح لهم بالمرور.

(١) الإشارة هنا هي إلى سماح رومانيا بالعبور البري للجيش الألماني كي يلتحق بحلفائه العثمانيين في جناق قلعة التي تحاصرها الأساطيل البريطانية، وربما أيضاً المرور إلى الجبهة الروسية كما سيأتي.

فكرتُ في الانتحار

الثلاثاء ٢١ أيلول ١٩١٥ [غربي]. ٨ أيلول ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٢ ذي القعدة ١٣٣٣ [هجري]

[١٣٧] أرسلت ألمانيا قبل بضعة أيام إنذاراً إلى رومانيا طلبت فيه السماح للجنود الألمان المرور من الأراضي الرومانية إلى روسيا مع تسليم البنزين وما شاكل بثمن ٢٠٠ مليون مارك ولم تردنا لحد هذا التاريخ أخبار لا بالنفي ولا بالإيجاب مع أنه ورد قبل ثلاثة أيام خبراً برقياً ينبئ بقبول الرومان[1] بالمطاليب [الألمانية] ولكن لم يلبث أن ظهر أن هذا الخبر لا أصل له.

ثم أُشيع قبل هذا الخبر إشاعة مؤداها بأن البلقان أعلنوا الحرب على السرب [الصرب] ولكن الدلائل تدل على أنه لا صحة لهذا الخبر أيضاً خصوصاً وقد مضى على هذه الإشاعة أكثر من ١٠ أيام فلو كان صحيحاً لكنا سمعنا الأسلاك البرقية تردّ من فج عميق. الأخبار مقطوعة عن الحرب مما جعل الكل يظن بأن النصر قد أصبح نصير أعدائنا ولكن لا بد أن يأتي في هذه المدة تلغراف يستدل منه مجرى الحوادث في جناق قلعة وفي خلافها. لقد سئمتُ هذه المعيشة العسكرية وهذه الحالة التي أنا عليها الآن. والتي لا أقدر أن أجد لي فرصة ولا ساعة حتى أجدّ وأجتهد وأستعد على دروسي. لكني أقضي معظم نهاري في المنزل [العسكري] فإنني أذهب إلى هناك صباحاً الساعة ٨½ ولا أرجع إلاّ الظهر حيث أتناول طعام الغداء. ثم أرجع من حيث أتيت وفي الساعة السادسة ننصرف وأضطر إلى الذهاب إلى البيت حيث يكون قد دخل الليل. ثم أرجع مرة ثالثة بعد العشاء في الساعة الثامنة ولا ننصرف إلاّ بعد الساعة ١١ قبل نصف الليل. ثم أذهب إلى الفراش وتكون الساعة وقتئذ لا أقل من ١٢.

[١٣٨] أحب أن أطالع [ولكني] لا أجد وقتاً. أحب أن أكتب ولكني مشغول فماذا أفعل؟ لا أعلم. نعم لا أنكر بأنني مرتاح جداً وقلما أشتغل شيئاً بل أقضي نهاري كله قاعداً أمام طاولتي لا أعمل شيئاً بل أقتل وقتي قتلاً ويا أسفاه. حسرتي على الساعات والأيام والشهور التي قعدتها بلا شغل ولا عمل. أتمنى لو أجد شيئاً أكتبه ولكن أنى لي ذلك. أحب أن آخذ كتاباً معي إلى المحل الذي أنا فيه وقد

(١) نسبة إلى رومانيا.

جربت ذلك ولكنني رأيت أن الضابط يشمئز من ذلك وإذا كنت أقرأ فيه أضطر دائماً إذا سمعتُ قرقعة الباب أن أسكّر الكتاب. دع عنك الضجة وكثرة الكلام الموجودة في الغرفة التي أنا فيها الآن وهذا بالطبع يعيقني عن أن أفهم ما أقرأه... [....][1]

[١٣٩] كم فكرت في هذه المدة أن أنتحر لأتخلص من هذه الورطة ولكن شيئاً واحداً كان يردعني عن هذا العمل وهو لأني لا أحب أن أنكد عيشة من يحبني. فيرجع إليّ صوابي وأقول لا بد أن تنتهي هذه الحرب ويرجع كل منا إلى حيث يريد ولكن متى يكون ذلك؟.. [....].[2]

بعد أن تنتهي هذه الحرب إنشاء الله سأذهب سنة أو سنتين إلى كليتي ومن هناك لا بد أن أتعلم فن الزراعة وأذهب إلى أوروبا. وإذا لم يصح لي ذلك آخذ دروس تجارية ثم أخرج إلى العالم وأتزوج من أهواها وأعيش معها عيشة زوجين حقيقيين. هذه آمالي كلها. فأنا لا أطلب أن أكون كروكفلر في غناه أو كسبنسر في فلسفته أو مثل إدوارد غراي[3] في سياسته. بل إن غاية ما أطلبه [هي] أن أكون رجلاً متنوراً أعيش بعرق جبيني أذهب في المساء إلى بيتي وهناك أجد شريكة حياتي فأقعد معها ونتحادث فأنسى تعب نهاري كله ثم أنام وفي الصباح أنهض إلى شغلي وإذا رزقني الله ولداً أو ولدين أعتني بتربيتهم اعتناء تاماً وأعلمهم وأهديهم. هذه خطتي التي اخترتها. ولا أعلم إذا كنت أغيّرها في مستقبلي.

(١) سطر محذوف.
(٢) سطر محذوف.
(٣) سياسي بريطاني.

أحلامي وآمالي

القدس الأربعاء ٢٢ أيلول ١٩١٥ [غربي]. ٩ أيلول ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١٣ ذي القعدة ١٣٣٣ [هجري]

[١٤٠] القدس (١,٢')[١]

شرعت اليوم بأخذ دروس خصوصية لوحدي باللغة الافرنسية وأخذت على عاتقي أن أتعلمها حتى متى انتهت هذه الحرب أذهب إلى بيروت إلى الكلية الأميركية وأمكث هناك سنة فقط في خلالها أجدّ وأجتهد على اللغة الفرنسية حتى أتقن التكلم والكتابة بها.[٢] ثم أسعى مع أهل بيتي ووالدي إلى أن يسمحوا لي بالذهاب إلى سويسرا لأتعلم الزراعة.[٣] ومتى أخذت الشهادة وتممت دروسي الزراعية أشتري لي قطعة أرض أشتغل فيها وأعيش في البرية في الهواء النقي معتزلاً عن الناس بعيداً عن سمومهم وشرهم ثم أتزوج السيدة التي أهواها وأتمنى أن تكون هي لا غيرها شريكتي في حياتي لأني أعرف بأنني لو تزوجتها سأكون سعيداً إنشاء الله.

هذه هي آمالي الآن وهذه هي خطتي. أذهب صباحاً قبل بزوغ الشمس إلى الحقل وأشتغل بيدي مع الفلاحين في البرية حتى المساء ثم أذهب إلى بيتي وأقعد مع امرأتي وأحدثها عن شغلي وعن كل ما يحدث إلخ... فنقعد سوية فرحين ونعيش أرغد عيش سوية مما يجعل الكل يحسدنا على هذه النعمة ثم أذهب إلى فراشي بعد أن أنسى كل تعبي وأنام مستريحاً. وفي الصباح أذهب إلى شغلي وهلم جراً.

لا أذهب إلى المدينة إلاّ لأشغالي الخصوصية الضرورية. لا شيء. لا أحب إلاّ العزلة والانفراد. لله ما أجمل هذا العيش اللذيذ وما أسعد من يعش على هذا النسق. أنا لا أحسد مخلوقاً في شيء إلاّ من يعيش على هذه الطريقة. وأنا لا أتمنى ولا أطلب من الله شيئاً إلاّ أن أعيش مثل هذا العيش فما أجملها وما ألذها. هواء نقي وخلاء واسع وأشجار كبيرة وأزهار منعشة وخَضار مفرح وشمس ساطعة وقمر منير وماء عذبة ومعيشة لذيذة بسيطة وبيت صغير بسيط أيضاً تسكنه امرأة فاضلة عاملة مهذبة.

(١) هذا الإدخال الوحيد في اليوميات الذي يبدأ بكلمة «القدس»، يليه هذا الرقم (١,٢).

(٢) كانت اللغة الفرنسية هي اللغة السائدة في أوروبا والشرق الأوسط في مضمار السياسة والتجارة والدبلوماسية حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية.

(٣) يبدو أن إحسان اختار سويسرا لأنها كانت الدولة الأوروبية الرئيسية التي لم تكن طرفاً في الحرب الكونية.

كل هذه الأشياء لا توجد إلاّ في المزارع والحقول البعيدة عن الناس.

المُزارع لا يكون إلاّ حراً في أعماله وأشغاله وهي أفضل حرفة. فلو نظرنا إلى جميع الصنع والحرف لا نرى أجمل من هذه الحرفة الجميلة الشريفة. نعم أنا لا أنكر أن جميع الحرف شريفة مهما كانت. ولكن الزراعة أشرفها. التاجر لا يكون إلاّ مقيداً. إذا أراد أن يتاجر يضطر دائماً أن يضع في دكانه كلما هو ملائم ومناسب لآخر غيره. ويضطر دائماً أن يجامل هذا ويضحك مع ذاك حتى تروج بضاعته. وكثيراً ما يضطر إلى أن يخدع غيره حتى يروج بضاعته.

أمّا المُزارع فيخرج في الخلاء ويزرع في حقله كلما ما يراه مناسباً. وفي آخر السنة يصفي حسابه ويبيع [محصوله] لمن يريد بدون أن يتذلل لهذا أو يخدع ذلك بخلاف التاجر...

سأسعى كل ما في وسعي إلى أن أتعلم الزراعة ولكنني أرى صعوبات كثيرة في ذلك. أهمها أن [أهل] بيتي لا يسمحون لي أن أذهب إلى أوروبا حتى أتعلم. ثانياً. لو سمحوا لي وذهبت لا أعرف اللغة الفرنسية. ولكن هذا [لن] يمنعني عن الذهاب... [....].[١]

(١) سطر محذوف.

واسطة روشن بيك تمنع تسفيري إلى الجبهة

الخميس ٢٣ أيلول ١٩١٥ [غربي]. ١٠ أيلول ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١٤ ذي القعدة ١٣٣٣ [هجري]



مقاتلون عرب وأتراك في جناق قلعة (غاليبولي)، [1] ١٩١٥.

المصدر: مجموعة عايشة كفدار (إستنبول).

[١٤١] اليوم بعد الظهر جاءت ورقة باسم بعض أشخاص من المقادسة ومن جملتهم أنا وفيها يطلبون تسفيرهم [إلى الجبهة]. ولمّا قرأ الكاتب الذي أنا في معيته [إسمي] تكدر جداً وكذلك الكتبة الذين معي. وقد كان المحل الذي تعينت له الضاهرية وهي قرية تبعد ٧ ساعات [عن القدس]. [2] ولمّا سمعت أنا بهذا الخبر لم أنبس ببنت شفة ولكن الكتبة الذين معي ترجو الكاتب بأن يترجى لي. وقد تحير المسكين ماذا يصنع. أمّا أنا فلم أقل له ترجى لي أو إفعل لي كذا بل فضلت الصمت من أن أكسر نغمي له [أرجوه]. فقام وذهب ومسح إسمي. وتفصيل الخبر لمّا ذهب إلى الأركان حربية ليترجى لي قالوا له العتب كل العتب على قوماندان القرارگاه [3] لأنه لمّا سألوه عني أجاب بأنه يقدر أن يستغني عني. ثم ذهبوا إلى

(١) شهدت جبهة جناق قلعة – غاليبولي أهم معركة خاضها الجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى، إذ حقق فيها انتصاراً ساحقاً على الحلفاء، وبرز من خلالها مصطفى كمال بطلاً قومياً. وقد نجم عن هذه المعركة مئات الآلاف من الضحايا من الجانبين.

(٢) ٧ ساعات على ظهور الخيل، واليوم يمكن الوصول إليها في أقل من ساعة.

(٣) الضابط المسؤول.

روشن بيك ومسح إسمي. ثم جاء الكاتب وبشرني قبل أن يدخل الغرفة فشكرته. وأنا لا أنسى هذا المعروف له ما دمت حياً. ولا أعلم ماذا أقدر أن أجازيه عليه وأحب أن أفعل خيراً معه ولكن لا أقدر. أحب أن أهديه شيئاً ولكن الأزمة شديدة علينا. [1] ولكني لا بد لي أن أهديه شيئاً. وعلى كلا الحالتين فأنا لن أنسى له هذا المعروف.

قيل لي إن في نيتهم أن يسفّروا بوسطه أُخرى [....]. [2]

(١) يبدو أن الكاتب يخاف أن تفسر الهدية إلى الكاتب وكأنها رشوة.

(٢) قراءة الكلمة الأخيرة في السطر غير مؤكدة.

الشعب السوري والفلسطيني شعب ذليل جبان!

الخميس ٣٠ أيلول ١٩١٥ [غربي]، ١٧ أيلول ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٢١ ذي القعدة ١٣٣٣ [هجري]

[١٤٢] سترسل كل بلد من سورية وفلسطين شخصاً أو شخصين أو أكثر إلى جناق قلعة حتى يحيوا الشهداء الذين استشهدوا في هذه الحرب وليزوروا الجرحى وليشجعوا الأحياء ويحثوهم على الجهاد. إلخ... وقد ذهب عن القدس كل من الشيخ طاهر أفندي أبو السعود مفتي السادات الشافعية والشيخ علي أفندي الريماوي. وقد سافروا قبل بضعة أيام إلى الآستانة.

إن حالة هذه الحكومة عجيبة والله. ماذا تعني من ذلك؟ هل المراد من ذلك حتى تجمع الكلمة بين الأمتين العربية والتركية أم المراد هو أن تُري للملأ أنها تسعى لرفع شأن هذا الدين حتى تجعل الشعب يتقرب منها؟ أم المقصود هو أن تُخرس وتُسكت فم كل من هو شيخ بهذا العمل حتى ترضيهم. إني والله لم أفهم مما تعمله شيئاً. ولكن فلتعلم بأن هذا الشعب مستاء من حكومته جداً ولو لم تكن الحكومة قوية الآن لكان رأوا أشياء لم يحلموا بها. ولكن بالحقيقة إن الشعب السوري والفلسطيني لهو شعب خامل ذليل جبان ولو لم يكن كذلك لكان تدبر هذه الأمة البربرية التركية. أي بني قومي دعوكم من كلام ووعود الحكومة الفارغة فما هي إلاّ علاك[١] وما أظنها تفعل شيئاً لكم وما تفعله لكم الآن ما هو إلاّ لكي تسكتكم وتعمي عيونكم.

نادى المنادي اليوم بأنه في كل يوم جمعة سينزل أحمد جمال باشا قائد الفيلق الرابع وناظر البحرية إلى المحكمة الشرعية وهناك يسمع دعوى من يريد فما المعنى يا ترى؟

الأخبار مقطوعة الآن البتة. وقلّ أن يرد خبراً وفي هذا اليوم سمعت بأن الجيش الألماني انسحب من استحكاماته التي هو الآن فيها في فرنسا ٣ كيلومترات. هذا تصريح الأجانس.[٢] فإذا كانت الألمان الآن تقر فالحمد لله. وإذا كانت تقر بأنها انسحبت ٣ كيلومترات فيجب أن نضع أمام الثلاثة صفر حتى تصير ٣٠ كيلومتراً. لا شك بأن

(١) كلام فارغ.
(٢) وكالة الأنباء.

الجيوش الألمانية – النمساوية الآن بادئة بالانهزام مما يبشر بالفرج إنشاء الله. نحن نريد أن تنتهي هذه الحرب على أي وجهة كانت. فسواء كانت تسحق الإنكليز أو الفرنساويين أو الألمان أو الأتراك أو أي دولة كانت فإنه لا يهمني إلاّ أن أخرج من هذه الحرب سالماً. لو كانت هذه الحكومة راقية تعاملنا معاملة أحسن فما كنت تلفظت بمثل هذا الكلام بل [إن] حياتي وحياة جميع أهلي وأقاربي فداء للوطن. ولكن شعرة من رجلي ونقطة من دمي تساوي عرش بني عثمان.

أستودعك الله يا ثريا!

الأحد ١٠ تشرين الأول ١٩١٥ [غربي]، ٢٧ أيلول ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١ ذي الحجة ١٣٣٣ [هجري]

[١٤٤] لا يخلو إنسان في هذا العالم من آمال يطلبها ويجدّ ويجتهد لتحقيقها. فمنهم من ينجح ومنهم من يخيب أمله وقلما نجد إنساناً آماله ومطالبه توافق آمال غيره. أمّا آمالي ومطالبي التي تتوقف عليها سعادتي فهي ما يأتي:

١ - بعد أن تنتهي هذه الحرب وأتخلص من سلك الجندية أجدّ وأجتهد على اللغة الفرنسية إن أمكنني وأذهب إلى الكلية الأميركية في بيروت وأتمم دروسي. وإن أمكنني أن أذهب إلى أوروبا حتى أتعلم الزراعة وهو الأوفق. أنا أرى وأفتكر بأنني فيما لو اتخذت الزراعة حرفة لي لأنجح تماماً وإني أعتقد بأن هذه الحرفة هي أحسنها لي وأجملها. كيف لا وأنا أعيش وقتئذٍ بعيداً عن العالم وشره وعن الناس وضررها. أعيش في الخلاء حراً في أعمالي وأشغالي. أشتغل مثلما أريد لا أحد يزاحمني. أعيش من تعب جبيني أرجو الله أن يحققه كيف لا وأنا أكون حراً في أشغالي وأعمالي أكون مرتاح الضمير فلا توجد السعادة الحقيقية إلاّ في الحقول والبراري وإذا لم تتحقق هذه الأمنية أي الزراعة أتعلم التجارة وأفتح لي محلاً تجارياً أشتغل فيه بكل أمانة وجد واجتهاد واستقامة... [....][1]

٢ - أمّا الأمل الثاني فهو ما يخطر على بال كل إنسان وخصوصاً الشبان. وهو أن أتزوج السيدة ثريا (وهو اسم سمّيته لتسمية عنطرق وقد اخترته لها أنا لوحدي بدلاً من أن أكتب اسمها أيضاً بالأحرف التي اصطلحتُ عليها لاسمها وإني كلما أريد أن أذكر اسمها سأسميها به). وأعيش معها معيشة يحسدنا عليها الجميع. أعيش معها في الخلاء بعيداً عن الناس.

أنا لا أرى السعادة إلاّ بها. هذا اعتقادي. أنا لا أعرف لماذا أحبها كل هذا الحب وأنا لم أقعد معها ولا ثانية ولم أرى صورة وجهها إلاّ لمّا كانت صغيرة. وقبل أربعة أشهر ونيف حين رأيتها وهي داخلة إلى بيتها وقد كانت رافعة الحجاب عن وجهها عن غير قصد منها. ولكني مع كل هذا أهواها وأحبها حباً لا يتصوره إنسان.

أنا أعتقد بأني لا أرى السعادة إلاّ فيما لو أخذتها وتزوجتها ولا أعيش إلاّ عيشة سرور وعز وهناء، عيشة زوجين حقيقين.

(١) كلام محذوف.

أنا أعلم وأتيقن بأن هذه السيدة تجهل تماماً المعرفة بالأمور البيتية[1] ولكني أعتقد بأنها تعيش معي أحسن معيشة فيما لو كانت امرأتي. هذه السيدة هي خيرة السيدات المسلمات وهي أرقاهن علماً وأدباً وتربية وألطفهن. ولا أبالغ إذا قلت بأنه لا يوجد لا في القدس ولا في فلسطين مثلها. فهنيئاً لي إذا تزوجتها.

أحب هذه السيدة حباً خارقاً للعادة وهي لا تذهب عن فكري لا في الليل ولا في النهار ولا أعلم لماذا أميل لها كل هذا الميل ولكني لا أعلم إذا كانت هي أيضاً تميل إليّ وتحبني كما أحبها. أنا لا أحب أن أتزوج إلاّ بعد أن أتمم دروسي بعد ٣ أو ٤ سنوات على أقل تقدير ولكني أخاف في هذه المدة من أن يفترسها غيري ويتزوجها في هذه المدة.

[١٤٦] لمّا كنت صغيراً كان أهلي يقولون لي عنها حتى صرت أهواها وأحبها كل هذا الحب. وعلى ما أظن أن أهلها يعرفون. وقد طالما خطبها كثير من الوجهاء ولكن أهلها كانوا يرفضون.

وهذا ما جعلني أن أسلّي نفسي وأظن بأن أهلها يعرفون بأن في نيتي أن أتزوجها. وقد تذكرت قصة وأنا أكتب هذه الأسطر. أحب أن أوردها هنا. وهذه القصة تجعلني أعتقد بأنهم يعرفون تمام المعرفة بذلك وهم لا يريدون بأن يزوجوها إلاّ لي.

لمّا خطبها أحد المقدسيين ورفض أهلها ذلك قالت لأمها إحدى النساء كثيرات الكلام «أتريدين أن تزوجيها لفلان وترميها هناك حتى لا تعلم ابنتك كبيراً لها في البيت[2] لها في العيش؟» فأجابتها أمها بأن ليس لها أن تتدخل في مثل هذه الأشياء. وأن هذه المسألة من خصائصها. هذه القصة لها تجعلني أعتقد بأن أهلها ينوون بأن يزوجوها لي.

آه يا رباه فهل تصح أحلامي وآخذ السيدة ثريا. هذا ما أفتكر به دائماً. فسعادتي لا تكون إلاّ بك يا سيدتي ثريا.

إعلمي أيتها الحبيبة وتيقني بأني لا أهوى إلاّ أنت ولا أحب أن تكون لي امرأة غيرك ولا أفتكر بأحد إلاّ بك... أستودعك الله يا سيدتي ثريا. أستودعك الله يا محبوبتي!

(١) كان هذا أحد أسباب تردد إحسان في التقدم لخطبة ثريا [نعمتي] كما جاء في يومية سابقة، إلاّ إن تردده كما يبدو تبدد بعد أن رآها من دون حجاب.

(٢) هذا تعريض من السيدة المذكورة بأن والد إحسان لا يعيش معهم، وإنما مع زوجته الأولى.

قلبي يتفتت عليهن

الخميس ١٤ تشرين الأول ١٩١٥ [غربي]، ١ تشرين الأول ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٥ ذي الحجة ١٣٣٣ [هجري]

[١٤٧] لم أذهب البارحة إلى المنزل [العسكري] بل ذهبت إلى البيت من بعد المغرب ومكثت حتى الساعة الثامنة وربع.

جاء في هذا النهار طياران إنكليزيان قبضت عليهما الحكومة بالغرب من غزة وقد نزلا في المسافرخانة العسكرية[١] ولكنهما أخيراً أنزلوهما في دير راهبات القربان.[٢] أمّا تفصيل القبض عليهما فهو كما يلي: جاءا من مصر في طيارة وكانا قد حلقا فوق طوابير العملة الموجودة في الصحراء وبعد أن حلقا أيضاً فوق بير السبع ارتدا فسقط برغي البنزين فأنزلا الطيارة إلى الأرض لكي يضعا غيره فكان في الغرب منهما خيام عرب[٣] هناك فجاؤا ومسكوهما وكتفوهما وساقوهما وفي هذا المساء جاءا إلى القدس.

ورد في هذا النهار تلغراف لقائد الفيلق الرابع أحمد جمال باشا فيه إعلان الحرب بين البلغار والصرب في ٢٩ - ٣٠ أيلول [تقويم عثماني]. كلما نقول بأن الحرب تنتهي قريباً ونظن بقرب الفرج تزداد المسألة غموضاً وتعقداً حتى زهقت نفوسنا من هذه الحالة. تباً لمن لا يسعى لإبطال هذه الحرب إذا كان في وسعه. لقد مات العالم جوعاً ولم يعد باستطاعتهم أن يتحملوا أكثر من ذلك.

كلما أمر في النهار وأرى النساء يشحدن ولا معين لهن وهن حاملات أولادهن في الأسواق ويطلبون متاليكاً[٤] ولا يجدن من يعينهن على طلبهن يتفتت قلبي عليهن. كم من امرأة شريفة عفيفة باعت عرضها أو تطلب أن تبيعه لتعيش هي وأولادها ولا يجدن أحداً حتى يفعل بهن. إن حالتنا هذه والله لهي من أشد الحالات. جوع وغلاء معيشة وقلة أشغال وحرب هائلة ورجال تموت في ساحات الحرب لم يرى التاريخ مثلها. فمتى تنقضي هذه الأزمة يا ترى؟

---

(١) نزل لإقامة العسكر عند تنقلهم من منطقة إلى أُخرى.
(٢) في الغالب هو دير راهبات صهيون في المدخل الشرقي من البلدة القديمة، قبالة المدرسة العمرية حالياً.
(٣) مضارب بدو.
(٤) جمع متليك، وهو العملة النحاسية.

لعنة الله على أنور وعلى جمال!

[١٤٨] حالتنا تعيسة لا بارك الله لمن كان السبب فيها. لعنة الله عليك يا أنور ويا جمال وعلى كل من كان على رأيكما. تقولون إن الوطن في خطر وأنتم الآن تحلون أحد الأمرين إمّا الموت وإمّا الحياة وما تعلمون أنكم أنتم الذين أوقعتم الوطن في خطر أليس كان الأوفق لكم أن تبقوا على الحياد وتتركوكم من كل ذلك؟ ماذا تريدون من هذه الحرب يا ترى؟ هل تريدون أن تملكوا العالم وتفتحوها أم تريدون أن تأخذوا أم تريدون أن ترجعوا مجدكم القديم وأنتم لا تعلمون بأنكم سببتم الويل لوطنكم الذي تدعون بأنكم تريدون أن تخلصوه؟ دعوكم يا قوم جنكيز من ذلك. بلادكم كبيرة وأراضيكم واسعة لا تريد إلاّ ذهباً ورجالاً يشتغلون بها. لو صرفت هذه الملايين على بلادكم لكنتم أفدتم وأستفدتم ولكن الجهل عماكم وألمانيا قد خدعتكم فالسلام عليكم وعلى بلادكم وعلى آمالكم يا قوم تيمورلنك.

زارنا قبل بضعة أيام جيش جرار من الجراد ولكنه لم يلبث أن توجه من طرفنا لا رده الله. إذا عاد في هذه المرة الجراد لا شك بأنه سيقضي على كثيرين منا بسبب ما يلحقه بنا من الخسارة. نحن ما صدقنا حتى يذهب عنا قبل بضعة أشهر ثم عاد في هذا العام [١٩١٥] يريد أن يكمل ما تركه في المرة الأولى.

رباه ارحمنا، أشفق على فقرائنا. أشفق على أولادنا إذا كنت لا تريد أن تشفق علينا. إرحمنا يا الله، لم يعد في استطاعتنا أن نتحمل أكثر من ذلك. أشفق على الأقل على الأطفال الذين قد أصبحوا يتضورون جوعاً. إذا كنا قد أخطأنا فما ذنب الصغار؟ أشفق وارحم فإنك رحيم شفيق.

انتصارات عسكرية كاذبة!

الأربعاء ٢٠ تشرين الأول ١٩١٥ [غربي]. ٧ تشرين الأول ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ١١ ذي الحجة ١٣٣٣ [هجري]

[١٤٩] بمناسبة عيد الأضحية[1] عطلت جميع الدوائر العسكرية البارحة واليوم فلذلك لم أذهب في هذا النهار ولا البارحة. ولكن المنزل [العسكري] على ما بلغني لم يعطل في هذين النهارين. زارنا في هذا النهار جيش من الجراد وقد نزل في البلد وأكل ما أكل ثم طار إلى جهة غير معلومة.

لا تزال الأخبار مقطوعة. فقلما يرد من الأخبار إلاّ ما لا يوثق به حتى إن الأجانس[2] والتلغرافات التي ترد في بعض الأيام قلما تذكر شيئاً عن أخبار الحرب. بل غاية ما تذكره مثلاً «في اليوم الفلاني هاجمنا الأعداء. ولكننا أصليناهم ناراً حامية وقد غنمنا منهم ذخائر ومهمات[3] حربية». مثل هذا التلغراف ترد التلغرافات والأخبار...[4]

(١) الأضحى.
(٢) وكالة الأنباء.
(٣) يقصد معدات.
(٤) ترك الكاتب بقية الصفحة فارغة.

وفاة عمتي صفية

السبت ٦ تشرين الثاني ١٩١٥ [غربي]. ٢٤ تشرين الأول ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٢٨ ذي الحجة ١٣٣٣ [هجري]

[١٥٠] في هذا النهار في الساعة الثالثة افرنجية قبل طلوع الفجر انتقلت إلى دار البقاء عمتي السيدة فضية[1] على أثر مرضة في الكلا [الكلى] والقلب وتنفخ في الجسد وقد صار لها في هذه المرضة ما ينوف عن العشرة أشهر. وقد كانت قبل هذه المدة مريضة. عاشت رحمها الله ما ينوف عن السبعين عاماً قضتها في الصلاة والصوم وقراءة القرآن والصلوات على النبي ولم تنفك يوماً واحداً عن عبادة الله. كانت رحمها الله كريمة طاهرة القلب حسنة الأخلاق تحب الضعيف[2] وتعمل الأعمال الخيرية مع كل من تعرفه مستحقاً ولا تنفك يوماً واحداً عن عمل الخير حتى إنها كانت في حالة النزاع وهي تعمل الأعمال الخيرية وتقرأ الأوراد وتصلي على النبي.

كانت رحمها الله تحب النظافة والترتيب فلم أر قط في حياتي لا نساء ولا رجال على شاكلتها. كانت تحبنا حباً جماً ولم أذكر بأنها كدرتنا قط إلاّ إذا كنا عملنا شيئاً يضر بصوالحنا.[3] كانت تنصحنا وتعظنا وتغضب علينا وخلاف ذلك لم تكدر أحداً منا.

وقد كانت محبتها لي رحمها الله تفوق محبة الجميع حتى إنني جئت ليلة البارحة من المنزل [العسكري] ودخلت إلى البيت الذي كانت فيه وقعدت وسألت من كان عندها في ذلك الوقت فأخبروها بأنني موجود فصارت ترضي عليّ وترحب بي وتغني ترحيباً بي. فإنني لا أنسى قط حسن معاملتها لي أبداً.

كانت رحمها الله تعرف كيف تدير البيت فكان الكل يخدمها ويخاف منها. حتى الغرباء كان يحسبون حسابها.

شيعت جنازتها الظهر وقد خرجت من البيت والكل باكٍ ومترحم عليها. ثم دفنت وذهب كل من المشيعين إلى محله. رحمها الله. إن وفاتها والله قد كدرتني جداً لأنها كانت محبة لي وعزيزة عليّ ولكن ليس في اليد حيلة. ماتت وخلفت ورائها ذكرها الجميل.

(١) في الصفحات التالية تسمى صفية، ويبدو أن هذا أقرب إلى الصحيح.
(٢) الضعيف: أو الضيف.
(٣) بمصالحنا.

أحمد جمال باشا
ينتقل مع أركان الفيلق الرابع إلى حلب

السبت ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٥ [غربي]، ٧ تشرين الثاني ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٣ محرم ١٣٣٤ [هجري]

[١٥١] كانت فيّ دوخة صفراء من مدة طويلة وهي لا تزال حتى الآن فإني إذا قمت بعد أن أكون قد قعدت أنهض وأحس بدواخ. وقبل ثلاثة أيام (الثلاثاء) بعد أن تناولت طعام الغداء، وقعدت أتحادث مع أهلي نهضت فدخت ثم وقعت على الأرض من شدتها [الدوخة] ولكني لم ألبث حتى نهضت. ولم يحصل لي مثل هذه المرة كما أذكر إلاّ مرتين وقد ذهبت إلى الطبيب في وقتها. واليوم ذهبت إلى الدكتور [توفيق] كنعان وأخذت علاجاً وقد علمت من ابن خالتي حسين [الخالدي] بأن [مصدر] هذه المرضة من الكبد وسببها الأكل.

من مدة والأخبار مقطوعة عنا مما يدل أن في المسألة سر يخفى علينا. ولا بد للأيام من إظهاره. الذي يطالع في هذه الأيام الجرائد والتلغرافات يستنتج أشياء كثيرة عن سوء حالتنا وحالة ألمانيا معاً. فإنها تذكر انكسارات الالمان بكلام غامض. مثل قولهم ارتد الجيش الالماني عن المحل الفلاني لقلة عدد جنوده وتوفر عدد الأعداء. أو ارتد الجيش الالماني لخدعة حربية. ويذكرون أيضاً عن حالة حلفائهم وما هم عليه من الضيق. وذلك أيضاً بطرق خفية. وقد أُشيع في هذه الأيام بأن أنفرس ولياج وبروكسل وغيرها(١) التي كانت قد أخذتها ألمانيا في هذه الحرب قد رُدّت إلى أصحابها. وأُشيع أيضاً بأن ملك بلغاريا قد قتل. ولكنها إشاعات لم تتحقق بعد.

انتقلت الآن ساحة القتال من أوروبا إلى البلقان وسيكون انتهاءها إنشاء الله هناك لأنها بدأت هناك وتنتهي هناك.(٢) هذا رأي الجميع ورأيي أيضاً.

لا تزال اليونان على الحياد وقيل بأن الوزارة الحالية ستستعفي وتُخلفها وزارة فنزيليوس المشهور بميله للحرب.

أُشيع بأن الخط الذي مدّ إلى بير السبع قد أطلقت عليه بعض طيارات الأعداء

(١) مدن في بلجيكا.
(٢) إشارة إلى مصرع ولي العهد النمساوي في سراييفو الذي كان السبب المباشر في إشعال الحرب العالمية الأولى.

القنابل – على الخط والمحطة – ولكن لم يتحقق [الخبر] بعد.

سافر قبل شهر تقريباً إلى حلب ومنها إلى حيث لا يعلم إلاّ الله صاحب الدولة قائد الفيلق الرابع وناظر البحرية أحمد جمال باشا هو وأركانه وكل دائرته إلاّ القليل منهم. أمّا الأسباب التي أوجبته أن يترك القدس خصوصاً وقد قرب ميعاد الزحف إلى مصر فهي مجهولة. ولكن لا بد من أن يكون في تلك الجهات حركة أوجبته السفر إلى هناك.

[١٥٢] بينما كنت قبل بضعة أيام أتفرج على الصور في مقتطفات دار الحرب (وهو محل البوسطة(١) الالمانية سابقاً اتخذته ألمانيا الآن لتضع فيه بعض الصور والجرائد العربية والتركية والالمانية والافرنسية. كل ذلك حتى تستجلب قلوب الاتراك ومع ذلك فإنه لا ثقة للأهالي بهم)، إذ رأيت في مجلة «ثروت فنون» التصويرية التركية – وهي من أهم الجرائد التركية وأكثرها انتشاراً – رأيت صورة «بانق نوت»(٢) إنكليزي وجد مع أحد الجنود الإنكليزية مكتوب عليه باللغتين الإنكليزية والتركية. فما السبب يا ترى؟ السبب أن إنكلترا قد تحققت بأن الآستانة ستكون من نصيبهم [....](٣) لأسباب واضحة جداً.

كادت الأهالي أن تموت جوعاً فقد فُقدت جميع الأشياء حتى الضرورية والتي من داخل مملكتنا أو قطعتنا التي نسكن فيها. ولم يعد للأهالي أن يتحملوا أكثر من ذلك. فإن الطحين قد صار رطله يساوي ٨ غروش عملة البلدة [القدس]. هذا من [إنتاج] بلادنا. فكيف بك بالأشياء التي تردنا من الخارج مثل السكر الذي يساوي رطله الآن أكثر من ٦٠ غرشاً عملة القدس. والأرز مجيدي(٤) ونصف. وغيرها.

يقال بأن الجنود الذين سيزحفون على مصر قد وصل كثيرين منهم. وسيحضرون في هذه الأيام إلى القدس أو إلى خلافها. ردهم الله إلى بلادهم سالمين. إنه سميع مجيب.

(١) مركز البريد.
(٢) يقصد بنكنوت، وهي عملة ورقية. والأغلب أن هذه النقود كانت مطبوعات دعائية، لكن المؤلف فهمها بغير ذلك.
(٣) كلمة غير مقروءة.
(٤) قطعة نقدية من الفضة كانت تساوي عشرين قرشاً.

تأجيل الزحف على مصر

الخميس ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٥ [غربي]، ١٢ تشرين الثاني ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٨ محرم ١٣٣٤ [هجري]

[١٥٣] جاء في التلغراف في هذا النهار بأن بلغاريا قد استولت على مناستير (وهذه البلدة كانت قبل الحرب البلقانية ولاية عثمانية ثم استولت عليها الصرب) وها هي الآن كما جاء في الأخبار بأنها في يد البلغار.

ورد تلغراف في ٨ منه [تشرين الثاني ١٣٣١] حساباً شرقياً[١] يفيد بأن جلالة السلطان[٢] وجه إلى ناظر البحرية وقائد الفيلق الرابع أحمد جمال باشا رتبة فريق مجازاة له على خدماته وما أحرزه من انتصارات في هذه الحرب.

ماذا فتح وماذا عمل هذا الرجل يا ترى حتى توجه إليه هذه الرتبة؟ لو قالوا فقط جراء خدماته لتركيا وجه عليه السلطان رتبة فريق لسكتنا - لأنه قتل عدة رجال من خيرة شبابنا لأنهم يسعون لأخذ استقلالهم. أمّا قولهم على ما أحرزه من الانتصارات الباهرة، فأي انتصار أحرزه يا ترى؟ هل على مصر وفتحه إياها؟ أم ماذا؟ ولكن عفواً فإنه انتصر على أعدائه وفتح بلادهم التي لم تكن إلاّ فقط بالاسم بلادهم. ولكن فليطمئنوا بالاً ما دامت هذه حالتهم فإننا سننسلخ عنهم إنشاء الله السميع العليم.

ما أقول هنا ليس لأنني منسوب إلى جمعية[٣] قد علمت من أخبارها ذلك. كلا فإنني لا أقول ما أقول إلاّ عن فكري الخصوصي وليس ذلك حقنا من أحد.[٤]

بلغني في هذه الأيام بأن أصحاب الحل والعقد في الآستانة قد رأوا من الأوفق ذهاب القائد جمال باشا إلى هناك ولكن ذلك ليس إلاّ من باب الإشاعات.

سمعت قبل مدة أن تركيا قد عدلت عن الزحف إلى مصر في هذا الصيف لعدم توفر المعدات الحربية والجنود ولكن ذلك أيضاً من جملة الإشاعات. يقال بأن الإنكليز قد استولوا على بغداد في هذه المدة.

الأمراض تفتك فتكاً ذريعاً في جهة حلب وحمص حتى قيل بأنه يموت يومياً أكثر

(١) يقصد في التقويم العثماني.
(٢) محمد الخامس.
(٣) يقصد إحدى الجمعيات العربية المناهضة للحكم العثماني.
(٤) يقصد أنه لا يردد قول أحد ما بل يقول رأيه، وقراءة الجملة غير مؤكدة تماماً.

من ٦٠ أو ٧٠ شخصاً وأكثرهم من الأرمن.

يقال بأن رومانيا قد أعلنت الحرب ولكن على من لا أعرف. والغالب علينا! وقيل قبل أيضاً بأن جنود الأعداء قد وصلت إلى حوالي حلب ولكنني لا أرى ذلك إلاّ من الأكاذيب التي تذاع كل يوم.

هل يثور أهالي فلسطين
نتيجة انقطاع القمح والطحين؟

الاثنين ٢٧ كانون الأول ١٩١٥ [غربي]، ١٤ كانون الأول ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٢٠ صفر ١٣٣٤ [هجري]

[١٥٤] لم أر في حياتي أياماً مثل هذه الأيام ولم أشعر في أزمة إلاّ في هذه الجمعة [الأسبوع]. لم يكن ذلك علينا وحدنا بل على الجميع. فإن القمح والخبز قد انقطع من يوم السبت حتى إن كثيراً من الأهالي لم يذوقوه في هذه المدة.

بينما كنت ذاهباً في هذا الصباح إلى المنزل [العسكري] رأيت في باب العمود كثيراً من الرجال والنساء، والأولاد هناك وقوفاً ويزاحمون بعضهم بعضاً ليشتروا كمية من القمح ليقتاتوا بها. كذلك لمّا رجعت إلى البيت وقت الغداء رأيت أن العدد صار أضعاف أضعافه وجلهم من الفلاحين. فتكدرت من هذه الحال جداً وقلت في نفسي: مسكين أيها الفقير. ولكن لا. كلنا مساكين في هذه الأيام.

قبل يومين نفذ الطحين من عندنا وكذلك لم يبق عندنا ذلك النهار ما نقتاته. فأعطى والدي أخي عارف دراهم ليشتري لنا خبزاً فذهب ولم يترك محلاً إلاّ وذهب إليه ولكنه أخيراً رجع بيديه[1] ولم يجد خبزاً. فكان في البيت أحد أقاربنا وقالوا لنا بأنهم سيرسلون لنا سميداً حتى نقتاته في ذلك النهار فشكرناه على هذه المعروف. وقد كانت أول البارحة شقيقة ستي[2] أم إبراهيم فلمّا شاهدت ذلك أرسلت لنا البارحة صباحاً كمية من الطحين لا تنقص عن الثلاثة أرطل.[3] لو لم يرسلوا لنا البارحة الطحين لكنا بلا خبز في هذا النهار. فهل بعد هذه الأزمة أزمة أخرى؟

ما كنت أظن والله بأننا سنفتقد الطحين من بلادنا وهي مصدره. وما كنت أظن بأننا سنفتقد القمح من عندنا [البيت] هذه حالة والله لا يرضاها أحد. فمن الملوم بذلك يا ترى؟ أليس المسؤولية على الحكومة؟ أليست الحكومة مجبورة على تأمين راحة ومعيشة الأهالي؟ لقد أرادوا أن يعملوا خيراً ولكنهم لم يدروا بأن أعمالهم قد

(١) يقصد صفر اليدين.
(٢) شقيقة جدته.
(٣) مفردها رطل، وهو يساوي ٢٥٦٤ غراماً. والكلمة آرامية الأصل.

أصبحت بلاء علينا.

لقد حددوا فئة للقمح وللطحين.[1] حسناً فعلوا ولكن أليس من الواجب عليهم قبل أن يصدروا هذه الفئة بأن يترووا ويدبروا طرق لإيصال القمح إلى هنا فيما لو امتنعت الأهالي عن بيعه. أرادوا بقرارهم هذا على زعمهم أن يشدوا عضض الفقير ولكنهم لم يدروا بأنهم يضرونه في هذا العمل. الغني مهما ارتفع ثمن القمح يدفعه بلا تأفف ولا خسارة بخلاف الفقير الذي إذا دفع بارة واحدة بزيادة تضر بماليته.

إذا انقطع القمح مدة عن القدس أو عن غيرها فإن معظم الأغنياء قد احتاطوا وخزّنوا في بيوتهم مؤنة سنة أو أقل أو أكثر. والذي لم يخزن قمحاً أو طحيناً ونفذ من عنده كما صار معنا فإنه قد يستغني عنه يوماً لما يجده في بيته من المؤنة. ولو كان ذلك خسارة عليه. هذا ولا أعلم ماذا سيحل بهذه الأمة الفقيرة المسكينة. أليس كان من الواجب على الحكومة بأن تخزن شيئاً من القمح وما شاكل من قبل حتى تبيعه في هذه الأيام إلى الفقراء والأهالي، أو أن يأخذوا من عنابر العسكرية، ثم متى ورد خلافه إلى القدس يسلموهم المقدار الذي أخذوه منهم.

هذا ولا بد إذا ظلت الحالة على ما هي عليه يحصل ما لا يحمد عقباه وتثور الأهالي على هذه الحكومة فتندم حينما لا ينفعها الندم. فيا حكومة الأتراك تروَّ في هذا الأمر واحضري قمحاً لرعيتك قبل أن تثور عليك! فإنهم يقدرون أن يستغنوا عن كل شيء إلاّ عن الأكل وخصوصاً القمح. استغنينا عن الأرز وما سألنا. استغنينا عن السكر وما صعب علينا. استغنينا عن الكاز ولم يهمنا. استغنينا. استغنينا إلخ. ولكننا لا نستغني عن القمح فيجب عليك أن تعرفي ذلك فوق معرفتك أيتها [....].[2]

[نزلت] العملة في هذه الأيام اعتباراً من أول هذا الشهر حساباً شرقياً فقد صارت العملة كما يلي والقرش على حساب أربع متاليك.

(١) الإشارة كما يبدو هي إلى تخصيص كميات من القمح للوصول إلى المستهلك بعد أن كان الجيش يصادر الإنتاج الزراعي لاستخدام القوات المسلحة.
(٢) شتيمة غير مدرجة في الأصل.

[الأسعار الجديدة للعملة العثمانية]

العملة الجديدة	العملة القديمة
غروش	غروش
١٢٠ الليرة الإنكليزية	١٣٦,١٠ الليرة الإنكليزية
١٠٨ الليرة العثمانية	١٢٥,١٠ الليرة العثمانية
٩٥ الليرة الافرنسية	١٠٩ الليرة الافرنسية
٢٠ المجيدي	٢٣ المجيدي

٥ الربع [القرش على حساب ٣ متاليك وبارتين ونصف]

ديون والدي تهدد أثاث بيتنا

[١٥٦] والدي مديون لبنكير عدني يهودي من رعايا الإنكليز اسمه بنين على ما ينوف عن الـ ٨٠٠ ليرة. وحسب البرتوكول الذي أصدرته الحكومة لا يجوز الدفع له.[١] وحسب القانون الجديد الذي صدر مؤخراً لا يجوز دفع ما على الأهالي من [دين] ولا تغيير كمبيالات الأجانب. وصهر هذا الخواجا بنين رجل اسمه بنحاس يعرف والدي من قبل. ويوجد لبنحاس بيت أسكَنَ فيه رئيس الديوان العرفي. فقبل ٢٠ يوماً تقريباً رآني بوليس وأراني ورقة فيها أسماء عدة من الوطنيين[٢] ومن جملتهم والدي يطلبون فيها بأن يدفعوا ويركو[٣] عن بنين المذكور. وقد كانت حصة والدي ٦٥ ليرة افرنسية. فأخبرت والدي بذلك. وفي يوم الثلاثاء الماضية حضر البوليس يطلب والدي إلى الديوان العرفي. فعلمنا بأنهم لم يطلبوه إلاّ لهذا الأمر. فذهب والدي في الوقت المعين ولم يجد واحداً هناك. رجع ثم ذهب ثانية وواجه رئيس الديوان العرفي وقال له بأن يدبر المبلغ المذكور في ظرف يومين أو ثلاثة. وقد كان دخل قبل والدي أحد المطلوبين لذات الأمر ولمّا اعترض بكلمة صغيرة أخذ يشتمه ويصخب عليه. فما كان من ذاك [الرجل] إلاّ أن قدم استدعاء إلى قومندان الأردو الثامن[٤] يقول فيه بأن الديوان العرفي طالبه للدفع عن أحد رعايا الإنكليز وبما أن ذلك مخالفاً للقانون فيطلب رفع هذا الطلب عنه.[٥] فأحاله جمال باشا إليه قائلاً بأنه لا يجوز ذلك. فلمّا رأى رئيس الديوان العرفي ذلك أرسل للمدعي عليه وقال له «إنني أطلب ذلك منك بصفة رجاء لا بصفة قانونية». فلمّا رأى ذلك هذا الرجل خجل ووعد بدفع شيئاً مما عليه. فأخبرتُ والدي بذلك وقال بأنه سيدفع له أيضاً شيئاً قليلاً.

وفي تلك الجمعة [الأسبوع] أيضاً جاء التخليص[٦] إلى بيتنا عدة مرات يطلب والدي لدفع ما عليه من مال الويركو. وقد كان والدي يوعده. ولو لم يتدخل خالي أبو

---

(١) كونه مواطناً بريطانياً، أي أنه تابع لدولة في حالة حرب مع الدولة العثمانية.

(٢) المواطنين المحليين، أي العثمانيي التابعية.

(٣) ضريبة أملاك عثمانية تم إلغاؤها في بداية الفترة الانتدابية.

(٤) الجيش الثامن بقيادة جمال باشا الصغير (المرسيني).

(٥) إلغاء هذا الطلب.

(٦) قد تكون الإشارة إلى محصل الضرائب.

رشيد أفندي بهذا الأمر لكانت الحكومة أنزلت مفروشاتنا إلى سوق الدلال.[1] أمّا القيمة فتزيد عن الـ ٥٠ ليرة عثمانية والحاصل فإن الجمعة [الأسبوع] الماضية مرت علينا كالزفت. أرجو أن لا يعيد [الله] علينا ولا دقيقة واحدة مثلها.

(١) المزاد العلني.

يوم ميلادي[1]

الخميس ٣٠ كانون الأول ١٩١٥ [غربي]، ١٧ كانون الأول ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ٢٢ صفر ١٣٣٤ [هجري]



إحسان الترجمان في لباس مدني بمناسبة عيد ميلاده الثالث والعشرين.
المصدر: مجموعة صالح الترجمان.

[١٥٧] كنت سمعت البارحة بأنه ستصير زينة هذا النهار لأنه عيد من أعياد الدولة. فتعجبت جداً وقلت عجباً ماذا سيكون هذا العيد؟ هل [هو] عيد من أعياد السلطان. ولكن لا. قد يكون أنه في العام الماضي في مثل هذا اليوم قبلت الدول لغو [إلغاء] الامتيازات.[2] ولكن ذلك مستحيل لأن ذلك كان على ما أذكر في أيلول. إذاً ما [هو] هذا العيد؟

(١) العنوان في الأصل، وبخط كاتب اليوميات.
(٢) الامتيازات التجارية التي سمحت لبعض الدول الغربية (النمسا وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وروسيا) بإنشاء مناطق محمية وبريدها الخاص في مدن سواحل الدول العثمانية خلال القرن التاسع عشر.

ذهبت صباحاً إلى المنزل [العسكري] ورأيت البوليس يرغم الأهالي على [تعليق] الزينة. ثم أخيراً علمت بأنه في مثل هذا النهار استقلت الحكومة العثمانية. أو بالحري أسسها السلطان عثمان الأول. فقلت في نفسي لماذا لم تتذكر حكومتنا ذلك إلاّ في هذا العام؟

بلغني بأنه تعين قائداً لحملة مصر الميرلاي الالماني فون غره سن بيك وهو من كبار القواد.[1] أمّا سيدنا جمال باشا الكبير فقد صار فريقاً. وسيظل قوماندانا للأردو الرابع[2] ولكن ليس قائداً للحملة المصرية. ولكن بالطبع يكون القائد تحت أمره.[3] وقد سميت هذه الوظيفة الجديدة وظيفة فون غره سن بك قائد الحملة الأولى (برنجي سفرية قوماندانى) ولا أعلم ماذا يعنون بهذه التسمية؟ هل في نيتهم إرسال حملة ثانية في السنة المقبلة إذا لم تفلح هذه؟ ولكنهم هاجموا في العام الماضي وكان بالحري أن يسمّوا هذه الحملة بالثانية - ولكن لا عفواً فقد نسيت بأن حملة العام الماضي لم تكن إلاّ «تعرض واستكشاف»!

أخبرني أحدهم بأن البارحة كان موعد قدوم بعض قطاعات [الجيش] إلى القدس ولكن لم يرد خبر عن مجيئهم البارحة ولا اليوم. وقد قال أحدهم بأنه بعد أن خرجت الجنود من الآستانة جاءها تلغراف للرجوع ولا يعلم ذلك إلاّ الله والراسخون في العلم.

قال لي أحد محبي هذه الدولة بأنه تحقق [من] قدوم جنوداً عثمانية إلى هنا. بدأت الضباط الالمان تتوافد من البارحة.

(١) فون غره سن بيك: كما كانت تكتب الأسماء الألمانية بالتركية العثمانية، وهو الجنرال Fredrick Kress Von Kressenstein، القائد الألماني ورئيس أركان الفيلق الثامن.

(٢) للجيش الرابع.

(٣) المقصود أن فون كريسن سيكون شكلياً بإمرة جمال باشا على الرغم من كونه قائداً عاماً للحملة المصرية، وذلك لكونه ألمانياً في الجيش العثماني.

استعمالي الشيفرة في الكتابة

السبت ٢ كانون الثاني ١٩١٦ [غربي]. ٢٠ كانون الأول ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٢٩ صفر ١٣٣٤ [هجري]

[١٥٨] البارحة حضر إلى القدس كمية من الهجانة المتطوعين لا يقل عددهم عن ال ٥٠٠. وقد كان قد حضر منهم في الجمعة [الأسبوع] الماضية بلوكين[1] متفرقين. وهؤلاء، كما سمعت، عربان المدينة المنورة تطوعوا ضد الإنكليز ويأخذ النفر منهم راتباً شهرياً لا يقل عن الخمسة ليرات عثمانية.

وقد قدم أول البارحة مساء أيضاً كمية من الهجانة ولكنهم جنود مثلنا.[2] غير أن معاش النفر كما بلغني ليرة واحدة عثمانية.[3]

بدأت الجنود تتوارد إلى هنا مما يدل على أن في نية الحكومة الزحف مرة أخرى على القنال. ولكن ماذا سيكون نصيبنا في هذه المرة؟ لا شك بأنه سيلحق بنا ما لحق بنا العام الماضي. هذا ما أظن وربما كنت مخطئاً في هذا الظن. ولكن من يصدق بأننا سنكسر أسطول إنكلترا وجيشها ونزحف إلى مصر. إذا سلمنا وقطعنا القنال - وهذا غير ممكن - ودخلنا في الداخلية[4] فمن يضمن لنا بعدم مجيء قوة كافية من البحر الأبيض؟ ومن يضمن لنا بعدم قطع خط الرجعة؟ هذا ما لم أفهم حتى الآن وربما متى دخلنا القنال إنشاء الله أفهم ما لم أكن أفهم.

الأحد:[5]

(١) كتيبتان.

(٢) يقصد من الجيش النظامي.

(٣) ليرة عثمانية: يقارن الكاتب راتب الجندي الحجازي براتب الجندي المقدسي، وهو ٨٥ قرشاً في الشهر.

(٤) الداخلية: التوغل داخل مصر غربي قناة السويس.

(٥) تمكنا من فك جزء رئيسي من الشيفرة الرقمية، وبناء عليه يمكن قراءة الجمل المشفرة كما يلي: «لم أتكدر ولم أسمع كلاماً قاسياً مثل هذه المرة، فقد قال لي بأني لم أعمل ما أمرني به، وقد بقيت طوال هذا النهار....». أمّا جدول فك الشيفرة الذي يصلح لقراءة الشيفرة الرقمية في الصفحات التالية أيضاً فهكذا: أ: ١٢، ب: ٣٢، ج: ٦٥، د: ٢٣، هـ: ٧٢، و: ٦١، ز: ...، ح: ٨٦، ط: ٣٦، ي: ٨٣، ك: ٢٧، ل: ٣٨، م: ٤٩، ن: ٥٠، س: ٦٧، ع: ٥٨، ف: ٧٠، ص: ٨٩، ق: ٨١، ر: ٤٥، ت: ٤٣، ث: ...، ذ: ٤٣[؟]، ض: ٢٥[؟]، ظ: ...، ة: ٧٤[؟]. (زكريا محمد)

–٣٨, ٤٩–٢١, ٤٣, ٢٧, ٢٣, ٤٥– ولم ٢١, ٦٧, ٤٩, ٥٨–٢٧, ٢١, ٤٣, ٣٢, ٨٣–٢٧, ٣٨, ٢١, ٤٩, ٢١– مثل هذه المرة فقد قال ٣٨, ٨٣–٣٨, ٢١, ٥٠, ٨٢– ثم ٢١, ٥٨, ٤٩, ٣٨– ما ٢١, ٤٩, ٤٥, ٥٠, ٨٣– به وقد ٣٢, ٨١, ٨٣, ٤٣–٣٦, ٦١, ٣٨ هنا ٢١, ٣٨, ٥٠, ٧٢, ٢١, ٤٥–٥٦, ٥٨, ٢٧, ٤١–

تزداد الأزمة المالية كل يوم في بلادنا لطف الله بعباده.

[١٥٩] بينما كنت أكتب مفكرتي اليوم ناداني والدي فهرولت وذهبت إلى عنده ظناً أن في الأمر أهمية يريدني بها فسألته عن مراده[1] ٨٣, ٨٩, ٨٣ ويقول أنا ٤٩, ٤٣, ٢٥, ٢١, ٨٣, ٨١ و٢١, ٤٩, ٢٧– ٤٢, ٣٢, ٣٤, ٤٥, و٣٥, ٥٨, ٣٦, ٨٣– ٢١, ٣٩, ٢٥, ٨٣, ٦١– ٦٧, ٨٣, ٢١, ٢٥, ٤٣ والحاصل فإنه بقي ٨٣, ٨٩, ٨٣, ٨٦ عليّ شيء له. ثم تركته وانصرفت –٥٨, ٨٣, ٣٢ والله ٥٨, ٣٨, ٨٣, ٧٢ ال ٢١, ٥٦, ٤٩, ٧٢– ٥٨, ٣٨, ٨٣, ٧٢ فقط و٧٠, ٣٨, ٢٧, ٥٠, ٧٢ قدير ٨٧, ٤٥, ٧٠ فلا ٥٨, ٤٣, ٣٢– ٥٨, ٣٨, ٨٣, ٧٢.

ثم ذهبت وقصصت ل ٦١, ٢١, ٣٨, ٢٣, ٤٣, ٨٣–٢٧, ٣٨ ما ٦٥, ٤٥, ٨٣–

البارحة (السبت) افتكرت لأن أعمل رقماً استعمله في بعض الأحيان يلائم الحرف بدأت فيه أول البارحة مقدار خمسة دقائق ولكني ما لبثت أن زهقت وتركته. واليوم اشتغلت في هذا مقدار ١٠ دقائق. وهكذا متى اعتمدت على الأرقام وقد كتبتها عندي على ورقة لتكون مفتاحاً لما أكتبه وها أنا اليوم بدأت بكتابة الأرقام. وهذه الطريقة هي هينة جداً خصوصاً متى أتقنها الإنسان.

(١) تقول الأحرف المشفرة: «... أنا متضايق [؟] وأمك تبذر وتعطي الضيوف سيكارات [؟] والحاصل فإنه بقي يصيح [؟] عيب والله عليه..... لكنه قد خرّف، فلا عتب عليه، ثم ذهبت وقصصت لوالدتي كل ما جرى». (زكريا محمد)

انتصارات عثمانية في الدردنيل
وقصف حيفا ويافا من البحر

الاثنين ١٠ كانون الثاني ١٩١٦ [غربي]. ٢٨ كانون الأول ١٣٣١ [عثماني]

الموافق ٦ ربيع الأول ١٣٣٤ [هجري]

[١٦٠] البارحة مساء ورد تلغراف من قائد الأردو الرابع[1] جمال باشا بأنه جميع الأعداء (إنكلترا وفرنسا إلخ...) الموجودة في البحر قد ارتدوا جنوباً[2] ولم يبق لهم هناك أحداً. وقد أمر في التلغراف بأن تعطل جميع الدوائر في هذا اليوم (الاثنين) كذلك في المساء وأن يعطى لجميع العساكر حلوى هنا. وقد أمر أيضاً بأن تحيى هذه الليلة وتنار وتزيّن جميع المحلات وتضاء الأنواء. وقد استُثني من ذلك الجنود الموجودة في الساحل. فلمّا سمعت هذا الخبر وعلمت بالزينة قلت في نفسي «لا بد أن يقلب سرورهم مقتاً لأننا في كل مرة نزين ونفرح للانتصارات التي أحرزناها ينقلب سرورنا مقتاً في اليوم التالي».

ولم يكد يمر هذا الخاطر على بالي حتى سمعت ما يلي: جاءت قبل بضعة أيام سفن حربية على حيفا وأطلقت نيرانها على المستعمرة الألمانية[3] حتى أصبحت فراغاً. ثم سمعت ممن أثق به – والمخبر سمعه من أحد المستخدمين في القول أردو الثامن[4] [بأنه] ورد تلغراف البارحة مساء لقوماندية الأردو الثامن فيه خبر إطلاق القنابل على يافه وقد قيل بأن القول أردو قد أرسل ضابطاً إلى بيت [غرفة؟] التلغراف ليستفسر عن الخبر ولكنه بقي أكثر من ساعة وربع ولم يأخذ جواباً.

وقد قيل بأنه فيما لو اضطرت الحكومة إلى إرسال جنودها فإنها سترسل الفرقة السابعة والعشرين. أعني فرقة القدس. فقلت في نفسي ماذا تقدر أن تفعل هذه الفرقة أمام مدافع الحربية.

قبل بضعة أيام انفجر في العفولة[5] ٤٨ صندوق ديناميت والمخبر قال بأنه مات

(١) الجيش الرابع.

(٢) يبدو أن المقصود منطقة الدردنيل وغاليبولي.

(٣) الحي الألماني في حيفا، وكان معروفاً بـ«الكولونية الألمانية».

(٤) قيادة الجيش الثامن بقيادة جمال باشا الصغير.

(٥) قرية وسط مرج ابن عامر.

أيضاً ٤٨ رجلاً وقد سُمع صوت الانفجارات من حيفا.

الحالة في بغداد سيئة جداً فقد فرت إلى هناك عدد لا يستهان به من الجنود التي كانت ذاهبة إلى القتال ثم غيروا خططهم إلى هناك [العراق]. ولحدّ هذا التاريخ لم يأت غير الحمالة والهجانة إلى هنا.

هروب جمال الصلاحي إلى مصر
وجمال باشا ينتقم من عائلته

السبت ٢٢ كانون الثاني ١٩١٦ [غربي]، ٩ كانون الثاني ١٣٣١ [عثماني]
الموافق ١٦ ربيع الأول ١٣٣٤ [هجري]

[١٦١] فر إلى مصر جمال الصلاحي نجل حسين أفندي الصلاحي. وكيفية فراره هي كما يلي: جاء مأذوناً إلى القدس وقد كان ترجماناً أو كاتباً لأحد المهندسين الالمان المخصوص بهندسة الآبار في الصحراء. ثم ذهب من هنا إلى السبع [بئر السبع] وهناك اتفق مع أحد العربان إلى أن يوصله هناك [؟] فأوصله ثم ارتد إلى السبع فتراكم الشغل على الالماني واضطر إلى أن يرسل إلى هنا تلغرافاً يطلب فيه جمال المذكور. فلمّا بلغ والده ذلك أرسل تلغرافاً يخبره بتاريخ سفره وأخبره أيضاً بأنه أخذ منه تلغرافاً بوصوله إلى السبع. ولمّا جاء البدوي إلى السبع استعلم [عنه] منه بأنه فر إلى مصر. فلمّا سمع جمال باشا قائد الحملة في ذلك الوقت أمر بإرسال والده إلى بير السبع ليشتغل في طوابير العملة فذهب هذا الرجل الطاعن في السن إلى هنا ولمّا رأوا بأنهم لا يقدروا أن يستفيدوا منه شيئاً ردوه إلى بلده.

بعد بضعة أيام ورد أمراً تلغرافياً من جمال باشا يأمر فيه إبعاد جميع [أفراد] هذه العائلة. أخيراً تناست هذه المسألة ولم يذهب منهم أحداً. وقبل بضعة أيام جاء إلى أخيه وفا أفندي الصلاحي الموجود في حيفا كارتاً[1] منه في مصر يخبره فيه بأنه في مصر ويطلب منه بأن يطمئن والده ووالدته ويقبل أياديهما. فما كان من المذكور إلاّ أن ذهب إلى قوماندان الموقع في حيفا وسأله أن يخبر والده بذلك. فسر القوماندان المذكور وأمره أن يرسل الكارت إلى جمال باشا. ثم أرسل لقوماندانه تلغرافاً.

(١) بطاقة.

إبعاد عائلة حسن أفندي الصلاحي إلى الشام

[من دون تاريخ يوم] كانون الثاني ١٩١٦

[١٦٢] جمال باشا أرسل تلغرافاً إلى القدس يأمر بإبعاد عائلة [الصلاحي] إلى سيواس.[١] فبلّغتهم الحكومة ذلك ولكنهم استرحموا منهم لأن يؤخروهم بضعة أيام حتى يقضوا أشغالهم ففعلوا. تقدم حسن[٢] أفندي الصلاحي باستدعاء إلى قومندان القول أردو الثامن جمال باشا الصغير[٣] يطلب منه إبقاءه في القدس فساعده الباشا المذكور. وأرسل تلغرافاً يسترحم من جمال باشا الكبير. وكان جوابه ما يأتي: «ألم يسافر لحد هذا التاريخ! يجب أن يسافر حالاً». والبارحة بلغتهم الحكومة هذا الأمر وأمرتهم أن يسافروا في هذا النهار.

اليوم سافر حسن أفندي وامرأته إلى الشام ومن هناك إلى سيواس. رافقتهم السلامة وردهم الله إلى بلادهم في أقرب وقت. أمّا بناتهما الآنستين صفية وخديجة فقد بقيتا في القدس ولعلهما لا تسافرا إن شاء الله.

هل يا ترى يُعدّ عدلاً من الحكومة إبعاد هذه العائلة البريئة. سافر الولد وهرب ولكن هل والديه هما اللذان أغوياه على الفرار.[٤] كلا ثم كلا خصوصاً وأن والده من المخلصين لهذه الدولة.

الولد فرّ وهو الآن مسرور في مصر. والوالدين ممقوتين فلا حول ولا قوة. فأين العدل وأين الإنصاف؟ إعدلوا يا دولة جنكيز [خان]! إرحموا يا دولة الأتراك. دعكم عن الانتقام فهذا اليوم الذي يجب أن تتقربوا إلى رعيتكم حتى تحبكم. الولد أذنب فما ذنب الوالدان؟ ولكن هذه عوائدكم فأنتم الذي لا تقدرون عليه تعتدون وتنتقمون من الضعفاء الأبرياء.

رباه فما دامت هذه حالتكم فابشروا باضمحلال قريب إنشاء الله العزيز.

(١) عاصمة سنجق سيواس، شمالي حلب.

(٢) ورد الاسم في الصفحة السابقة حسين، ولم نتمكن من معرفة أيهما الأصح.

(٣) قائد الجيش الثامن، والمعروف بالمرسيني.

(٤) يبدو من السياق - وفي غياب الصفحات الناقصة - أن حسن [أو حسين] الصلاحي هرّب ابنه إلى مصر كي يتفادى تجنيده في الجيش العثماني، وكانت ردة فعل القيادة العسكرية إبعاد جميع أفراد العائلة إلى سيواس عقاباً.

وفاة عمتي محبوبة

الثلاثاء ١ شباط ١٩١٦ [غربي]. ١٩ كانون الثاني ١٣٣٢ [عثماني]

الموافق ٢٦ ربيع الأول ١٣٣٤ [هجري]

[١٦٣] قبل جمعة [أسبوع] ونيف أصاب عمتي السيدة محبوبة ألم في أذنها ثم عقبه حمى متواصلة ألزمتها الفراش أربعة أيام ثم نزل على دماغها فالج قوي أضاع صوابها ولجم لسانها مدة يومين. ثم سلمت روحها البارحة عند غروب الشمس رحمها الله.

كانت هذه السيدة رحمها الله لطيفة المعشر مثال الدعة واللطف شغوفة حليمة تحب الفقراء والأيتام وتحسن إليهم. كانت رقيقة القلب قليلة الكلام هنية في معيشتها لطيفة في كلامها لا تؤذ أحداً.

قضت هذه السيدة طول نهارها في البيت ولم تكن رحمها الله تستنكف عن الشغل قط. تخدم أختها[١] رحمة الله عليهما. ولم يكن ذلك يلهيها عن تلاوة القرآن وأداء كل فرض بوقته.

كانت تنهض كل يوم باكراً قبل أذان الصبح توقد النار لتسخين ماء الوضوء وفي أكثر الأيام كانت تقوم من منامها إلى المطبخ لتتفقد النار التي كانت توقدها قبل النوم لأختها ولجميع أهل البيت ثم تعود هي وتتوضأ وتصلي الصبح حاضراً ثم تفتح المصحف وتقرأ ما تيسر من القرآن إلى أن تطلع الشمس ثم تقوم وتشتغل بيدها.

كانت رحمها الله صالحة صبورة على المشقات وكثيراً ما كنا نُسمعها كلاماً قارصاً ولكنها رحمها الله لم تكن تنبس ببنت شفة وتلزم الصمت.

[١٦٤] كانت تحبنا محبة والدية وتعبت علينا تعب الأمهات. كانت تدللنا وتسعى دائماً لكي تبقينا فرحين مسرورين ولم تكن تظهر لنا يوماً بأنها متكدرة.

لمّا توفيت أختها تكدرتُ عليها جداً ولكني تعزيت بوجود شقيقتها وإن لم تكن مثل أختها تخوف والدي وجميع أهل البيت ولكني كنت أعتقد بأنها ستحل محل أختها وهكذا تعزيت بها. أمّا الآن فبعد أن مُتِّ فعلى من أعلق آمالي. يا خراب البيت بعدك يا عمتاه. ماتت أختك قبلك ومتنا ربع ميتة بعدها. أمّا الآن فقد مات البيت

(١) هي أخت السيدة صفية التي توفيت في ٦ تشرين الثاني ١٩١٥ - قبل نحو ثلاثة أشهر (أنظر أعلاه، ص ٢٨١).

جميعه وذهب الرأس.

الآن نحن متكدرين جداً عليك ولكن كلما تزداد المدة تزداد حسرتنا عليك وعلى شقيقتك... أنا الآن متكدر جداً... تركتن أولاد أخيكن الذين لن ينسوكن ما داموا أحياء. مُتن وتركتن ورائكن ثياب وأشياء لأناس كأنهم أعدائكم. تركتن الأشياء لمن لا يعرفوا قيمتها.

قبل أن تموتين يا عمتي محبوبة بـ ١٢ ساعة فتح والدي بيت الحرم الكبير مدعياً بأنه يريد أن يفتش على دراهم ليخرجك فيها[١] وأخذ يفتش ويفتح كل صندوق وعلبة ويفتح حتى المحلات[٢] التي لا يمكن أن يوضع فيها مدعياً بأنه يفتش على دراهم.

[١٦٥] قبل أن تخرجين من البيت أراد والدي أن يخرجنا منه إلى بيت آخر[٣] كيلا يعمل لك ثلاثة أيام وثلاثة خمسان ولكننا أرغمناه ولم نذهب واتفقنا إلى أن نذهب بعد الثلاثة أيام إلى البيت.

نعم كان يحق له أن يخرجنا من البيت ولكن ليس من العدل والإنصاف ومن المروؤة أن يخرجنا نحن وإياها في يوم واحد. ادعى هو بأنه سمع بأن كل بيت معطل غير مسكون ستضع يدها الحكومة عليه. فلذلك أحب والدي أن نذهب ونسكن هناك ريثما نجد مستأجراً له.

(١) ليحضّر ترتيبات الدفن.

(٢) الأماكن، الخزائن، إلخ.

(٣) في الأصل «إلى البيت الجديد» [في المصرارة؟] ثم شطب الكاتب هذه الجملة واستبدلها بـ «بيت آخر».

استقبال شعبي حاشد لأنور باشا ناظر الحربية

الثلاثاء ٢٩ شباط ١٩١٦ [غربي]. ١٦ شباط ١٣٣٢ [عثماني]

الموافق ٢٥ ربيع الأول ١٣٣٤ [هجري]

[١٦٦] كان أُشيع قبل عشرة أيام ونيف بقدوم أنور باشا ناظر الحربية ووكيل القائد العام مع قومندان الأردو[١] الرابع وناظر البحرية دولة أحمد جمال باشا وبعض أركان وأمراء وضباط الجيش العثماني والالماني والنمساوي. فلم نصدقه في بداية الأمر. ولكن تحقق أخيراً وقد كان موعد قدومه يوم الجمعة في ٢٥ شباط ١٩١٦م بعد الظهر و١٢ [شباط ١٣٣٢] منه.[٢]

ازدانت البلدة ونصبت أقواص [أقواس] النصر وسكّرت [أغلقت] البلدة وخرج الجميع إلى طريق يافه (لأن قدومه كان من يافه في الأوتومبيل). ففي الساعة الخامسة والربع ظهر خط طويل من الأوتومبيلات ونزل القدوم عند الشيخ بدر[٣] حيث كانت [الجموع] تستقبله هناك. وبعد أن شربوا المرطبات ركبوا السيارات إلى الطور.[٤] وقد كانت إذ ذاك الأهالي وتلامذة المدارس من جميع الطوائف مصطفة من الشيخ بدر إلى الطور ليروا رجل الأمة التركية.

في اليوم الثاني زار الحرم الشريف والكلية الصلاحية[٥] وجميع المؤسسات والمحلات الدينية والتاريخية وقد دعي لتناول طعام العشاء في لوكاندة [فندق] فاست على حساب البلدية.

في صباح الأحد توجه إلى بير السبع والصحراء ثم رجع في هذا النهار في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر وقد دعته هيئة المنزل [العسكري] لتناول طعام العشاء.

[١٦٧] وقد نطق[٦] الشيخ أسعد أفندي اشقير [الشقيري][٧] على الطعام

(١) الجيش.

(٢) يلاحظ القارئ - لأسباب غير واضحة هنا - تغير لهجة الكاتب تجاه قادة الجيش العثماني، وخصوصاً تجاه جمال باشا، في وصفه لهذه الزيارة وغياب تعليقاته الاستهزائية المعهودة.

(٣) حي في المشارف الغربية للقدس، بمحاذاة قرية لفتا.

(٤) حيث كانت القيادة العسكرية في مبنى الأوغستا فيكتوريا.

(٥) كلية جامعية حديثة العهد أنشأها جمال باشا لتحضير جيل من النخبة الإسلامية على أسس التربية الحديثة (راجع المقدمة).

(٦) ألقى خطاباً.

(٧) مفتي الجيش العثماني الرابع، ووالد أحمد الشقيري.



جمال وأنور باشا برفقة الشيخ كامل الحسيني، مفتي القدس وفلسطين، في ساحة الحرم الشريف، القدس ١٩١٦.

المصدر: مجموعة ماتسون/ لارسون (م ك).

واقترح على دولة أنور باشا أن يؤسس مكتبة في القدس تسمى باسمه ليبقى له أثراً خالداً هنا.

في الساعة العاشرة والنصف انصرف الجميع. وسيذهب هذا القائد الكبير هو وأحمد جمال باشا إلى المدينة المنورة لزيارة المصطفى عليه الصلاة والسلام عن طريق أريحا السلط معان إلخ..[١] وقد ذهب من هنا بمعيتهما مفتي القدس الشريف[٢] رافقتهم السلامة.

وقد تبرع دولة أنور باشا للفقراء على ما ينوف عن ال ٥٠٠ ليرة عثمانية. كذلك تبرع في عدة محلات [أماكن] دينية جزاه الله عنا خيراً.

---

(١) كان الهدف الأساسي لهذه الزيارة محاولة تعزيز علاقة السلطة العثمانية بالملك حسين الأول والهاشميين في الحجاز بعد أن بدأ الملك حسين الأول التفاوض مع البريطانيين ضد السلطة العثمانية.

(٢) الشيخ كامل الحسيني شقيق الحاج أمين.

سرقة بيتنا والقبض على المجرمين

الجمعة ١٤ نيسان ١٩١٦ [غربي]، ١ نيسان ١٣٣٢ [عثماني]

الموافق ١١ جمادى الأولى ١٣٣٤ [هجري]

يوم السبت الواقع في ٨ نيسان ١٩١٦ و٢٦ آذار ١٣٣٢ الموافق ٥ جمادى الأولى ١٣٣٤ (هجري) تركت الدخان وكيفية ذلك هي كما يلي:

بينما كنت نازلاً ليلة الجمعة من المنزل [العسكري] ذاهباً إلى البيت وقد كان معي جار لنا نابلسي أجزاجي[1] يدعى رستم أفندي أبو غزالة - اتفقنا على أن نتركه [الدخان] وذلك لما نجده من الصعوبات حتى نجده. ومن ذلك الحين حتى هذا النهار لم أدخن قط. وإني أؤمل بأن لا أدخن ما دامت الحرب متنشبة. أمّا إذا عقد الصلح فربما رجعت له لأنه سيوجد [حينذاك]. أمّا الأفندي المذكور [أبو غزالة] فإنه لم يتركه.

[١٦٨] لنا بيت خارج السور في [باب] العمود كان مستأجره في العام الماضي رئيس محكمة الصلح حكمت. وفي هذا العام أراد أن يتركه فخرج منه أربعة أشهر ثم خجل والدي ورجع إليه. ولمّا كان البيت معطلاً[2] كان في نية الحكومة وضع يدها على كل بيت معطلاً. فلمّا سمعنا ذلك ذهبنا إلى هناك مدة شهر ثم رجعنا إلى محلنا القديم. ولمّا كنا في هذا البيت المذكور سرق بيتنا وتفصيل ذلك كما يأتي.

في اليوم الجمعة الواقع ١١ شباط ١٩١٦ و٢٩ كانون الثاني ١٣٣٢ [عثماني] و٧ ربيع الثاني ١٣٣٤ [هجري] لزم لوالدي بعض أشياء من البيت فأنزل أخي عارف وقد كان الباب المؤدي بين تحت وفوق (باب المغابر)[3] مقفلاً. ففتح أخي ودخل بيت أبي ولكنه دهش لمّا رأى أن البيت مسروقاً فرجع المسكين إلى والدي وأخبره القصة. أمّا والدي فنزل هو وخالي ووالدتي إلى هناك وبينما كنت أنا ذاهباً إلى البر [؟] إذ رأيت والدتي وأختي يسرا في الطريق فأرجعتاني.

أمّا الأشياء المفقودة فهي ما يأتي: فروة عمتي المرحومة السيدة صفية. ساعتين

(١) أجزخاني أي صيدلي.

(٢) غير مستأجر.

(٣) كان بيت الترجمان في باب السلسلة يقسم إلى جزء علوي يسكنه حسن الترجمان مع زوجته الأولى، وقسم سفلي تسكنه بقية العائلة (معلومات من السيد صلاح الترجمان).

ذهب. صفّات موضوعة عندنا بصفة أمانة. قطعتين أو ثلاثة نسائية.[1] مسبحة كارب. حلق. أربعة ملاعق فضة بذهب. حلق ذهب. وخاتم أمانة. ويوجد في بيرو[2] تخص المرحومات عماتي [أشياء] لا نعلم داخلها.

أمّا الفاعل فإنه أكثر من واحد. أولاً لأنه في البيت بيرو موضوعة في نصف البيت والفاعل لا بد له من أن يكون يعلم [تقسيمات] البيت والممر عن السطوح المؤدي من بيت القاضي إلى سطوح بيتنا. ثم نزل إلى السطوح الذي فوق باب الدار وهناك يوجد طاقتين.

[١٦٩] كسر [الحرامي] حديد الطاقة الغربية ودخل وقد كان ذلك ليلاً وذلك لأن الفاعل أضاء [مصباح] الكاز الموجود في البيت. وقد كان مستحضراً على شمع.

ومما يدل أيضاً أنه حضر ليلاً تغطية الطاقات الموجودة في البيت ببعض الحوائج. والسارق لو لم نحضر في ذلك النهار كان في نيته أن يرجع إلى بقية الدار لعلمه بأنه لا يوجد في البيت أحداً.

كما أغاظ الجميع أكثر من السرقة هو بولهم[3] في البيت. أمّا السارق فلم نعلم [هويته] في بادئ الأمر. غير أننا بعد يوم علمنا بأن الفاعل هو عاهد الدنف وشركاءه. والذي جعلنا نشك به هو سؤاله يوم السرقة (الجمعة) شقيقتي يسرا هذه السؤالات [الأسئلة]: هل في نيتنا أن ننزل إلى البيت وننام هناك وهل ليس في نيتنا أن نبقى هناك إلخ...؟ من هنا علمنا أن الفاعل هو.

اشتكينا عليه في بادئ الأمر ثم وقّفته الحكومة[4] ولكنه خرج تحت الكفالة ولم يمض على ذلك بضعة أيام سافر جندياً وهكذا ماتت هذه المسألة.

وفي يوم الجمعة الواقع في ٣١ نيسان ١٩١٦ (١٨ نيسان ١٣٣٢ عثماني ٢٧ ربيع الأول ١٣٣٤ هجري) ورد مكتوب لوالدنا بلا إمضاء وجده أخي عارف في طاقة صغيرة بجانب البيت فيه ما معناه [أن] كاتب الأحرف [الرسالة] رأى عبد السلام أبو السعود ابن خالتي وعبد العفو الدنف ابن الشيخ سعيد الدنف عند أحد الصياغ وقد أفهمنا عنه [أخبرنا من هو الصائغ] وكان معهما ظروف الساعات الذهبية يريدان أن يسوغا[5]

(١) من غير الواضح ما إذا كان المقصود قطع لباس أم صيغة.

(٢) خزانة ملابس.

(٣) تبولهم على أرضية البيت.

(٤) اعتقلته.

(٥) يصوغ.

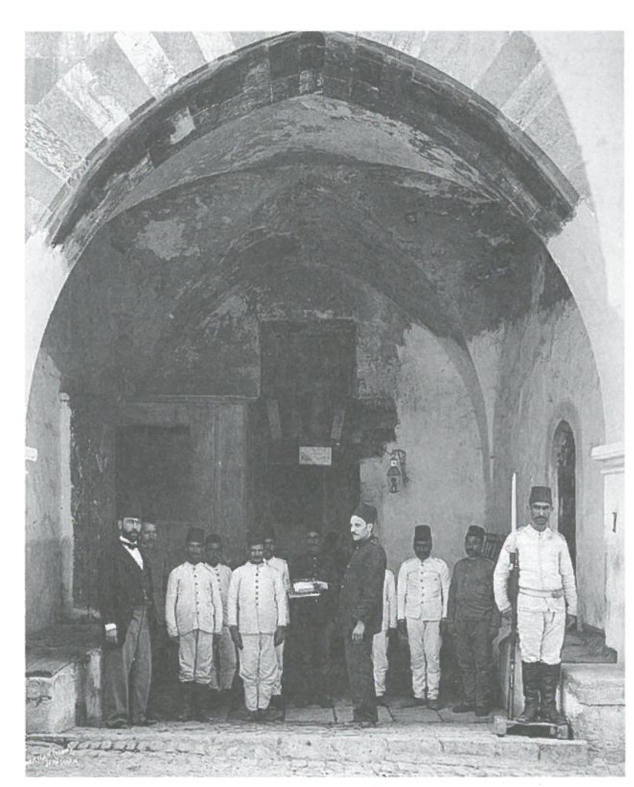
لهما [منها] خواتماً.

[١٧٠] ذهب أخي عارف في الحال وأخذ معه عمر الدنف نجل الشيخ أمين وذهب إلى عند الصائغ إلى أن أقر الصائغ [بالمسألة]. أوصل والدي الأوراق إلى دائرة البوليس وبعد ثلاثة أيام من تاريخ المكتوب ذهب ابن خالتي(١) جندياً إلى الشام. فلم تمض بضعة أيام حتى رجع هذا المنحوس إلى القدس لأن مواليد ١٣١٣ قد رخصوا شهراً.(٢) وهكذا بقيت الأوراق تذهب من محل إلى محل حتى وصلت الديوان العرفي. أمّا الحوائج [المسروقة] فقد باعها للدلال والمذكور [الدلال] لمّا سمع بهذا الخبر خاف من سوء العاقبة. ونحن لمّا علمنا بذلك ذهبت وأحمد أفندي الجاعوني إلى بيته لنرى إذا كان هذا الخبر صحيحاً أم لا. ففعلنا وكان ذلك ليلة البارحة. أقر الدلال لنا [بالأمر] وقد أراني الفروة والملاعق والحلق الذهبي والمسبحة. أمّا الساعة فقد باعها كما يدعي لأحد الناس. وقد ألقي القبض على عبد السلام المذكور وعلى عبد العفو والتحقيقات جارية بعد.

(١) يقصد عبد السلام أبو السعود.
(٢) منحتهم الإدارة العسكرية شهر إجازة من الخدمة.

المحكمة تدين السارقين بعد الإقرار بالجريمة

الثلاثاء، ٢٥ نيسان ١٩١٦ [غربي]. ١٢ نيسان ١٣٣٢ [عثماني]
الموافق ٢٢ جمادى الأولى ١٣٣٤ [هجري]



سجن القشلة العثماني المعروف بحبس الدم في الزاوية الإفريقية في جوار الحرم الشريف، ١٩١٥.
المصدر: مجموعة ماتسون/ لارسون (م ك).

[١٧١] بينما كنت أتناول طعام الغداء في هذا النهار أخبرني أخي عارف بأنه ذهب في هذا النهار إلى الديوان العرفي عن والده لدعوة سرقتنا وقد سألوه بعض أسئلة فأجاب عنها وقد قال لهم على لساني بأني سمعت بأن عبد السلام ابن خالتي أعطى الساعة لعلي تفتف حتى يعطيها للمن(١) لتقع الشبهة عليه وحده.

(١) الاسم غير واضح في الأصل، وقد ورد اسمه لاحقاً: إسحق المن.

وقد سمعت ذلك في حينه من الشيخ هدى الدنف لمّا كنت عنده في آخر مرة. تكدرت جداً لما أخبرني به أخي عارف لأني لا أحب أن أذهب إلى مثل هذه المحلات خصوصاً والدعوة مقامة على ابن خالتي.

في الساعة الثانية ذهبت إلى المنزل [العسكري] وقد أخبرني كاتبي بأنني مطلوب في الديوان العرفي. فهرولت وذهبت إلى هناك وقعدت أنتظر حتى الساعة الثالثة ونيف تقريباً حيث نوديت أنا ثم نودي المدعى عليهم وهم ابن خالتي عبد السلام والمن وعلي تفتف.

دخلت إلى غرفة لا كبيرة ولا صغيرة وهي غرفة المحاكمة وكانت الهيئة [المحققة] مؤلفة من بكباشي وقول غاسي، ومدعي عمومي وكاتب. وهو خالي عزيز أفندي الداوودي.[1]

هذه هي المرة الأولى التي [أذهب] فيها إلى المحاكم. الله ما أصعبها وما أشد هولها. كنت كلما أتكلم أرجف وأكاد أن أختنق ولا يساعدني صوتي على الكلام. إنها والله لوقعة هائلة يغشو منها البدن.

بعد أن سألوني عن اسمي وعمري سألوني أن أقص عليهم قصة السرقة. فرويتها لهم بكل اختصار ثم سألوني إذا كنت أعرف هؤلاء الأشخاص - أعني عن ابن خالتي عبد السلام وعن إسحق المن وعلي تفتف. فأجبتهم بنعم. ثم سألوني إذا كانوا هم الذين سرقونا. فأجبتهم بأن المكتوب الذي ورد لنا يدل على أنهم هم الذين سرقونا.

أنكروا في بادئ الأمر ولكنهم بعد أن ضرب الرئيس المن وعبد السلام أقرا بأنهما الفاعلان، هما وعاهد الدنف. أمّا تفتف فقد قال بأنه لم يكن معهما.

أمّا في الأول [البداية] فقد كان المن يقول بأن تفتف كان معهما وذلك لأنه يريد أن يوقعه معه. لأنه صديقه. ولكنه بعد أن ضُرب كل هذا الضرب أقر بأنه لم يكن - وبالحقيقة فإنه لم يكن معهم لأنه حين سُرقنا كان هذا الولد [علي تفتف] مريضاً وقد شاهدت ذلك بأم عيني حتى إنني أخبرتهم بذلك.

(١) من مواليد القدس سنة ١٨٩٠. محام وقاض. عُيّن كاتباً في المحكمة المركزية في القدس في العهد العثماني، ثم رئيساً لكتبة محكمة الاستئناف، ثم رئيساً لكتبة محكمة الصلح في يافا، وعمل في الإدارة العسكرية العثمانية. بعد هزيمة الأتراك في القدس انتقل مع الإدارة العثمانية إلى الناصرة حيث أصبح المدعي العام لشمال فلسطين. في فترة الانتداب أصبح قاضياً في محكمة الاستئناف العليا، حيث نظر في قضية ورثة السلطان عبد الحميد في فلسطين - أنظر: «من هو؟ رجالات فلسطين، ١٩٤٥ - ١٩٤٦»، ص ٤٨ - ٤٩.

بلغني بأن الديوان العرفي قد حكم على كل من عاهد الدنف وعبد السلام أبو السعود وإسحق المن [بالحبس][1] مع دفع كل منهم [غرامة] ليرتين ونصف.

(١) كلمة «بالحبس» غير مذكورة لكنها مضمرة في ضوء ما سيأتي بالمذكرات، وخصوصاً أن كلمة «مع» تفترض وجود كلمة ناقصة قبلها.

أبي يرفض إسقاط الدعوى

هنا لا بد لي من كلمة أحب أن أذكرها لكي تحفظ في مفكرتي هذه وهي بأنني لمّا سمعت بأن ابن خالتي هو الذي سرقنا أحببت أن تتلاشى هذه المسألة ولا تصل الحكومة. ولكني لم أقدر أن أفاتح حتى والدي بذلك. لأنه تأثر جداً من هذا الفعل.

[١٧٣] أمّا هو [والدي] فقد لاحظ ذلك مني. وقد كان من الواجب عليه أن لا يشتكي عليه [عبد السلام أبو السعود] إكراماً لوالدتي ولي ولإخواني وأخواتي. أمّا هو سامحه الله فقد أراد أن ٨٣، ٨١، ٣٦، ٥٨ ——— ٤٥، ٦٥، ٣٨، ٨٧، ٢١، ٣٨، ٤٣، ٨٣، ٧٢، ٨٣ ——— ٥٨، ٢١، ٢٠، ٣٨، ٤٣، ٧٢، ٢١ خصوصاً فإنه قبل أن تتوفى عمتي محبوبة رحمها الله ٨٩، ٢١، ٧٦، على ٦١، ٢١، ٣٨، ٣٤، ٤٣، ٨٣ لأن ٢١، ٨٧، ٤٣، ٧٢، ٢١ ——— ٢١، ٢٧، ٢٨، ٤٣، عندنا قبل جمعة [أسبوع] ونيف فهل يا ترى ٨٣، ٣٤، ٤٥ مثل هذه ٢١، ٣٨، ٢١، ٧٨، ٨٣، ٢١، ٢٠ ——— ٤٩، ٤٥، ٦١، ٢٠، ٧٤ منه يا ترى؟

٢٠، ٢١، ٣٨، ٨٣، ٦٧ من ٢١، ٣٨، ٥٨، ٢١، ٤٥ عليه أن يفعل مثل هذه الأشياء؟

أليس كان ٢١، ٣٨، ٢١، ٦٥، ٢٣، ٤٥ أن يعفوا عن ابن خالتي هذا خصوصاً وهو والد صغير لا يتجاوز عمر السنة + ١٧ من عمره.[١] ولكن المقصد من عمله هذا هو ما ذكرته هنا ليس إلاّ فلا حول ولا.

أمّا الآن فقد حكم هذا الولد المنكود الطالع [بالسجن] سنتين.[٢] فماذا يحل به يا ترى؟ وماذا يقدر أن يفعل؟ أمه فقيرة لا تقدر أن ترسل له قوت يومه. وخاله بالطبع لا يرسل له مطلقاً وأعمامه من باب أولى إذا جرى لا يرسلون له قط. فماذا يحل به يا ترى؟ إنه لا بد أن يموت جوعاً إذ إن خطيئة هذا الولد برقبتنا.

(١) فك الشيفرة: أن «يقطع رجل خالتي. . . خصوصاً فإنه قبل أن تتوفى عمتي محبوبة رحمها الله. . . والدتي أختها أكلت عندنا قبل جمعة [أسبوع] ونيّف فهل يا ترى يصير [يصدر] مثل هذه الأشياء مروءة منه يا ترى؟ أليس من العار عليه أن يفعل مثل هذه الأشياء؟ أليس كان من الأجدر أن يعفو عن ابن خالتي؟» (زكريا محمد)

(٢) سنتين، أو «سنين»، الكلمة غير واضحة في الأصل.

معارك طاحنة
في كوت العمارة وقناة السويس
احتفالات في القدس

الأحد ٣٠ نيسان ١٩١٦ [غربي]. ١٧ نيسان ١٣٣٢ [عثماني]

الموافق ٢٧ جمادى الأولى ١٣٣٤ [هجري]

[١٧٤] ورد تلغراف قبل يومين من قومندان الأردو [الجيش] الرابع يخبرنا فيه بأنه جرت معركة في ٢٣ نيسان ١٩١٦ بمحل يبعد عن القنال [السويس] مقدار ٤٠ كيلومتراً أسفرت عن أسر ميرالاي وبكباشي مع ٢٧ ضابطاً و٢٧٠ نفراً. هذا ما أسرنا عدا عن ما قتلناه فإننا محونا بلوك عدد ٤ [أربع كتائب] أمّا خسائرنا نحن فقليلة جداً.

وقد ورد تلغراف البارحة أيضاً عن خبر سقوط كوة [كوت] العمارة مع أسر قائدها. و٥ جنرالية و١٣ ألف أسير و... ضابط إنكليزي و... ضابط هندي.[١] هذا عدا عن القتلى. فإنها تبلغ ٧ آلاف.[٢] وبهذه المناسبة ستزدان البلدة في هذا النهار وفي هذا المساء لهذه المظفرة. وقد خرج اليوم جميع أولاد المدارس والموسيقى العسكرية ودارت في الأزقة والأسواق. أمّا خسائرنا فقليلة. فهل تصدق ذلك يا ترى؟ صحيحاً سقطت كوة العمارة ولكن من يصدق بأن خسائرنا قليلة. إذا كانت الإنكليز قد أضاعت ٧ آلاف قتيل فيجب علينا أن نخسر نحن لا أقل من ٢٧ ألف.[٣]

على كل حال يجب أن لا نتكلم حتى تأتينا الأخبار عن تفصيل هذه الموقعة ثم يجب أن ننتظر - هل تبقى كوت العمارة في يدنا أم ستسترجعها الإنكليز كما

(١) عدد الضباط الأسرى ناقص، ويبدو أن الكاتب تركه لكتابة لاحقة.

(٢) معركة كوت العمارة في جنوب العراق (شمالي البصرة)، على الرغم من تشكيك إحسان، كانت من أهم انتصارات الجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى (٢٩ نيسان/أبريل ١٩١٦)، إذ تم أسر ١٣,٣٠٩ من جنود الجيش البريطاني معظمهم من الهنود، وقتل عدد كبير من الجانبين. وسلم الجنرال البريطاني تاوتزهيد نفسه وتم نقله إلى إستنبول - أنظر:
Lord Carvers, *The Turkish Front, 1914-1916* (London: Pan Books, 2004), pp. 154-155.

(٣) الخسائر العثمانية: كان مجمل الخسائر العثمانية في معارك جنوب العراق خلال ١٩١٥/١٩١٦، ٦٢٠٤ جنود - منهم ٢٢١٩ قتيلاً و٣٩٨٥ جريحاً. أمّا خسائر الجيش في المعركة التي يشير إليها إحسان فكانت ١٦٠٠ قتيل و٢٤٠٠ جريح - أنظر أيضاً:
Edward Erickson, *Ordered to Die: A History of the Ottoman Army in the First World War* (Westport and London: Green Press, 2001), pp. 238-239.

استرجعت روسيا أردهان. يجب أن نصمت ونسكت وننتظر والمستقبل كشاف الحقائق.[1]

(١) سقطت كوت العمارة ومعها جنوب العراق في كانون الأول/ديسمبر ١٩١٦ بعد ثمانية أشهر من هذه المعركة.

أسرى الإنكليز المهزومون يساقون إلى القدس

الثلاثاء ٩ مايس ١٩١٦ [غربي]. ٢٦ نيسان ١٣٣٢ [عثماني]

الموافق ٧ جمادى الثانية ١٣٣٤ [هجري]

[١٧٥] كنا سمعنا قبل بضعة أيام بأنه سيحضر إلى القدس شرذمة من العساكر النمساوية وفي هذا الصباح الساعة العاشرة ونيف قدمت العساكر النمساوية عن طريق خليل الرحمن وعددهم لا يقل عن المايتين والخمسين مع ضباطهم وقد كانت الموسيقى النمساوية تعزف أمامهم. وقد كانوا مرتدين ألبستهم العسكرية وهي رمادية اللون نظيفة جديدة وقد نزلوا في البنايتين الالمانية داخل الصور [السور] باب العمود والتي خارجها.[1]

في أيار ١٩١٦ جاءت بعض من الجرحى العثمانيين وكان عددهم لا يقل عن السبعين. وفي ١٥ أيار نهار الجمعة بعد الظهر جاءت الأسرى الإنكليز إلى القدس وقد كانت الساعة الثانية عشرة ونصف بعد الظهر. وكان من بينهم ميرلاي واحد[2] وبكباشي وعدد من الضباط لا يقل عددهم عن العشرين. أمّا العساكر فيبلغون المايتين والخمسين جندياً بينهم الإنكليزي والهندي والإيرلندي، إلخ...

في الساعة الثانية عشر ونصف وصلت السكة الحديدية إلى القدس تقل هذه الجنود مع شرذمة قليلة من الجنود الاتراك الجنسية للمحافظة عليهم.

ركبت الضباط في العربات المخملية[3] وقد كان أمامهم الميرلاي وهو إنكليزي الأصل يبلغ من العمر ستين عاماً وقد كان على يساره قومندان المركز. كانت علامة الرجولة وعزة النفس بادية على محياه. وقد كان راكباً في العربة مطرق الرأس يفتكر وهو غضبان. أمّا بقية الضباط فقد كان زعلهم [غضبهم] أخف منه وبعضهم لم يكونوا يهتموا بهذا الأمر كعادة الإنكليز، الذين يتلقون كل مصيبة بصبر ورزانة ولا يظهرون عليهم أقل شيء من الكدر والغضب. وقد كان راكباً بجانب الحوذي مأمور انضباط والعربات محاطة بالعساكر الخيالة المسلحة.

كان جميع هؤلاء الضباط [الأسرى] مرتدين ثيابهم العسكرية إلاّ إن رجلين منهم لم

(١) الإشارة هنا في الغالب إلى بناية (داخل السور)، وعمارة شميدت قبالة باب العمود.

(٢) جنرال.

(٣) الدرجة الأولى.



أسرى عثمانيون في حراسة الجيش البريطاني خارج القدس، نهاية سنة ١٩١٧.

المصدر: مجموعة ماتسون/ لارسون (م ك).

يكن عليهم جاكيتات. وبلغني أيضاً بأن أحد الضباط وصل [بئر] السبع وهو بغير ذلك لأنهم أُسروا على حين بغتة.

بعد أن مرت الضباط خلفهم الجنود وكانت محاطة بالجنود التركية وهي «سنجقة طارق». وقد كانت علامات التعب ومشاق السفر بادية على محياهم.

نزل الضباط في البناية التي تقابل المنزل [العسكري] Notre Dame De France والتي هي الآن مستشفى والتي كانت قبلاً دير للراهبات.[١] أمّا الجنود فقد نزلوا في البيت الذي يقابل بيتاً أكبر على طريق تلول المصابن. وسيسافرون غداً على ما بلغني.

أمّا كيفية أسر هؤلاء [الجنود] فهي كما يلي:

قبل أن تجري هذه المناوشة بيوم واحد ذهب طياراً للاستطلاع عن مقر الجيش الإنكليزي. وفي اليوم الثاني قبل طلوع الفجر ذهب جنودنا إلى محل القراركاه الخامس وأحاطت بهم ثم شعروا بذلك منهم بعد أن صاروا في قبضة اليد. فأمسكوهم بدون مقاومة حتى إن بعضهم كانوا نيام ولم يدرون بذلك. وقد نهضوا مرعوبين ولمّا أحست جنود هذا الآي [الفيلق] وقد كان إذ ذاك بعض جنودنا ذاهبة إليهم لتحاربهم ودقت [وقعت] بينهم مناوشة أسفرت عن محو أربعة بلوكات[٢] (حسب التلغراف الرسمي)

---

(١) الإشارة هنا إلى مستشفى القديس لويس قبالة النوتردام في بداية شارع يافا، وكانت القوات العثمانية قد صادرته لأنه من أملاك الدولة الفرنسية.

(٢) كتائب.

عدا عما أخذناه من الأسرى. وقد كانت كعادتنا الخسائر قليلة. ثم انسحبنا.

طارت الطيارات وبدأت ترمي القذائف علينا مثل رش المطر وقد قيل إن خسائرنا كانت معظمها من الطيارات. هكذا كانت هذه الموقعة حسب فهمنا والله أعلم بالحقيقة.

وقد بلغني أن هذا الآي هو من أحسن لايات الجيش الإنكليزي وأنهم يعتمدون عليه جداً لما لقائده من الدراية والمهارة في الأمور الحربية وقد شهد عدة مواقع في هذه الحرب! ولكن من يعلم بأنه أنحس وأعطل واحد في الجيش الإنكليزي. ما هذه البشر أيها القائد؟ كيف نسيت أن تضع أغفارا [غفراء، حراساً] على معسكرك وأنت تعلم بأنك محاط بالأعداء ولم تفتكر بما جرى. ولكن لا، إنه مستخف بنا وهذا ما جعله يقع أسيراً في قبضة أيدينا.

أحمد جمال باشا يعود إلى القدس وينكد عيشة العساكر!

الجمعة ١٩ مايس ١٩١٦ [غربي]. ٦ مايس ١٣٣٢ [عثماني]

الموافق ١٨ رجب ١٣٣٤ [هجري]

[١٧٨] كان موعد قدوم صاحب الدولة أحمد جمال باشا إلى القدس في هذا النهار. ففي الصباح ذهبت الموسيقى العسكرية وثلة من الجنود في الساعة الثانية بعد الظهر لاستقباله وقد نزل في الطور كعادته.

كلما يحضر هذا الرجل إلى هنا وإلى أي محل كان يذهب إليه لا بد له من أن يقلق راحة الأهلين والمأمورين العسكرية والملكية[1] مما يصدره من الأوامر التي لا تجدي نفعاً. وأول استنتاج كان في هذا النهار هو رجوعنا بعد الظهر إلى المنزل [العسكري] بعد أن كنا قد تعودنا على أن لا نذهب أيام الجمعة بعد الظهر. وثانيها هي أن نذهب كل يوم صباحاً إلى الشغل الساعة الثامنة بعد أن كنا نذهب من قبل الساعة التاسعة.

هذه أول أوامره. ومن يعلم ماذا يفتكر لأن يعمله على عدم راحتنا وراحة الجميع فلا حول ولا. يفعلون كل ذلك وكأن الأشغال متراكمة علينا مع أننا لا نشتغل ولا يوجد شيء حتى نشتغله فهل المقصود من ذلك يا ترى إزعاجنا وسلب راحتنا؟

الحالة كل يوم تزداد رداءة من قلة أكل وملبوس وما شاكله فقد أصبح الجميع في ضيق عظيم من ذلك وصار الكل مشتاق ومنتظراً انتهاء هذه الحرب المشؤومة على أي وجه من الوجوه. الفقر كل يوم يزداد والفقراء تتضاعف [عدداً] ولا نعلم مصير هذه الأمة المنكودة الطالع التي أصبحت حياتها في يد أنور وجمال فماذا تكون حالتنا يا ترى؟

(١) يقصد بالملكية موظفي الدولة.

عودتي إلى التدخين[1]

الأحد ٤ حزيران ١٩١٦ [غربي]. ٢٢ مايس ١٣٣٢ [عثماني]

الموافق ٤ شعبان ١٣٣٤ [هجري]

[١٧٩] من أقبح الخصائل المختص [أنا] بها أكثر من غيرها هي عدم ثباتي فيما أعمله. إذا بدأت في كتاب مثلاً حتى أقراه أجدّ في بادئ الأمر ولكني أخيراً تفتر عزيمتي وأتكاسل وهكذا إذا شرعت في أي شيء كان.

كنت قبل مدة قد تركت الدخان مرة واحدة.[2] لم أدخن قط طول هذه المدة. وقد كان سألني ضابطي قبل بضعة أيام إذا كنت أريد دخاناً فكتبت سنداً[3] على أمل أن يصدقه وأبقيته عندي حتى [إذا] فاتحني مرة أخرى. وفي هذا المساء سألني عما إذا كنت أريد دخاناً أم لا. فأريته في الحال السند وقلت له بأنني إذا وجدت دخاناً أدخن. ثم أعطيته ثمانية غروش وأعطاني أربع صناديق فأخذتها ودخنت في الحال.

لم أدخن عن اشتياق إليه بل إنني لمّا تركت الدخان في هذه المدة اتهمني كاتبي بالبخل لأنني تركته. كلا والله لم يكن ذلك عن بخل مني بل كان ذلك لأمرين أولهما لأنني كنت أجد مشاكل جمة حتى أجد دخاناً. وفي كل مرة كنت آخذ [أشتري] دخاناً بها كنت أضطر دائماً لأن أمالق بائعه وأترجاه حتى يرضى أن يبيعني احتياجي وهذا ما دعاني لتركه. والسبب الثاني هو المحافظة على صحتي. ولكن السبب الأول هو الأهم.

أمّا الآن وقد رجعت إليه فقد أمّنت دخان يكفيني شهر ونيف. أمّا إذا فقد مني الدخان واحتجت إلى الترجي والتزلف فإنني أعد نفسي من الآن إلى تركه والسلام.

[١٨٠] أشيع بأن ألمانيا وإنكلترا أرسلت كل منهما مندوباً إلى أميركا لوضع أسس لمفاوضات الصلح. وقد شاع الكثير عن [أن سبب] ذهاب هذا الوفد هو لوضع حد لحرب الغواصات. وربما توفقوا لوضع أساس المفاوضات بشأن الصلح... [....][4] كفى

(١) العنوان في الأصل.

(٢) أنظر أعلاه، ص ٣٠٤.

(٣) تعهداً.

(٤) كلمات ناقصة.

إهراق دماء الشبان الأبرياء وكفانا غلاء المعيشة وفتك الأمراض التي فتكت في الأمة العثمانية أكثر من الحرب بعدة مرات.

تلاقى الأسطول الإنكليزي والالماني وتبادلا إطلاق القنابل وحسب تلغرافات الأجانس[1] العثماني فإن الفوز [كان] حليف الالمان.

(١) وكالة الأنباء.

انقطاع الغلال في القدس!

الاثنين ١٠ تموز ١٩١٦ [غربي]، ٢٧ حزيران ١٣٣٢ [عثماني]
الموافق ٩ رمضان ١٣٣٤ [هجري]

[١٨١] آه ما أحلى وأجمل الأعوام الماضية. كلما أتذكر الحالة التي نحن عليها الآن والحالة التي كنا عليها من قبل أجد حالتنا الآن أسوأ الحالات وأنجسها. حرب عمومية وحرب داخلية[1] وحرب الحكومة للاغلال[2] وغلاء معيشة وفتك أمراض. كل ذلك ونحن ساكنين ساكتين. ماذا أقول وماذا أكتب؟ لا أعلم. والله أمسك القلم فتقف يدي ولا أقدر على كتابة حرف واحد وأحياناً أمسك القلم ولا أستطيع أن أقف عن الكتابة. مضى ما ينوف عن الشهر ولم أكتب خلاله في هذه المفكرة شيئاً ما. مع أنه كان يجب عليّ أن أكتب كل يوم على حدة لما فيه من الحوادث والأشياء الهامة وها أنا الآن أقص ما تبقى في ذهني طول هذه المدة.

انقطاع الأغلال. لم ترى القدس أياماً أمر علينا وأصعب من هذه الأيام من جهة الأكل والشرب. انقطع الخبز والقمح بالمرة في هذه المدة. حتى إن البلدية كانت توزع الخبز على الأهالي والفقراء بعد الساعة التاسعة والعاشرة. وإني أذكر مرة أنني فيما كنت نازلاً من المنزل [العسكري] إلى البيت في الساعة الحادية عشرة رأيت النساء آتين من الأفران ولا أعلم إذا كن [١٨٢] أخذن خبزاً أم لا. وقد وزعت البلدية عدة أيام خبزاً أسمر لم أرَ قط طول حياتي مثله. وقد كانت الأهالي تتصارع على أخذ مثل هذا الخبز وينتظرون حتى منتصف الليل. ولكنه تغير نوعاً [الآن] ولله الحمد.

الذي أحب أن أذكره كيلا أنساه عن هذا الخبز أنه لم يصدر ولا يوماً واحداً طول هذه المدة إلاّ معجّناً فلا حول ولا.

البانقنوط:[3] طبعت الحكومة في هذه المدة بانقنوطاً مقدار لا يقل عن العشرين أو أل ٢٥ ليرة عثمانية وهو مكفول من إدارة الديون العمومية كما يزعمون. أريد أن أعرف ما هي الديون العمومية ومن هي؟ فهل ديون هذه الدولة فقط لالمانيا وللنمسا؟ وأين حصة فرنسا وإنكلترا وبقية الدول؟

(١) يشير إلى ثورة الشريف حسين في الحجاز.
(٢) الغلال.
(٣) البنكنوت، وهي العملة الورقية.

إهراق دماء الشبان الأبرياء وكفانا غلاء المعيشة وفتك الأمراض التي فتكت في الأمة العثمانية أكثر من الحرب بعدة مرات.

تلاقى الأسطول الإنكليزي والألماني وتبادلا إطلاق القنابل وحسب تلغرافات الأجانس[1] العثماني فإن الفوز [كان] حليف الألمان.

(١) وكالة الأنباء.

انقطاع الغلال في القدس!

الاثنين ١٠ تموز ١٩١٦ [غربي]، ٢٧ حزيران ١٣٣٢ [عثماني]

الموافق ٩ رمضان ١٣٣٤ [هجري]

[١٨١] آه ما أحلى وأجمل الأعوام الماضية. كلما أتذكر الحالة التي نحن عليها الآن والحالة التي كنا عليها من قبل أجد حالتنا الآن أسوأ الحالات وأنجسها. حرب عمومية وحرب داخلية[1] وحرب الحكومة للأغلال[2] وغلاء معيشة وفتك أمراض. كل ذلك ونحن ساكنين ساكتين. ماذا أقول وماذا أكتب؟ لا أعلم. والله أمسك القلم فتقف يدي ولا أقدر على كتابة حرف واحد وأحياناً أمسك القلم ولا أستطيع أن أقف عن الكتابة. مضى ما ينوف عن الشهر ولم أكتب خلاله في هذه المفكرة شيئاً ما. مع أنه كان يجب عليّ أن أكتب كل يوم على حدة لما فيه من الحوادث والأشياء الهامة وها أنا الآن أقص ما تبقى في ذهني طول هذه المدة.

انقطاع الأغلال: لم ترى القدس أياماً أمر علينا وأصعب من هذه الأيام من جهة الأكل والشرب. انقطع الخبز والقمح بالمرة في هذه المدة. حتى إن البلدية كانت توزع الخبز على الأهالي والفقراء بعد الساعة التاسعة والعاشرة. وإني أذكر مرة أنني فيما كنت نازلاً من المنزل [العسكري] إلى البيت في الساعة الحادية عشرة رأيت النساء آتين من الأفران ولا أعلم إذا كن [١٨٢] أخذن خبزاً أم لا. وقد وزعت البلدية عدة أيام خبزاً أسمر لم أرَ قط طول حياتي مثله. وقد كانت الأهالي تتصارع على أخذ مثل هذا الخبز وينتظرون حتى منتصف الليل. ولكنه تغير نوعاً [الآن] ولله الحمد.

الذي أحب أن أذكره كيلا أنساه عن هذا الخبز أنه لم يصدر ولا يوماً واحداً طول هذه المدة إلاّ معجّناً فلا حول ولا.

البانقنوط:[3] طبعت الحكومة في هذه المدة بانقنوطاً مقدار لا يقل عن العشرين أو أل ٢٥ ليرة عثمانية وهو مكفول من إدارة الديون العمومية كما يزعمون. أريد أن أعرف ما هي الديون العمومية ومن هي؟ فهل ديون هذه الدولة فقط لألمانيا وللنمسا؟ وأين حصة فرنسا وإنكلترا وبقية الدول؟

(١) يشير إلى ثورة الشريف حسين في الحجاز.

(٢) الغلال.

(٣) البنكنوت، وهي العملة الورقية.

أول ما طبعت هذه الحكومة العاقلة [أوراقاً] بسعر ٥ ليرات عثمانية وبليرة واحدة ثم نزلت الليرة.(١) فبعد أن كانت [تساوي] ١٠٢½ [قرش] و١٠٨ [قروش] أصبحت بـ ٧٠ و٦٨ و٥٨ [قرشاً]. أخيراً رجعت الحكومة وطبعت [أوراقاً] بسعر نصف ليرة وربع ليرة فارتفعت [قيمتها] عدة أيام ولكنها ما لبثت أن نزل سعرها. أخيراً طبعت الآن بانقنوط بسعر ٥ غروش و٢٠ غرشاً فقد كانت الليرة قبل يومين ٦٥ و٦٠ غرشاً صاغاً. أمّا اليوم فقد ارتفعت إلى ٦٨ [غرشاً].

ومن الغريب أن بعض دوائر الحكومة لا يأخذون البانقنوط إلاّ إذا كان المدفع [من يدفع] لهم يستطيع أن يدفع ورقاً. أمّا إذا كان بريد [١٨٣] مثلاً ٩٥ قرشاً ودفع مائة فهو غير مقبول.(٢) أمّا الأهالي فالقوة الجبرية. فلمَ ذلك يا ترى؟ لا أعلم. ولكنهم هم يعلمون.

غلاء المعيشة. المعيشة غالية جداً وقد فُقد كل شيء من الأسواق. فإذا طلبنا خضرة لا نجدها أو عدساً أو بصلاً أو كل ذلك مما لا [يقدر] الإنسان أن يحصياه [يحصيه] كل ذلك مقطوع مع أنه من خيراتنا. ومن أغرب الأمور أن الأشياء الخارجية(٣) موجودة وخلافها مقطوعة فلمَ ذلك؟

(١) انخفضت قيمتها.
(٢) تركيب الجملة ركيك في الأصل. لكن القصد أن الحكومة لا تأخذ إلاّ عملة ورقية، في حين ترغم الناس على أخذ غير ذلك.
(٣) المستوردة.

ثورة الشريف حسين على السلطة العثمانية

الثورة. شق عصا الطاعة الشريف حسين باشا على الحكومة العثمانية في هذه الأيام. وقد تظاهرت السكان في المدينة [المنورة]. وعطلت قسماً من السكة الحجازية عملها. ولكن لقلة عددهم(١) تفرقوا في الصحراء. وقد أشيع بأن الإنكليز مدتهم بالمال والذخيرة والجنود وقّهم الله.

نعم الفاتحة هذه الفاتحة. ونعم الحملة هذه الحملة. إنها والله تسر كل عربي غيور يحب جنسه.(٢) كيف لا وقد رأينا من معاملة هذه الأمة الطاغية الباغية التي أهلكت الحرث والنسل لنا ولأهلينا؟ نهبت أموالنا واستباحت أعراضنا وقتلت رجالنا فهل بعد ذلك نحب البقاء تحت ظلها. كفانا الله ما رأيناه من المعاملة السيئة في هذه الحرب فإنها علمتنا بأن سكوت هذه الدولة عنا ورضاها عنا لم يكن من صفو نيتها. كلا والله لم يكن ذلك إلاّ عن ضعف منها.

[١٨٤] كيف نحبها بعد أن قتلت خيرة رجالنا ممن نرجو منهم خيراً؟ صلبتهم وعلقت أجسادهم في الشوارع كما تعلق أجساد المجرمين وقطاعي الطرق. قتلتهم والله ظلماً وبهتاناً. أعدموا لأنهم كانوا يطالبون الحكومة بحقوق أمتهم. أعدمتهم لأنهم أرادوا مناقشتهم الحساب قبل النفير العام.(٣) ماتوا ولم يفه من هذه الأمة العربية التعيسة أحد ببنت شفة. أعدموهم وظنوا بأنهم في عملهم هذا أحسن فرصة للانتقام. نعم ماتوا ولم ينبس أحد من الفلسطينيين والسوريين ببنت شفة. ولكن حيا الله رجل الحجاز.

عندما أعدمتهم هذه الحكومة الجنكيزية(٤) ظنت أنها تقضي على أمل هذه الأمة بموت بعض كبار السوريين ولم يفتكروا بأنه إذا مات واحد خلق الله بعده ألفاً.

الحكومة الآن تجرب كل ما في وسعها كتمان هذا الخبر(٥) وانتشرت البوليسة السرية هنا في كل الأنحاء ولكن مع كل هذا النشر فإن الخبر قد شاع.

(١) يقصد الثوار في الحجاز.
(٢) وطنه، أمته.
(٣) يقصد نشاطهم العروبي قبل الحرب.
(٤) نسبة إلى جنكيز خان.
(٥) يقصد ثورة الشريف حسين.

[١٨٥] وإن تكن العربان قد رجعوا في بادئ الأمر هذه المرة[١] ولكنهم سيواصلون على عملهم وسيزعجون الحكومة العثمانية حتى يخرجونها من البلاد العربية صاغرين خاسئين ويخرجوا من هنا كعادتهم في كل محل يخرجون منه.[٢]

إذا ارتدوا في هذه المرة فإنهم سيواصلون حتى ينالوا مآربهم. خصوصاً بعد أن أخرجت الإنكليز في هذه المدة عدداً وافراً من الجنود المصرية والهندية إلى جدة. وقد أصبحت الآن جدة ومكة وما حوليها من الأماكن في أيدي العربان وفقهم الله.

(١) حاول القائد جمال باشا أن يتفاوض مع عدة مجموعات حجازية ليكسبها إلى صف الحكومة في الفترة ١٩١٥-١٩١٦.

(٢) إشارة إلى دول البلقان واليونان.

أسباب انشقاق أهل الحجاز

أمّا هياجهم [ثورتهم] فأسبابه كثيرة وكذلك إشاعاته. فمن يقول بأن الشريف حسين باشا ترجى في العفو عن صدور الحكم بإعدام أبناء العرب فأبوا.[١] ومنهم من يقول بأن الحكومة كانت تدفع في كل عام دراهم معدودة إلى العربان عوضاً عما لحقهم من الخسران في إنشاء السكة الحديدية الحجازية.[٢] فخوفاً من التعدي عليها من العربان خصصت الحكومة لهم شيئاً معيناً من المال تدفعه لهم في كل عام.

[١٨٦] وفي هذا العام امتنع جناب حضرت [حضرة] القائد الكبير قائد الجيش الهمايوني[٣] الرابع وناظر البحرية الجليلة دولة أحمد جمال باشا عن الدفع. ولكن سنعلم الأسباب متى انقضت الأزمة.

بارك الله بك أيها الشريف وبارك الله همتك وحفظك الله. وحفظ الله من يمد يد المعاونة لك. لله درك ودر كل من يعاضدك. بارك الله فيك وفي هذه الحملة المباركة وتسري إلى جميع أنحاء البلاد العربية حتى تتخلص من ظل هذه الدولة المنحوسة.

أنتم أيها العربان برهنتم للعالم أجمع أنكم رجالاً لا تأبون الذل والهوان. برهنتم الآن أنكم أولاد آبائكم العرب. برهنتم بأنكم تدافعون عن أمتكم العربية وفاديتم بأرواحكم حتى تتخلص هذه الأمة من نير الأمة البربرية العثمانية.

لمّا أعدمت الحكومة العثمانية المتوحشة رجال العرب في العام الماضي وفي هذا العام ضحك الكل علينا لأننا لم ننبس ببنت شفة لهذه الدولة المنحوسة. ولكن بارك الله بهمتكم وقمتم لأخذ ثأر إخوانكم في الجنسية.[٤] فبارك هممكم ولكن أرجو أن لا تنخدعوا لأقوال هذه الحكومة لأنها لا بد أن ترسل لكم وفداً حتى ترى مطالبيكم لتوافقكم عليها. فإياكم أيها العربان. فإن كل ما توعده بكم ما هو إلاّ كلام وحبر على ورق وفي الختام أدعو الله بأن يوفقكم وأستودعكم.

(١) يقصد أن الشريف طالب بإلغاء حكم الإعدام فرفض جمال باشا ذلك.

(٢) إشارة إلى خسارة البدو نتيجة إنشاء سكة الحديد. فقد كانت الحكومة تدفع لهم لحماية قوافل الحج وغيرها، أو لعدم مهاجمتها. ويعترف إحسان بأن بناء السكة جعل من هذه الحماية غير لازمة.

(٣) الجيش السلطاني.

(٤) القومية.

الضابط الأرناؤوطي يغازلني!

الاثنين ١٧ أغسطس ١٩١٦ [غربي]. ٢٥ تموز ١٣٣٢ [عثماني]
الموافق ٨ شوال ١٣٣٤ [هجري]

[١٨٧] يقولون بأن شهر تموز [تقويم عثماني] هو أفضل شهر في السنة لأنه الشهر الذي تحررت فيه الكثير من الأمم. أمّا أنا فإنني والله لم أر شهراً أقبح وأعطل منه!

لم أر طول حياتي أياماً أصعب من هذه الأيام. ولم تمر على رأسي مصيبة أكبر من هذه المصيبة التي أنا فيها الآن. إنها والله لمصيبة عظيمة.(١) كم افتكرت في هذا الشهر أن أنتحر. كم من مرة دعوت الله بأن يصطفيني حتى أموت. كم من مرة دعوت الله حتى أتخلص من هذه الجندية.

يوم فاتحة مصيبتي طلبت من أحد أصدقائي وهو أغزاجي(٢) بأن يدلني على علاج حتى أستعمله لأمرض وقد ألححت عليه ولكن الجار أبى ويا للأسف. نعم طلبت ذلك منه حتى أتخلص من ذل هذه الجندية. طلبت منه أملاً في شيء أستعمله لأمرض ويأخذني [بعيداً عن العمل] عدة أشهر حتى أتخلص من هذا السلك الرذيل ولكنه ويا للتعاسة أبى.

حياتي غالية نعم لا أنكر ولكن شرفي أغلى من هذه الحياة التي إذا فقد الإنسان شرفه فقد حياته. نعم إن الموت بالعز خير من المعيشة الذليلة.

[١٨٨] يوم الجمعة الواقع في ١ تموز ١٣٣٢ حساباً شرقياً بعد الظهر بينما كنت جالساً وراء طاولتي في المنزل [العسكري] أكتب قال لي كاتبي وهو تركي أرناؤوطي(٣) أن أقرأ ورقة كتبها. ولكنه مزقها قبل أن يعطيني إياها.

فافتكرت بماذا يكون فحوى تلك الورقة وقد تيقنت بأنها لم تكن ورقة رسمية حتى أطلع عليها لأبيّضها [ثم] أقيدها.(٤) وبدأت أفتكر ماذا يوجد في تلك الورقة حتى مزقها إرباً إرباً. ولم يمض خمس دقائق على ذلك حتى قال بأنه يريد أن يقبلني من بين عيناي. فامتقع لوني واصفر وجهي وهممت أن أقوم لأضربه ولكني سكنت

(١) يتضح من الفقرات التالية مغزى كلام الكاتب.
(٢) أغزاخاني أي صيدلي، وهو رستم أفندي جار إحسان وصديقه الحميم.
(٣) ألباني، ويقصد عثماني أرناؤوطي لأن الألبان ليسوا أتراكاً.
(٤) يدرجها في السجل الرسمي.

روعي ولم أنبس ببنت شفة.

فعاد على السؤال وطلب مني أن أجاوبه ثم قال «لا تخف. لا أريد بك سوءاً. إنني أحبك جداً. ولا أعلم لماذا. والله لا أقدر أن أتحمل أكثر من ذلك. فقد صار لي ما ينيف عن العشرين يوماً وأنا على هذه الحالة». أمّا أنا فلم أجاوبه على كلامه.

طلب مني أيضاً بأن أترك جبيني وشعري يظهر من تحت قبعتي. ثم سكت وصرفني إلى البيت وأنا كالمجنون لا أعي على الدنيا شيئاً. وصرت أفتكر فيما أصنع. أأنتحر وحياتي غالية وآمالي كثيرة؟ وإذا انتحرت ماذا سيحل بوالدي ووالدتي؟ أنتحر لأجل رجل سفيل مثل هذا الرجل المنحط؟ ما أصنع؟ هل أقول لقوماندان القرارگاه؟(١) ولكن ماذا أقول له؟ هل أقول لخالي؟ ولكن أي لسان يستطيع التفوه بهذا الأمر؟

[١٨٩] أخيراً بعد أن تناولت طعام العشاء. ولم يكن لي قابلية للأكل لولا كون الشهر شهر صيام ووالدي يعتقد بأني صائم. صممت النية إلى أن أقول إلى جاري رستم أفندي وهو أغزاجي أن يدلني إلى علاج أستعمله حتى أمرض. ولكن بدون أن أذكر له السبب. وهكذا فعلت فإنني لم أقل له غير أنني تقاتلت [تشاجرت] مع ضابطي ولا أريد البقاء معه. فسألني عن السبب فاخترعت له أسباب لا صحة لها ورجوته أن لا يذكر هذا الخبر لأحد.

مضى عليّ يوم فيومان فثلاثة.... ف .... ف .... ف .... إلخ.... وكان لعنة الله [عليه] ولعن الله بلاداً وأمة تخرج من على شاكلته. كلما يخلو بي يفاتحني بهذا الأمر المنكر وكان تارة يستعمل العنف وتوراً [طوراً] اللين. وهو دائماً يطلب تقبيلي وإظهار شعري. أخيراً بعد أربعة أو خمسة أيام لم يكلمني نهاراً بطوله. فما أحلى ذلك النهار لأنه أراحني من خدماته الثقيلة.

أخيراً بينما كنت بعد تعطيل العصر ذاهباً رأيت جارنا الأغزاجي رستم أفندي وذهبت معه إلى باب الخليل فصرخ [الضابط] عليّ وأرجعني.(٢) فذهبت إليه وسألته عما يريد. فقال «لا تذهب مع هذا الرجل لا في الليل ولا في النهار!». وكان النار يتطاير من عينيه واقترب مني فخفت من أن يضربني. فتجرأت واعتذرت له عن ذهابي الليلة معه وأخبرته بأن يمر في الليل من باب بيتنا لأن أبواب الحرم تغلق في الليل

(١) قومندان القراركاه: نهاد بيك وهو الرجل الثاني بعد روشن بيك في المنزل العسكري.
(٢) يقصد الضابط الأرناؤوطي.

وبيتي داخل الحرم[1] ثم صرفني.

[١٩٠] مضى على ذلك حتى كتابة هذه الأسطر في كل يوم يفاتحني قبح الله وجهه، فساعة كان يقول «إذهب عني»، فأفرح لذلك. ولكنه كان يعود ويقول: «كيف أتركك وأنا لا أقدر على فراقك؟» وطوراً كان يقول «لا تكلم حلمي أفندي الحسيني ولا رستم أفندي الأغزاجي». وطالما رأيته في باب العمود على القهوة وفي الطريق يراقبني مع من أذهب أو أمشي.

وقد تجاشر[2] مع رستم أفندي عدة مرات مدعياً بأنه يقيمني عن شغلي وبأنه يضرّني. وقد وقف عدة مرات بالطريق بعد الانصراف بالليل وكلمني وهددني. وطالما كان يهددني بالقتل، أو بالانتحار. والذي خوفني أكثر هو كتابته مرة ورقة لا أعلم فحواها قال لي «بأنك ستموت من هذه الورقة».[3]

أمّا ساعة وجود الكاتب الجاويش الذي بمعيته كان يعاملني أحسن معاملة ويلاطفني جداً ويمدحني ولكن أنا لا أريد هذا المديح ولا هذه الملاطفة التي تؤدي إلى الرذيلة، وأي سفالة أرذل من ذلك؟

هذه قصتي بكل اختصار ولا أعلم ماذا سيحل بي مع هذا الخائن الغدار.

(١) كان يوجد مدخلان لمنزل الترجمان حينذاك، أحدهما من داخل الحرم وآخر خارجي من آخر شارع باب السلسلة.

(٢) تشاجر.

(٣) يبدو أن الضابط يشير إلى حجاب أو إلى تقرير كتبه ضد إحسان.

زيارة مزعجة في الليل وشكوى إلى روشن بيك

الثلاثاء، ١٨ أغسطس ١٩١٦ [غربي]، ٢٦ تموز ١٣٣٢ [عثماني]

الموافق ٩ شوال ١٣٣٤ [هجري]

[١٩١] بينما كنت نائماً في هذا الصباح إذ بوالدتي توقظني من منامي «قم كاتبك يريدك». فسألتها أين هو؟» فقالت «في الحرم». فلبست سترتي وطاقيتي ونزلت إلى عنده وقد كان قاعداً على المصطبة التي بباب دارنا في الجهة الجنوبية من السلطانية وقد كان بواب الحرم الشريف واقفاً بجانبه. فسألته عما يريد.

قال أنه يريد مني ثلاثة أشياء. أولها إخراج رستم أفندي من البيت الذي هو ساكنه. ثانياً بأن أخرج شعري من تحت طاقيتي. ثالثاً طلب مني أوراقاً كنت سلمتها له قبل يومين وقد ادعى بأن روشن بيك مفتش المنزل [العسكري] ونهاد بيك أركان حرب المنزل يريدان منه هذه الورقة.

أخيراً صرفته وقد كانت الساعة إذ ذاك واحدة ونصف افرنجية بعد منتصف الليل. فذهبت إلى البيت وقد كان رستم أفندي واقفاً في الدرج يتنصت إلى كلامه.[1] ثم تركته وذهبت إلى البيت وقلت لوالدتي ولوالدي بأنه يريد مني أوراقاً.

ذهبت إلى الفراش وأردت النوم ولكن مضى ساعة ونصف ونيف وأنا أتقلب في فراشي أفتكر بماذا أصنع مع هذا اللئيم. أخيراً صممت النية إلى أن أنهض صباحاً وأخبر خالي بهذه القضية، حينئذ نمت.

[١٩٢] في الساعة السادسة ونصف افرنجية نهضت ولبست وتناولت طعام الصباح وذهبت إلى خالي وأخبرته بالقصة بالتفصيل. فهدأ من روعي الخال وطمنني ووعدني بأنه سيجد يد المعونة معي وهكذا ظل فكري حتى هدأ بالي وذهبت إلى المنزل [العسكري].

ذهبت وقد كنت متأخراً عن الميعاد. وقد كان لعنه الله كلما حل ذكره في كل آن ووقت من أثر سكرة المساء مخبوطاً شراه الله[2] ولا أقام عن قلبه شدة. فسألني إذا كنت أخبرت أحداً بهذه القضية. فقلت له «لا».

(١) من غير الواضح ماذا كان يفعل رستم في هذا الوقت المتأخر، ويبدو مما سيأتي أن الضابط كان سكراناً وأحدث ضجة كبيرة في الحارة.

(٢) أصابه بالشرى، والشرى مرض جلدي.

ظل طوال النهار مريضاً من هذه السكرة، ولم يأكل شيئاً البتة. وفي المساء واجهت خالي وسألته عما فعله. فقال بأنه وجد رجلاً يذهب معه إلى مفتش المنزل روشن بيك ويعرضان هذه المسألة عليه. فطلبت منه الإمهال لأنه من ملاطفته لي كاد أن ينسيني جميع ما فعله.

وهكذا كنت في كل مرة يلاطفني بها أسكت وأقول ها قد تحسنت أحواله معي. ثم يعود إلى عادته الأولى وأعود وأقول أنما مخاطباً نفسي لا. لا أقعد. ثم يعود ويجاملني فأعود أنا وأنسى كل معاملته السيئة لي.

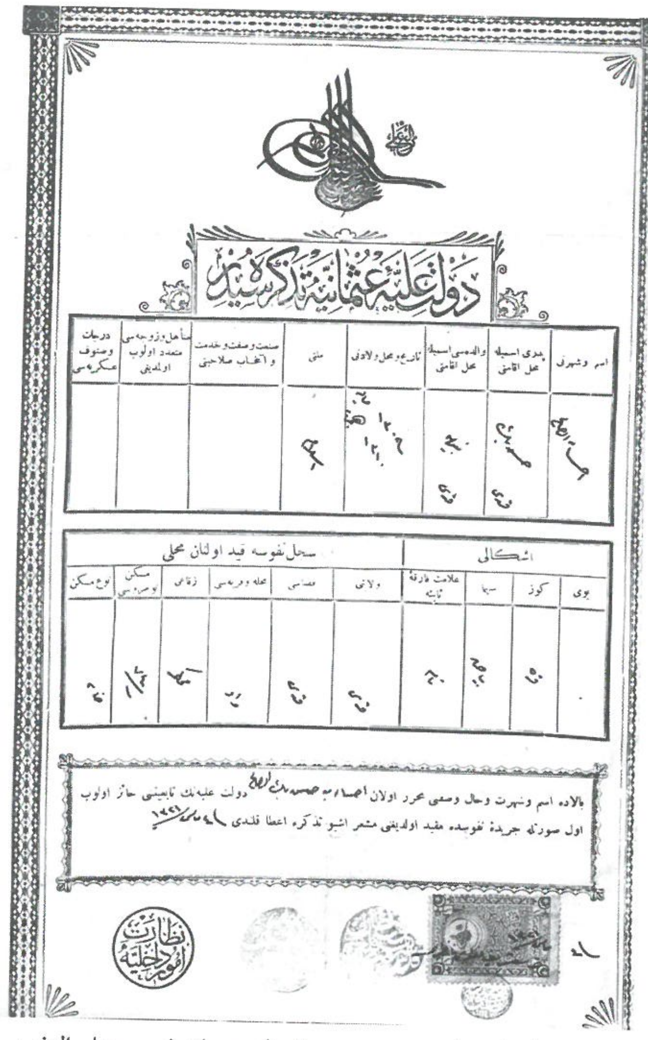
[انتهت اليوميات]

[عند هذه الكلمات تنقطع فجأة يوميات إحسان الترجمان. وفي إفادة من صالح الترجمان، ابن الأخ الأصغر لإحسان، أن والده عادل حسن الترجمان أخبره قبل وفاته أن إحسان قد قتل على يد ضابط عثماني قبيل انسحاب الجيش العثماني من القدس ودخول قوات الاحتلال بقيادة أللنبي في ٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧]

«أذكر عارف بيك وعادل بيك الترجمان وأباهما الطيب الفاضل، وأترحم على المرحوم المأسوف عليه، إحسان، الذي لا يبرح من مخيلتي.»

السكاكيني، الكتاب الثاني، مصدر سبق ذكره،
الخميس ١١ تموز غ سنة ١٩١٨م، ص ٣٤٨.

ملحق صور ووثائق



دولت علیهٔ عثمانیه تذکرهٔ سیدر

اسم وشهرتی	پدری اسیله محل اقامتی	والده‌سی اسیله محل اقامتی	تاریخ ومحل ولادتی	مللتی	صنعت وصفت وخدمت و آلقاب صلاحیتی	متأهل وزوجه‌سی متعدد اولوب اولمدیغی	درجات وصنوف عسکریه‌سی
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]			

اشکالی				سجل نفوسه قید اولنان محلی					
بوی	کوز	سیما	علامت فارقهٔ ثابته	ولایتی	قضاسی	محله وقریه‌سی	زقاقی	مسکن نومروسی	نوع مسکن
.	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

بالاده اسم وشهرت وحال وصفی محرر اولان احسان بن حسن بك [illegible] دولت علیه‌نك تابعیتی حائز اولوب اول صورتله جریدهٔ نفوسده مقید اولدیغی مشعر اشبو تذکره اعطا قلندی [illegible]

شهادة مولد إحسان بن حسن بيك الترجمان في سجل النفوس العثمانية، القدس.

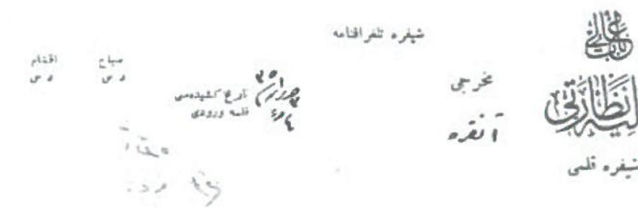
المصدر: أوراق صالح الترجمان.

مولد إحسان كما دونه حسن بيك الترجمان في دفتر العائلة، يليه مولد أخته يسرى.

المصدر: أوراق صالح الترجمان.

القائد علي روشن بيك في المراسلات السرية للاستخبارات العسكرية العثمانية. الرسالة الأولى (مشفرة) تحوي إشارة إلى نشاطه العسكري في منطقة سيواس خلال حرب التحرير. والثانية تحوي مرسالات مع القائد مصطفى كمال (أتاتورك) بشأن دوره في السيطرة على عصابات مسلحة ممولة من السلطة البريطانية. (أنظر أيضاً الصفحة التالية)

المصدر: أرشيف الجيش العثماني، أنقرة.



















طوابع عثمانية تمثل دور الجيش العثماني في السويس والقدس وبئر السبع والحفير. لم يتم تداولها. كذلك أختام الرقابة العسكرية (السنسور) في مدينة القدس.

المصدر: Norman Collins, *The Ottoman Posts and Telegraph Offices in Palestine and Sinai* (London: Sahara Publishers, n.d.).



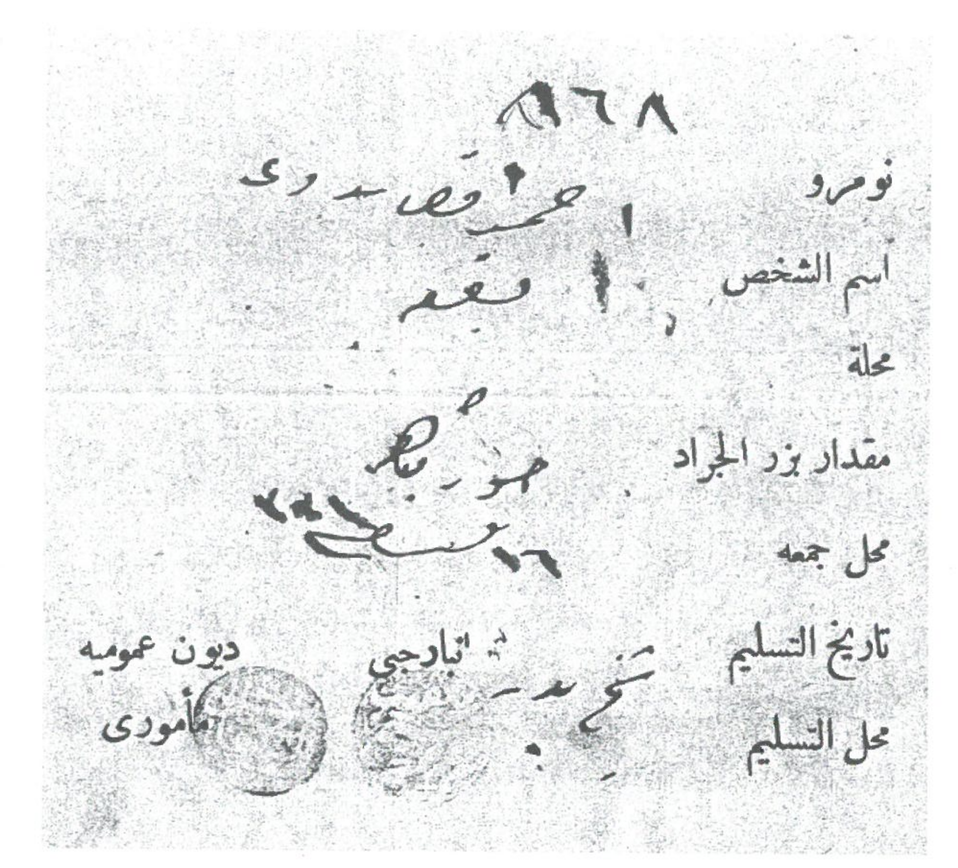
فرقة موسيقى عسكرية تمر بحي سعد وسعيد، القدس ١٩١٦.

المصدر: مجموعة ماتسون/ لارسون (م ك).



باب الأسباط جادة سي، القدس ١٩١٧. يافطة شارع بالتركية العثمانية.

المصدر: مجموعة المتحف العسكري الإمبراطوري، لندن.



نومرو

اسم الشخص

محلة

مقدار بزر الجراد

محل جمعه

تاريخ التسليم

محل التسليم

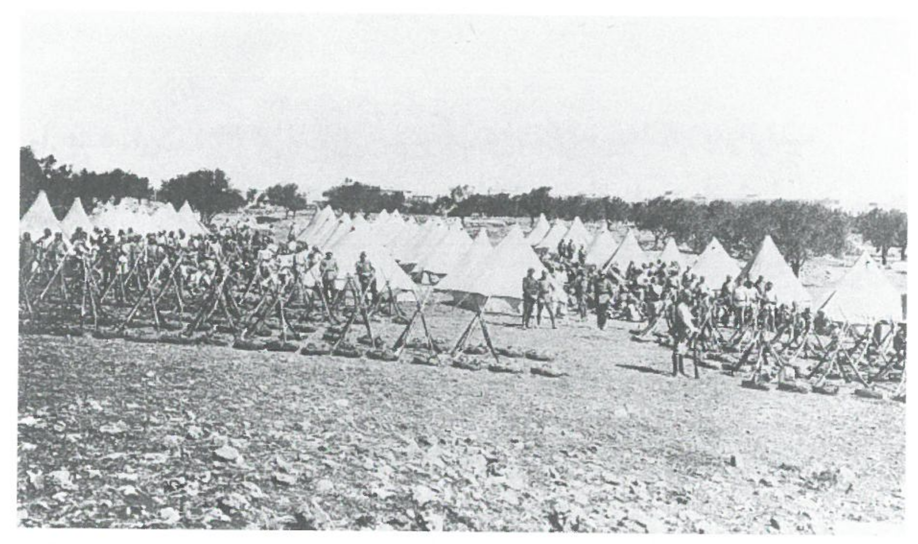
انبارجي

ديون عموميه

مأمورى

إيصال يدل على أن صاحبه جمع بيض الجراد في ١٦ نيسان ١٣٣١ (عثماني) في الشيخ بدر.

المصدر: مجموعة أحمد بدوي الخالدي (لدى سلمى الخالدي).



معسكر تدريب الجيش الرابع في حي البقعة الفوقا جنوب القدس، ١٩١٥.

المصدر: المجموعة الجوهرية، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

بياننامه

بتاريخ ٥ مارت ۳۳۱ هجم اسطول مهم مركب من سفائن حربيه انكليزيه وافرنسيه علي چناق قلعه وبمدافعة عسكرنا الشجيعه ردوهم بالحال وبهذا الهجوم اغرق اربع مدرعات ومخربه والقسم الاعظم الباقي الحق به خسائر جمه ولذا عمل تزيينات بمركز الخلافه وصار اعلان السرور والافراح من ظرف الاهالي بناء عليه تذكارا لمظفريت ٥ مارت ۳۳۱ اقتداء لاهالى دار الخلافه بهذه الليله سيصير تزيين بلدة القدس الشريف مع عمل الافراح لشرف هذا اليوم المسعود من طرف العساكر والاهالي

۸ مارت سنه ۳۳۱

نموذج لإعلانات الدولة عن تطور العمليات الحربية كان يعلق في الأماكن العامة في القدس، ١٩١٥. (٨ مارت ١٣٣٠ عثمانية – مالية)

المصدر: أوراق سلمى الخالدي.

المدرسة الدستورية الوطنية

في القدس

تقبل الطلبة من اي مذهب كان، لا تتعرض لاحد في دينه، الغرض الذي ترمي اليه من التربية تقوية النفس لا اذلالها وانماء الغرائز والاميال الصالحة لا محاربتها او اهمالها، تعتني بالالعاب الرياضية والتمارين العسكرية عناية خصوصية، تنشّئ الطلبة على مبادئ الدستور وتربيهم على الاخلاق الكريمة والاداب الرفيعة والمبادئ الصحيحة وتتعهد فيهم عاطفة الاخاء وعاطفة الوطنية العثمانية وتبث فيهم روح الاستقلال والشجاعة والرجولية، تجري في التربية والتعليم على احدث الاساليب، لا تستعمل قصاصات ولا جوائز، اما دروسها فهي :

اللغات العربية والتركية والانكليزية والافرنسية والرياضيات والطبيعيات والجغرافيا والتاريخ والاصول التجارية والمدنية والصحية والمبادئ الدينية والتصوير والموسيقى والحركات العسكرية، وهي المدرسة الوطنية الأولى التى انشأت فرعاً للاطفال من الرابعة الى السابعة من اعمارهم وهو المسمى بستان الاطفال . حيث يتعلمون على يد معلمة

المدرسة الدستورية – بإدارة خليل السكاكيني وجميل الخالدي – كانت نموذجاً للتعليم العلماني والمتنور. لاحظ الإشارة إلى تنمية روح الوطنية العثمانية. (أنظر التتمة في الصفحة التالية).

المصدر: أوراق منى حلبي.

فيدفعون ٦٠ فرنكًا في السنة

تنبيه · اتفقت المدرسة مع صديقها الفاضل حضرة النطاسي البارع الدكتور الياس افندي الحلبي ان يكون طبيب المدرسة الخاص فيزورها مرتين في الاسبوع ولا يكلف التلميذ باجرة العيادة ولا ثمن الدواء.

تبتدئ المدرسة يوم الاثنين الواقع في ٢ ت ١ و١٩ ايلول و٨ شوال سنة ١٩١١م

والمفاوضة تكون منذ الآن مع احد مؤسسي المدرسة الدستورية وهم :

علي جارالله . خليل السكاكيني . جميل الخالدي . افتيم مشبك

في ٢٣ آب سنة ١٩١١



مطبعة دار الايتام السورية — القدس



الى الملايين من المسلمين

قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم

ايها المؤمنون (قرآن كريم)

امرتم بالجهاد الاكبر فاين جموعكم ؟ واستنفرتم لصد الكفار فاين غزاتكم؟ ماذا ترتقبون وقد أخذت عليكم المسالك واحدقت بكم المهالك . هذا بيت الله الحرام قبلة المصلين وذلك قبر الرسول الامين قرة أعين ملايين المسلمين هل فكرتم يوما فيما عسى ان يكون مصيرهما اذا وهن أمركم وخفتت أصواتكم وانطفأت في العالمين انواركم .

اتكاثرون امم الصليب بعديد الرمل وقد اصبحتم في جوارهم ضعفاء على قلتكم قليلين على كثرتكم؟ كم كادوا لكم فما حذرتم وانتقصوا اوطانكم فما دافعتم واكتسحوا بلادكم فما ألمتم وآذوا دينكم فما جاهدتم ولا جادلتم .

أولئكم برابرة الروس والانجليز ومتفحشو اهل اوروبا من الفرنسيس . كم بسطوا رواق سلطانهم على اوطانكم وكم أخذوا بايديهم نواصيكم واقدامكم ثم لم يلبثوا ان قذفوا بكم في مهاوي الذلة والمسكنه. فتلك بلادكم متخطفة منهوبه ومحارمكم منتهكة مباحه وحقوقكم حيثما كنتم مسلوبه .

تلكم ممالك الهند وبلاد الجزائر وولايات البلقان وما ملكت روسيا من آسيا الاسلاميه هل تجدون فيها لله مساجد عامره اومنابر قائمه بعدما كانت مواطن التوحيد ومشارق الانوار الاسلامية ؟ كلا !! لقد اتخذ الكفرة من مساجدها معاهد للشرك ومن منابرها مقاعد للقسوس ومن منائرها مناصب للنواقيس .

اذهبوا الى اشباه تلك الممالك فهنالك الهول الاخطر والفزع الاكبر . على انالم نطوح بكم فنضرب لكم الامثال ببلاد نائيه وأمم خاليه وها أنتم أولاء ترون في ربوعكم ما ابتلاكم به اولئكم الكافرون . افلم ينتقصوا دول الاسلام حجرا حجرا حتى لم يبق لدين التوحيد من سناد اوعماد سوى الدولة العثمانيه. اين دول الاسلام الاسيويه؟ اين حماة الدين من ملوك افريقية ؟ الا لقد ثلت عروشها وذلت امراؤها وملوكها

دعوة إلى الجهاد بقلم عبد العزيز جاويش مدير المدرسة الصلاحية، ١٩١٤. لاحظ إثارة الحس الإسلامي ضد «البرابرة» الروس والإنكليز والفرنسيين. (أنظر التتمة في الصفحة التالية).

المصدر: مجموعة أحمد بدوي الخالدي (لدى سلمى الخالدي).

فهل نرى لها من باقية سوى ربوع دارسه و آثار طامسه وامم يغار عليها فلا تصد
ويكادلها فلا تستيقظ وينال منها فلا تفزع ولا تفر

سبحانك اللهم وبحمدك أليس هولاء الأناسى سلالة أولئك الغزاة الفاتحين واولاد
من ملكوا مابين بحرالظلمات والصين ؟ الامن سبب يمتون به الى من ورثوا القياصرة
والاكاسرة اويدلون به الى من جيشوا الجيوش وثلوا العروش واعلوا كلمة الله فى اروبا
شرقا وغربا ؟ أو ليسوا ابناء من دافعوا حملات اروبا الصليبية مائتى عام كامله فلم تهن
لهم قوة ولم يغمد لهم سيف ولم تنشعب لهم كلمه ولم تنكس لهم رايه ولكن قاتلوا
مستبسلين وجاهدوا فى الله صادقين فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء والله
ذوالفضل العظيم

أى اهل التوحيد واصحاب ذلك التاريخ المجيد ! ان كنتم تريدون الجنة فها هى
تلك مفتحة الابواب جارية الأنهار وارفة الظلال دانية القطوف تحت ظلال السيوف .
وان كنتم تريدون الدنيا فقد ذل قوم لايغيرون ولاتغارون ويسامون الضيم والخسف
فلا يدرأون الاذى عن اوطانهم ولاانفسهم .

لقد رأيتم عاقبة أمركم بعد اذالقيتم السلاح وتركتم ميادين الكفاح . رأيتم كيف
انقلبتم عبدانا لاهل الصلبان يتداولونكم تداول الامتعه ويسخرونكم كالانعام.
[illegible] محارمكم.
رأيتم [illegible] الكرام [illegible] أ[illegible] . فاليوم
قد امكنكم الله من رقابهم فلا تعتقوها ومن مقاتلهم فلا تطلقوها . احملوا عليهم من
كل صوب واملؤا عليهم الارض بالخيل والرجل ثم سوموهم نسفا بالقنابل وضربا
بالسيوف . خذوا عليهم السبل واقعدوا لهم كل مرصد ثم احصروهم حيث وجدتموهم
فاجعلوهم وقودا لنيران مدافعكم واغمادا لماضى قواضبكم

بذلك أمر أميرالمؤمنين وخليفة رسول رب العالمين فالجهاد الجهاد والنفير النفير
فقد ضمن الله الجنة لشهدائكم والنصر والعزة لاحيائكم فقاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم . واذكروا
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون
ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا
ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هوالفوز العظيم

عبدالعزيز جاويش

استانبول : بمطبعة العدل

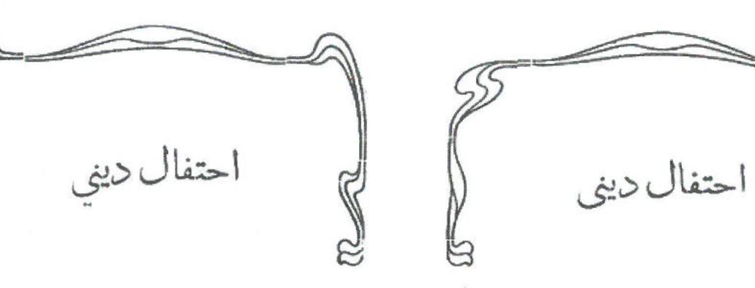
كلية صلاح الدين الايوبي
بالقدس الشريف
٢٢٢٠
سـا ربيع الانور سنه

ستحتفل ادارة كلية صلاح الدين الايوبى في الساعه الثامنة
بعد ظهر يوم الخميس الموافق ١٢ ربيع الانور الجارى باحياء هذه
المدرسة الصلاحية تيمنا بمولد فخر الكائنات صلوات الله وسلامه
عليه فنرجو ان تتفضلوا بالحضور ولكم الشكر الموفور

مدير الكلية

عبد العزيز جاويش

دعوة من إدارة كلية صلاح الدين في القدس ومديرها عبد العزيز جاويش
إلى حضور حفل إحياء المولد النبوي، ٢ ربيع الأول ١٣٣٠.



احتفال ديني

١ —— رمضان شريفك اوچنجى پنجشنبه كوني ساعت طقوزده قدس شريفده بولنان عساكر شاهانه وبالجمله اهالئ مسلمه مسجد اقصىده اثبات وجود ايده جكلردر.

٢ —— جامع شريفده ايكندى نمازى ادا ايدلدكدن صكره ختم شريف ومولد حضرت رسالتپناهي تلاوت اولنه جقدر.

٣ —— تاريخي برنطق، پادشاهمز افندمز حضرتلرينك ازدياد عمر وشوكت شاهانه‌لري وعساكر همايونلرينك غلبه ومظفريتى وعالم اسلامك نجات وسلامتي ايچون دعا.

٤ —— مسجد شريفده مراسم دينيه‌نك ختامنده آلاي مخصوص ايله مأمن اللهده‌كي «قادين، اركك چوجوق» بالجمله شهداي كرامك جسدمباركلرينك طولديرلديغى مغاره زيارت ايديله‌جك واورادة دعالر قرائت اولنه جقدر.



احتفال ديني

١ — في الساعة التاسعه من نهار الخميس المصادف لليوم الثالث من شهر رمضان المبارك ستجمع جميع العساكر الشاهانيه وعامة المسلمين في المسجد الاقصى.

٢ — سيتلى بعد اداء صلاة العصر الختم الشريف ومولد النبي المبارك.

٣ — خطاب تاريخي ودعاء بازدياد عمر جلالة الخليفة الاعظم وموفقية الجيش العثماني وسعادة العالم الاسلامي.

٤ — سيخرج الجميع بعد ذلك في انتظام الى مقبرة (مأمن الله) لزيارة الرجال والنساء والاطفال الذين استشهدوا في الايام السالفة ووضعت اجسادهم المباركه داخل المغارة الكائنة ثم.





إعلان صادر عن بلدية القدس باللغتين التركية العثمانية والعربية تدعو فيه العساكر الشاهانية والمواطنين إلى التجمع في المسجد الأقصى ثم التوجه إلى مقبرة ماميلا (مأمن الله) لزيارة مقابر شهداء الحرب. لاحظ أن النص العربي مبتور. (من دون تاريخ).

المصدر: مجموعة أحمد بدوي الخالدي (لدى سلمى الخالدي).

دولت عثمانيه

پوسته وتلغراف وتلفون نظارتى

تلغراف مقبوضى

مرسوله نومروسى

عدد كلمات

طرفندن ...

تلغرافنامه‌نك ... غروش ١٠ باره اجرتى آلنمشدر.

... باره ... غروش

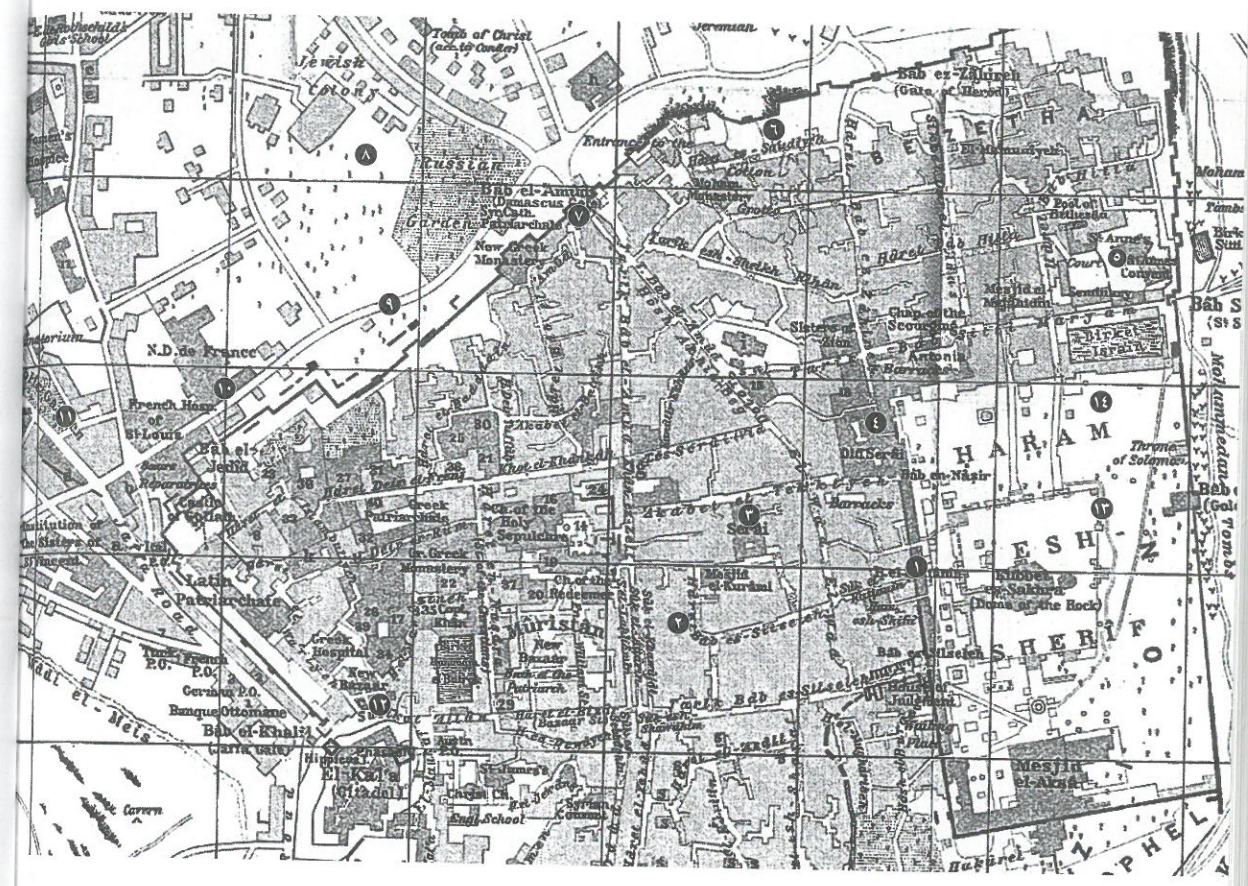
سنه ١٣٤٠

چكيلان اوزرينه موضوع طمبولك امضاسى

نص برقية من توفيق الخالدي ابن خالة إحسان الذي كان يخدم في معسكر الحفير بالقرب من بئر السبع إلى والده أحمد بيك الخالدي تحمل الختم العسكري للحفير وبريد القدس.

المصدر: مجموعة أحمد بدوي الخالدي (لدى سلمى الخالدي).

خريطة القدس العثمانية - ١٩١٢



١- بيت حسن الترجمان داخل الحرم الشريف
٢- شارع باب السلسلة
٣- السراي الحكومي
٤- السراي القديم
٥- المدرسة الصلاحية
٦- حارة السعديّة
٧- باب العامود
٨- كرم الاعرج – المصرارة
٩- عقبة المنزل
١٠- المنزل العسكري
١١- حديقة المنشية (شارع يافا)
١٢- لوكاندة سليم (باب الخليل)
١٣- قبة الصخرة
١٤- ساحة الحرم

فهرس تفصيلي للموضوعات

١٩١٥/٣/٢٨

ماذا سيكون مصير فلسطين بعد الحرب؟

[العودة إلى كتابة مذكراتي - زيارة خليل السكاكيني - ما هو مصير فلسطين بعد الحرب؟ - الانضمام إلى مصر - الأسطول الإنكليزي يصل إلى بحر مرمرة]

١٩١٥/٣/٢٩

وظيفتي في قيادة الأركان مع علي روشن بيك

[وظيفتي في أركان القيادة عند روشن بيك - موظفو الدولة - أرضنا في كرم الأعرج ودخلها السنوي - اعتداء العساكر على شجر الزيتون - الفوضى في الجيش - انتشار الجراد في فلسطين]

١٩١٥/٣/٣٠

شنق الجنود في باب الخليل

[شنق جنديين في باب الخليل بتهمة التجسس لمصلحة إنكلترا]

١٩١٥/٣/٣١

دعاية سينماتوغرافية للجيش العثماني

[دعاية سينماتوغرافية للجيش العثماني - مساعدة في دفع بدل الخدمة العسكرية - حسن الخالدي وعمر الصالح وهاشم يحيى - راغب الخالدي - خالي محمد أفندي الخليلي - العشاء في دار خالي - عادل جبر يمتدح الحكم العثماني]

١٩١٥/٤/١

رجوع بيارق مسيرة النبي موسى

[رجوع بيارق مسيرة النبي موسى - غسل رجلي بطريرك الروم - التراجع في أعداد الحجاج - تحسين لغتي العربية في الكلية الأميركية]

١٩١٥/٤/١

الشرطة تهاجم النساء في الحرم الشريف

[نساؤنا يرضين بالقليل - الشرطة تهاجم النساء في الحرم - حالة المرأة المسلمة]

١٩١٥/٤/٢

عيد الحبش

[عيد الحبش - مع طاهر الخالدي في كنيسة القيامة]

١٩١٥/٤/٣

يريدون تقبيل يدي ورجلي

[العيد الكبير - مناوب في طلبات الاستدعاءات - طوابير الخدمة - يريدون تقبيل يدي ورجلي]

١٩١٥/٤/٩

الحكومة تستعدي اليهود والنصارى

[وصول العلم النبوي إلى القدس - «أدخلوا مصر آمنين» - طابور الزبالة في البلدة القديمة - الحكومة تستعدي اليهود والنصارى]

١٩١٥/٤/١٠

خبر تقشعر له الأبدان!

[خليل السكاكيني - جريدة «المقتبس» - خبر تقشعر له الأبدان - لا يوجد في قلبي مكان إلاّ لامرأة واحدة - قد أضطر إلى أن أتزوج من خارج القدس - يا ترى من يدير أمور بيتي في المستقبل؟ - اقتراح من الأستاذ خليل السكاكيني]

١٩١٥/٤/١١

مع إسعاف النشاشيبي في بيت المعلم خليل السكاكيني

[في باب الخليل مع عمر أفندي البرغوثي - رواية عن اشتباكات العسكر الأتراك مع الإنكليز - إسعاف النشاشيبي - لماذا أكره (أ. ب.)؟ - نقاش غير مجد عن خسائر العرب نتيجة الحرب]

١٩١٥/٤/١٢

حياة الكسل في العسكرية

[حياة الكسل في العسكرية - شائعات عن قصف الإنكليز يافا وغزة - انقطاع الأخبار من الخارج - الرقابة العسكرية]

١٩١٥/٤/١٣

أسنان والدي الاصطناعية

[شراء الحذاء الجديد - تضحية الآباء - أسنان والدي الاصطناعية - عمر الصالح وخالي سعد الدين الخليلي - حديث مع والدتي وعمتي]

١٩١٥/٤/١٤

لا يجوز للعساكر لبس الكنادر البيضاء

[لا يجوز للعساكر لبس الكنادر البيضاء - خوفي من الضباط - الاجتماع بخليل السكاكيني وعائلته - حديث عن المدرسة]

١٩١٥/٤/١٥

فارس أفندي والسمن الضائع

[السمن الضائع من منزل القيادة – رواتب الجنود غير المدفوعة]

١٩١٥/٤/١٦

سرّ يتوقف عليه مستقبلي!

[سرّ يتوقف عليه مستقبلي – دعوة إلى بيت موسى العلمي – قراءة خواطر قاسم أمين – عادل جبر – ع. خانم تحبني ولن أتزوج سواها – رفضها لـ أ. أفندي – سعادتي لا توصف ولكن...]

١٩١٥/٤/١٧

محبتي لـ ع. خانم

[محبتي لـ ع. خانم – كراهيتي لـ أ. ب. أفندي وأسبابها – أخبار عن هجوم مقبل على مصر – هذه الحرب الملعونة – فرقة موسيقى إزمير العسكرية]

١٩١٥/٤/١٨

التلصلص على بيت محبوبتي

[حلم لذيذ حول محبوبتي – قبضت راتبي وقدره ٨٥ ١/٢ قرشاً – التلصلص على بيتها – أخي عارف يشتري لي برنيطة وأبي يمنعني من لبسها – الضابط المسؤول فارس أفندي يطلب مني نقوداً]

١٩١٥/٤/١٩

ابن خالتي في خان يونس

[يوسف طوطح يدفع دينه – الضابط فارس أفندي لا يعيد دينه – رسالة إلى ابن خالتي محيي الدين في خان يونس – أخواتي يحتجن إلى صنادل صيفية]

١٩١٥/٤/٢٠

الصهيونية ونفاق زملائي

[قراءة «تاريخ الحضارة»، تعريب محمد كرد علي – تنقصني المثابرة – ترتيب مراسلاتي من أيام المدرسة والجندية – خلاف مع والدي على شراء حاجيات البيت – نزهة إلى المنشية مع حسن الخالدي وعباس الجاعوني وعبد الرحيم الطبجي – حديث عن الصهيونية ونفاق زملائي – الطائرات الإنكليزية فوق يافا – قصف غزة من البحر – خلاف بشأن نهاية الحرب – البلاد على وشك الانهيار – أمطار غزيرة في القدس]

١٩١٥/٤/٢١

جريدة «الحمارة» تتهكم على القيادة العثمانية

[جريدة «الحمارة» تتهكم على القيادة العثمانية – القائد العام جمال باشا يأكل البسكوت خلال المعارك – نفاد التبغ من أسواق القدس – التبغ المهرب]

١٩١٥/٤/٢٢

طابور الزبالين

[طيارة إنكليزية في الرملة – سقوط طيارة عثمانية – ضعف العثمانيين أمام الإنكليز – سجن رجالات المسيحيين في البلاد – هل تريد الدولة الانتقام منهم؟ – طابور الشغيلة من المسيحيين واليهود – طابور الحمالة – طابور الزبالين – التشكيك في وطنية المسيحيين]

١٩١٥/٤/٢٣

الحكومة تفرض ضريبة الجراد على أهل القدس

[في المدرسة الوطنية – مقالتي عن حرب البلقان وسقوط وزارة كامل باشا – الحنين إلى أيام الكلية – أملي بمتابعة الدراسة بعد الحرب – مقابلة عرضية مع عادل جبر – نفاد التبغ والسكر والكاز والأرز من الأسواق – زيارة الكنيسة مع جورجي بترو – الحكومة تفرض «ضريبة الجراد» على الأغنياء والفقراء – انتشار الأمراض في القدس – هل أحظى بالزواج من حبيبتي؟ لا أعرف إذا كانت تحبني]

١٩١٥/٤/٢٤

راتب العسكري لا يكفي مصروف الدخان

[عيد جلوس السلطان محمد الخامس – إطعام العساكر والفقراء – عجيب أمر هذه الحكومة – إعلان أخذ ترعة السويس – حلمي الحسيني ومنفاخ الدراجة – العشاء مع الأستاذ خليل السكاكيني وعادل جبر – الحكومة تجمع الفرّانة – أحمد الجاعوني وأزمة الدخان – خروج المساجين من المعتقل – زوجة عسكري تطلب المساعدة من المعلم خليل – راتبي العسكري ٥ قروش و٢٠ متليكاً – لا يكفي مصروف الدخان]

١٩١٥/٤/٢٥

الضباط العثمانيون يتظاهرون بالتدين وهم منغمسون في ملذاتهم

[وصول دعم أميركي عيني إلى ميناء يافا – خلاف على توزيع حمولة السفينة – حفل عشاء على شرف أحمد جمال باشا – الإسلام ونفاق الضباط العثمانيين – انغماسهم في السكر والعربدة – الأوضاع المحزنة لطوابير العسكر – إطلاق النار على موكب جمال باشا في غزة – لقاء في بيت السكاكيني مع المغربي والنشاشيبي وحلمي وأمين الحسيني وإسحق درويش – نقاش بشأن مؤلفات محمد عبده وقاسم أمين – جمع بيض الجراد]

١٩١٥/٤/٢٦

موت عبد الله الخالدي

[رواية «ليلة عرس» – موت عبد الله الخالدي – كتاب «حياتنا التناسلية» – مرض عمتي خطير]

١٩١٥/٤/٢٧

بغايا القدس يحتفلن بذكرى اعتلاء السلطان محمد رشاد الخامس العرش!

[عيد جلوس السلطان – احتفالات في القدس وإطعام الجنود والفقراء الخرفان – نحن العساكر حقوقنا مهضومة – اجتماع الضباط بالجمّاليْن وروشن بيك – إنارة جنينة المنزل العسكري بالكهرباء – حديث مع أخوالي – اعتداء فلاحي شعفاط على ياور جمال باشا وسيارته – صورة تاريخية بثياب النوم – حديث مع جورج بترو عن الحرب والحكومة – بغايا القدس يشاركن في الاحتفالات – أسر ٤٠٠٠ جندي إنكليزي في الدردنيل – هل نصدق أخبار الحكومة؟ – إصلاح أوضاع المرأة المسلمة]

١٩١٥/٤/٢٨

عندما يسكر روشن بيك تتعطل الدائرة العسكرية

[تعطل الدائرة العسكرية نتيجة سكر روشن بيك – حديث مع حلمي الحسيني – نهاد بيك ورضا شوقي – حديث مع الشيخ محمد الصالح – مديرية المعارف تمنع تمثيل الروايات العربية الوطنية في القدس – هل العرب شركاء الأتراك في هذه الدولة؟ – ما أثقل الطغيان التركي! – الحجاب هو المانع لترقي المرأة المسلمة – كيف نرتقي ونصفنا جاهل؟ – رأيت حبيبتي]

١٩١٥/٤/٢٩

لقاء مع مومسة

[لقاء حسن الخالدي في المنشية – حياة الجندي العثماني مملوءة بالذل والهوان والخوف من مرؤوسيه – زيارة إلى عيادة طبيب العيون – زيارة إلى بيت السكاكيني – لقاء مع مومسة – أجرها ربع مجيدي – لماذا تبيع المومسات أجسادهن؟ – لقاء مع رستم أفندي حيدر مدير المكتب السلطاني في الشام – الحكومة تميز ضد العرب في البعثات العلمية – مقابلة العامية باللغة المكتوبة]

١٩١٥/٤/٣٠

جندوه ليلة زفافه

[رأيت محبوبتي وأنا برفقة حلمي – خبر مشكوك فيه عن خسائر الروس في الحرب – اعتقال موسى الصباغ يوم زواجه وأخذه ليخدم في الجندية – عادة تعرُّف العروس على عريسها بعد الزفاف – الفرجة على دكة العروس – هذه العادات في طريقها إلى الزوال]

١٩١٥/٥/١

نزهة في حديقة المنشية

[نزهة في المنشية – مستشفى الأمراض السارية – رياضة جميلة – حالة الجنود يرثى لها – هدفي تعلم اللغة الفرنسية]

١٩١٥/٥/٢

الأتراك لا يعرفون قيمة العرب

[الموسيقى العسكرية في المنشية – الضابط الإنكليزي يتوقع استقلال فلسطين وسورية – مناشير تطمئن أهالي نابلس على سلامة أبنائهم المعتقلين لدى الإنكليز – ترقية حسن الخالدي إلى ضابط طبي في العسكرية – سفر فرقة «سكز نجي فرقة أرزاق طابوري» من القدس – انعكاس الوضع العسكري – سقوط هذه الدولة أصبح قريباً- الأتراك لا يعرفون قيمة العرب – مع حسن الخالدي وموسى ناصر إلى بيت خليل أفندي – الضابط حسن يسلمني حصانه]

١٩١٥/٥/٣

مذبحة الجنود العثمانية في قناة السويس

[الجِمال تأكل القرشلة بدلاً من الشعير – مذبحة الجنود العثمانيين في قناة السويس على يد الإنكليز – عدد القتلى من فلسطين – سفننا تغرق غواصة إنكليزية في بحر مرمرة – القطارات تسير مرة في الأسبوع بسبب قلة الوقود – تسمية محطة القناة باسم جمال باشا – رسالة إلى محيي الدين الخالدي في خان يونس – شائعة عن تجنيد المواطنين فوق سن ٤٥]

١٩١٥/٥/٤

البلدية تصادر أرضنا

[جمال باشا يعين أنطون بولص وابنه حنا بستنجيين بالواسطة – عملية تنظيف القدس وتوسيع شوارعها – الأسواق تكتسب رونقاً جميلاً – البلدية تصادر ٣٠٠ ذراع من أرضنا من دون إعلامنا]

١٩١٥/٥/٥

عادل جبر يدافع عن الحكومة

[مع السكاكيني وحسن الخالدي وموسى العلمي – رؤية الجنود آتين من نابلس في حالة يرثى لها – العسكرية حولتني إلى شخص ذليل كاذب – زيارة الأستاذ خليل مع حسن – بكباشي يافا ضرره أكثر من نفعه – عادل جبر يدافع عن الحكومة، ما هو السبب؟]

١٩١٥/٥/٦

لا يوجد أوقح من جمال باشا

[عيد الخضر – أوامر جمال باشا بإطعام العساكر الخرفان والحلوى – جمال باشا يحبب نفسه إلى المسيحيين – لا يوجد أوقح منه – الحكومة صادرت من أرضنا ما قيمته ٢٠٠ ليرة عثمانية]

١٩١٥/٥/٧

مثلما تكونوا يُوَلّ عليكم

[تدهور الوضع المالي – ظلم الدولة التركية – «مثلما تكونوا يولّ عليكم» – اللوم علينا لا على الحكومة – الحرب تحولت من الهجوم إلى الدفاع – خالتي أم حسن وضعت غلاماً – حلمي بيك السعيد يموت من التيفوس]

١٩١٥/٥/٨

الحكومة تغذي التفرقة بين الطوائف

[الاستعدادات لتجديد الحملة على مصر – الجيش العثماني غير مؤهل لمواجهة الإنكليز – إعدام جندي فار ونفي نجيب أبو صوان وجرجي أبو زخريا وجرجي الحمصي – الحكومة تغذي التفرقة بين الطوائف والعناصر – توسيع الطريق بين باب الخليل والحرم، ومن باب العمود إلى سوق القطانين]

١٩١٥/٥/٩

المصائب تغزونا مرة واحدة: حرب وغلاء وجراد وأمراض سارية

[المصائب تغزونا مرة واحدة: حرب وغلاء وجراد وأمراض سارية – لم أعد أكترث لشيء من كثرة المصائب – وفاة صهر خالي أبو رشيد – سقوط الدردنيل أصبح قريباً]

١٩١٥/٥/١٠

في الطريق إلى النبي صموئيل

[موت عبد الوهاب الفتياني – قراءة كتاب «انتخاب الزوجة» – في الحرم مع والدي – كلام في مدح الأتراك والألمان – في المكتبة الخالدية مع حسن – في الطريق إلى النبي صموئيل – خبر عن إلغاء المنزل العسكري وإلحاقه بمنطقة أُخرى]

١٩١٥/٥/١١

مؤامرة يونانية ضد الحكومة

[انسحاب كتائب الجيش من طريق نابلس شمالاً – مع حسن والمعلم خليل وعادل جبر – مؤامرة يونانية ضد الحكومة – عادل يدافع عن الحكومة والاتحاديين – لعبة «من المظلوم»؟ مع ميليا السكاكيني وجورجي بترو وحنا حمامة – الغناء بأصوات الحمير]

١٩١٥/٥/١٢

المعلمون يدعون البغايا إلى قاعات الدراسة

[انتحار ضابط عثماني – الفرقة الموسيقية تعزف ألحانها التركية من دون اكتراث للميت – المدرسون يُدخلون المومسات إلى مكاتب المعارف – المعلم يجب أن يضبط نفسه – الشيخ الخطيب المغربي والزمخشري – اجتماع في باب الخليل يبعث السرور في قلبي – أخيراً رأيت

وجه محبوبتي، وهي أجمل من القمر]

١٩١٥/٥/١٣

الحكومة تسرق أرضنا

[حياة الحكومة في خطر– أساطيل الإنكليز على وشك الاستيلاء على إستنبول – الحكومة تصادر أرضنا في كرم الأعرج – خسارة والدي نحو ١٤٠٠ ليرة هذه السنة – بالمال ولا بالعيال – جورجي بترو يعزيني]

١٩١٥/٥/١٤

المشايخ لا تستحي

[فتوى تلقيب السلطان محمد رشاد بالغازي – الحكومة لا تستحي – كلما أفكر في الأرض أفقد صوابي – المعلم خليل السكاكيني ينصحني بالشكوى – حاميها حراميها – هل سأعود إلى الكلية بعد الحرب؟ – رئيس البلدية حسين سليم الحسيني يأمر بإرجاع بعض الأراضي المصادرة – الشيخ أسعد شقير يحث الجمهور على عدم التهرب من الجندية]

١٩١٥/٥/١٥

هل عادل أفندي جاسوس عثماني؟

[جنود الأعداء يحيطون بالآستانة – شائعات عن مقتل أنور باشا ناظر الحربية – احتلال غاليبولي من جانب الإنكليز – خالي محمد توفيق يغلق بيته على نفسه – مع المعلم خليل السكاكيني وابن خالتي حسن الخالدي – عادل جبر يذهب إلى يافا بمهمة لجمال باشا – هل عادل جبر جاسوس للعثمانيين؟ صدور فرمان جديد للتجنيد]

١٩١٥/٥/١٦

الجدري ينتشر في البلدة القديمة

[في المنشية مع حسن الخالدي وجمال الحسيني ومحمد المغربي – هل كانت دعوة النبي دينية أم سياسية؟ – داء الجدري ينتشر في القدس – وفاة ابنة عبد السلام باشا الحسيني عن ٣٠ عاماً]

١٩١٥/٥/١٧

جمال باشا يمنعنا من النوم في بيوتنا

[هدم البيوت والدكاكين في باب الخليل لتوسيع الطرق – الحكومة لا تعوض المتضررين – التيفوس يفتك بأهالي القدس – جمال باشا يمنع الجنود من المبيت في بيوتهم – الجاويش يوقفني لتجوالي من دون إذن – من الآن فصاعداً عليّ أن أنام في المنزل العسكري]

١٩١٥/٥/١٨

نومي مع البراغيث

[طاهر الخالدي وأحمد عارف النشاشيبي وأنا نشترك في غرفة واحدة – ركي يارين كو مستره يم!! نومي مع البراغيث في المنزل العسكري – القيادة تخاف من اختلاطنا بالأهالي ومن الأمراض المعدية]

١٩١٥/٥/١٩

وضعي بالمقارنة مع جنود الطوابير النظامية

[التعزية بوفاة خالي – روشن بيك يسمح لجنود القدس بأن يناموا في بيوتهم – الأميركيون يستفيدون من كل شيء – ضابطي يأمرني بأن أنام في المنزل العسكري – الحمد لله أنهم لم يرسلوني إلى الطوابير النظامية – المعروف الذي صنعه معي الضابط إسماعيل الماني]

١٩١٥/٥/٢٠

الجراد يصل إلى البقعة

[عبد الرحمن الصلاحي يرزق بمولود ذكر – انتشار الجراد وهلاك الزرع في منطقة يافا – وصول الجراد إلى البقعة – طابور عسكري من نابلس في اتجاه الجبهة المصرية – والد ع لا يسمح لها بالزواج مني]

١٩١٥/٥/٢١

(ع) خانم خيرة شابات القدس وفلسطين

[النمسا تسلم إيطاليا مدينة تريستا – قراءة فصول عن كيفية انتخاب الزوجة – (ع) خانم هي خيرة سيدات فلسطين – سأبقى على حبها حتى إذا لم أستطع الزواج بها – قد أبقى أعزب طول حياتي]

١٩١٥/٥/٢٣

في المستشفى العسكري مع الدكتور كنعان

[الدكتور كنعان يعالجني في المستشفى العسكري من الإسهال – شربة واستراحة يومين – طاهر الخالدي والبرتقال – مع حسن الخالدي إلى بيت المعلم خليل السكاكيني – إيطاليا تعلن الحرب على النمسا – حديث مع والدتي عن زوجات النبي – احترام المرأة في الإسلام]

١٩١٥/٥/٢٤

زمبرك الساعة وعقلي الصغير

[المباركة لعمتي بمناسبة ولادة حفيدها – لقاء مع المعلم خليل – عقلي الصغير ومحاولة إصلاح الساعة – موت أحمد أفندي النشاشيبي بداء التيفوس – الأمراض تفتك بأهالي القدس – أحب الحياة ولا أريد أن أموت – اجتماعي بأنطون مشبك في باب الخليل – إيطاليا

تعلن الحرب على حليفتها النمسا]

١٩١٥/٥/٢٥

محيي الدين الخالدي يأخذ مكاني في الجبهة

[قدوم محيي الدين الخالدي من خان يونس – كيف أخذ مكاني في الجندية – الضابط المسؤول يغضب عليّ لتغيبي – عنبر الجبخانة – سوء الوضع في العريش – الطائرات الإنكليزية ترمي مناشير ضد الحكومة]

١٩١٥/٥/٢٦

طابور فرسان في طريقه إلى نابلس

[طابور فرسان متوجه إلى نابلس – تفصيلات السفر في القطارات من دمشق إلى بئر السبع]

١٩١٥/٥/٢٧

جمال باشا يتزوج إحدى المومسات

[غواصة إنكليزية تُغرق مدرعة في الدردنيل – تسليم دراهم ناقصة للخزينة – جمال باشا يتزوج إحدى المومسات اليهوديات – لا يصلح أن يكون قائداً لدجاجة – وصول مفاجئ لشريف مكة – وصول الجراد إلى البقعة – سفر ضابطي إلى دمشق لتصليح عجلة طيارة]

١٩١٥/٥/٢٨

الجراد يصل إلى بركة السلطان

[مع جورجي بترو والمعلم خليل السكاكيني ومتري فراج في المدرسة الدستورية – مبالغة في انتصاراتنا على الإيطاليين – معلومات عسكرية من طاهر الخالدي – الإنكليز يعطلون خطوط سكة الحديد – الجراد وصل إلى بركة السلطان – شريف مكة يتخلف عن الوصول إلى القدس – حديث مكتوم عن وضع الجيوش المتحاربة]

١٩١٥/٥/٣٠

أوامر تعسفية من جمال باشا

[سفر ضابطي إلى دمشق – مع طاهر الخالدي في المنشية – أوامر جديدة من جمال باشا تتعلق بساعات الدوام – إلغاء عطلة يوم الجمعة – العشاء مع محيي الدين الخالدي]

١٩١٥/٥/٣١

لم يبق في الأسواق إلاّ البرتقال لنأكله

[مدرعة فرنسية تقصف يافا من البحر – العشاء في بيتنا مع آل الخالدي – عند جارنا أمين الدنف – الجراد يصل إلى باب الخليل وباب المغاربة – ارتفاع جنوني في أسعار الخضار بسبب تلف المزروعات (الجراد) – تدني أسعار البرتقال نتيجة وقف الصادرات إلى إنكلترا]

١٩١٥/٦/١

الجراد يصل إلى الحرم الشريف

[الأسطول الإنكليزي يقصف يافا – إنزال جنود في غزة – معارك في جناق قلعة – مع أخوالي في المنشية – زيارة الشيخ أمين الدنف – وصول الجراد إلى الحرم الشريف]

١٩١٥/٦/٩

معظم العساكر تغادر القدس

[لا أستطيع الكتابة يومياً بسبب تعليمات الدوام الجديد – الحكومة تغلق المحلات وتجبر الأهالي على محاربة الجراد – البوليس لا يأخذ إلاّ الفقراء والضعفاء ويترك الأغنياء – دفع بدل لمحاربة الجراد – قصة محمد الباقي المجنون – جريدة «الأخبار» اليافية تنصح تركيا بعقد صلح منفرد – إيطاليا تنذر ألمانيا – البلغار يطالبون بأدرنة – شائعة عن سقوط جناق قلعة – جمال باشا يحتفل بليلة المعراج في الطور – الحكومة تخدع الشعب بشعارات الدين – الجراد الطيار يأكل ثمار الأشجار في القدس – تفصيل بدلة بـ ٣ فرنكات – تمديد سكة الحديد بين القدس ويافا إلى خط دمشق الحجاز – لم يبق عساكر في القدس – وصل الجراد إلى بيتنا]

١٩١٥/٦/١٠

متطوعون في الجندية غصباً

[الحكومة تجند ألفي جندي بالغصب – متطوعون إجبارياً – الجنود الشاهانية تضرب المجندين – طعام العشاء مع جمال باشا – ليس في نية الحكومة مهاجمة مصر]

١٩١٥/٦/١١

جمال باشا يعزل رئيس البلدية حسين أفندي الحسيني

[سفر أحمد جمال باشا إلى نابلس – الحملة على مصر لم تكن إلاّ حملة وهمية – جمال باشا يعزل رئيس البلدية حسين أفندي سليم الحسيني – مواظبتي على الرياضة البدنية]

١٩١٥/٦/١٢

شائعات عن مقتل ناظر الحربية أنور باشا في تمرد شعبي

[الحكومة البلغارية طلبت تسليم أدرنة – قد تعلن الحرب علينا – خبر عن تمرد في الآستانة ومقتل أنور باشا ناظر الحربية – جمال باشا في دمشق خلفاً له – انتقال المنزل إلى دمشق]

١٩١٥/٦/٢٢

أنباء عن تمرد شعبي في الشام

[انقطاع جميع الخضار نتيجة هجوم الجراد – ثورة شعبية في الشام – الدولة لا تدفع رواتب العساكر – الطائرات الإنكليزية ترمي المناشير فوق يافا – الضباط الألمان ينسحبون من

الحجاز – خط سكة الحديد بين القدس ويافا يرتبط بسكة حديد الحجاز – الطائرات الإنكليزية تسقط مناشير تحث طوابير العملة على الإسراع في إنهاء العمل بخط الحجاز – أميركا تنذر ألمانيا – إيطاليا قد تدخل الحرب ضدنا]

١٩١٥/٦/٢٣

نسيت كل ما تعلمته

[حالة الكسل والخمول – كأني لم أدخل المدرسة – هل أمضي بقية حياتي جاهلاً؟ – مكتبتي مملوءة بالكتب القيمة لكني توقفت عن القراءة]

١٩١٥/٦/٢٥

الأسطول الإنكليزي يقصف يافا

[ادعاءات عن فوز الجيش الألماني – خسارة ألمانيا حتى الآن ٢٠٠ ألف رجل – الأسطول الإنكليزي يقصف يافا]

١٩١٥/٦/٢٦

سيعدم جميع الذين لم يسلموا أنفسهم

[العسكرية رخصت طوابير العملة – عملية جراحية للسلطان الحالي في المثانة – جميع الطوابير ستستريح في هذا النهار – روشن بيك أفهمهم بأنه بعد الخامس عشر من الشهر الجاري سيعدم جميع الذين لم يسلموا أنفسهم – خسارة والله هذه المصاريف في هذا الرجل]

١٩١٥/٦/٢٧

معارك ترعة السويس

[عودة ابن خالتي حسين الخالدي من معارك الترعة في حالة يرثى لها – أهوال الحرب على جبهة السويس – الإنكليز غير مستعدين للحرب – حرب الاستنزاف]

١٩١٥/٦/٢٨

الجيش العثماني يحارب على أربع جبهات

[خبر غير مؤكد عن قرب اندلاع الحرب على الجبهة البلغارية – تركيا تحارب على أربع جبهات – شائعة عن إغراق سفينة العائلة المالكة الإسبانية من جانب مدرعة ألمانية – احتداد الأزمة السياسية بين ألمانيا وأميركا – هل تعلن أميركا الحرب]

١٩١٥/٧/٢

نقل الضابط فارس الشامي إلى طابور العملة في السلط

[روشن بيك ينقل الضابط فارس إلى السلط بعد أن اختلف معه – كان يدافع عن العساكر ويشفق عليهم – محاولة ترتيب لقاء خاص – إني أنتظر هذا اليوم كما ينتظر العاشق معشوقته –

اختفاء ٤٠٠ جندي في منطقة شفا عمرو – احتلال منطقة بني صعب – الأسطول الإنكليزي يقصف يافا – قصف السرايا ومستعمرة سارونا الألمانية]

١٩١٥/٧/٥

تعييني برتبة ساع

[سفر الضابط فارس إلى السلط – لن أقبل خدمة الضباط حتى لو أدى ذلك إلى طردي – تعييني برتبة ساع – توزيع صنادل صيفية على الجنود – القياس كبير على رجلي]

١٩١٥/٧/١٣

فتوى تبيح للعساكر النظامية الإفطار في رمضان

[النفير العام يقضي على آمالي بالدراسة العليا – سنة ضائعة بالجندية – شيخ الإسلام يصدر فتوى تبيح للعساكر الشاهانية الإفطار خلال رمضان – أهلي لا يسمحون لي بالإفطار – تغيير في الدوام العسكري خلال شهر رمضان]

١٩١٥/٧/١٤

البلدية تسرقنا مرة ثانية للصالح العام!

[تعييني كاتب طابور تركي بدلاً من فارس أفندي – قوميسير البلدية يهدد الدكتور فوتي بالسجن – البلدية تفرض علينا دفع ١٥ ليرة فرنسية – الرئيس الجديد يخفض المبلغ إلى النصف]

١٩١٥/٧/٢٠

مع محيي الدين الخالدي

[مع محيي الدين الخالدي – كرم أهل البيت]

١٩١٥/٧/٢٢

في الحرم

[زيارة الحرم مع محيي الدين الخالدي]

١٩١٥/٧/٢٦

اعتقال رئيس البلدية، أرطغرل بيك

[الحكومة تعزل حسين الحسيني رئيس البلدية وتعين تركياً محله – الرئيس الجديد أرطغرل بيك يختبئ في يافا – أنباء عن اعتقال الرئيس الجديد – خبير ألماني ينقب عن المياه في القدس والصحراء – راتبه اليومي ٧ ليرات]

١٩١٥/٨/٩

أبناء الأشراف في المكاتب والقرويون إلى الجبهة!

[أوامر من الجيش الثامن بإرسال أسماء المتعلمين لسوقهم إلى الخدمة المسلحة – أولاد الأشراف يجدون الواسطة للهروب من الخدمة – القرويون والفقراء يذهبون ضحية الأغنياء – الألمان دخلوا فارسوفيا وأسروا نصف مليون جندي روسي – القرعة تتباهى بضفائر ابنة أختها]

١٩١٥/٩/١

الحكم بالإعدام والسجن المؤبد على متنوري البلاد السورية والفلسطينية

[متنورو الأمة السورية يطالبون الحكومة العثمانية بالإصلاح – الالتقاء مع الفرنسيين – العمل بالسر ثم الظهور علانية بعد إعلان النفير العام – الاستخبارات العثمانية تتجسس على المواطنين – الديوان العرفي في صوفر يصدر الأحكام بالإعدام والسجن المؤبد على الوطنيين العرب – تنفيذ حكم الإعدام بـ ١١ متهم – العفو عن حافظ بيك السعيد ومفتي غزة – الحكم بالإعدام غيابياً على شبلي شميل وفارس نمر ورشيد رضا – شنق الوطنيين في بيروت]

١٩١٥/٩/١٠

لستُ عثمانياً إلاّ بالاسم لأن وطني العالم!

[أوامر بعدم استخدام أهالي القدس في المراكز العسكرية في القدس – يجب إرسالهم إلى بئر السبع – جنود القدس في حالة هياج خوفاً من نقلهم إلى الخارج – النقل قد يشل حركة المنزل العسكري – لماذا أدافع عن الدولة العثمانية؟ – وطني العالم – نحن لسنا شركاء هذه الدولة]

١٩١٥/٩/١٥

هل يختاروني للذهاب إلى الجبهة؟

[اختيار لوائح الجنود المقادسة للتسفير – جنود مقاومة إلى الجبهة – طاهر الخالدي يتدخل ويتوسط مع رئيس البلدية – هل يدرج اسمي في اللائحة؟ – عزة نفسي تمنعني من الالتماس]

١٩١٥/٩/٢١

فكرتُ في الانتحار

[الإنذار الألماني لرومانيا – شائعة عن إعلان الحرب على الصرب – أخبار متناقضة عن الوضع في جناق قلعة – لا وقت لديّ لمتابعة دروسي بسبب ظروف العمل في الخدمة العسكرية – الضابط لا يسمح لي بالمطالعة – راحتي الحقيقية في العودة إلى الكلية – فكرت في الانتحار لكنني لا أريد أن أنكد عيشة أحبائي – بعد الحرب سأتعلم الزراعة ثم أتزوج من أهواها – لا أطلب أن أكون مثل روكفلر في غناه بل أن أعيش حياة عادية]

١٩١٥/٩/٢٢

أحلامي وآمالي

[دروس خصوصية باللغة الفرنسية – خطتي لتعلم الزراعة في سويسرا بعد الحرب – مستقبلي في البرية مع حبيبتي – الزراعة أجمل الحرف وأنقاها وأشرفها – التاجر منافق والفلاح شريف – أهلي لا يسمحون لي بالذهاب إلى أوروبا]

١٩١٥/٩/٢٣

واسطة روشن بيك تمنع تسفيري إلى الجبهة

[وصلت الأوامر بتسفير جنود مقاومة إلى الظاهرية – إسمي معهم – روشن بيك يلغي إسمي – قوماندان القراركاه يستغني عني – لن أنسى هذا المعروف]

١٩١٥/٩/٣٠

الشعب السوري والفلسطيني شعب ذليل جبان!

[إرسال ممثلين عن سورية وفلسطين إلى جناق قلعة لتحية شهداء الحرب – هل تسعى هذه الحكومة للتقريب بين الأتراك والعرب بواسطة الدين – الشعب السوري والفلسطيني شعب ذليل جبان – أحمد جمال باشا يستمع إلى دعاوى الناس في المحكمة الشرعية – الجيش الألماني ينسحب من فرنسا – شعرة من رجلي تساوي عرش بني عثمان]

١٩١٥/١٠/١٠

أستودعك الله يا ثريا!

[مطالبي في الحياة: (١) إنهاء دراستي الجامعية في بيروت وتعلم الزراعة في أوروبا؛ (٢) الزواج من ثريا – خوفي من أن يفترسها غيري – أهلها يرفضون أن يزوجوها لغيري – ثريا جاهلة بالأمور البيتية لكني سأكون سعيداً معها]

١٩١٥/١٠/١٤

قلبي يتفتت عليهن

[القبض على طيارين إنكليزيين بعد هبوط اضطراري في غزة ومجيئهما إلى القدس – إعلان الحرب على البلغار والصرب – نساء القدس يبعن أعراضهن نتيجة الفقر – لعنة الله على أنور وعلى جمال – الجراد يغزو القدس مرة ثانية لكن لفترة قصيرة]

١٩١٥/١٠/٢٠

انتصارات عسكرية كاذبة!

[عطلة رسمية بمناسبة عيد الأضحى لكن المنزل العسكري لم يعطل – الأخبار منقطعة باستثناء الادعاءات الرسمية عن انتصارات كاذبة – زارنا الجراد ثم انتقل إلى جهة غير معلومة]

١٩١٥/١١/٦

وفاة عمتي صفية

[موت عمتي بعد مرض طويل عن سبعين عاماً – لم تنفك يوماً واحداً عن العبادة – لم يعاملني أحد مثلها – الجميع كان يخاف منها – موتها كدرني جداً]

١٩١٥/١١/٢٠

أحمد جمال باشا ينتقل مع أركان الفيلق الرابع إلى حلب

[دوخة صفراء تصيبني – الدكتور كنعان يعالجني – الأخبار تشير إلى هزائم الجيش الألماني في بلجيكا وغيرها – انتقال ساحة الحرب إلى البلقان – الطائرات الإنكليزية تقصف خط بئر السبع – سفر القائد أحمد جمال باشا إلى حلب – قرب الزحف إلى مصر]

١٩١٥/١١/٢٥

تأجيل الزحف على مصر

[بلغاريا تستولي على مناستير – السلطان يرقّي جمال باشا إلى رتبة فريق – الحكومة تؤجل الزحف إلى مصر لعدم توفر المعدات العسكرية – استيلاء الإنكليز على بغداد – الأمراض تفتك بأهالي حلب وحمص – جيوش الأعداء تصل إلى ضواحي حلب]

١٩١٥/١٢/٢٧

هل يثور أهالي فلسطين نتيجة انقطاع القمح والطحين؟

[انقطاع القمح والخبز عن أهالي القدس – عارف الترجمان يعود خالي الوفاض – أُم إبراهيم ترسل لنا ٣ أرطال من الطحين – الحكومة تحدد حصصاً من القمح للتوزيع على الأهالي – كان من الواجب على الحكومة أن تخزن القمح – أسعار العملة الجديدة وما يقابلها من العملات الأُخرى]

١٩١٥/١٢/٣٠

يوم ميلادي

[تزيين القدس بمناسبة تأسيس الدولة العثمانية – تعيين الميرلاي فون غوه سن بيك قائداً لحملة مصر – جمال باشا يترقى إلى رتبة فريق – هل هذه مقدمة لغزوة ثانية للجبهة المصرية؟ أمر بإبعاد عائلة الصلاحي عن القدس – جمال باشا يرفض الاسترحام]

١٩١٦/١/٢

استعمالي الشيفرة في الكتابة

[وصول هجانة من المدينة المنورة للقتال ضد الإنكليز – نية الحكومة الزحف مرة ثانية على قناة السويس – تفاقم الأزمة المالية – والدي يستدعيني – استعمالي الشيفرة في الكتابة للحماية]

١٩١٦/١/١٠

انتصارات عثمانية في الدردنيل وقصف حيفا ويافا من البحر

[جمال باشا يعطل جميع الدوائر احتفالاً بهزيمة الأعداء في الدردنيل – إطلاق مدافع البحرية على الكولونية الألمانية في حيفا – إطلاق القنابل على يافا – الحكومة ترسل الفرقة ٢٧ من القدس إلى الساحل للدفاع عنه – انفجار مستودع للذخيرة في العفولة – معارك عنيفة في بغداد]

١٩١٦/١/٢٢

هروب جمال الصلاحي إلى مصر وجمال باشا ينتقم من عائلته

[فرار جمال الصلاحي إلى مصر – جمال باشا يرسل والد جمال الصلاحي للعمل في طوابير الشغيلة في بئر السبع انتقاماً]

[من دون تاريخ يوم] كانون الثاني ١٩١٦

إبعاد عائلة حسن أفندي الصلاحي إلى الشام

[جمال باشا يأمر بإبعاد عائلة الصلاحي إلى سيواس – جمال باشا الصغير يسترحم جمال باشا الكبير والأخير يرفض طلبه – الابن يهرب إلى مصر والبنات يبقين في القدس – العائلة من المخلصين للسلطة]

١٩١٦/٢/١

وفاة عمتي محبوبة

[إصابة عمتي السيدة محبوبة بفالج ووفاتها – خدمت أختها كل حياتها – كانت تحب الفقراء والأيتام – لم تشكُ ولم نسمع منها كلاماً قارصاً قط]

١٩١٦/٢/٢٩

استقبال شعبي حاشد لأنور باشا ناظر الحربية

[وصول أنور باشا وجمال باشا الكبير مع قادة الجيش العثمانيين والألمان والنمساويين من يافا – طابور طويل لاستقبالهم من الشيخ بدر إلى الطور – إغلاق محلات المدينة – طعام العشاء في فندق فاست – زيارة الجبهة في بئر السبع والصحراء – الشيخ أسعد الشقيري يدعو أنور باشا إلى تأسيس مكتبة في القدس على إسمه – تبرع أنور باشا بـ ٥٠٠ ليرة للفقراء]

١٩١٦/٤/١٤

سرقة بيتنا والقبض على المجرمين

[كيف أقلعتُ عن التدخين – لن أعود إليه إلاّ إذا انتهت الحرب وعُقد الصلح – سرقة بيتنا خلال إقامتنا خارج السور – اختفاء صيغة عماتي – السارقون هم أبناء الدنف وشركاؤهم – تأخير اعتقال ابن خالتي بسبب تجنيده – الدلال يثبت السرقة – اعتقال عبد السلام أبو السعود وعبد العفو الدنف]

١٩١٦/٤/٢٥

المحكمة تدين السارقين بعد الإقرار بالجريمة

[أخي عارف يمثل والدي في الديوان العرفي لمتابعة قضية السرقة – لا أرغب في إقامة الدعوى على ابن خالتي – إفادتي أمام المحكمة – المشتبه فيهما يقرّان بالسرقة بعد الضرب – المحكمة تقضي بتغريمهما – فشل محاولتي إقناع والدي بأن يسحب الدعوى ويعفو عن ابن خالتي – ما هي خلفية هذه السرقة؟]

١٩١٦/٤/٣٠

معارك طاحنة في كوت العمارة وقناة السويس

[معركة كبيرة في قناة السويس – هزيمة للإنكليز في كوت العمارة – ١٣ألف أسير و٧ آلاف قتيل في صفوف العدو – احتفالات في القدس – هل تبقى كوت العمارة في يدنا؟]

١٩١٦/٥/٩

أسرى الإنكليز المهزومون يساقون إلى القدس

[وصول العساكر النمساوية من خليل الرحمن – وصول الجرحى من الجيش العثماني – وصول الأسرى الإنكليز والهنود في حالة يرثى لها – معظم خسائرنا نتيجة القصف الجوي]

١٩١٦/٥/١٩

أحمد جمال باشا يعود إلى القدس وينكد عيشة العساكر!

[جمال باشا ينزل في الطور – يصدر أوامر لا تجدي نفعاً – التغيير في أوقات الدوام – حالة أهالي القدس تزداد سوءاً]

١٩١٦/٦/٤

عودتي إلى التدخين

[عدم ثباتي فيما أعمله – عودتي إلى التدخين – ألمانيا ترسل مندوباً إلى أميركا لمفاوضات الصلح – السبب المعلن هو وضع حد لحرب الغواصات – الأمراض تفتك بالشبان الأبرياء أكثر من الحرب – الأسطولان الإنكليزي والألماني يشتبكان والفوز حليف الألمان]

١٩١٦/٧/١٠

انقطاع الغلال في القدس؛ ثورة الشريف حسين على السلطة العثمانية

[ما أجمل الأعوام الماضية قياساً بوضعنا اليوم – حرب عمومية وحرب داخلية وغلاء وأمراض – انقطاع شهر عن الكتابة – انقطاع الخبز والقمح – توزيع الخبز على الفقراء من جانب البلدية – الدولة تطبع أوراقاً نقدية (بانكنوط) مكفولة – تدهور قيمة الليرة العثمانية – الخضروات مفقودة من السوق – الشريف حسين يثور على السلطة بدعم إنكليزي – حيا الله رجال الحجاز – الحكومة تنشر البوليس السري لكتمان خبر الثورة – سقوط مكة وجدة في

أيدي العربان - سبب الثورة امتناع قائد الجيش الرابع عن دفع مال حماية سكة حديد الحجاز إلى العربان]

١٩١٦/٨/١٧

الضابط الأرناؤوطي يغازلني!

[شهر تموز أتعس الأشهر - أريد أن أمرض كي أتخلص من الحياة العسكرية - جاري يرفض طلبي دواء يمرضني - الضابط الألباني يتغزل بي ويعبر عن حبه لي - فكرت في الانتحار هرباً من هذه الورطة لكن ماذا سيحل بأمي وأبي؟ رستم أفندي الأغزخاني يرفض أن يعالجني - الضابط يلاحقني ليلاً نهاراً ويهددني بالقتل إن لم أستجب له - ماذا سيحل بي؟]

١٩١٦/٨/١٨

زيارة مزعجة في الليل وشكوى إلى روشن بيك

[زيارة الضابط الألباني لي في بيتي بعد منتصف الليل - يطلب مني ثلاثة مطالب - مصارحة خالي بالقضية - خالي يقرر أن يقدم شكوى بالنيابة عني إلى روشن بيك ونهاد بيك - المشكلة لم تنته]

تنبع أهمية هـذه اليوميات، التي دونها صاحبها علـى ضـوء الشمعـة ليلاً بعـد انتهـاء الدوام اليومـي، في أنهـا تعكس عالم جنـدي عادي ومواطـن مقدسـي فـي إحـدى أهـم لحظات التحول التاريخي في فلسطيـن وهي نهاية أربع قـرون من الحكم العثماني وبداية حقبة جديدة مجهولة الهوية حينذاك - عندما أوشك الجيش البريطاني الزاحف من غزة وبير السبع الوصول إلـى القدس، وبينمـا كان الأسطول الانجليزي يقصف يافا وحيفا من البحر.

المذكـرات تحتـويً جانباً آخـراً مستتـراً، هو تفاصيـل الحيـاة الخاصـة التـي تظهـر نسيج الحيـاة الاجتماعيـة فـي تلـك الفتـرة: حب الكاتب لبنت الجيـران، زياراته اليومية لمعلمه وزملائـه، اشمئـزازه من نمـط الحيـاة المترفة التي كان يعيشهـا الضابط بينما كانت الأهلين تجـوع؛ محاولاته المستمـرة والفاشلة للهروب مـن الخدمـة العسكريـة؛ دور الإشاعـات في بث الذعـر (وأحيانا الأمل) في حياة المدينة؛ تحقيقاتـه للوصـول إلـى هوية السـارق الذي اعتـدى على بيت أهله - وشعـوره بالعار عندما اكتشـف مـن هـو الفاعـل؛ خلافة مـع والده وعائلته حول هـذا الموضوع؛ وأخيـرا الانهيار والتفكك الاجتماعي الـذي صاحب المجاعة والأوبئـة والنفـي الجماعـي لمـدن فلسطين. استطاع العسكري إحسان إن يحافظ على عزته وانتماءه لمدينته وتفاؤله بمستقبل بلده دون أن يعلـم أن بانتظاره رصاصة ضابط ستودي بحياته في لحظة انسحاب الجيش العثماني من القدس فـي نهايـة عـام ١٩١٧، ولم يكن قـد بلغ عامه الخامس والعشرين بعد

القدس يوم الثلاثاء في ٣٠ آذار ١٩١٥

بينما كنت ذاهباً صباحاً إلى المنزل اعترضني الخال سعد الدين أفندي الخليلي وسألني إذا كنت سمعت عن شنق اثنين في هذا الصباح في باب الخليل فاستعظمت هذا الخبر وذهبت وأنا بين الشك واليقين. ما أهون القتل والإعدام في هذه الأيام حتى أصبحنا إذا سمعنا بالحكم على احد الناس لم نعد نتأثر لذلك. رباه ما أقسى قلب الإنسان يحكم على الجندي لفراره بضعة أيام أو أسابيع بالإعدام. إذا نفذت دراهم الجندي ماذا يفعل؟ هل يسرق ؟ أو هل يبيع ثيابه التي أعطتها إياه الحكومة؟ لو كانت الحكومة تعطيه راتباً شهرياً كافياً لسد حاجة جنودها لما فر أحداً. ولكنهم يعينون لكل جندي راتباً قدره خمسة غروش صاغ. وليتهم يعطونها له. أنا اعلم بأن معظم الجنود إن لم يكن كلهم لم يأخذوا ولا متليكاً من حين إعلان هذا النفير العام. الجندي رجل ويحتاج إلى دراهم له ولعياله كما تحتاج الضباط.

من يوميات العسكري
إحسان حسن الترجمان

***

الحرب العظمى (١٩١٤-١٩١٨) كانت حقبة مفصلية في انقطاع التواصل بين الحاضر العثماني للمجتمع الشامي وبين مستقبله الانتدابي. كما تجلت فيه أثار الهزات العنيفة التي أحدثتها الحرب وتعبئة الدولة لعشرات الآلاف من أبناء المدن والأرياف في المشرق العربي للقتال في جبهات الأناضول والعراق والسويس. سمي «بعام الجراد» لان هجمة الجراد الكارثية على أراضي فلسطين وسوريا عام ١٩١٥ اختزلت في الذاكرة الجماعية ارتباط قسوة الطبيعة بالمجاعة والأوبئة وهمجية الحرب والتهجير في لحظة واحدة من الزمن.



ISBN: 978-0-88728-310-9
51500
9 780887 283109
$12.00